بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنيّة

كلية الدراسات العُليا

٥٤٦
٢٠١٢
١٠٧٧

آثَـــارُ الجَـاحِظ

دِراسةٌ توثيقيّــة

١

* * * * * * * * * * * *

إعداد

محمّد مَحْمود أحْمَد الدُّروبيّ

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المُهدي

عميد كلية الدراسات العليا

قدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنيّة

رمضان ١٤١٤هـ = شباط ١٩٩٤ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

****

نُوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢ / ٣ / ١٩٩٤م ، وأجيزت .

أعضـــــاء لجنـــــة المناقشـــــة	التوقيـع
١ - الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المُهدي "مشرفاً"	
٢ - الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفـــــة "عضواً"	
٣ - الأستاذ الدكتور محمود إبراهيـــــم "عضواً"	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــداء

* * * * * * * * * * *

إلـى وَالِـديَّ الأكرميْن اللذيْن رَبيَّـاني صَغِيراً وحَمَـلا هَمـي كبيراً.... عُنوانَ إجْلال ، وسَيْماءَ وَفَاء ، وروحَانِيـةَ مَـودَة ، ودُعـاءَ رحمة : " رَبِّ أوْزِعْنِي أنْ أشْكُرَ نِعْمَـتَكَ التـي أنْعَمـتَ عَلَـيّ وعلـى والِـدَيّ وأَنْ أعْمَـل صَالِحـاً تَرْضَـاهُ وأدْخِلْنِـي بِرحْمَتِـك فـي عِبَادِكَ الصَّالِحِين " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

****

يطيب لي وقد أتيت على نهاية هذا العمل، أن أتوجه بعميق شكري للأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي الذي أحاط هذه الدراسة بحسن رعايته المثلى، وأسبغ عليها من روحه العلمية الفذة حتى استوت على هذه الصورة .

كما أتقدم بوافر تقديري للعالمين الجليلين اللذين شرُفتُ بالدراسة عليهما في مرحلة الدراسات العليا : الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وإبداء ما من شأنه إقالة عثراتها، وتصويب هناتها .

ولا أنسى شقيقي الدكتور سمير الدروبي الذي فتح لي أبواب مكتبته العامرة، ولم يضن عليّ بالتشجيع في كل حين .

وإذا كانت الأمانة العلمية تدعو إلى نسبة الفضل إلى أهله، فإنني أنسبه إلى كل من مدّ لي يد العون في مرحلة من مراحل البحث، وأخص السادة: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن، والسيد نوفان الحمود، والسيد عمر الفجاوي، والسيد حسن الملخ، والسيد عماد الحنيني، والسيد عمر دعسان، والسيد موفق الدروبي ، والمهندس إبراهيم الدروبي .

****

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرست الموضُوعَات

الموضوع **الصفحـة**

قرار لجنة المناقشة..... ب

الإهداء ..... ج

شكر وتقدير ..... د

فهرس الموضوعات ..... هـ - ي

المُلخص باللغة العربية ..... ك - م

المقدمـــــــة ١-٦

الفصلُ الأول : دراسةٌ في تَوْثِيق آثار الجَاحِظ ٧-٦٠

جهود القدماء في توثيق آثار الجاحظ ١٢-١٨

جهود المحدثين في توثيقها ١٩-٣٩

- الاتجاه الأول ١٩-٣٢

- الاتجاه الثاني ٣٢-٣٤

- الاتجاه الثالث ٣٤-٣٥

- الاتجاه الرابع ٣٥-٣٩

مَخطُوطَاتُهـــا ٣٩-٤٤

١- مخطوطة داماد رقم ٩٤٩ ..... ٤٠

٢- مخطوطة برلين رقم ٥٠٣٢ ..... ٤٠-٤١

٣- مخطوطة طوب قبوسراي رقم ١٣٥٨ ..... ٤١-٤٢

٤- مخطوطة الجليلي ٤٢

٥- مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١١٢٩ ..... ٤٢-٤٣

٦- مخطوطة الأزهر رقم ٢٣١ أباظة ٦٨٣٦ ..... ٤٣

٧- مخطوطة دار الكتب ١٩ أدب تيمور ٤٣

٨- مخطوطة نور الدين مصطفى رقم ١٠٠ ..... ٤٣

٩- مخطوطة المتحف العراقي رقم ١٣٠٣٧ ..... ٤٣-٤٤

١٠- مخطوطة مدرسة الحجيات ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نَشَراتُـــها ٤٤-٥٩

١- مجموعة فان فلوتن ٤٧
٢- مجموعة الفصول المختارة ٤٧
٣- مجموعة الساسي ٤٨
٤- مجموعة فنكـل ٤٨
٥- مجموعة السندوبي ٤٨-٤٩
٦- مجموعة كراوس والحاجري ٤٩-٥٠
٧- مجموعة الزعبي ٥٠
٨- مجموعة جبر ٥٠-٥١
٩- مجموعة هارون الأولى ٥١-٥٢
١٠- مجموعة "أبو النصر " ٥٢
١١- مجموعة دار النهضة ٥٢-٥٣
١٢- مجموعة الضامن والجبوري والقيسي ٥٣
١٣- مجموعة هارون الثانية ٥٣-٥٤
١٤- مجموعة الضامن ٥٤
١٥- مجموعة جريس ٥٤-٥٥
١٦- مجموعة غزوان والخياط وعلوان ٥٥-٥٦
١٧- مجموعة الحاجري ٥٦
١٨- مجموعة "أبو ملحم" الأولى ٥٦-٥٧
١٩- مجموعة مهنا ٥٧
٢٠- مجموعة "أبو ملحم" الثانية ٥٨
٢١- مجموعة "أبو ملحم" الثالثة ٥٨-٥٩

تَرْجَمـــاتُـــها ٥٩-٦٠

الفصل الثاني : الآثارُ الكاملة ٦١-١٣١

١- رسالة إلى إبراهيم بن المُدبر ٦٤
٢- رسالة إلى أحمد بن أبي دؤاد ٦٥-٦٦
٣- رسائل في استنجاز الوعد ٦٦-٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- رسائل في الاعتذار ٦٧
٥- كتاب البخلاء ٦٧-٧٠
٦- كتاب البغال ٧٠-٧٢
٧- كتاب البيان والتبيين ٧٢-٧٦
٨- كتاب التبصّر ٧٦-٧٨
٩- رسالة التربيع والتدوير ٧٨-٨١
١٠- رسالة تصويب علي في تحكيم الحكمين ٨١-٨٣
١١- رسائل في التعازي ٨٣
١٢- رسالة الجد والهزل ٨٣-٨٤
١٣- رسالة إلى أبي حاتم السجستاني ٨٥
١٤- كتاب الحجاب ٨٥-٨٧
١٥- كتاب الحنين إلى الأوطان ٨٧-٩٠
١٦- كتاب الحيوان ٩٠-٩٣
١٧- رسالة في ذمّ الزمان ٩٣-٩٤
١٨- رسالة ذم الكتاب ٩٤-٩٦
١٩- رسالة إلى رجل وعده ٩٦
٢٠- رسالة في الرد على أحدهم ٩٦-٩٧
٢١- رسالة في الشكر ٩٧-٩٨
٢٢- رسالة في صفة كتاب الفُتيا ٩٨-١٠١
٢٣- كتاب الصَوَالجَة ١٠١-١٠٢
٢٤- رسائل في العتاب ١٠٢
٢٥- رسالة العُثمانية ١٠٢-١٠٣
٢٦- رسالة فخر السُودان على البيضان ١٠٣-١٠٥
٢٧- رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب ١٠٥-١٠٦
٢٨- رسالة فَصل ما بين العداوة والحسد ١٠٧-١٠٨
٢٩- رسالة إلى قُليب المعتزلي ١٠٨-١٠٩
٣٠- رسالة القُـوّاد ١٠٩-١١١
٣١- رسالة القِيان ١١١-١١٣
٣٢- رسالة كِتمان السر وحفظ اللسان ١١٣-١١٤
٣٣- رسالة إلى محمد بن عبدالملك الزيات ١١٤-١١٥
٣٤- رسائل مختلفة ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥- رسالة مدح النبيذ ١١٥-١١٧
٣٦- رسالة المعاد والمعاش ١١٧-١١٩
٣٧- رسالة مفاخرة الجواري والغلمان ١٢٠-١٢١
٣٨- رسالة مناقب التُرك وعامة جند الخلافة ١٢١-١٢٢
٣٩- رسالة في مَوتِ أبي حرب الصفّار البصري ١٢٢-١٢٣
٤٠- رسالة إلى مُويس بن عمران ١٢٣-١٢٤
٤١- رسالة النَابتة ١٢٤-١٢٧
٤٢- رسالة نفي التشبيه ١٢٧-١٢٩
٤٣- رسالة وَصاة ١٢٩
٤٤- رسائل في الوَصاة ١٢٩
٤٥- رسالة الوكلاء ١٢٩-١٣١

الفصل الثالث : الآثارُ المبتُورَة ١٣٢-١٧٨

١- كتاب الأخبار ١٣٤
٢- كتاب استطالة الفهم ١٣٤-١٣٥
* رسالة في الاستعطاف (؟) ١٣٥
٣- رسالة استنجاز الوعد ١٣٥-١٣٧
* كتاب أطعمة العرب(؟) ١٣٧
٤- كتاب البُرصان والعرجان والعميان والحولان ١٣٨-١٣٩
٥- رسالة البلاغة والإيجاز ١٣٩-١٤٠
٦- كتاب البلدان ١٤٠-١٤١
٧- رسالة تفضيل البطن على الظهر ١٤١-١٤٢
٨- رسالة في تفضيل بني هاشم على سواهم ١٤٣
٩- رسالة تفضيل النطق على الصمت ١٤٣-١٤٤
١٠- كتاب الجوابات في الإمامة ١٤٤-١٤٥
١١- رسالة الحاسد والمحسود ١٤٥-١٤٧
١٢- كتاب الحجة في تثبيت النُبوة ١٤٧-١٤٨
١٣- رسالة خلق القرآن ١٤٨-١٥٢
١٤- ديوان شعر ١٥٢
١٥- رسالة ذمّ الهوى ١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦- رسالة الردّ على المُشبهة ١٥٣-١٥٤
١٧- رسالة الردّ على النصارى ١٥٥-١٥٧
١٨- كتاب الشّارب والمشروب ١٥٧-١٥٩
١٩- كتاب طبقات المُغنيّـن ١٥٩-١٦٠
٢٠- كتاب العباسية ١٦٠-١٦١
٢١- كتاب العرب والموالي ١٦١-١٦٢
٢٢- كتاب العُرس والعَرائس ١٦٢-١٦٣
٢٣- كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ١٦٣-١٦٤
* رسالة فضل اتخاذ الكتب (؟) ١٦٤-١٦٥
٢٤- رسالة فضيلة صناعة الكلام ١٦٥-١٦٦
٢٥- كتاب القُضاة والولاة ١٦٦
٢٦- كتاب اللصُوص ١٦٦-١٦٧
٢٧- رسالة مدح التجار وذم عمل السلطان ١٦٧-١٦٨
٢٨- كتاب المسائل والجوابات في المعرفة ١٦٨-١٦٩
٢٩- رسالة المعلّمين ١٧٠-١٧١
٣٠- رسالة في مناقب أحمد بن أبي دُؤاد ١٧١
٣١- رسالة في مناقب خلفاء بني العباس ١٧١-١٧٢
٣٢- رسالة المودة والخُلطة ١٧٢-١٧٣
٣٣- رسالة النَّبل والتنبل وذم الكِبر ١٧٣-١٧٤
٣٤- رسالة النِساء ١٧٤-١٧٦
٣٥- رسالة في هِجاء مُحمد بن الجَهم البرمكي ١٧٦-١٧٧
٣٦- كتاب وجوب الإمامة ١٧٧-١٧٨

الفصل الرابـــع : الآثارُ المنسُـوبة ١٧٩-٢٠٦

١- كتاب الآمل والمأمول ١٨٣-١٨٥
٢- كتاب الإبل ١٨٥
٣- رسالةٌ في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ١٨٥-١٨٦
٤- كتاب التاج في أخلاق الملوك ١٨٦-١٨٩
٥- كتاب تنبيه الملوك والمكائد ١٩٠-١٩١
٦- كتاب تهذيب الأخلاق ١٩١-١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ١٩٣-١٩٥
٨- رسالة مدح العلوم وذمّها ١٩٥-١٩٦
٩- كتاب سحر البيان المُحاكي قطع الجنان ١٩٦-١٩٨
١٠- رسالة سلوة الحَّريف بمناظرة الربيع والخريف ١٩٨-٢٠٠
١١- كتاب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس ٢٠١-٢٠٢
١٢- كتاب الفرق في اللغة ٢٠٢-٢٠٣
١٣- مائة كلمة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ٢٠٣-٢٠٤
١٤- كتاب المحاسن والأضداد ٢٠٤-٢٠٦
١٥- كتاب الهدايا ٢٠٦

الخاتمة ٢٠٧-٢١١

ثبت المصادر والمراجع ٢١٢-٢٣٢

الملحق : الجداول والبيانات التوثيقيّة ٢٣٣-٢٤٥

١- الآثار الكاملة والمبتورة مصنفةً حسب النزعات الغالبة على مضامينها. ٢٣٤-٢٣٦
٢- الآثار الكاملة والمبتورة مسلسلة حسب تاريخ إنشائها المقارب ٢٣٧-٢٣٩
٣- الآثار الكاملةُ والمبتورة موزعة حسب أسماء الشخصيات التي
وجهت اليها ٢٤٠-٢٤٢
٤- الآثار الكاملة والمبتورة مسلسلة حسب تاريخ نشرها ٢٤٣-٢٤٥

الملخص باللغة الإنجليزية ٢٤٦-٢٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الرسالة باللغة العربية

آثارُ الجاحظ

دراسة توثيقية

إعداد : محمد محمود أحمد الدروبي

إشراف : الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف المتباينة ، يمكن إبرازها فيما يلي :

١ – إحصاء ما وصل إلينا من آثار الجاحظ إحصاء علمياً دقيقاً شاملاً يتسنى منه معرفة القدر الحقيقي الذي تناهى إلينا من تراث الجاحظ ، قياساً بالآثار الضائعة التي عدت عليها عوادي الدهر .

٢ – تمييز الآثار الثابت نسبتها إلى الجاحظ مما هو منسوب إليه أو منحول ، تمهيداً لإسقاط نسبة الآثار من النوع الآخر ونفيها عن دائرة تراث الجاحظ .

٣ – الاقتراب ما أمكن من العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ لكل أثر من آثاره ، وهو ما يُفضي إلى التخلص من مشكلة تباين عنوانات الأثر الواحد وتضادها في الوقت نفسه .

٤ – تتبع المسار التأليفي عند الجاحظ بتعيين المدة التي كتب فيها كل أثر من أثره ، بهدف تبين مقدار التطور الذي طرأ على اتجاهات الكتابة في الموضوعات التي كان أبو عثمان يفتن في تناولها

٥ – الوقوف على جهود الباحثين قديماً وحديثاً في العناية بآثار الجاحظ : ذكراً، ونسخاً، وشرحاً، ومناقضةً، ونشراً، وتحقيقاً، ونقلاً إلى اللغات الحديثة .

وقامت خطة البحث على أساس حصر مجموعة الآثار التي وصلت إلينا من الموروث الجاحظي في مجموعتين كبيرتين هما : مجموعة الآثار الكاملة، ومجموعة الآثار المبتورة، وأضيفت إليها مجموعة ثالثة هي مجموعة الآثار المنسوبة. ورتبت الآثار الواقعة في نطاق كل مجموعة وفق حروف المعجم .

وتكونت الدراسة من أربعة فصول وملحق : أما الفصل الأول فقد تناولتُ فيه أبرز الظواهر التوثيقية المتعلقة بآثار الجاحظ، وفي مقدمتها تتبع جهود الباحثين في توثيق هذه الآثار ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتداء من الجاحظ وانتهاء بما قدمه المعاصرون في هذا الباب، وتعدى الأمر إلى حديث موسع عن مخطوطات هذه الآثار ونشراتها وترجماتها إلى اللغات العالمية، في محاولة معرفة مدى العناية التي لقيتها هذه الآثار في القديم والحديث عند العرب وغيرهم .

ومضيتُ في الفصل الثاني إلى تناول مجموعة الآثار الكاملة من تراث أبي عثمان فبحثت في كل أثر على حدة مجموعة من المطالب المتمثلة في تحقيق نسبته إلى الجاحظ، إن كان ثمة ما يدعو إلى هذا التحقيق، فإذا فرغتُ من ذلك انتقلتُ إلى البحث في تباين العنوانات ومحاولة اختيار أقربها، فإذا تحقق ذلك، مضى بنا البحث إلى تلمس تاريخ التأليف ، ثم إلى تتبع النشرات في نسقها الزمني، فالترجمات، ثم الانتهاء برصد النسخ الخطية الباقية .

وبعد الفراغ من تناول الآثار الكاملة ، سار اتجاه مماثل في الفصل الثالث ، تناولتُ فيه المجموعة الثانية من تراث الجاحظ التي وصلت إلينا مبتورةً ليست لها ميزة النصوص الوافية . وتلمست خطة هذا الفصل الخطى ذاتها التي سار عليها الفصل الآنف .

وأقدمتُ في الفصل الرابع على رصد الآثار المنسوبة إلى الجاحظ، جاعلاً همي الأول موجهاً الى استحضار الأدلة العلمية التي تثبت النسبة المفتعلة لهذه الأثار، وبراءة الجاحظ منها.

وأودعتُ الملحق أربعة جداول توثيقية تضمنت بيانات عن مجموعة الآثار الكاملة والمبتورة، أما الجداول الأول فقد رتبت فيه هذه الآثار حسب النزعات الغالبة عليها من أدبية أوسياسية أو اجتماعية أو فكرية، وتضمن الجدول الثاني تصنيف هذه الآثار وفق تاريخ تأليفها المقارب، ووزعت هذه الآثار في الجدول الثالث حسب أسماء الشخصيات الموجهه إليها، وجاءت الآثار عينها في الجدول الأخير مسلسلة وفق تاريخ نشرها في العصر الحديث .

وتمخضت عن الدراسة جملة نتائج لعل أهمها :-

١ – استدعت شهرة آثار الجاحظ عملية توثيقية افتتحها الجاحظ نفسه ، وفي الأعصر التالية عني اللاحقون بهذا الجانب، فكانوا يفردون أثباتاً يسردون فيها عنوانات آثار الجاحظ سرداً محضاً لا يلتفت إلى غير ذلك إلا قليلاً، ولقي هذا الجانب عناية مماثلة في العصر الحاضر، وقد ظهر للدارس بعد تتبعه لجهود القدامى والمحدثين في توثيق أثار الجاحظ، أن هذه الجهود انتهت إلى جوانب معينة، ولم تتجاوز إلى لم الأطراف الباقية في العملية التوثيقية .

٢ – استطاعت الدراسة بإحصائها ما وصل إلينا من آثار الجاحظ أن تكشف عن القدر الحقيقي الذي نفذ إلينا من مجموع التركة العلمية التي خلفها الجاحظ ، فقد بلغ عدد الآثار الواقعة في هذا الإطار واحداً وثمانين أثراً من أصل مائتين وخمسة وأربعين أثراً نعرف عنواناتها ، وهذا يعني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنه لم يصل إلينا سوى ثلث ما تركه الجاحظ ، وأما الثلثان الآخران ، فقد أتت أسباب مختلفة بالجناية عليهما .

٣ – إن ضياع ثلثي ما ألفه الجاحظ يشير إلى صعوبة تشكيل صورة واقعية متكاملة عن كثير من آرائه في الأدب والسياسة والكلام، وإذا ما تشكلت صورة ما عن أحد آرائه في هذه الموضوعات ، فالحق أن هذه الصورة تظل مشوشة ما دمنا نفقد أكثر ماخطه أبو عثمان .

٤ – ما يقع تحت أيدينا من الموروث الجاحظي لا ينتظم جميعه في عِقد واحد، فمنه ما هو كامل النصوص، ومنه ما هو مبتورها، وقد رصدت الدراسة خمسة وأربعين أثراً من اللون الأول، وستة وثلاثين أثراً من اللون الآخر . وتبين للدارس أن بعض القدامى كانوا ينتقون من آثار الجاحظ لغاية تعليمية، حتى إذا فُقدت النصوص الأصلية، بقيت هذه المنتقيات مشكلة آثاراً مبتورة، يضاف إلى ذلك قيام بعض النساخ بالإختيار مما كانوا ينسخونه من آثار الجاحظ على نحو يريحهم من كثرة النسخ ويخفف عنهم من عنائه وما يستلزمه من وقت وجهد ومال .

٥ – أثبتت الدراسة صحة نسبة بعض الآثار التي أبدى بعض المعاصرين شكوكهم حول صحة اتصالها بالجاحظ، كما هو الحال في كتاب التبصّر، وكتاب الحجاب، وكتاب الحنين إلى الأوطان. كما نفت الدراسة من جانب آخر صحة نسبة خمسة عشر أثراً عن الجاحظ معتمدة في ذلك الأدلة العلمية .

٦ – كشفت الدراسة عن وجود عدد من المستلات من آثار الجاحظ، اقتبسها بعض الوراقين عن هذه الآثار، وربما صنعوا لبعضها فاتحة وخاتمة على نحو أوهم الدارسين بأنها آثار مستقلة تقوم بذاتها .

٧ – رصدت الدراسة العنوانات المتباينة لكل أثر، ثم عمدت إلى ترجيح أقربها إلى الدقة والصواب، بما أفضى في نهاية المطاف إلى التخلص من مشكلة تعدد عنوانات الأثر الواحد من آثار الجاحظ في الوقت نفسه .

٨ – طرأ تطور تأليفي على اتجاهات الكتابة عند الجاحظ بعد انقضاء دولة المعتزلة سنة ٢٣٢هـ، فقد لوحظ بجلاء أن النزعة الغالبة على كتاباته قبل التاريخ المذكور كانت تدور في إطار الاعتزال، وأما كتاباته بعد السنة المذكورة، فقد لاحظ الباحث فيها فتور النزعة المذهبية على نحو واضح للغاية، كما لاحظ اتجاه الجاحظ إلى الافتنان في موضوعات أدبية تنأى به عن الدخول في معتركات الجدل والكلام مجاراة للسياسة الجديدة للدولة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُقَدّمَــة

الحمد للّه حمـداً يؤذن بمزيـد نعمائـه، ويدعـو إلـى التسليم بقدره وقضائـه، والصـلاة والسلام على رسولنا محمد المشرَّف بالشفاعة، المخصوص ببقاء دينه إلى يوم الساعة، وعلى آلـه الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعهم الأخيار، صلاةً باقيةً بقَاء الليل والنهار .

أمّا بعد، فإن صلتي بموضوع هذه الدراسة تعود إلى بضع سنين خلت، فقد أتيح لـي إبان مرحلة الطلب الأولى في الجامعة الأردنية أن أختلف إلى حلقات مادة "النثر العباسي" التـي كان يتولى تدريسها إذ ذاك الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المُهدي. وكان شيخ البيان العربي أبـو عثمان الجاحظ قد استأثر آنذاك بنصيب واضح من الدراسة والتحليل بوصفه إمـام مدرسـة نثريـة عريقة مثلت الأدب العربي في عصر أضحت فيه الصولة للنثر، حتى غدا " ديوان العرب " الـذي يجد فيه الدارس مظاهر حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية. ولم تكد تنقضي تلـك السلسـلة مـن الحلقات الثَّرة، حتى تشكلت لديّ صورة عامة عن ملامح حياة هذا الرجل، وأشـهر آثـاره، فضـلاً عن اتجاهات أدبه، وأثره في النثر العباسي .

وسرعان ما انقضت هذه المرحلـة مـن صلتـي بالجـاحظ ، لتبـدأ مرحلـة أخـرى اتسـمت بطوابع جديدة ، فبعد أن التحقت ببرنامج الدراسات العُليا في الجامعـة الأردنيـة سـنة ١٤١١هـ = ١٩٩١م، رأيت أن دائرة معرفتي بالجاحظ وآثاره أخذت تتسع شيئاً فشيئاً مدفوعـة بدوافـع شـتى تشكل في مُجملهـا صـدى نـداء عميـق ملحـاح مـن آثـار المرحلـة الأولـى . ولمـا وجـدت أن هـذا الموضوع تملك عليّ غير جانب من جوانب اهتمـامي العلمـي ، توجهـت إليـه بكـل مـا أسـتطيع، فقمت بدءاً بجلب الآثار الجاحظيّة المنشورة في القاهرة وبيروت وبغداد ، وعكفت على مطالعتها بغية الإلمام بالصورة الوافية عن أدب الجاحظ، حتى إذا تسنى لـي ذلـك، سـعيت سـعياً حثيثـاً فـي سـبيل الحصـول علـى أكثر الأصـول الخطيـةَ الباقيـة لمجمـوع التركـة العلميـة التـي خـرج عنهـا الجاحظ، بغية معرفة ما لم يُنشر منها حتى اليوم .

وبعد أن تجمع لديّ جل ما هـو مخطـوط ومطبـوع مـن المـوروث الجـاحظيّ ، نهضـتُ باستطلاع موسع عن الدراسات الحديثة – المنشورة وغير المنشورة – التي عُنيت بتناول المناحي التوثيقية المتعلقة بهذا الموروث ، فألفيت الأمر لا يتجاوز سرد هذه الآثار أو تصنيفها فـي أثبـات تُفرد لهذه الغاية ، كما هو شأن الأثبات التي صنعها: إسـماعيل البغـداديّ، وخليـل مـردم، وحسـن السندوبي، وكارل بروكلمان ، وشارل بلاّ ، وهدى بهنام ، وإمتياز عرشي. على أننـي وجدتُ أن ما قام به طه الحاجري– رحمه الله – في دراسته الرائدة عن حياة الجاحظ وآثاره، أجـود وأوفـى ما قُدم في الموضوع ، ومع أن الحاجريّ مضى يتناول بعـض الجوانـب التوثيقيـة المتصلـة بآثـار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاحظ، إلا أن الناظر المدقق يجد أن عمله لم يتعدَ إلى الجوانب الأخرى الباقية، وأهم من ذلك، أن مجموع الآثار التي عرض لها لا يتجاوز خمسة وثلاثين أثراً لا تشكل سوى جزء من مجموعة آثار الجاحظ التي وصلت إلينا . وقد ظهر لي أن البنية الزمنية التي أقام عليها الحاجري دراسته، ضيّقت عليه كثيراً، فجعلته لا يعرض إلاّ الآثار التي استطاع أن يتوصل إلى تاريخ كتابتها ولو على نحو مقارب، أمّا الآثار التي أعجزه البحث عن معرفة زمن إنشائها، فكان يعمد إلى طرحها جنباً، وليس أدل على ذلك من عدم تناوله لرسالة ذم الكتّاب، مع كونه صاحب الفضل في نشرها – بالاشتراك مع باول كراوس – قبل الشروع في إعداد أطروحته .

وهذا يعني أنه بات ضرورياً النظر ثانية فيما توصل إليه الحاجري ، ولاسيما أن عمله كان يسير في إطار لا يأخذه باعتباره تناول سائر آثار الجاحظ التي وصلت إلينا على نحو يجمع الشمول والتكامل، أضف إلى ذلك أن آثاراً جديدة تصل الى ثلاثين أثراً، ظهرت بعد انقضاء عمل الحاجري، وفوق ذلك كلّه مجيء نحو نصف قرن على تلك المحاولة، وهي مدة لا غضاضة معها في مراجعة النتائج التي توصل إليها الحاجري واستكمال ما كان شرع فيه .

وهكذا ، عقدتُ العزم – بعد مشورة نفر من أساتذتي الأفاضل – على تناول ما وصل إلينا من آثار الجاحظ في دراسة توثيقية تُعنى بأبرز قضايا التوثيق العلميّ المتصلة بهذه الآثار على النحو الذي تقام على أساسه عشرات الدراسات الجامعيّة في هذه الآونة .

وأما جُملة الأهداف التي وضعها الباحث نُصب عينيه وهو بصدد دراسته ، فيمكن إبرازها فيما يلي :

أولاً : إحصاء ما وصل إلينا من آثار الجاحظ إحصاءً علميًّا دقيقاً شاملاً يتسنى منه معرفة القدر الحقيقي الذي تناهى إلينا من تراث الجاحظ، قياساً بالآثار الضائعة التي عدت عليها عوادي الدهر. وفي ضوء هذا الأمر يمكن محاكمة عشرات الدراسات المكتوبة عن الجاحظ ، لا سيما عن آرائه الأدبية و الاجتماعية والسياسية والكلامية، فبعض النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسات تبدو مجانبة للصواب إلى حد ما، لأن هذه الدراسات أقامت نتائجها على طرفٍ من الآثار التي تركها الجاحظ دون مجموعها .

ثانياً : تمييز الآثار الثابت نسبها إلى الجاحظ مما هو منسوب إليه أو منحول، تمهيداً لإسقاط نسبة الآثار من النوع الآخر، ونفيها عن دائرة التراث الذي خلفه الجاحظ حقيقةً.

ثالثاً : الاقتراب – ما أمكن – من العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ لكل أثر من آثاره، وهو ما يُفضي إلى التخلص من مشكلة تباين عنوانات الأثر وتضادها في الوقت نفسه، مما شوش على الدارسين في أحايين كثيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : تتبع المسار التأليفي عند الجاحظ بتعيين المدة التي كتب فيها كلّ أثر من آثاره المختلفة ، في ضوء النظرة الداخلية في النصوص ، والنظرة الخارجية المتمثلة بالملابسات التاريخية والسياسية والاجتماعية والفكرية التي أملت عليه في كتاباته ، الأمر الذي يهدف في نهاية المطاف إلى تبيّن مقدار التطور الذي طرأ على اتجاهات الكتابة في الموضوعات التي كان أبو عثمان يفتّن في تناولها .

خامساً : الوقوف على جهود الباحثين قديماً وحديثاً في العناية بآثار الجاحظ : ذكراً ، ونسخاً، وشرحاً، ومناقضةً، ونشراً، وتحقيقاً، ونقلاً إلى اللغات الحديثة .

وقد قامت خطة هذه الدراسة على أساس حصر مجموعة الآثار التي وصلت إلينا من الموروث الجاحظيّ في مجموعتين كبيرتين هما : مجموعة الآثار الكاملة ، ومجموعة الآثار المبتورة، وأضيفت إليهما مجموعة أخرى هي مجموعة الآثار المنسوبة. وقمت بترتيب الآثار الواقعة في نطاق كل مجموعة من هذه المجموعات وفق حروف المعجم، مبتدئاً بالألف فالباء وهكذا ...، وأمّا إن كان في عنوان الأثر لفظ من مثل: " إلى" أو " في " أو " ابن " فلم ألتفت إليه في الترتيب، وكذا الأمر في لفظيّ " كتاب" و"رسالة". ورأيت أن ترتيب هذه الآثار معجميًّا يظل أقرب إلى العلميّة من ترتيبها حسب موضوعاتها أو تاريخ إنشائها من وجهين :-

الأول : يصعب في كثير من الأحيان إيجاد فواصل دقيقة يمكن بناءً عليها تصنيف جميع آثار الجاحظ حسب موضوعاتها الدقيقة، لأن ثقافة الجاحظ الموسوعية جعلت الأثر الواحد يضم أشتاتا من الموضوعات الأدبية والسياسيّة والكلاميّة والاجتماعيّة والنقديّة في الوقت نفسه، أضف إلى ذلك أنّ نزعة الاستطراد الفاشية في كتاباته، أفسدت عليه وحدة الموضوع في كثير من آثاره، باستثناء رسائله القصار التي لا يتسع مجالها عادةً لطرق عدد من الموضوعات. على أنني لم أهمل ألبتة ترتيب هذه الآثار وفق النزعات الغالبة عليها، فقد صنعت في ملحق الدراسة جدولاً يحقق هذا الغرض، وإن كان أمر قصرِ كلّ أثرٍ من هذه الآثار على نزعة واحدة، لا يخلو من التجني أحياناً.

الثاني : يعسر التوصل إلى تاريخ إنشاء جميع الآثار الواقعة في إطار الدراسة، كما هو حال الرسائل الإخوانية التي كتبها الجاحظ، فضلاً عن بقاء تاريخ تلك الآثار مقارباً في الأعم الأغلب، وليس تحت أيدينا من الآثار التي نعرف التاريخ الدقيق لوضعها سوى بضعة آثار، على أن هذا الأمر لم يمنع كذلك من تصنيف هذه الآثار في ملحق الدراسة حسب تاريخ إنشائها المُقارب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واقتضت سلامة المنهج وتكامله أن أعقد الفصل الأول لتناول عدد من أبرز المظاهر التوثيقية المتعلقة بآثار الجاحظ، والحق أن أهمية هذه الظواهر إلى جانب ما اتسمت به من الثراء والتنوع، لم تدع مجالاً للمضي في الدراسة دون إعطائها ما يناسب خطرها، وهكذا كان لزاما على الدارس أن يُفرغ هذا الفصل في أهم القضايا الواقعة في هذا الإطار، وفي مقدمتها تتبع جهود الباحثين في توثيق آثار الجاحظ ابتداءً من الجاحظ وانتهاءً بما قدمه المعاصرون في هذا الباب ، وتعدى الأمر إلى حديث موسع عن مخطوطات هذه الآثار ونشراتها وترجمتها إلى اللغات العالمية ، في محاولة معرفة مدى العناية التي لقيتها هذه الآثار في القديم والحديث عن العرب وغيرهم .

وإذا ما انتهيتُ من ذلك، مضيت في الفصل الثاني إلى تناول مجموعة الآثار الكاملة من تراث أبي عثمان، وينطوي في هذا الباب جميع الآثار التي وصلت إلينا وافية النصوص لا يعتورها شيء من البتر والاختصار. وتناولت كل أثر من آثار هذه المجموعة على حدة، فبحثتُ أولاً في تحقيق صحة نسبته إلى الجاحظ، إنْ كان ثمة ما يدعو إلى هذا التحقيق، فإذا فرغتُ من ذلك ، إنتقلت إلى البحث في تباين العنوانات ومحاولة اختيار أقربها إلى الصورة التي أرادها الجاحظ ، فإذا تحقق ذلك، مضى بنا البحث إلى تلمس تاريخ التأليف المقُارب، ثم إلى تتبع النشرات في نسقها الزمنيّ، فالترجمات، ثم الانتهاء برصد النُسخ الخطية الباقية .

وبعد الفراغ من تناول الآثار الكاملة، سار اتجاه مماثل تماماً في الفصل الثالث، تناولتُ فيه المجموعة الثانية من تراث الجاحظ، التي وصلت إلينا مبتورة ليست لها ميزة النصوص الوافية. وتلمستْ خطة هذا الفصل الخطى ذاتها التي سار عليها الفصل الآنف، فقد رُتبتْ الآثار وفق حروف المعجم، كما طرقت المطالب السابقة من تحقيق النسبة، وتباين العنوانات، وتاريخ التأليف، ورصد النشرات والترجمات والمخطوطات. ونبهتُ في هذا الفصل إلى ثلاثة "آثار" كان الدارسون يظنونها آثاراً مستقلة، بيد أن التحقيق أثبت أنها محض مُنتقيات استلت من بعض آثار الجاحظ كالحيوان و البخلاء،وحتى لا تختلط هذه المستلات التي نسميها "آثاراً" على سبيل التجوز، قرنتُ عنواناتها بنجم على هذه الصورة "*" ولم أعطها رقماً مسلسلاً كما هو حال باقي الآثار .

ومع أن موضوع هذه الدراسة كان مختصاً بالآثار المتصل نسبها إلى الجاحظ، إلا أن ذلك لم يكن حائلاً دون تناول مجموعة الآثار المنسوبة إليه قصداً أو خطأً، ولذا أقدمت في الفصل الرابع على رصد الآثار الواقعة في هذا الإطار، جاعلا همي الأول موجهاً إلى استحضار الأدلة العلميّة التي تثبت النسبة المفتعلة لهذه الآثار، وبراءة الجاحظ منها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإتماماً للفائدة المرجوة، أودعت الملحق أربعة جداول توثيقية تضمنت بيانات عن مجموعة الآثار الكاملة والمبتورة، أما الأول فقد رتبتُ فيه ما وصل إلينا من آثار الجاحظ حسب النزعة الغالبة على الأثر تقريباً، سواء أكانت هذه النزعة أدبية أم سياسية أم اجتماعية أم كلامية، وأقمت الجدول الثاني على أساس تصنيف هذه الآثار وفق تاريخ تأليفها المُقارب، وأما الجدول الثالث فقد تضمن توزيعاً، لهذه الآثار حسب أسماء الشخصيات الموجهة إليها ، وجاءت هذه الآثار في الجدول الأخير مسلسلة وفق تاريخ نشرها في العصر الحديث .

أمّا الموارد التي اعتمدتها هذه الدراسة ، فقد تنوعت بين قديمة وحديثة ، ومخطوطة مطبوعة، وعربية وأجنبية. على أن معتمد الباحث في المقام الأول كان مُنصباً على مجموع الآثار التي نفذت إلينا من جملة التركة العلميّة التي خلفها الجاحظ، ولما كان منحى هذه الدراسة يسير في الوجهة التوثيقيّة، فقد لزم الدارس أن يقف على الأصول الخطيّة المتناثرة لهذه الآثار، فضلاً عن نشراتها المختلفة .

ومن أهم المصادر القديمة التي أتكأتُ عليها : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، والعقد لابن عبد ربه، ومروج الذهب للمسعوديّ ، والفهرست لابن النديم، ومعجم الأدباء لياقوت، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والوافي بالوفيات للصفدي، وعيون التواريخ للكتبي، وصبح الأعشى للقلقشنديّ، وكشف الظنون لحاجي خليفة .

ومن أشهر المراجع الحديثة التي أفدتُ منها : الجاحظ لخليل مردم ـ وأدب الجاحظ لحسن السندوبي، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، والجاحظ : حياته وآثاره لطه الحاجري، وأبو عثمان الجاحظ لمحمد عبد المنعم خفاجي، وذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن .

ومن أبرز الدوريات العربيّة التي استقيتُ منها : مجلة لغة العرب، ومجلة الكاتب المصريّ، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ، ومجلة المجمع العلمي الهنديّ، ومجلة المشرق، ومجلة المورد، ومجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، وحوليات الجامعة التونسية .

وأما أكثر ما أعانني من المصادر غير العربية ، فكتابات شارل بلاّ عن الجاحظ بالفرنسية، وبخاصة ما كتبه في مجلة Arabica.

والله أسأل، أن أكون وفقت فيما قصدت إليه وتعبت طويلاً من أجله، فإن أصبت فبتوفيق منه، وإلا فحسبي نصيب المجتهد وأجره ، وما الكمال إلا لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم. ومن الله العون، وعليه التكلان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعشر خلون من شهر الله الأصمّ رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة وألف لهجرة المصطفى عليه السلام ، الموافق لثمان بقين من شهر كانون الأول سنة ثلاثة وتسعين وتسعمائة وألف لميلاد عيسى عليه السلام .

محمد محمود أحمد الدروبي

عمان – أبو علندا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْـلُ الأَول

دِرَاسةٌ في تَوْثِيقِ آثَارِ الجَاحِظ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استدعت الشهرة التي تبوأتها آثار أبي عثمان الجاحظ عمليةً توثيقيةً استهلها الجاحظ نفسُه كما هو واضح من تلك القائمة التي صدّر بها كتابه الحيوان (١:١-١٣)، إذ مضى يعد أسماء كتبه التي تكالب عليها بعض النقاد، طعناً في مقاصدها ومعانيها، وسلباً لفضلها وحقها واعتراضاً على ناسخيها والمنتفعين بها، حتى كأنما لا يدعو إلى ذلك شيء سوى كونها مترجمة باسم الجاحظ مضافة إليه .

وأول ما يلاحظه الناظر في هذه القائمة أن الجاحظ أرخى الخطام للناقد حتى إذا استوفى طعونه ، راح أبو عثمان يُبين ما يعتورها من سوء النظر ومجانبة الصواب. لكن تُرى من عساه يكون هذا الشخص الذي مضى أبو عثمان يُخطيء نقوده ويدعوه إلى الكفّ عن ثلب الكتب والطعن فيها ؟ أتراه يكون الوزيرَ محمدُ بن عبد الملك الزيّات، كما توحي بذلك إشارة عبد السلام هارون (٢ :٢٣١) ، أو شخصاً غيره ؟ إن تحقيق ذلك بصورة قاطعة أقربُ إلى أن يكون عزيز المنال في ضوء غياب النصوص التي تُمكن الدارس من إصدار الأحكام النهائية تماماً في مثل هذه القضية. بيد أنه يمكن استبعاد ابن الزيّات من أن يكون هو المقصود بكلام الجاحظ في مقدمة الحيوان، بالاستناد إلى الأمور التالية :-

١ - إنّ إهداء الجاحظ كتاب الحيوان لابن الزيات، لا يقوم دليلاً كافياً على أن الخطاب الذي صُدّر به هذا الكتاب كان موجهاً في الحقيقة إلى هذا الوزير، ذلك أن ما هو معهود في طريقة الجاحظ الفنية من ابتداع الشخصيات ووضع الأحاديث والمحاورات على ألسنتها، يجعل الباحث أقرب إلى القول إن ما نطلعه في فاتحة الحيوان لا يعدو أن يكون محض أسلوب فني من جملة الأساليب التي ابتكرها أبو عثمان في أكثر مقدّمات كتبه، على أنه لم يكن يرى في هذا الأسلوب ما يمنع من توجيه هذه الكتب أو إهدائها إلى أولياء نعمته أمثال : ابن الزيّات، وابن أبي دؤاد، وابن خاقان، ومن إليهم .

٢ - يشير الجاحظ إلى أن هذا الناقد عاب عليه كتبه التي تنحو منحى الاعتزال، كخلق القرآن، والردّ على المُشبّهة، وفضيلة المعتزلة ، والوعد والوعيد (١: ٩) . ويستشف من ذلك أن الناقد مباين للجاحظ في مذهبه الفكري ، وإلاّ لما كان عاب عليه كتبه في الاعتزال، وهذا يؤكد أن الخطاب لم يكن موجهاً إلى ابن الزيّات الذي انطوى مع صديقه الجاحظ تحت لواء فكريّ واحد.

٣ - مضى أبو عثمان يقّرع هذا الناقد تقريعاً شديداً ، ولم يلبث حتى نسبه إلى العجز والسقم ، وأفضى الأمر إلى مخاطبته بمثل هذه اللهجة القاسية :"وهل كنت في ذلك إلاّ كما قال العربي : وهل يضّر السّحاب نبح الكلاب" (١: ١٣)، و " إلى أن تبلغ حالَ العلماء، ومراتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكفاء " (١: ٢٥). والحق أن الجاحظ لم يكن ليخاطب رجلاً مثل ابن الزيّات، وهو صاحب الدولة المعروف ببأسه وبطشه، بهذه الحدّة والقسوة، بل على العكس من ذلك تماماً، فالكتابات التي أرسلها الجاحظ إليه، تشير إلى أنه كان يخشى صولته ويخاف غضبه، ومن هنا مضى أبو عثمان يستدر عطفه وينشد مودته، حتى لا يكون مصيره مصير أولئك النفر من النابهين الذي فتك بهم هذا الوزير، أو أوقع النكبة قاسية على رؤوسهم .

٤ – يظهر من كلام الجاحظ أن الناقد لم يكتفِ بعيب سائر كتبه حتى قصد إلى كتاب الحيوان "بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه، والاعتراض على لفظه، والتحقير لمعانيه" (١: ١٠) . وفي هذه الإشارة دليل آخر على أن ابن الزيات لم يكن الناقد الذي تولى ثلب الحيوان، وإلاّ لما كان الجاحظ أهداه إليه، ومما يعضد هذا أن المستندات التي بين أيدينا تُشير إلى المكانة التي لقيها هذا الكتاب في نَفْس ابن الزّيات حين قُدّم إليه، وهل أدلّ على ذلك من مكافأته الجاحظ بخمسة آلاف دينار (٣: ١٠٦)، لقاء هذه الهدية التي كان يهش لها في كل حين .

فهذه الأمور مجتمعة تُرجح أن شخصاً آخر خلاف ابن الزّيات هو الذي تولى تجريح كتب الجاحظ ونقدها، وسواء أكان هذا الشخص حقيقياً أم من توليد الجاحظ، فإن ذلك يحمل دلالة على تعرض آثاره لحملة متواطئة استهدفت إسقاطها والحطّ من شأنها ماوسعت إلى ذلك حيلة، وكانما كان باعث محركي هذه الحملة ما رُكب في طبائعهم من حسد ونفاسة أكلت قلوبهم، وقد عاينوا تلك الكتب تحقق لصاحبها شهرة غمرت البيئات العلمية ، بجانب ما تلقاه من رواج عند كبار ذوي الشأن والأمر في الدولة، وهو ما أغدق على الجاحظ ثروة خلصته من شظف العيش وضنك حياة الفقر التي تقلب في بؤسها من قبل. ويظهر على نحو واضح من رسالة فصل ما بين العداوة والحسد، أن الجاحظ عاش تجربة مريرة مع هذا الصنف من الحساد الشانئين، فكانوا يمارسون ضغوطاً عليه تصل إلى حدّ التسلط وقهر الإرادة، فمن ذلك دفعهم رقعةً إليه يتهددونه فيها ويتوعدونه للطعن على كتبه، إن هو لم يضمن لهم حق الشركة فيما يُجرى عليه منها (٢: ٣٦٨) . ٤٣٣٧٠٥

وغني عن القول أن ما ذكره الجاحظ في تلك القائمة التي افتتح بها الحيوان، لا يشمل جميع أسماء كتبه التي وضع، فليس ما أورده إلاّ عينات يسيرة تمثل آثاره المطعونة، جاء بها في معرض التمثيل لا الحصر لكل ما ألفه قبل الحيوان، والدليل على ذلك أن مجموع ماورد في تلك القائمة لا يتجاوز أربعين مؤلفاً بين كتاب ورسالة، ومعنى ذلك أن عدداً من آثاره التي أنشأها قبل الحيوان لم ترد الإشارة إليها في القائمة المذكورة. وأما قول أبي بكر بن الأخشاد، من شيوخ المعتزلة، إن الجاحظ ذكر "في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست" (٣: ١٠١)، فلا يستقيم أمام النظر العلمي الصحيح، لأن الجاحظ في حقيقة الأمر لم يقصد هذا ولم يذهب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحديداً إليه ، ولو أراد مثل ذلك لاستقصى عنوانات كتبه كلها، كما هو شأنه في استقصاء مسائل البحوث التي كان يتناولها من جميع أقطارها على نحو يلفت الأنظار .

ويبدو للدارس أن مرونة عبارة الجاحظ تقف حائلاً دون التوصل إلى العدد الدقيق للمؤلفات الوادرة في تلك القائمة، ويلاحظ أن هذا الأمر دعا غير واحد من أصحاب الأثبات الموضوعة في العصر الحاضر إلى التوسع في عدّ عنوانات تلك القائمة، وكانت النتيجة إيراد بعض المباحث الفرعية التي عرض لها الجاحظ في ثنايا مؤلفاته، على أنها كتب مستقلة تقوم بذاتها، ومن أمثلة هذا النوع : القول في الفرق بين الصدق والكذب، والفرق بين الغيرة وإضاعة الحُرمة (١: ٤)، والفرق بين اعتراض الغُمر واستبصار المُحق (١: ٩)، والفرق ما بين الحيَل والمخاريق (١: ١٠) . فهذه العنوانات ليست أسماء كتب أو رسائل مفردة كما عدّتها قائمة إمتياز عرشي (٤)، بل هي محض إشارات إلى موضوعات وآراء كان الجاحظ يَعرضُ لها ويُنافح عنها في كتبه .

ويمكن للباحث في هذا المضمار أن يرجع أهمية توثيق الجاحظ لكتبه في مقدمة الحيوان إلى الأمور التالية :

١ – إنّ ما هو مُقيد بيد الجاحظ من أسماء كتبه، يجعل الشك في صحة نسبتها إليه غير وارد بهذا الخصوص، فكل كتاب صرح أبو عثمان بتأليفه أُضيف إليه بلا تردد، وهذا هو شأن الآثار الواردة في صدر الحيوان، إلاّ أنْ يكون الرواة أو النساخ أدخلوا على النص ما ليس منه ، وهو ما يعسر القطع به في ضوء فقدان القرائن المبيِّنة التي تعضد الباحث في هذه السبيل.

٢ – يمكن عدّ توثيق الجاحظ في قائمة الحيوان ذا جدوى حقيقية في تحديد المسار الزمني لنحو أربعين من كتبه الواردة في القائمة المشار إليها . ويعتمد هذا الأمر على التوصل إلى تاريخ تأليف الحيوان، فإذا تسنى ذلك أُضيفت تلك الكتب إلى المدة الواقعة قبل ذلك التاريخ .

٣ – تبدو العنوانات التي أثبتها الجاحظ ذات أهمية في معرفة العنوان الصحيح لكل كتاب تعددت أسماؤه، فإذا ذكر الجاحظ عنواناً لكتاب من كتبه بصورة لا تضارع ما هو مذكور عنده غيره، اقتضى الأمر تقديم الصورة الأولى على غيرها، ما لم تقم مُسوغاتٌ كافيةٌ تجعل اختيار الثانية مُسوغاً .

٤ – تفردت القائمة التي في صدر الحيوان بذكر ما يُقارب خمسة عشر أثراً من آثار الجاحظ خلت من ذكرها الأثبات القديمة التي تولت سرد موروثه العلمي . وهذا يدل على أحد أمرين : فإما أن يكون أصحاب هذه الأثبات لم يُعنوا بالتوثيق المباشر عن الحيوان، وهو أمر لا يُستبعد، إذا ما علمنا ان هؤلاء يقتصر اعتمادهم على ما توصل إليه ابن النديم في ثبته، كما يظهر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حينه. وإما أن تكون نسخة الحيوان التي اطلع عليها ابن النديم خاليةً من ذكر هذه العنوانات، وقد يبدو هذا الأمر بعيداً إلى حدّ ما .

٥ – يُعدّ توثيق الجاحظ لكتبه مصدراً مهماً استقى منه عدد ممن عُنوا برصد مؤلفاته في العصر الحاضر كالسندوبي وبروكلمان وشارل بلاّ وإمتياز عرشي، فاطلاع هؤلاء المباشر على ما وثقه الجاحظ أتاح لهم شيئاً من الاستقصاء في قوائمهم، مما لم يُتِح نظيره للقدامى كابن النديم وياقوت والصفدي وابن قاضي شُهبة .

٦ – إنّ أكثر الكتب المذكورة في تلك القائمة تدخل في باب كتب الجاحظ المفقودة، وربما أفادت طريقته في الحديث أحياناً من مادة الكتاب أو الإشارة العابرة إلى أشهر مضامينه، في تشكيل صورة على نحوٍ ما عن موضوعه. وهكذا، تظهر أهمية هذه الإشارات من حيث كونها الأثر الباقي الذي يدل على الكتاب المفقود .

وإلى جانب ما وثقه الجاحظ في تلك القائمة، فإن أجزاء الحيوان الباقية، بالإضافة إلى آثاره الأخرى كالبيان والتبيين، والبخلاء، والبرصان والعرجان، والعثمانية، تتضمن ذكر أسماء كتب له لم ترد في تلك القائمة، مما كان يُذكر عَرَضاً. وتبدو قيمة هذه الإشارات المتناثرة في التوصل إلى تاريخ مُقارب لكتابة عدد من الآثار، وقد تكون مجديةً في معرفة ملامح عامّةٍ عن موضوع الكتاب في حال كونه ضائعاً .

ومع ما يمكن أن يُقال عن قيمة ما وثقه الجاحظ ، إلاّ أن عملية التوثيق عنده تسير وفق منهجية غير متكاملة إلى حدّ ما ، إذ يقتصر الاهتمام على ذكر عنوان الأثر، أو الإشارة الخاطفة إلى المحتوى أحياناً، دونما إحاطة بجميع الآثار أو عناية بالجوانب الباقية في عملية التوثيق. ومع ذلك فربما كانت جهود أبي عثمان في هذه السبيل من البدايات الأولى للدراسات التوثيقية عند المسلمين، وهي الدراسات التي شهدت تطوراً واضحاً في القرون التالية .

وقبل الانتقال إلى طور جديد يوثق آثار الجاحظ ، يحسن الالتفات في هذا السياق إلى أمرين مهمين :

الأول : يبدو واضحاً أن الجاحظ لم يستقر على عنوان دقيق ثابت لبعض كتبه ، بل يُلاحظ أنه كان يتصرف أحياناً، كأن يقدم ويؤخر، ويحذف ويزيد، ويستبدل لفظاً بلفظ. ومن الأمثلة على ذلك أنه ذكر كتاب الصُرحاء والهُجناء بهذه الصورة في بداية الحيوان (٤:١)، ثم عاد في الجزء الثالث فأورده مقدماً ومؤخراً على هذا النحو : الهُجناء والصُرحاء (٥١٠:٥) ومن ذلك كتاب الفرق ما بين النبي والمتنبي (١٠:١) ، فقد ذُكر مرةً ثانيةً بهذه الصورة : فَصْلُ ما بينَ النبي والمتنبي (٣٧٨:٦). والظاهر أن هذا الأمر كان فاتحةَ الخلط في أسماء آثار الجاحظ على النحو الذي يطالعه الدارس عند غير واحد من أصحاب الأثبات اللاحقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : يدل استقراء كتابات الجاحظ أنه لم يكن يفرق بين مصطلحي :" كتاب" و "رسالة" على وجه الدقة، فهو كثيراً ما يستعمل المصطلح الأول للدلالة على رسائله، ومن ذلك ما قاله عن رسالته في مناقب الترك : " وكتابنا هذا " (٢٩:٢)، و " هذا كتاب كنتُ كتبتُه" (٣٦:٢)، و " لو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات" (٨٦:٢). فأنت تراه يصطنع هذا المصطلح عند الحديث عن إحدى رسائله الطوال ، والشيء نفسه يُقال عن رسائله التي تقصر دون ذلك ، فهو يميل إلى استخدام هذا المصطلح استخداماً يوازي إطلاق مصطلح " رسالة" ، يقول عن رسالته إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب : " وقد نسختُ لك – أعزك الله – في صدر هذا الكتاب قصيدة ... " (٣٣٥:٢) . وثمة نمط آخر لم يوظفه الجاحظ إلاّ قليلاً، وهو أن يَسمَ الرسالة بهذا المصطلح تارة ، وبذاك تارة أخرى، دون تحيز إلى أحدهما، مثال ذلك ما جاء في رسالة التربيع والتدوير : " وقد بقيْت لي عليك مسائل هي خاتمة هذا الكتاب " (٩٧:٧) ، ثم لا يلبث أن يقول بعد ذلك : " وهذه جملة العُذر في هذه الرسالة" (١٠٣:٧). وهكذا يتضح مما تقدم، أن الجاحظ لم يضع حداً فاصلاً دقيقاً يُميّز على أساسه بين استخدام هذين المصطلحين تماماً، ومع أنهما يوظفان عنده توظيفاً يُفيد الترادف والمعنى عينه إلى حدٍّ ما . إلاّ أن تغليب المصطلح الأول على الآخر هو الشائع . ومن هنا يبدو واضحاً للدارس ان وضع مقاييس معينة تميز كتب الجاحظ عن رسائله، سيظل متعثراً نوعاً ما. ما دام الأمر لم يبرز بوضوح عند الجاحظ نفسه . وعلى الرغم من ذلك، فسوف أحاول وضع بعض الفواصل التي يمكن على أساسها التمييز بين كتبه ورسائله عند الحديث عن جهود المحدثين في توثيق آثاره .

جهودُ القدماء في توثيقِ آثارِ الجاحظ

يمضي بنا البحث بعد ذلك إلى ما قدّمه القدماء من جهود في توثيق آثار الجاحظ، وأول ما نلقى في هذا السياق ابن النديم أحد أساطين فن التوثيق عند المسلمين، وهنا يمكن أن نقف على نمط متطور يوثق آثار الجاحظ على نحو مختلف عما سبق تناوله من قريب. فقد أودع ابن النديم فهرسته ثبتاً بأسماء آثار الجاحظ التي أمكنه استقصاءها، فكان مجموعُها مائةً وستة وعشرين أثراً بين كتاب ورسالة (٨ : ٢٠٩-٢١٢)، بيد أن الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكر أن ما أورده ابن النديم أربى على مائة وسبعين كتاباً (٩ : ٣٥٧)، وهو أمر يدعو إلى النظر، فإما أن تكون النسخة التي وصلت إلينا من الفهرست ناقصة عن النسخة التي طلع عليها ابن حجر، وهو أمر يُستبعد إذا لوحظ أن الأثبات التي نقلت عن ابن النديم اتفقت على العدد الأول تقريباً. وإماّ أن تكون النسخة التي عاينها ابن حجر هي النسخة الموجود على هامشها ما استدركه ابن الفرات على ابن النديم من رسائل الجاحظ (٨ : ٢١١) ويبدو هذا الأخير أدعى للقبول من سابقه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أن ابن النديم لم يثبت هذا العدد من عنوانات آثار الجاحظ، إلاّ وهو يستمد من غير مصدر، ويبدو أنه اطلع مباشرة على بعض كتب الجاحظ كالحيوان، والنساء، والبغال، والبيان والتبيين (٨ : ٢٠٩-٢١٠)، وربما غيرها، لكن يصعب القطع باطلاعه على جميع ما جاء في ثبته. ولا شك أنه أفاد من روافد أخرى إلى جانب وقوفه على عدد من الآثار الجاحظية، وربما قرأ ما قيده الجاحظ في مقدمة الحيوان من أسماء آثاره، وقد يكون التقط بعضاً من هذه العنوانات من الإشارات الواردة في بطون المظان التي عُنيت بالنقل عن كتب الجاحظ ، ولا ريب بعد ذلك أن ما سمعه من أفواه الكتبيين ، من أبناء مهنته ، شارك في إثراء قائمته ، فضلاً عن فهرسته بصورة عامة .

ويجدر في هذا الإطار تسجيل أبرز ما تميز به عمل ابن النديم في هذا الثبت :

١ – تُعد قائمة ابن النديم أقدم ثبت وصل إلينا عن آثار الجاحظ، بل لعله أوّل ثبت صنعه القدامى بهذا الخصوص، وهو يحتفظ بأكثر أسماء الكتب التي وصلت إلينا من تراث أبي عثمان، يُضاف إلى ذلك انفراده بذكر عنوانات مجموعة من الكتب المفقودة التي لم يبق ما يشير إليها سوى ما جاء في هذا الثبت، كما هو الحال في: المخاطبات في التوحيد، ونوادر الحسن، والاستطاعة وخلق الأفعال، وأُمهات الأولاد، وفضل الفَرَس على الهِمْلاج (٨ : ٢١٠،٢١١).

٢ – يبدو للناظر أن ثبت ابن النديم بقي حتى يومنا هذا مرجعاً وثيقاً لكل من أفرد فهرساً لمؤلفات الجاحظ من القدامى والمحدثين على السواء، فمَن أخذ عنه من القدامى: ياقوت، والصفدي، والكتبيّ، وابن قاضي شهبة. ومن الذين أفادوا منه المحدثين : خليل مردم، وحسن السندوبي، وبروكلمان، وشارل بلاّ، وإمتياز عرشي. فهؤلاء جميعهم يأخذون عن الفهرست مباشرة أو عن ياقوت الذي يستقي من ابن النديم كما هو واضح من سياق كلامه (٣ : ١٠٦). وهذا يعني أن ثبت ابن النديم كفيل، إلى حدّ ما، بكشف الأسقاط والتصحيفات والتحريفات الواقعة في قوائم المذكورين آنفاً، لا سيما القدامى منهم، لأن عمل هذا النفر لا يعدو مجرد النقل، كما سيبدو بعد قليل .

٣ – لم يقنع ابن النديم بسرد العنوانات فحسب ، بل التفت إلى جوانب أُخرى ذات أهمية في عملية التوثيق، فقد نبه إلى نحل كتابين للجاحظ هما : الإبل والهدايا (٨ : ٢٠٩، ٢١١)، كماأشار إلى وجود أكثر من نسخة متداولة لكتابين هما: البيان والتبيين، ونظم القرآن (٨: ٢١٠)، علاوة على ذلك، فقد سعى ابن النديم في محاولة فرز الكتب عن الرسائل ، فبعد أن سرد الكتب ألحق بها الرسائل، بيد أنه عاد من جديد يسرد ما بقي من الكتب .

ولا بّد هنا من وقفة مُقابلة تكشف النِقاب عن أبرز ما يمكن توجيهه إلى هذا الثبت من مآخذ:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – مما يلفت النظر في مادة الثبت كونها لا تسير وفق نسق معين، فالعنوانات ترد تباعاً دون عناية بترتيبها في بناء مُحكم مُتسلسل يجعل الرجوع إليها سهلاً ما دعت الحاجة إليه .

٢ – لم يستند ابن النديم في تفريقه بين الكتب والرسائل إلى أُسس ضمنية معينة، والظاهر أن بناء الرسالة أو فنيتها لم يكونا في حسابه آنذاك. ويلاحظ أنه أورد العديد من الرسائل على أنها كتب، فمن ذلك : التربيع والتدوير، ومناقب الترك، والحاسد والمحسود (٨ : ٢١١)، فهذه الرسائل لا يمكن أن يُقال إنها كتب، إلاّ إذا قيل إن مصطلحي "كتاب" و "رسالة" من المترادفات التي جرى القدماء على إطلاقهما لمعنى واحد من غير تمييز دقيق لمفهوم كلٍّ منهما .

٣ – مع أن ابن النديم قطع بنحل كتابين للجاحظ، إلاّ أنّ آثاراً أخرى منحولة وردت في القائمة دون الإشارة إلى حقيقتها، كما هو الحال في الآمل والمأمول (٨: ٢١١) وهو من الآثار المنحولة التي يأتي تناولها في الفصل الرابع، إنْ شاء الله .

٤ – يُلاحظ أن ابن النديم كان يتصرف أحياناً في صورة عنوان الأثر على نحو ما ، وهذا التصرف جعل هناك بعض الاختلاف عن صورة العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ فمن ذلك كتاب العرب والعجم (١ : ٥)، ذكره ابن النديم باسم التسوية بين العرب والعجم (٨ : ٢١١). ومثل ذلك اختصام الشتاء والصيف (١٠ : ٩٥)، أورده ابن النديم باسم افتخار الشتاء والصيف (٨ : ٢١٠).

٥ – مع أن ابن النديم حاول أن يكون مُتقصياً في قائمته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، إلاّ أنه مع تقصيه لم يستوعب جميع عنوانات آثار الجاحظ، ولئن كان هذا الثبت – على نفاسته – يشُوبه شيء من النقص، فليس غريباً أن يقوم أحدُ اللاحقين بالاستدراك عليه، أما الشخص الذي تولى هذه المهمة فيدعى ابن الفُرات (٨ : ٢١١)، على أنه لا تكاد توجد تحت أيدينا في الوقت الحاضر ترجمة دقيقة لحاله ، نظراً لتعدد المعروفين بهذا الاسم (١١ : ١٣٩)، مع عدم قيام دليل على ترجيح أيٍّ منهم .

ويبلغ ما استدرك ابن الفرات على ابن النديم سبعة وثلاثين أثراً كلها من الرسائل، وبوسع أي مطلع أن يلاحظ أن عنوانات هذا العدد لم تذكر جميعها بصورة كاملة، لأن ابن الفرات كان يكتفي أحياناً بمثل هذه العبارات المقتضبة :" خمس رسائل إليه " و " أربع رسائل إلى ابن نجاح " و " إليه ثلاث رسائل " (٨ : ٢١١) ، وتراه لا يغادر رسالة حتى يذكر الشخص الموجهة إليه . بيد أن بعض الآثار الواردة عند ابن النديم كرّرها ابن الفرات في مستدركة بعنوانات جديدة ، فالرسالة التي ذكرها ابن النديم باسم الجدّ والمزاح (٦: ٢١١)، ترد ثانية عند ابن الفرات باسم الجَد والهزل (٦: ٢١١)، وهما عند التحقيق عنوان لرسالة واحدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهما يكن من شأن هذه الملاحظ، فإن ما صنعه ابن النديم يظل ذا قيمة خاصة لا يزاحمه أحدٌ عليها، وحسبه أنه أولُ من اختط هذه الطريق ومهدها لمن تلاه ممن عُنوا بهذا الجانب، فابن النديم من هذه الجهة رائدُ أولئك النفر الذين اهتموا بتوثيق آثار الجاحظ في القديم والحديث .

وتدخل عملية توثيق آثار الجاحظ بعد ابن النديم مرحلةً أُخرى تَغْلُبُ عليها طوابعُ النقل والتقليد والافتقار إلى الأصالة التي تدل على حضور شخصية الباحث في عمله، ويمكن رؤية هذا المنحى بوضوح عند : ياقوت الحمويّ، وصلاح الدين الصفديّ، وابن شاكر الكتبيّ، وابنُ قاضي شهبة. فتوثيقات هذا النفر من القدامى تصب في هذا المجرى، إذ لا يعدو الأمر عندهم متابعة ابن النديم والنقل عنه، والوقوف عند حدود ما توصل إليه، وليس يعني ذلك أنّهم استقوا من الفهرست مباشرةً بل الملاحظ أن ياقوتاً هذا الوحيد الذي وقف على ثبت ابن النديم من بينهم، وأما الباقون فقد توالت نقُولُ بعضهم عن بعض، على ما سيظهر بعد قليل. وما دمنا في هذا السياق، فلا بأس من الوقوف عند كل ثبت من الأثبات التي أفردها هؤلاء الأربعة :

أولاً : ثَبَتُ ياقوت (٣: ١٠٦-١١٠).

ينقل ياقوت ثبته هذا عن ابن النديم كما يبدو من إشارته إلى ذلك (٣ : ١٠٦)، ولايسع المدقق في عمل ياقوت إلا أن يُسجل الملاَحِظ الآتية عليه :

١ – لا يُقدم هذا الثبت شيئاً جديداً يستحق الذكر، فهو لا يضيف عنواناً على ما جاء في ثبت ابن النديم، ولقد كان المظنون أن يتجه ياقوت وهو الوراق الموسوعي المعروف إلى تطوير هذا الثبت واستكمال ما كان اختطه سلفه ابن النديم، ولكن شيئاً منَ ذلك لم يحدث .

٢ – تصرف ياقوت مراتٍ في صورة العنوان حتى باينت صورةَ الأصل المنقول عنه، ويكفي القارىء أن يوازن هذه العنوانات : النبي والمتنبي، ومسائل القرآن، والفخر ما بين عبد شمس ومخزوم (٣: ١٠٦، ١٠٧)، وبين صورتها التالية عند ابن النديم : الفرق بين النبي والمتنبي، والمسائل في القرآن، وفرق ما بين عبد شمس ومخزوم (٨: ٢١٠، ٢١١). وهذا الفرق يوضُح مقدار التغييرات الطارئة على أسماء الآثار في قائمة ياقوت .

٣ – لم يتقيد ياقوت بتسلسل العنوانات على الشاكلة التي وردت في قائمة ابن النديم، بل لُوحظ أنه يُخلُّ بالترتيب، فيقدم ويؤخر كيفما اتفق. فمن ذلك مثلاً تقديمه كتاب الكبر المستحسن والمستقبح وكتاب نقض الطب، على كتاب الحزم والعزم (٣: ١٠٩)، مع أنّه يَرِدُ قبلها عند ابن النديم (٨ : ٢١١). ومنه أيضاً تقديم كتاب الأسد والذئب (٣: ١١٠)، على ثلاث رسائل جاءت متقدمة عليه في ثبت ابن النديم (٨: ٢١١-٢١٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ – لم يُوفق ياقوت في قراءة الصورة الصحيحة لبعض العنوانات، فالكتاب الذي ذكره ابن النديم باسم : فضل الفَرس على الهِمْلاج (٨: ٢١١)، جاء في قائمة ياقوت منفصلاً في عنوانين على هذا النحو : كتاب فضل الفرس، وكتاب على الهملاج (٣: ١٠٩) .

٥ – لا يخلو هذا الثبت من مجموعة من التصحيفات والتحريفات، ربما وقع فيها ياقوتُ نفسه، وربما كان بعضها راجعاً إلى أخطاء النساخ الذين تولوا كتابة الثبت فيما بعد. ومن أمثلة هذا النوع كتاب غنام المرتد (١:٩)، ذكره ياقوت باسم كتاب عِصَام المُريد (٣:١٠٨). ومثله كتاب الحجر والنبوّة (٣: ١٠٨)، وصوابه كما جاء في ثبت ابن النديم : الحجة والنُبوة (٨:٢١١).

٦ – جرى ياقوت على إيراد أسماء الرسائل مقرونة برسوم تبدو غير مُسوغةٍ إلى حدٍّ ما، فهو لا يكتفي بالقول: رسالة كذا، كما هو الحال في ثبت ابن النديم، بل تراه يعمد إلى إدخال لفظ "كتاب" في كلٍ من هذه العنوانات، كقوله :" كتاب الرسالة إلى..." و " كتاب رسالته في... " (٣: ١٠٩–١١٠) . وربما كانت هذه الرسوم تحمل دلالة واضحة على أنّ ياقوتاً يستخدم مصطلحي :" كتاب" و "رسالة " استخداماً متقابلاً يؤدي المعنى عينه .

ثانياً : ثبت الصفديّ (١٢ : ٥٧ب–٥٨ظ).

لم يذكر الصفديّ المورد الذي اعتمده في النقل، إلاّ أن متابعته لياقوت في كثير من تقديماته وتأخيراته وتصحيفاته وتحريفاته، تدل على أن قائمة ياقوت كانت مظنة النقل التي استمد منها، بل يمكن القول إن ترجمة الجاحظ في الوافي بالوفيات، تكاد أكثر موادها تكون مُقتبسةً عن ترجمته الواردة في معجم الأدباء .

ويتفق هذا الثبت في تسلسل عنواناته مع ثبت ياقوت ، الأمر الذي يشير إلى حسن التثبت في النقل إلى حدّ ما، ويُلاحظ أن الصفديّ كان يكتشف أحياناً بعض ما هو مُحرف في قائمة ياقوت ويرده إلى أصله، ومن ذلك كتاب صناعة الكلام (١٢: ٥٧ظ)، المصحف عند ياقوت بهذا الشكل : كتابة صياغة الكلام (٣: ١٠٧). ومع ذلك، فقد وقع الصفديّ في تصفيحات جديدة غاير فيها الأصل المنقول عنه، فكتاب الأخبار (٣ : ١٠٨)، يرد عنده باسم الأخيار(١٢: ٥٧ظ).

وأخيراً ، فقد كان الصفديّ يَدخل أحياناً على صورة العنوان بالزيادة أو الحذف أو تغيير اللفظ كلياً، فكتاب القضاة والولاة (٣: ١١٠)، يُسميه القضاة والوزراء والولاة (١٢: ٥٨ظ) بزيادة لفظ ليس من أصل العنوان. وترد الرسالة المعنونة بالردّ على القوليّة (٣: ١١٠)، في ثبته على هذا النحو : القول على الرديّة (١٢: ٥٨ظ)، وهو دخول أخل بالعنوان تماماً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : ثبت الكتبيّ (١٣ : ١٥٤ظ-٥٥ظ).

مع أن ابن شاكر لم يشر إلى المصدر الذي استقى منه، إلاّ أنّ تسليط ترجمته للجاحظ في عيون التواريخ على الترجمة التي أودعها الصفديّ كتابة الوافي بالوفيات، كافٍ للقطع بأنه أخذ عن قائمة سلفه. ولقد أضحى واضحاً أن الكتبيّ كان يُغير على كتب الصفديّ، ويودعُ قدراً كبيراً من موادها في كتابيه : عيون التواريخ، وفوات الوفيات، وإنّ استقراءً متأنياً لتراجمة في هذين الكتابين في ضوء تراجم الصفديّ في : الوافي بالوفيات، وأعيان العصر، يكفل للدارس الوقوف على حقيقة الأمر .

ويمكن للباحث بعد ذلك أن يسجل ما عساه يكون قادحاً في هذا الثبت :

١ – يكتظ الثبت بالتصفيحات والتحريفات على نحو مُفرط للغاية ، من ذلك كتاب الطفيليين (١٢: ٥٧ظ)، تصحف على هذه الشاكلة : الطفلين (١٥٥:١٣ب) . ومثل ذلك كتاب التفاح (١٢: ٥٨ب)، تصحف على هذا النحو : النضحاح (١٣ : ١٥٥ب) . وسترد الإشارة إلى كثير من هذه التصفيحات والتحريفات عند تناول الآثار في الفصلين الثاني والثالث .

٢ – لم يقف الأمر بالكتبي عند حدّ التصحيف، بل تعداه إلى إسقاط أجزاء أصيلة من العنوان، كما هو الحال في كتاب افتخار الشتاء والصيف (١٢ : ٥٧ظ)، المذكور في قائمة الكتبيّ باسم الشتاء والصيف (١٣ : ١٥٥ب) .

٣ – وقعت أخطاء في قراءة الصورة الصحيحة للعنوان، مثالها كتاب التفكر والاعتبار (١٢: ٥٨ب)، فقد جاء عند الكتبيّ في عنوانين مستقلين على هذا النمط : كتاب التفكر، كتاب الاعتبار (١٣ : ١٥٥ب) .

٤ – لا يتضمن هذا الثبت ذكر سائر العنوانات الواردة في قائمة الصفديّ، أي أن عدداً من العنوانات سقطت دون أن يلتفت الكتبي إليها، كما هو الحال في : رسالة إلى أبي النجم في الخراج، ورسالة في القلم، ورسالة في فضل اتخاذ الكتب (١٢ : ٥٨ ب) .

رابعاً : ثبت ابن قاضي شُهبة (١٤)

يبدو من المقارنة بين ترجمة الجاحظ عند الكتبيّ وابن قاضي شهبة، أن الأول منهما كان مظنة نقل الآخر، ومما يؤيّد ذلك تكرار مجموعة المآخذ التي سبق التنبيه عليها عند الكتبيّ في هذا الثبت أيضاً. ومع ذلك، فقد كان ابن قاضي شهبة يلتفت أحياناً إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها سلفُه فيصوبها، مثال ذلك كتاب الطفيليين (١٤)، الذي جاء في ثبت الكتبيّ بصورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشوهة كما مرّ من قريب . ومثله رسالة اليتيمة(١٤)، التي صحفها الكتبيّ على هذا النحو : رسالة البتيّة (١٣: ١٥٥ظ).

وبالإضافة إلى ما سبق، طرأت تصحيفات جديدة على بعض العنوانات الوادرة عند ابن قاضي شهبة، ولعل أهم هذه التصحيفات كتاب البديع ، وفضل العُرس على الملاّح، وكتاب عياض الآداب (١٤)، على أن صورتها الصحيحة هي على التوالي : التربيع، وفضل الفرس على الهملاج، وعناصر الآداب (٨ : ٢١١). ويلاحظ أن الخطأ ذاته الذي وقع فيه ياقوت والصفديّ والكتبيّ، في فصل العنوان الواحد إلى عنوانين متباعدين، لم يسلم منه ابن قاضي شهبة كذلك، ولعل مجيء كتاب الرد على من ألحد في كتاب الله (٨ : ٢١١) على هذه الصورة: كتاب الرد على الحاسدين، وكتاب الله (١٤) هو أوضح شاهد على هذا الأمر .

وإذا ما تجاوزنا هذه الحلقة من توثيقات القدامى لآثار الجاحظ ، وما تنطوي عليه من جهود لا ترقى إلى مستوى الجدة التي يطالعها الناظر في عمل ابن النديم، فإن الحلقة التالية لها تمثل محض فيض من الإشارات العابرة المتناثرة في بطون المظان القديمة. وواضح أن مقصد هذه الإشارات لم يكن محمله الإحاطة أو الاستقصاء كما هو شأن ما صنعه أصحاب الأثبات، بل وقف الأمر عند حدود معينة اقتصرت في أحيان كثيرة على مجرد ذكر بعض الآثار الجاحظية على وجه السرعة. ويُلاحظ أن هذا اللون من التوثيق كان غالباً ما يأتي في ثنايا الحديث عن سيرة الجاحظ وأخباره، وفي بعض الأحايين كان يجيء على نحو مُنبتٍّ عن سياق الترجمة لحال الجاحظ. ومن أهم الكتب التي يمكن أن نتثمل فيها المنحى الأول: تأويل مختلف الحديث (١٥: ٥٩)، ومروج الذهب (١٦: ٩٢، ١١٣)، والفرق بين الفرق (١٧: ١٤٧، ١٧٧)، والتبصر في الدين (١٨ : ٥٠ -٥١)، والمختصر من أخبار البشر (١٩: ٤٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٠ : ٥٢٩ - ٥٣٠) ، وسرح العيون (٢١ : ٢٤٩)، ومرآة الجنان (٢٢ : ١٦٢)، ولسان الميزان (٩ : ٣٥٥- ٣٥٧) . ومن أبرز الكُتب التي تصور المنحى الآخر : العقد (٢٣: ٢٨، ٤١٦)، والبصائر والذخائر (٢٤ : ١٩، ٨٣)، وكشف الظنون (٢٥: ٣٩٢، ١٣٩٨، ١٤٣٥)، وخزانة الأدب (٢٦: ٢٨، ٤٦، ٩١).

ويجدر بالباحث ألاّ يغتر بالمعلومات التي يقدمها هذا الصنف من الكتب ، لأن الأمر - خاصة عند المتأخرين - لا يخرج عن كونه صدى لما هو في المصادر التي ترجع إلى فترة مبكرة نسبياً ، على أن ميزة مهمة قد تبدو هنا ، وهي احتفاظ بعض هذه الكتب بمنقولات مقتضبة من بعض الآثار التي أتت عليها الأيام بجنايتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جهودُ المُحْدَثين في توثيقها .

كان من حُسن حظ أبي عثمان أن اتسعت العناية بآثاره في العصر الحاضر على نحو يثير الانتباه، وكانت الحصيلة المتوقعة لاتساع هذه العناية أن لقي الجانب التوثيقي المتعلق بهذه الآثار اهتماماً واضحاً إلى حدّ ما. والمتتبع يجد أن هذا الجانب اتسم في الفترة المعاصرة بملامح وقسمات ثرية ومتنوعة خرجت عن طور السرد والنقل ونحو ذلك مما سبق عرضه قبل قليل. والواقع أنّ هذا الجانب تطور في خطى متسارعة بما أتاحته وسائل العصر الحديثة، كما نفذت عملية التوثيق إلى ألوان غنية لم تكن محط اهتمام أصحاب الأثبات الأوائل بشكل لائق تماماً، ويمكن للدارس تقديم تصوّر لأشهر الاتجاهات التي تمثل هذه الجهود :

الاتجاه الأول :

تعددت الأثبات التي وضعها المعاصرون في سبيل حصر ما خلفه أبوعثمان من تراث، ويبدو أن ما حازه هذا التراث من مكانة مرموقة على مرّ الأعصر الأدبية، كان كافياً في نظر هؤلاء للاهتمام بإحصائه ورصد مخطوطه ومطبوعه. والراصد للتسلسل الزمنيّ لهذه الأثبات، يلاحظ أنها توالت تباعاً في خُطى متسارعة جداً، وإذا كان مجموع الأثبات التي أمكن رصدها من القرن الخامس إلى أواخر القرن الثالث عشر لا يتجاوز خمسة أثبات سبق التعريف بها، فإنّ خمسة عشر ثبتاً وضعت في مدة وجيزة نسبياً تبدأ من منتصف القرن الرابع عشر حتى الوقت الحاضر .

وما من ريب في أن هذه الأثبات لا تجري كلُّها على الشاكلة نفسها، فإذا كان بعضها أخذ نفسه بجوانب متنوعة من عملية التوثيق، فإن بعضها الآخر قصر الإهتمام على جوانب معينة من غير عناية بالجوانب الأخرى الباقية، وإذا كان بعضها عُني برصد آثار الجاحظ على نحو متقصٍّ ، فإن بعضها لم يمضِ في هذه السبيل، وإذا كان بعضها يقوم على عُمق وأصالة ، فإن بعضها يفتقر إلى أشياء من هذا القبيل. والحق أن تبيّن معالم هذا الاتجاه بالصورة الصحيحة يتسنى بوَقفة عند كل ثبت من الأثبات الواقعة في هذا الإطار ، وهي تجري حسب سيرورتها الزمنية على هذا النحو:

أولاً : ثبت إسماعيل البغداديّ (٢٧: ٨٠٢-٨٠٣).

يعود تاريخ هذا الثبت إلى نحو سنة ١٣٣٠هـ=١٩١٢ م، ويبدو أنّ البغداديّ لاحظ أن حاجي خليفة لم يلتفت في كتابه كشف الظنون إلى مؤلفات الجاحظ إلا قليلاً ، فكان هذا الثبت بمنزلة مستدرك على ما أغفله صاحب الكشف ، ومعروف أن البغداديّ جعل كتابيه : إيضاح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكنون وهدية العارفين، أشبه بذيلين أو مستدركين على كتاب حاجي خليفة. ومع أن البغدادي لا يشير صراحةً إلى المصدر الذي صدر عنه، بيد أنه من الممكن القول أنه نقل عن أحد أصحاب الأثبات الخمسة المتقدمة، وبالرجوع إلى اللائحة التي افتتح بها البغدادي كتابه (٢٧:م)، نجد أنه يذكر فهرست ابن النديم وعيون التواريخ من بين المظان التي أوردت بعض هذه الأثبات ، وذلك يعني أنّ البغدادي اعتمد على أحد هذين المصدرين، ولما كانت نسخة الفهرست المتداولة آنذاك تخلو من قائمة كتب الجاحظ ، فإنه لايبقىأمامنا سوى عيون التواريخ، وهذا يُفضي إلى القول أنّ البغدادي اعتمد قائمة الكتبيّ في تغذية ثبته، ومما يعضد هذا الاستنتاج أن عدداً من التصحيفات اللافتة التي أوردها الكتبيّ في ثبته، تردد صداها عند البغداديّ، كما هو واضح في العنوانين اللذين يردان على هذه الصورة : مناقب ضد الخلافة وفضائل الأتراك، ونوادر الجن، في ثبتي الكتبيّ (١٣: ٥٨ظ)، والبغداديّ (٢٧: ٨٠٣)، على أن صورتها الصحيحة هي: مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك (٨: ٢١١)، ونوادر الحسن (٨: ٢١٠).

ومع أن البغداديّ ينقل عن أحد الأثبات القديمة، إلا أنه لا يميل إلى استقصاء كل ما جاء في هذا الثبت، بل يُلاحظ أنه كان يُعنى بانتقاء قدر من العنوانات لا يتجاوز عددها خمسة وسبعين عنواناً، وهو عدد يقل عن مجموع ما ورد في قائمة الكتبي، وأورد البغدادي عدداً من عنوانات الآثار المنحولة والمنسوبة إلى الجاحظ دون أن يشير إلى حقيقة أمرها، كما هو الحال في : سحر البيان، وسلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف، والمحاسن والأضداد، والهدايا (٢٧: ٨٠٢،٨٠٣). وواضح أيضاً أنه لم يكن يُثبت الصورة الكاملة لكثير من العنوانات، مثال ذلك العنوانات الواردة على هذا النحو : كتاب السلطان، كتاب السودان، كتاب التربيع (٢٧: ٨٠٣)، على أن صورتها الكاملة هي : السلطان وأخلاق أهله، والسودان البيضان، والتربيع والتدوير (٣: ١٠٧، ١٠٨).

ومهما يكن من أمر، فإن الميزة التي قد ينفرد بها هذا الثبت تتمثل في الاهتمام بتنسيق مواده وترتيبها وفق حروف المعجم، وهو بهذه الميزة أول ثبت لآثار الجاحظ ينهج هذا الأسلوب الذي من شأنه الرجوع إلى العنوان المطلوب بأيسر وسيلة متاحة، ولقد مرّ من قبل كيف كانت القوائم تُساق كيفما اتفق، من غير أن يكون ثمة منهج يُحتذى بهذا الخصوص .

ثانياً : ثبت خليل مردم (٢٨: ٣٤-٤٣).

نشر خليل مردم هذا الثبت سنة ١٣٩٤هـ=١٩٣٠م ضمن كتابه "الجاحظ" الصادر في تلك المدة، وهو بذلك أول ثبت يقع ضمن كتاب خاص عن الجاحظ، وسيظهر أن غير واحد ممن عُنوا بالتأليف عن الجاحظ سيسيرون على هذا السنن، ومع أن كتابي فؤاد البستاني (٢٩)، وشفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جبري (٣٠) عن الجاحظ، صدرا في تلك الفترة، إلاّ أنهما لم يسلكا السبيل الذي سار عليه كتاب مردم في إحصاء الموروث الجاحظي ورصد نشراته .

والناظر في الثبت يجد أنه يُقسم الى قسمين : الأول يختص بالآثار المنشورة والمخطوطة من تراث الجاحظ (٢٨: ٣٥-٤٠)، والثاني يتناول الآثار الضائعة التي لا يُعلم مصيرها (٢٨:٤٠-٤٣)، وقد نقل مردم هذا القسم عن قائمة ياقوت كما صرح بذلك (٢٨ :٤٠). وعند الموازنة بين قيمة القسمين، تجد أن الكفة الراجحة تكون من نصيب الأول قياساً بالآخر، ذلك أن هذا القسم يُعنى بأمرين مهمين لم تتطرق إليهما الأثبات المتقدمة، والأمران هما : تتبع الآثار التي أخذت طريقها الى النشر مع إثبات نُبذة دالة تُعرف بها، والإشارة إلى أماكن وجود بعض الأصول الخطية لهذه الآثار .

أما فيما له علاقة بالثبت بوجه عام ، فمع أن مردماً كان على دراية بقضية نحل بعض الكتب إلى الجاحظ كما يبدو من إشارته إلى كتابين من هذا القبيل (٢٨: ٣٩)، إلاّ أن كُتباً أخرى مرت عليه من غير إلقاء نظرة من شأنها أن تجعل القارىء على بينة من أمره فيما يخص هذا الصنف من الكتب مثل : المحاسن والأضداد، والتاج في أخلاق الملوك، والدلائل والاعتبار، وسحر البيان (٢٨: ٣٧-٣٩). وبالإضافة إلى ذلك، فقد تابع مردم كثيراً من التصحيفات والتحريفات الواقعة في ثبت ياقوت، كما هو واضح من هذين العنوانين : عصام المريد، والحجر والفتوة (٢٨: ٤٠، ٤١) ، وقد سبقت الإشارة إلى صورتها الصحيحة عند تناول ثبت ياقوت.

ثالثاً : ثبت حَسن السُّندوبيّ (٣١ : ١١٦-١٥٨)

لم يكد يمضي حولٌ على ظهور ثبت مردم حتى خرج حسن السندوبي بثبته الجديد، والواقع أنه بظهور هذا الثبت دخلت القائمة الموروثة لآثار الجاحظ مرحلة جديدة استهدفت تطويرها وفق أساليب علمية غايتها الزيادة والاستدراك وإعادة تنظيم المواد بما يضمن سهولة الاهتداء إلى العنوانات والرجوع إليها في أقصر وقت ممكن، وستبدو القيمة المرجعية لهذا الثبت عند غير واحد من المهتمين بهذا الاتجاه .

وبالنظر في المصادر التي استمد منهاالسندوبي، تجد أنه استقى ما يزيد على ثلثي مواد ثبته من قائمة ياقوت (٣١: ١١٦)، إلاّ أنه لم يقف كغيره عند حدود ما توصل إليه ياقوت ، بل راح يُولي الزيادة والاستدراك عناية واضحة متكئاً على كتب الجاحظ نفسها وفي مقدمتها كتاب الحيوان، إضافة إلى طائفة أخرى من المصادر، لعل أهمها : مروج الذهب، والفرق بين الفرق، وشرح نهج البلاغة. وقد استطاع السندوبي من تعدد مصادره أن يصل بعدد آثار الجاحظ إلى مائة وتسعة وخمسين أثراً، عدا المنحول والمنسوب، وهو عدد لم يستطع أن يدنو منه أيُّ ثبت من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأثبات التي سبقت، وعليه، فليس اعتباطاً القول إن ما نهض به السندوبي في هذا المجال لم تكن المحاولات السابقة لترقى إلى مستواه فضلاً عن أسلوبه .

على أن تلك الميزَة ليست إلاّ واحدة من ميزات أخرى، لعل هذه أهمها :

١ – تُعدُّ هذه القائمة من أوائل القوائم الحديثة التي تقوم على حُسن الترتيب ووضوح التنظيم، إذ أنّ موادها ترد في نسق يجعل أمر المراجعة قريب المأخذ، ويبدو أن تحقيق هذا الطلب دعا السندوبي إلى أمرين: الأول فصلُ مجموعة الكتب المنسوبة إلى الجاحظ عن غيرها، وإفراد كل صنف بقسم على حدة. والثاني ترتيب عنوانات كل قسم ترتيباً مُعجمياً مع إعطاء رقمٍ متسلسلٍ لكل عنوان .

٢ – اهتم السندوبي أحياناً بالتعريف الموجز بعدد من الآثار معتمداً في ذلك اطلاعه المباشر على بعضها، والإشارات الباقية في بطون الكتب في بعضها الآخر ، وقد ظهر هذا واضحاً عند تناوله عدداً من الكتب، منها : آيُ القرآن، والاحتجاج لنظم القرآن (٣١ : ١١٧)، وإمامة ولد عباس، والبيان والتبيين (٣١: ١٢٥). وهذا يشير إلى أن النظر التوثيقي عند السندوبي لم ينته عند مجرد السّرد المتتابع ، بل تعداه إلى طرق جوانب أخرى لها قيمتها .

٣ – تنبه السندوبي إلى بعض ما وقع في قائمة ياقوت من تصحيف في صورة العنوان، فرده إلى صوابه على نحو ما هو واضح في هذين العنوانين : بصيرة غنام المرتّد (٣١: ١٢٥)، وفضل الفَرَس على الهِملاجْ (٣١: ١٣٧)، وقد سبقت الإشارة إلى صورتها المُحرفة في ثبت ياقوت عند تناوله. ويُلاحظ على نحوعام أن السندوبي كان يلجأ إلى تحرير عنواناته وفق صورة تقترب من الأصل إلى حدٍّ بعيد، ويبدو أن تنبهه إلى قضية تعدد أسماء الأثر الواحد – وهي من أهم القضايا التي تبدو غائبة عن أذهان أكثر أصحاب القوائم الذين قبله – جعله مُضطراً إلى تكرار بعض العنوانات لاحتمال المغايرة، فمن ذلك قوله عن كتاب الاعتزال وفضله : " لعل هذا هو الكتاب بعينه الذي ذُكر باسم فضيلة المعتزلة" (٣١: ١٢٠)، وعندما أورد فضيلة المعتزلة فيما بعد ، نبه على الأمر عينه (٣١: ١٣٧). وذات الشيء يُقال عند ايراده كتاب الأمصار (٣١: ١٢٤)، وكتاب البلدان (٣١: ١٢٥) .

٤ – لم يتبوّأ الحديث عن مسألة نحل الكتب ونسبتها إلى الجاحظ قبل السندوبي ما يناسب أهميتها ، وربما كان ما ذكره ابن النديم من نحل كتابي : الإبل والهدايا (٨ : ٢٠٩ ، ٢١١) ، وما أضافة خليل مردم عن : المناظرة بين الربيع والخريف ، وتهذيب الأخلاق (٢٨ : ٣٩) ، أبرز ما قُدم في هذا الاتجاه، مع أن الأمر عند ابن النديم ومردم لم يتجاوز الإشارة العابرة التي لا تستند إلى أدلة علمية تعززها، وعند الموازنة بين جهود السندوبي والجهود التي تقدمته ، يتضح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما لا يدع مجالاً للشك أن السندوبي كان أول من أعطى هذه القضية المهمة شيئاً من الاهتمام الذي تستحق، فقد أفرد أولاً قسماً للآثار التي تنتمي إلى هذا اللون، ثم سعى في محاولة تقديم الدليل على ضعف صلة الجاحظ بها (٣١ : ١٤٥ – ١٥٨) .

وغني عن القول إن هذه الميزات لا تَعني أن عمل السندوبي جاء مُبرّأً من كل المآخذ التي يمكن للمدقق أن يشير إلى أهمها فيما يلي :

١ – مع أن السندوبي صوّب من الاخطاء الواقعة في ثبت ياقوت كما مرّ من قريب، إلاّ أنه أبقى بعضها على علته، كما في الرسالة التي ذكرها باسم كتاب آل ابراهيم بن المدبر في المكاتبة (٣١ :١١٧)، وصوابه كما في ثبت ابن النديم : كتابٌ إلى إبراهيم بن المدبر في المكاتبة (٨ :٢١١).

٢ – لم يسلم عمل السندوبي من عدد من الأخطاء التي تُردّ إلى باب التصحيف والتحريف، كما في: كتاب الحجات (٣١: ١٢٩)، وصوابه الحجاب. ومثله كتاب النعل (٣١ : ١٤٣)، وصوابه البغل .

٣ – تبدو بعض الأدلة التي يسوقها السندوبي في محاولة إسقاط نسبة بعض الكتب عن الجاحظ غير مقنعة ولا كافية إلى حدّ ما، وهو ما تنبه إليه بعض من عُنوا بالتأليف عن الجاحظ (٣٢ : ٢٠٦ – ٢٠٩).

رابعاً : ثبت كارل بروكلمان (٣٣: ١١٠–١٢٨).

اجتمع لهذا الثبت من الميزات المتعددة ما لم يجتمع مثله لأي ثبت من الأثبات التي سبق تناولها، ولعل مرد هذا الأمر تلك المجموعة المتنوعة من المصادر التي استمد منها بروكلمان ويمكن تصنيفها حسب الفروع التالية :

١ – مجموعة من فهارس خزائن المخطوطات المنتشرة في شتى أنحاء المعمورة، وهو ما مكن من حصر أماكن وجود كثير من آثار الجاحظ في المكتبات العالمية، وقد كان هذا الأمر في حد ذاته مسلكاً مهماً أمد الدارسين بفوائد جُلّى، كان أهمها تيسير الوصول إلى هذه المخطوطات ، ثم البدء بإخراجها في ثوب علمي يقتدي بقواعد التحقيق وأساليبه الحديثة .

٢ – طائفة من البحوث والدراسات والتحقيقات المنشورة في أمهات الدوريات العربية والأجنبية، وقد أتاح ذلك رصد بعض نشرات الآثار وترجمتها إلى غير العربية ، وما قام حولها من دراسات مختلفة .

٣ – عدد من المظان العربية القديمة التي احتفظت بإشارات أو نقول عن آثار الجاحظ، وهو ما أمد بمعلومات جديدة شاركت في إغناء عمل بروكلمان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ – مؤلفات الجاحظ نفسها لا سيما كتاب الحيوان، فقد استقى بروكلمان من مقدمته عدداً من العنوانات التي لم تحوها أي من الأثبات السابقة .

٥ – قائمة السندوبي ، وقد اعتمدها بروكلمان في إثبات عدد من أسماء الكتب الضائعة التي كانت محط اهتمام السندوبي في ثبته .

وبالإضافة إلى ما سبق، كان بروكلمان يرجع إلى قائمته بين مدة وأخرى، مُصححاً مدققاً ومُستدركا، فقد عاد سنة ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م إلى قائمته، فأضاف إليها إضافات تصل إلى أضعاف ما اشتملت عليه القائمة الأولى التي أخرجها ضمن الطبعة الأولى من كتابه تاريخ الأدب العربي سنة ١٣١٦ هـ=١٨٩٨م، وبهذه الطريقة، نمت قائمة بروكلمان، وهو نمو لم يكن موضع عناية أصحاب القوائم الفائتة .

ويتسع نطاق عملية التوثيق عند بروكلمان ليضم ألواناً مختلفة تنم عن تقص واضح، فهو لا يغادر أثراً من الآثار غير المفقودة حتى يرصد مجموعة المعلومات التوثيقية المتعلقة به، وفي مقدمتها : مخطوطاته ، ونشراته، وترجماته، وما أثير حوله من نقائض وردود وبحوث ودراسات. والحق أن استقصاء هذه الألوان التوثيقية مُجتمعة، في ثبت واحد، يعد تطوراً له شأنه في سيرورة حركة توثيق تراث الجاحظ، إذا ما قيس بالألوان التي اهتمت بها القوائم التي سبق الوقوف عندها .

وإذا ما انتقل الحديث عن طبيعة البنية التي أقام عليها بروكلمان ثبته، ألفيناها تباين ما هو معهود في الأثبات التي تقدمته، فتصنيف بروكلمان يبنى على أساس توزيع الآثار حسب موضوعاتها المختلفة، فالآثار ذات المنحى الديني السياسي تفرد على حدة، والآثار ذات الوجهة التاريخية تفرد وحدها، وهكذا في باقي الآثار . ويجب الإقرار ههنا أن هذا التوزيع ربما لا يكون دقيقاً بالمعنى المطلوب، لأنه يعتمد أساساً العنوانات الظاهرية التي لا تعبر عن مضمونها على نحو دقيق، أضف إلى ذلك أن طريقة الجاحظ التي تميزت بكثرة الاستطرادات جعلت هذه الموضوعات تتداخل تداخلاً يتعذر معه إيجاد حدود فاصلة في كثير من الأحيان .

ومع كل ما يمكن أن يُقال عن ميزات الثبت، إلا أن عدداً من الملاحظ تؤخذ عليه، ولا بأس من الإشارة إلى أهمها في هذا السياق :

١ – على الرغم من إفراد بروكلمان قسماً من ثبته ليضم الآثار المنحولة والمنسوبة إلى الجاحظ (٣٣ : ١٢٦–١٢٨)، إلا أنه لم يستوفِ جميع الآثار الواقعة في هذا الباب، مثل : مدح العلوم وذمها (٣٣: ١١٦)، وسحر البيان (٣٣: ١٢٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ – يبدو أن وجود غير عنوان لبعض آثار الجاحظ ، جرّ بروكلمان إلى تكرار بعض العنوانات، فمن ذلك رسالة النابتة (٣٣: ١١٣)، أوردها مرة أخرى باسم رسالة في بني أمية (٣٣: ١١٤)، وهما عند التحقيق عنوانان للرسالة نفسها. ومثل ذلك رسالة إلى المعتصم في الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب (٣٣: ١١٨)، فهي ترد مرة ثانية باسم ذم القواد (٣٣: ١١٩) .

٣ – هناك بعض العنوانات الفرعية وضعها عُبيد الله بن حسان لفصول اختارها من آثار الجاحظ، ظنها بروكلمان أسماء كتب مستقلة، وليس الأمر كذلك ألبتة، فمن ذلك الرد على أبي إسحاق النظّام وأشباهه (٣٣: ١١٤)، وهذا العنوان ليس اسماً لكتاب يقوم بذاته، وإنما هو عنوان فصل من كتاب المسائل والجوابات في المعرفة، كما يدل على ذلك النص المطبوع (٣٤: ٥٣–٥٦). ونظير ذلك ما ذكره بروكلمان باسم ذم اللواط (٣٣: ١١٧)، فهو عنوان قطعة من رسالة المعلمين (٣٥: ٤٣).

٤ – لم تسلم هذه القائمة –على الرغم من تدقيق صاحبها – من أخطاء تُردُ إلى باب التصحيف والتحريف، وثمة أمثلة تشهد على ذلك، منها رسالةٌ في البلاغة والإعجاز (٣٣:١٢٠)، وصوابه البلاغة والإيجاز. ومثله كتاب النحل (٣٣: ١٢٤)، وأصله البغل .

خامساً : ثبت شارل بلاّ "الثبت الأول" (٣٦) .

قدم المستشرق الفرنسي شارل بلاّ ثبته هذا سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م، في محاولة الكشف عن آثار الجاحظ وإحصائها إحصاءً دقيقاً، ويمثل هذا الثبت المنشور بالفرنسية منحى متقدماً يأخذ نصيباً واضحاً من الضبط والتنسيق، ويقوم على أساس معرفة واسعة بالجوانب المتعددة من حياة الجاحظ وآثاره، ولعل الذي أكسب هذا الثبت ذلك المستوى المتطور من النظر التوثيقيّ، كونه صدر عن رجل له باعه في دراسة حياة الجاحظ ونشر كتبه وترجمتها إلى الفرنسية، فشارل بلاّ من هذه الجهة أستاذ مختص بكل ما له صلة بالجاحظ وتراثه .

وقد بلغ مجموع الآثار التي استطاع بلاّ أن يحصيها مائةً وثلاثة وتسعين أثراً بين كتاب ورسالة، عدا المنحول والمنسوب . وقد اهتم بلاّ عقب إيراد عنوان الأثر بذكر مجموعة من المعلومات التوثيقية المتعلقة به، كذكر تاريخ تأليفه، والكتب القديمة والحديثة التي أشارت إليه، ونسخه الخطية الكاملة والمبتورة ، ونشراته الوافية والجزئية، وترجمتها إلى اللغات الأخرى، إضافة إلى ذكر الدراسات والبحوث التي أقيمت حوله (٣٦). ومن يضع هذه المطالب التوثيقية إزاء المطالب التي تفرغت لها القوائم السابقة ، باستثناء قائمة بروكلمان، فسيرى فارقاً واضحاً في الأسلوب والمضمون بين ما قام به بلاّ وسابقوه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند الحديث عن المصادر التي استمد منها بلاّ ، تجد أنها تجري إلى حدّ ما مجرى المصادر التي استقى منها بروكلمان مع توسع فيها، على أن اطلاع بلاّ على قائمة بروكلمان الآنفة، كان له أثر واضح في إغناء ثبته إغناءً خاصاً، وهو مالا ينكره بلاّ نفسه (٣٦) .

وكما يقرّ بلاّ فإن ثبته لا يخلو من أخطاء وثغرات (٣٦)، يمكن للباحث أن يوزعها في أربع مجموعات :

الأولى : تشمل بعض الآثار المنحولة والمنسوبة، لم يُشر بلاّ إلى حقيقة أمرها، كما هو شأن كتاب الآمل و المأمول (٣٦) .

الثانية : تضم بعض الآثار التي تكرر ورودها بعنوانين مختلفين، كوصف العوام، الذي يرد ثانية باسم نفي التشبيه (٣٦)، وهما بعد التحقيق عنوانان لعمل واحد، كما سيتضح عند تناول هذه الرسالة في الفصل الثاني، إن شاء الله.

الثالثة: تتضمن عدداً من التصحيفات والتحريفات ، منها كتاب النعل (٣٦)، وصوابه كما مر من قبل البغل. ومثله رسالة إلى قليب المغربيّ (٣٦)، وصوابه المعتزليّ، كما سيأتي عند تناول هذه الرسالة ، إن شاء الله .

الرابعة : تنطوي في باب العنوانات الفرعية التي جعلها بروكلمان أسماء كتب مستقلة، فالواضح أن بلاّ تابع سلفه في جعل الرد على أبي إسحاق النظام وأشباهه، وذمّ اللّواط (٣٦) عملين يقوم كل منهما بنفسه، وهو ما يرده النّصان المنشوران اللذان سبقت الإشارة إليهما عند تناول قائمة بروكلمان.

ومما يدعو إلى النظر، أنه على الرغم ممّا اجتمع لهذا الثبت من ميزات متنوعة، إلا أن مجال انتشاره ظل محدوداً في دوائر الدراسات العربية عن الجاحظ، ومن هنا لم أجد إلا قلة من الدراسين العرب أفادوا من المعلومات القيمة التي قدمها هذا الثبت (٣٧: ١٩، ٣٨: ١٨). ويبدو أن مرد هذا يرجع بالدرجة الأولى إلى كونه نُشر بغير العربية في دورية أجنبية لا تلقى رواجاً إلا لدى فريق قليل من الباحثين العرب، ممن لهم اطلاع على اللغات الأوروبية الحديثة. والجدير بالذكر أن علي "أبو ملحم" نشر قبل سنوات قليلة ترجمة عربية لهذا الثبت (٣٩)، الأمر الذي أتاح للدارسين فرصة الاطلاع على الجهود التي أسداها بلاّ في إحصائه تراث الجاحظ .

والملاحظ أن ترجمة "أبو ملحم" لم تحافظ على تسلسل عنوانات الثبت، فقد راح المترجم يرتب المواد على نحو باين الأصل الفرنسي، كذلك أخطأ المترجم الصورة الصحيحة لبعض العنونات مثل تخزين الأموال (٣٩: ٥٩)، وصوابه تحصين الأموال (٣٦)، ومثله سر البيان (٣٩ :٧٢)، وصوابه سحر البيان (٣٦)، وعلى هذا النحو رسالة إلى كليب المغربي (٣٩ :٩٣)، والصحيح قليب المعتزلي (٣٦). ومن جانب آخر، فإن جميع الإحالات الداخلية في هذه الترجمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تسير بشكلها الصحيح، فليس من الصواب مثلاً، إحالة رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب (٣٩ :٤٤)، على الأثر ذي الرقم ٨٧، وهو رسالة في الشارب والمشروب (٣٩: ٧٤)، إذ لا صلة بين هذين العملين، والصواب أن تكون الإحالة إلى الأثر ذي الرقم ١٤٠، وهو رسالة في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح (٣٩: ٩١). وعلى هذه الشاكلة تجري سائر الإحالات الباقية، والظاهر أن المترجم أبقى على هذه الإحالات الواردة في الأصل على الرغم من ترتيبه العنوانات ترتيبا جديدا، الأمر الذي أدى إلى تضارب هذه الإحالات داخل الترجمة.

سادسا : ثبت جميل جبر (٤٠: ٢٩-٧٠).

نشر جميل جبر ثبته هذا ضمن كتابه "الجاحظ في حياته وأدبه وفكره" سنة ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م، وهو يضاف إلى جملة الأثبات التي لا تقدم ما عساه يكون جديداً في بابه، فهو لا يمضي مثلاً في محاولة الاستدراك على مافات متقدميه، أو الإفادة من نتائج الجهود التي توصلوا إليها، أو إعادة تنسيق القائمة الموروثة على نحو يشعر بشيء من الجدّة. وقد قسم جبر قائمته إلى ثلاثة أقسام :

الأول : تولى فيه التعريف بالآثار المنشورة مضموناً وأهدافاً ومصادرَ وقيمةً، على نحو يتسم بالايجاز (٤٠: ٣٠-٦٦) .

الثاني : وفيه عدّ جبر بعض الكتب المشكوك في نسبتها إلى الجاحظ (٤٠: ٦٦-٦٧) ، من غير إقامة الدليل على عدم صحة إضافة هذا الصنف من الآثار إلى الجاحظ .

الثالث : يختص هذا القسم بسرد أسماء الآثار المفقودة نقلاً عن قائمة ياقوت (٤٠: ٦٨-٧٠)، وفيه تكررت مجموعة من التصحيفات التي وقعت عند ياقوت، كما في العنوانات الواردة على هذا النحو: كتاب عصام المريد، وكتاب صياغة الكلام ، وكتاب الحجر والفتوة (٤٠: ٦٩) ، وقد تقدم التنبيه على الصورة الصحيحة لكل واحد منها .

سابعاً : ثبت محمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٨٤-٣٠٨) .

نشر محمد خفاجي هذا الثبت ضمن كتابه " أبو عثمان الجاحظ " المنشور في القاهرة في فترة الستينات. وبعد تدقيق فاحص في مادّة الثبت تبين أن عمل خفاجي لم يتجاوز إعادة تقديم قائمة بروكلمان الأنفة وفق ترتيب جديد، من غير الإشارة إلى عمل بروكلمان بهذا الخصوص وثمة أدلة واضحة تؤيد هذه النتيجة، أكتفي فيما يلي ببعضها :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – يُطابق عدد العنوانات الواردة في هذا الثبت ما جاء في قائمة بروكلمان، ومعنى ذلك أن خفاجي لم يُقدّم عنواناً جديداً يُشار إليه، والشيء نفسه يُقال عن المخطوطات والنشرات التي وردت في هذا الثبت.

٢ – تُطابق صورة العنوانات التي ذكرها خفاجي الصورة نفسها التي ذُكرتْ في ثبت بروكلمان، ولا أحسب أن هذا التطابق كان وليد المصادفة.

٣ – ترددت أصداء جميع الأخطاء والثغرات الواقعة في عمل بروكلمان في هذا الثبت أيضاً، ولا يمكن أن يُقال إن ذلك كان من قبيل التوارد البريء .

وهكذا، فإنّ قيمة هذا الثبت تبدو ضئيلة جداً، إذ لم يأتِ بجديد يستحق الإشارة إليه .

ثامناً : ثبت جورج غريب (٤٢: ٣٩–٤١) .

هذا الثبت أقرب إلى أن يكون لائحة جزئية تعني بالانتقاء من عنوانات آثار الجاحظ كيفما اتفق، من غير وجود أسس واضحة تحكم هذا الانتقاء، ومع أن صاحب القائمة لم يشر إلى أصل ما نقل عنه، إلاّ أنه يسهل القول بنقله عن قائمة السندوبي الآنفة، ويبدو هذا الأمر من غير وجه، فقد ذكر غريب بدءاً أن عدد مؤلفات الجاحظ تبلغ مائة وتسعة وخمسين كتاباً (٤٢ : ٣٩) ، وهو العدد نفسه الذي توصل إليه السندوبي في قائمته. كذلك، عد غريب ثمانية كتب منحولة للجاحظ (٤٢: ٤١)، هي التي عدّها السندوبي. وأخيراً، تراه يتابع قائمة السندوبي في نسقها وصورة العنوانات المختارة، هذا كله يعني أن شيئاً جديداً لم يقدمه غريب في ثبته .

تاسعاً : ثبت رمضان ششن (٤٣) .

لم يتح لي أن أقف على هذا الثبت الذي نشره رمضان ششن سنة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م، حسبما صرح بذلك شارل بلاّ الذي اطلع على الثبت وأفاد منه في إعداد قائمته الثانية (٤٣). والواضح من نقول بلاّ أن ششن أوصل آثار الجاحظ إلى ما يزيد على مائتين وأربعين أثراً بين كتاب ورسالة (٤٣)، وهو أقصى عدد استطاع ثبت أن يصل إليه حتى التاريخ المذكور، والجدير ذكره أن ششن كان قد استعرض قبل ذلك آثار الجاظ التي تحتفظ بها إحدى أشهر دور المخطوطات التركيّة، وهي مكتبة متحف طوب قبوسراي، وذلك في مقالة نشرها سنة ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م (٤٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشراً : ثبت هدى بهنام (٤٥) .

يقع هذا الثبت ضمن العدد الذي خصّصته مجلة المورد للجاحظ ونُشر في بغداد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م، وتقوم خطته على أساس الاختصاص بحصر ما هو مخطوط أو مطبوع من تراث الجاحظ. والواضح أن قسماً لا بأس به من مواد هذا الثبت يُستقى من قائمة بروكلمان، على الرغم مما تضمنه من معلومات جديدة حواها بين دفتيه، لا سيما في رصد المخطوطات والنشرات التي ظهرت بعد بروكلمان ، إلاّ أنه من جهة أخرى لم يسلم من عدد من الملاحظ، ترد الإشارة إلى أهمها فيما يلي :

١ – مع أن صاحبة الثبت أشارتْ إلى عدم صحة نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ، إلاّ أنّها من جهة أخرى أغفلت الإشارة إلى بعضها الآخر، كما في : تنبيه الملوك والمكائد، والعبر والاعتبار، ومائة منْ أمثال علي (٤٥) .

٢ – مع أن الثبت يتفرغ لإحصاء الموروث الجاحظيّ مخطوطه ومطبوعه، إلاّ أن بعض الآثار التي أوردتها بهنام لا تدخل في هذا النطاق، كما هو الحال في : كتاب المضاحك (٤٥).

٣ – تابعت بهنام ما وقع فيه بروكلمان من تكرار بعض الكتب التي تحمل غير عنوان، من ذلك كتاب البلدان الذي ورد بعد ذلك باسم الأوطان والبلدان (٤٥). ومثله رسالة في بني أمية التي جاءت فيما بعد باسم النابتة (٤٥) .

٤ – عدّت بهنام بعض العنوانات الفرعية عنوانات كتب مستقلة كما في ذم اللواط، والرد على أبي اسحاق النظام وأشباهه (٤٥) ، وقد سبقت الإشارة إلى الأمر نفسه في قائمتي بروكلمان وبلاّ.

حادي عشر : ثبت عبد الجبار عبد الرحمن (٤٦: ٤٢٩–٤٤٥).

تقتصر عناية هذا الثبت على رصد طبعات الآثار التي تسنّى نشرها من تراث الجاحظ حتى عام ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، والواضح أن عبد الرحمن يتكىءعلى قائمتي بروكلمان وبهنام اتكاء رئيساً، وأما زياداته بعد ذلك فتبدو ضئيلة جداً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد اختلطت الآثار المنحولة بغيرها من آثار الجاحظ، من غير الإشارة إلى ما يحوط نسبة هذه الآثار إلى الجاحظ من شكٍّ وتردد، ويمكن ملاحظة هذا الأمر في: الآمل والمأمول (٤٦ : ٤٣٠)، وتهذيب الأخلاق (٤٦: ٤٣٣) . والمحاسن والأضداد (٤٦: ٤٨٣). وأخيراً ، فقد كان جديراً بصاحب الثبت– وقد نشره بعد عام ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م – أن يُدخل مجموعة الرسائل التي نشرها عبد السلام هارون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في السنة المذكورة ، لتأخذ مكانها بين عنوانات هذا الثبت، لكونها تقع ضمن نطاق المدة الزمنية التي تولى الثبت مَسْحَها .

ثاني عشر : ثبت إمتياز عرشي (٤).

نُشِرَ هذا الثبت في مجلة المجمع العلمي الهندي سنة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م ، وهو من حيث منهجه يختلف تماماً عن باقي الأثبات المتقدمة ؛ فموادهُ لا تساق حسب موضوعاتها كما رأينا عند بروكلمان ، كما أنها لا ترد وفق الترتيب المعجمي المتبع عند السندوبي، بل يتبع عرشي أسلوباً مختلفاً يقوم على أساس تتبع أسماء الآثار الواردة في كل مصدر على حدّه، فالآثار المذكورة في كتاب الحيوان تُفرد وحدها، تليها الآثار الواردة، في البيان والتبيين ، وعلى هذه الشاكلة يسير عمل عرشي مُروراً بما يزيد على عشرين كتاباً من الكتب القديمة والحديثة التي عنيت بالإشارة إلى شيء من عنوانات أثار الجاحظ. ولعلّ من الضروري الإشارة إلى أنه مع ما يبدو من الجدة في أسلوب هذا الثبت، إلا أنه في نهاية المطاف يدور في فلك ما تمخضت عنه جهود السندوبي وبروكلمان وبلاّ. ومن يدقق النظر بعد ذلك في هذا الثبت، يمكنه أن يسجل عدداً من الملاحظ هذه أهمها :

١ – يبدو واضحاً أن عرشي توسع توسعاً بيّناً في عدّ كثير من المباحث الجزئيه التي تناولها الجاحظ في تآليفه، كُتُباً مستقلةً تقوم بذاتها، فهو يعدّ نحو عشرين عنواناً ليست في حقيقتها عنوانات كتب مفردة بل هي محض آراء ومباحث أوردها الجاحظ في ثنايا كتبه، ومن العنوانات التي تجري هذا المجرى : الفرق بين الحيل والمخَاريق، وتفضيل البصرة على الكوفة، وتفضيل عمرو على واصل، وتفضيل مالك على أبي حنيفة (٤). والحق أن عرشي لا يقدم أي دليل في عدّه هذه العنوانات أسماء كتب مستقلة وضعها الجاحظ .

٢ – يلاحظ أن عدداً من الآثار التي تحمل غير عنوان واحد تكررت في هذا الثبت، وكأنما هي آثار لا علاقة بينها، فمثلاً ذُكرتْ رسالة النابتة قبل ذلك باسم رسالة في بني أمية (٤)، من غير الإشارة إلى أنهما عنوانان لرسالة واحدة.

٣ – اكتظت القائمة بالتصحيفات والتحريفات على نحو لافت ، من ذلك حكاية من أين وجوب الإمامة (٤) وصوابه من أبى وجوب الإمامة . ومثله البسيان والتبين (٤)، والصحيح البيان والتبيين.

ثالث عشر : ثبت شارل بلاّ " الثبت الثاني" (٤٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت محاولة شارل بلاّ الثانية في الكشف عن تراث الجاحظ وإحصائه بعد ما يزيد على ربع قرن من محاولته الأولى التي سبق تناولها فيما مضى. وقد ظهرت في تلك المدة المخطوطات والنشرات والترجمات الجديدة ، الأمر الذي دعى بلاّ إلى الرجوع إلى قائمته الأولى مُضيفاً ما استجد تارة ومُستدركاً ما فاته أخرى . وقد أفاد بلاّ في إنماء قائمته من ثلاثة موارد هي : مستدرك ابن الفرات على ابن النديم، وثبت رمضان ششن، والعدد الخاص الذي اصدرته مجلة المورد عن الجاحظ سنة ١٣٩٩هـ= ١٩٧٨م .

واستطاع بلاّ أن يضيف إلى ثبته الأول بضعة وخمسين عنواناً جديداً ، وبذلك أوصل عدد آثار الجاحظ إلى مائتين وخمسة وأربعين أثراً ، عدا المنحول والمنسوب ، وهو أقصى عدد أوصلته الأثبات التي عُنيت برصد آثار الجاحظ في القديم والحديث، وعليه، يمكن عدّ هذا الثبت من أوفى الأثبات وأجودها .

رابع عشر : ثبت فوزي عطوي (٤٧ : ٤٥-٤٦).

ليس في هذا الثبت ما يدل على تميزه ولو بشكل ما ، وفيه يُكتفى بسرد العنوانات سرداً متتابعاً دون التفات إلى الجوانب التي كانت محط عناية أصحاب الأثبات المتقدمة. والثبت -فيما يبدو- يجمع عنواناته من القائمة التي افتتح بها الجاحظ كتاب الحيوان، ومن ثبت ياقوت مع تقديم وتأخير وحذف كثير من أسماء الآثار على غير منهج واضح . والثبت على نحو عام لا يحفل بقيمة خاصة تستحق الحديث عنها .

خامس عشر : ثبت سيد كسروي (٤٨: ٦٥-٦٧) .

يقع هذا الثبت الجُزئي الذي يضم نحو تسعين عنواناً ، في حاشية كتاب ديوان الإسلام للغزي ، وقد أورد محققه هذا الثبت في سياق تعليقه على ترجمة الجاحظ الواردة في الكتاب . ولم يصرح المحقق بالمصادر التي صدر عنها في عنواناته، لكن يبدو أن جُلّ اعتماده كان مُنصباً على قائمتي البغدادي وبروكلمان، كما يبدو من متابعته إياهما في كثير من التصحيفات والتحريفات ، مثل الأنس والسكن (٤٨: ٦٦)، وصوابه الأنس والسلوة (٨: ٢١١) ، ومثله الحزم والجزم (٤٨: ٦٦)، وصوابه الحزم والعزم (٨: ٢١١) .

وبعد، فهذه هي أشهر الأثبات التي وضعت في العصر الحاضر قصد إحصاء التركة التي خلفها الجاحظ، والمتتبع لهذه الأثبات في نسقها الزمني الذي وردت فيه، سيقف حتماً على تفاوت في المستوى والأسلوب بينها، ففي حين أن بعضها كان يشق طريقه وفق رؤية علمية تتجاوز حدود ما انتهى إليه الأوائل في أثباتهم، كان بعضها الآخر يتوارى وراء النقل والانتهاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى جهد من تقدمه. ومهما يكن من أمر، فإنّ هذه الجهود على اختلاف قيمتها، تحمل دلالة واضحة على المبلغ الذي بلغته العناية برصد آثار الجاحظ وحصرها في هذا العصر .

الاتجـــاه الثـــاني

يبحث هذا الاتجاه في الملابسات التي لابست كتابةَ الجاحظِ آثارَه، بما يؤدي إلى معرفة تاريخ دقيق أو مقارب للمدة التي كتب فيها كل أثر من هذه الآثار . وإذا كان النقاد كثيراً ما يحتجون لمقالتهم المشهورة : العمل الأدبي وليد بيئته بما يحوطها من ظروف الزمان والمكان، فإن كتابات الجاحظ لا تَشُذ عن هذه المقالة إلا قليلاً ، فالجاحظ - كما هو معروف -كان قوي الصلة بمجتمع عصره وبما يسوده من مختلف التيارات الفكرية والسياسية، وكان كثيراً ما يطرق أبواب الساسة والأعيان ، أصحاب الأمر والنهي في الدولة، وما من ريب في أن انخراطه منذ البداية في صفوف إحدى الفرق السياسية الإسلامية، جعله لصيق النسب بكل ما يدور من حوله. ومن هنا ، جاء نتاجه المعرفي غير مُنبتّ عما تحياه الحاضرة العباسية في شؤونها المختلفة كافة، وهذا الأمر يفتح أمام الباحث آفاقاً رحبة تمكنه من استقراء الخطوط الكبرى للأحداث والاتجاهات العامة في مجتمع الجاحظ، تمهيداً لتعيين المدة التي شهدت ولادة كلّ أثر من آثاره ، وهو ما يُفضي في نهاية المطاف إلى إيجاد تصور واضح للمسار الزمني التأليفي الذي سلكه الجاحظ اثناء حياته العلمية الحافلة .

وقد يقف الباحث أحياناً عاجزاً عن الاهتداء إلى معرفة تاريخ إنشاء عدد من الآثار ، ولا سيما تلك الرسائل المبتورة أو القصيرة التي لا يسمح نصها عادة بتقديم ما عساه يكون ذا جدوى في تحقيق ذلك المطلب. وقد يكون من النافلة القول إنّ طريقة الجاحظ في الكتابة هي المسؤولة أولاً وقبل كل شيء عن صعوبة تصنيف آثاره في تسلسل زمني دقيق، ذلك أن أبا عثمان لم يكن يعبأ بذكر زمن تأليف أعماله المختلفة، وما يقع تحت أيدينا منها يخلو من إشارة صريحة تشير إلى تاريخ كتابته، إلاّ ما نطالعه في قليل منها ، مثل كتاب طبقات المُغنين (٣٥: ١٣٤). ولعل مما يخفف وطأة الأمر، احتفاظ عدد من الأثبات والمخطوطات بأسماء الرجال الذين كان الجاحظ يوجه إليهم رسائله، وبالرجوع إلى سير هؤلاء وصفحات حياتهم، يمكن إحراز نتائج طيبة في تحديد تواريخ مقبولة - إلى حدّ ما-لكثير من الآثار .

ومع ما يتراءى من أهمية هذه الاتجاه، إلاّ أنّه لم يحظ بما يناسبه من الدرس والتحقيق إلا لدى قلة من الباحثين، والملاحظ أن الدارسين على نحو عام ينقسمون على أنفسهم إزاء جدوى دراسة هذا الاتجاه والبحث فيه، فطائفة تكاد تضرب صفحاً عن الموضوع، وترى الانصراف إلى جوانب أخرى أكثر قيمة في نظرها. وطائفة أخرى ترى أن العقبات التي تكتنف سبيل البحث في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الاتجاه تحول دون تحقيق ما تصبو إليه الدراسة العلمية. وثمة طائفة ثالثة ترى وجوب إعارة القضية اهتماماً ولو بشكل ما، نظراً لما يمكن أن يُفضي إليه البحث من نتائج قد تبدو مهمة في غير مجال، ولاشك أن هذا الرأي الأخير هو أكثر من سابقيه اتزاناً وأقرب إلى ما يفرضه المنطق العلمي السليم، ولذا فإنه من المهم أن نقف في هذا السياق عند أبرز الجهود التي تصب في هذا الاتجاه .

ولا يستطيع الباحث في هذا المضمار أن يُعين إلاّ عدداً قليلاً من الباحثين الذين تصدوا لهذا اللون من الدرس التوثيقيّ ، وأول هؤلاء عبد السلام هارون ، إذ ظهرت عنايته في تحديد تاريخ تأليف عدد من الآثار الجاحظية التي تولى تحقيقها، كالحيوان (١: (م) ٢٤-٢٧)، والبيان والتبيين (٤٩: (م) ١٥-١٦)، والعثمانية (٥٠: (م) ٧-٨) . بيد أنّ هذه العناية لم تأخذ طريقها إلى ما يزيد على أربعين أثراً أخرجها المحقق باسم رسائل الجاحظ، فقد جاءت هذه الرسائل غُفلاً من نمط البحث الذي اهتم به المحقق في تحقيقاته الآنفة.

وكان لشارل بلاّ نصيبه في هذا الإطار، فقد جعل معرفة زمن تأليف كل أثر من الآثار، إحدى المطالب التي تفرغت لها قائمتاه : الأولى (٣٦) ، والثانية (٤٣). لكن ثلاثة أمور تسترعي النظر في عمل بلاّ : أولها أنّه لم يستطع تحقيق هذا المطلب إلا فيما يقارب ربع العنوانات الواردة في قائمتيه ، وأما العنوانات الباقية فلم تسعفه الوسائل في معرفة تاريخ تأليفها، وثانيها أن أكثر الآثار التي ذكر بلاّ تاريخ وضعها هي التي نصّ عليها الجاحظ في صدر كتابه الحيوان. وأخيراً، فإنّ بلاّ كان يقتصر على الإشارة العَجْلى إلى تاريخ تأليف العمل، من غير تعزيز ذلك بالأدلة المقبولة في البحث العلمي.

ويتضح لمن يتعقب هذا الاتجاه أن الباحثينّ لم يحتفلوا في تحقيقه في سائر آثار الجاحظ احتفالهم به في رسالة التربيع والتدوير، فقد أدلى غير باحث دلوه في هذا الموضوع، نذكر منهم على وجه الخصوص شوقي ضيف (٥١: ١٨٧)، وشارل بلاّ (٧: (م) ٧) ، وأحمد المختار الوزير (٥٢).

والحق أن ما قام به طه الحاجريّ يُعدُ أوسع ما قُدِم في هذا الإطار، فقد استطاع بما اجتمع له من خبرة بالجاحظ وأدبه ، أن يقترب من تاريخ كتابة نحو خمسة وثلاثين أثراً، شكلت مادة كتابه "الجاحظ حياته وآثاره" ولم تكن هذه المحاولة الرائدة في مجالها فحسب، بل كانت أكثر من غيرها اقتداء بالأساليب العلمية، على أن ذلك لا يعني أن ما قدمه الحاجريّ جاء مبرأ من كل مأخذ يمكن للمدقق أن يُلاحِظه، بل على عكس ذلك تماماً ؛ فالعدد الذي تناوله الحاجريّ لايشكل سوى جزء من آثار الجاحظ التي أتيح له أن يطلع عليها إبان إعداد دراسته ، ويظهر أنّ الحاجريّ كان يعمد إلى انتقاء بعض الآثار وإسقاط بعضها الآخر، ولو أخذنا على سبيل المثال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموعة الفصول المختارة المطبوعة على هامش كتاب الكامل للمُبرد في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ= ١٩٠٥م، وهي إحدى المجاميع التي عاينها الحاجريّ، كما يبدو من مواضع كثيرة في كتابه (٥٣: ٤٨، ٢٣٤)، لوجدناه لا يتناول من الآثار الواردة في هذا المجموع سوى النصف ، وأما النصف الآخر فلم يأخذ طريقه إلى التناول، ويضم هذا القسم الآثار التالية : الحاسد والمحسود، والمعلمون، ومدح النبيذ، والنبل والتنبل وذم الكبر ، والمودّة والخُلطة، واستنجاز الوعد ، وتفضيل النطق على الصمت ، وصناعة الكلام، والشارب والمشروب. وهذا المثال وحده يشير إلى مدى الانتقائية في دراسة الحاجري، ويبدو أن البينة الزمنية التي أقام عليها عمله، ضيقت عليه كثيراً، فجعلته لا يعرض إلا الآثار التي تمكن من التوصل إلى تاريخ تأليفها ولو على نحو مقارب، مع طرح باقي الآثار التي يُعْسر تحقق هذا الأمر فيها، وليس أدل على ذلك من عدم تناوله رسالة كتمان السر وحفظ اللسان، مع كونه صاحب الفضل في نشرها بمشاركة باول كراوس (٥٤: ٣٧-٦٠) قبل الشروع في إعداد دراسته .

الاتـــجاه الثـــالث

يختص هذا الاتجاه في معرفة صورة العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ لكل أثر من آثاره المختلفة، ومما يدعو إلى هذا الأمر أن الكثير من هذه الآثار ظل يحمل أسماء متباينة في الوقت نفسه، وهو ما شوش على الدارسين في أحيان كثيرة.

والنصوص التي تحت أيدينا تشير إلى تنبه بعض القدامى إلى قضية تعدد عنوانات الأثر الواحد، فهذا ابن النديم يرى أن لكتاب النساء عنواناً آخر هو الفرق بين الذكر والأنثى (٨: ٢٠٩)، وهذا ابن الأخشاد، من شيوخ المعتزلة ، يقدر أنه ربما كان كتاب دلائل النبوة هو عينه كتاب الفرق بين النبيّ والمتنبيّ (٣ :١٠١)، ونطالع أخيراً الحُصريّ يذكر في موضع واحد ثلاثة عنوانات مختلفة لرسالة التربيع والتدوير (٥٥: ٢٦٠) .

وإذا ما استفسر المرء عن سرّ هذا الاضطراب في عنوانات كثير من كتب الجاحظ ورسائله ، فإنّ مجموعة أسباب تتزاحم في هذا النطاق، فأول ذلك كثرة الكتابات التي تركها أبو عثمان ، ويبدو أن هذا الأمر أوقع كثيراً من الوراقين والنساخ في خلط بُني على أساس التخمين والاحتمال عندما كان هؤلاء بصدد عنونة بعض الآثار التي لم يبق ما يدل على عنوانها ، يُضاف إلى ذلك أن الجاحظ نفسه لم يكن يستقر في بعض الأحيان على عنوانات ثابتة منضبطة لعدد من كتبه، كما رأينا من قبل. وربما لم يعمد أبو عثمان أصلاً إلى وضع عنوانات لبعض آثاره كما في رسائله القصار التي كان يرسلها إلى أصدقائه وأولياء نعمته، مما جعل النساخ يتكلفون إيجاد عنوانات مناسبة لها بناء على استقراء المضامين. وقد يكون بعض تجار الكتب ممن لا يعبأون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا بالكسب ، تعمدوا تغيير أسماء بعض الآثار التي يتولون نسخها وتسويقها، ليوهموا الشُرّاء بهذه العنوانات المخترعة، فيتهافتوا على اقتنائها ظناً منهم أنها اسماء كتب جديدة تمثل جانباً جديداً من تراث الجاحظ لم يطلعوا عليه، وليس من شك في أن مثل هذا الأسلوب ما كان ينطلي إلا على نفر من المتعلمين دون جمهرتهم .

وفي الإطار عينة، ترى وديعة النجم أنّ صفة الاستطراد التي شاعت في مؤلفات الجاحظ، سهلت مهمة الوراقين وغيرهم في اقتراح ما يحلو لهم من عنوانات تناسب بعض أجزاء الكتاب أو الرسالة، وإنّ اضطروا إلى التلاعب ببعض الألفاظ لتناسب العنوان المقترح (٣٧ : ١٦)، وتسوق بهذا الخصوص نصاً من رسالة نفي التشبيه، حوّر أحد النُساخ بعض ألفاظه لتكون ملائمة للعنوان الذي وضعه للرسالة وهو وصف العوّام (٣٧: ١٨-٢٢) .

وإذا ما نظرنا إلى الجهود التي قدمها المعاصرون في دراسة هذا الاتجاه ، وجدنا أكثر الأثبات لا تأخذ الأمر بعين الاعتبار إلا من زاوية محدودة، وربما كان ثبت شارل بلاّ أكثر من غيره التفاتا إلى هذه القضية. وقد لوحظ من قبل كيف جر وجود غير عنوان واحد للأثر على أصحاب الأثبات تكرار بعض الآثار على الرغم من كونها تتدرج تحت باب تعدد أسماء الأثر الواحد.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك ما قام به عبد السلام هارون من ضبط عنوانات بعض تحقيقاته كالعثمانية مثلاً (٥٠ : (م) ٨-٩)، بيد أنه من جهة أخرى لم يُعنَ بضبط عنوانات مجموعة الرسائل التي اضطلع بتحقيقها. ونصادف بعد ذلك البحث الذي نشره الشاهد البوشيخي حول قضية عنوان كتاب البيان (٥٦)، وربما كان هذا البحث من أجود ما قُدم في هذا الاتجاه وسأتطرق إليه ثانية عند تناول كتاب البيان والتبيين .

وهكذا، يتضح أنّ ما قدمه الباحثون في هذا الاتجاه يكاد يكون محصوراً في حدود ضيقة، حيث يصح القول أنه لم ينل ما يستحقه من الدرس بالشكل اللائق.

الاتجاه الرابع

عُني هذا الاتجاه بإيجاد حدود مرسومة يمكن على أساسها تمييز كتب الجاحظ من رسائله، ومع ما يظهر من أهمية هذا التمييز ، إلا أنه يبدو متعثراً منذ البداية . ويرجع سبب ذلك إلى الجاحظ نفسه، فقد تبين من قبل أنّه لم يُقدم ما يشير تماماً إلى تفريقه بين الكتب والرسائل التي وضعها ، ومادامت هذه حقيقة الأمر ، فليس غريباً أن تجد أكثر الباحثين يضربون صفحاً عن دخول هذا المسلك الذي يبدو شائكاً إلى حد ما .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تكون وديعة النجم من أبرز الذين حاولوا التفريق بين كتب الجاحظ ورسائله معتمدة المضمون في المقام الأول فهي تقول بهذا الصدد : " ولا تختلف رسائله من حيث طبيعة الموضوع عن كتبه إلا بأشياء معلومة أهمها : اقتصاره في الرسالة الواحدة على موضوع واحد في الغالب وعدم الميل إلى الاستطراد كثيراً أو الإطالة، بينما كانت كتبه موسوعات أدبية علمية، يَطرقُ في الكتاب الواحد أشتاتاً من الموضوعات " (٥٧) .

وهذا الرأي على ما يحمل من وجاهة ، تؤخذ عليه عدد من الملاحظ، لعل أهمها :

١ – أمّا كون الرسالة من رسائل الجاحظ تقتصر –في الغالب –على موضوع واحد، فقول موفق إلى حدّ بعيد، بيد أن عدداً من كتبه يمكن أن نسمها بذات الميسم، إذ يتوفر الواحد منها من فاتحته حتى خاتمته على موضوع واحد. وهذه السمة تتجلى على خير ما يكون في كتاب الحجاب، فلا يلمس أثر يذكر لموضوعات أخرى غير الموضوع الذي عُقد الكتاب من أجله. ويشارك هذا الكتاب في هذه الصفة كتابان آخران هما : البغال و البلدان، مع بعض الاستطراد القريب الذي يختلف تماماً عن سمة الاستطراد كما بدت في الحيوان والبيان والبخلاء .

٢ – وأمّا أن الجاحظ لا يميل إلى الإطالة –كثيراً– في رسائله ، فالأمر يخضع لنسبية تتراوح بين الإطالة والإيجاز، ففي حين أن بعض رسائله تُقْصَر حتى تحاكي التوقيعات في شدة اقتضابها، تطول كثير من رسائله حتى يقترب بعضها من الكتب المجلدة ، وفي هذا النوع يعمد أبو عثمان إلى بسط أطراف الموضوع على نحو شديد الإطناب، فلا يَتْرِكُ شيئاً إلا أشبعه بحثاً ، ولا يذر فسحةً لسائل أو معترض إلاّ أحكم رتقها، فالرسالة عند الجاحظ تطول وتقصر من غير أن يمس ذلك انتماءها إلى هذا الجنس الأدبي . ويمكن للدارس أن يصنف رسائل الجاحظ وفق طولها وقصرها، في ضوء تقسيم القدماء لرسائل المعري (٥٨ : ١٦١)، إلى الأقسام التالية :

أ – رسائل طوال قد تجري مجرى الكتب المصنفة، ومن أمثلتها: التربيع والتدوير، وتصويب علي في تحكيم الحكمين ، ومناقب الترك، والمعاد والمعاش، والجدّ والهَزل .

ب – رسائل دون ذلك، ومن هذا النوع : نفي التشبيه، والقُواد، والنابتة، ومدح النبيذ.

جـ – رسائل على نحو ما جرت به العادة في المكاتبات، ومن هذا القبيل أكثر إخوانيات الجاحظ، كرسالته إلى ابن الزّيات في الاستعطاف، ورسالته إلى أحمد بن أبي دؤاد في الاستعطاف أيضاً، ورسالته في ذم الزمان .

د – ويمكن أن يضاف إلى هذه الأقسام رسائل بلغت الغاية في قصرها، ومن هذا الصنف، رسالته إلى أبي حاتم السجستاني، ورسالته إلى قُليب المعتزلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ – إن سمة "موسوعات أدبية علمية" لا يمكن أن تنطبق على سائر مؤلفات الجاحظ، فهي وإن لازمت بعض كتبه كالحيوان والبيان، وربما أضيف إليهما البخلاء والبرصان، إلا أن هناك عدداً من كتبه لا يمكن أن ترقى إلى سمة الموسوعية، كما هو الحال في : البغال، والبلدان، والحجاب .

إن هذه الملاحظ تشير إلى صعوبة الوصول إلى نتائج محكمة بهذا الخصوص، لكنّ يبدو أن باستطاعة الباحث أن يعدّ الأمور التالية أشبه بفاصل تنعطف عنده كتب الجاحظ عن رسائله، وإن كان الأمر لا يخلو من تعسف أحياناً :

أولاً : تختلف الغاية بين ما كتبه الجاحظ من كتب ورسائل ، فالملاحظ أنّ أهم المقاصد التي كان يضعها أبو عثمان نصب عينيه وهو يؤلف كتبه ، تأدية ما تلقاه من الأفواه إلى جانب ما أخذه من بطون المصنفات ، فالجاحظ من هذه الزاوية يعنى بإيداع جانب من مخزونه الثقافي في كتبٍ يعقدها لهذه الغاية. وتظهر قدرته في هذا النوع على استظهار أشباه الأشياء ونظائرها ، فهو يضم كل نفيس إلى شكله ، ويؤلف كل نادر إلى مثله. ومن هنا تجد أن كتبه تُشحن بمسموعاته من آية وحديث وخبر وقصة وقصيدة وخطبة ونادرة ومثل وحكمة ونحو ذلك، وقد يمتد استشهاده ببعض هذه الألوان إلى عشرات الصفحات من غير أن يقحم نفسه في الموضوع، وربما فسر أثناء ذلك غريباً أو وجه معنى، أو انتقد حكماً، من غير أن يدخل على الموضوع دخولاً تاماً.

وقد أدرك النقاد القدامى هذا الأسلوب الذي سار عليه أبو عثمان في كتبه، يقول الباقلاني : "وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمت الذي لا يؤخذ منه ، والباب الذي لا يُذهب إليه، وأنت تجد قوماً يرون كلامه قريباً، ومنهاجه واضحاً ونطاقَ قوله ضيقاً، حتى يستعين بكلام غيره ، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه من بيت سائر، ومثل نادر، وحكمه ممهدة منقولة، وقصة عجيبة مأثورة ، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطور قليلة، وألفاظ يسيره " (٥٩: ٢٤٧-٢٤٨) . وهذه الصفة لا يغادرها الجاحظ في أكثر كتبه كالحيوان والبيان والبرصان والحجاب وغيرها، وأما كتاب البخلاء، فهو وإنّ أصاب حظاً لا بأس به من المرويات ، إلاّ أنّ فنيته تطفح على هذا الجانب ، والحال هذه ، فإن لكتاب البخلاء وضعاً خاصاً لا تشاركه فيه باقي كتب الجاحظ.

وبالنظر في مدى تحقق هذه السمة في رسائله ، فإن الأمر يختلف اختلافا بيناً ، فرسائله بخلاف كتبه يغلب عليها أن تكون من وحي تفكيره وصوغ قلمه، وليس يُنكر أنّ بعض رسائله تتضمن قدراً من كلام غيره ، لكن ذلك يضبط بصورة دقيقة، فلا يُسرَفُ فيه ذلك الإسراف الذي يصادفه القارىء في كتبه . فالجاحظ إذن كان يقصد من رسائله أن تكون معبرة عن نفسه في المقام الأول ، وأما كتبه فإن غايته منها كانت مختلفة تماماً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : إذا ما استثني كتاب البخلاء، فإن رسائل الجاحظ عموماً تغرف من وعاء الفن أكثر مما تغرف كتبه، على أن ذلك لا ينفي وجود ظواهر فنية أصيلة تبدو واضحة في كتبه، لكنها في الحقيقة لا تُضارع فنية رسائله مضارعة تامةً . كذلك فإن الفنية التي ظهرت في رسائله ، لا يمكن أنْ يُقال إنها فنية خالصة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، لأن الرسالة لا تكون فنية خالصة حتى تتكىء إتكاء كلياً على الفن. وهذا يستدعي أن يستجمع المنشىء مقدرته الأدبية التي تمكنه من تفجير طاقات اللغة وإثارة عناصرها الكامنة، حتى يولد أثرها رجعاً بعيداً في نفس القارىء. ولابدّ للرسالة حتى تكون على تلك الصورة من أمرين مهمين هما : الإبداع والأصالة وهما بحق أساس العملية الفنية في الرسالة بل في سائر الأجناس الأدبية، وهما يندغمان معا وفق تناسق معين يشكله الكاتب .

وكاتب الرسالة الفنية يجعل أكبر وكْدِهِ إخراج رسالته في ثوب فني دقيق في كل مفرداته، فهو –مثلاً– دقيق في ألفاظه ومعانيه ، ينتقيها ويسبكها بدقة متناهية، وتتضمن الرسالة بعد ذلك قدراً من مشاعر الكاتب وخلجاته ، وإلا تحول عمله مجرد اختيار جامد يتجافى مع أصول الإبداع ، وأما الأصالة فهي محرك رئيس وباعث حثيث يضمن حضوراً فاعلاً لشخص الكاتب في كل ما يصدر عنه، وهي التي تجعله يغذ السير نحو تناول مضامين جديدة، يراها الكاتب قمينة بالتناول الأدبي .

وإذا ما سُلطت هذه الأُسس الفنية على رسائل الجاحظ ، وجدنا بعضها يقتدي بهذه الأسس إلى حد بعيد، كالتربيع والتدوير ، وتفضيل البطن على الظهر، وموت أبي حرب الصفار البصري. على أنّ بعضها يتضاءل نصيبه من هذه الأسس على نحو واضح، كما هو الحال في : المعاد والمعاش، والمعلمين، والمودة والخلطة. وثمة صنف آخر يتراوح بين الصنفين السابقين، ومن هذا القبيل : مناقب الترك، وفخر السودان على البيضان، وفصل ما بين العداوة والحسد.

وهذا يعني أن الفنية الخالصة للرسالة، كما يعرفها الدراسون في عدد من الأعمال التراثية كالتوابع والزوابع، ورسالة الغفران لم تبرز إلا في عدد محدود من رسائل الجاحظ، وفي مقدمتها رسالة التربيع والتدوير.

ثالثاً : إن أكثر رسائل الجاحظ لها بناء خاص، فهي تتشكل من الأجزاء التقليدية المعروفة : المقدمة والعرض والخاتمة، إذ تأخذ هذه الأجزاء برقاب بعضها وفق تسلسل معين، لكن يلاحظ أن الجاحظ كان يراوح أحياناً بين الالتزام بهذه البنية والخروج عليها، ففي حين تجده يستنّ بهذا القالب المعروف تارة، تجده أخرى يُخلّفه وراء ظَهْره ، ويخرج إلى مجموعة بنى جديدة بجرأة يحسد عليها. أما فيما له علاقة بكتبه فإنها في الغالب لم تكن تتأسى بذلك البناء ، وإذا أنت أنعمت النظر في أكثر نهايات كتبه كالحيوان والبخلاء والبرصان والحجاب، ألفيتها تُجذم جَذماً. من غير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة منطقية تخدم ما تقدمها، وكثيراً ما كانت الشواهد التي تفيض بها كتبه، تسلم القارىء إلى نهاية الكتاب، دون وجود ما عساه يشعر بتلك النهاية.

وسأحاول أنّ آخذ هذه الأمور بعين الاعتبار في الحكم على كون الأثر رسالة أو كتاباً، عند تناول مجموعة الآثار الكاملة والمبتورة في الفصلين الثاني والثالث .

مَخْطُوطَاتُها.

ليس بين أيدينا معلومات كافية تتيح للباحث أن يتعقب النسق التاريخي الذي مر به نسخ المخطوط الجاحظي، إلا أن هذه العلمية –فيما يبدو– بدأت في وقت مبكر نسبياً ، فالجاحظ نفسُه يتحدث عن جماعة من الحُساد كانوا يأتونه لاستنساخ بعض كتبه التي نحلها إلى من سبقه (٢: ٣٥١) . والظاهر أنه بقي على مدار العصور من يعنى بنسخ آثار أبي عثمان، وربما كان الوراقون أشد الناس عناية بهذا الأمر، ويبدو أنّهم كانوا يدفعون بهذه الآثار إلى النساخ ليقوموا بإخراجها في نُسخ كثيرة تحقق الربح لكلتا الطائفتين.

ويجد الناظر أن مخطوطات آثار الجاحظ كانت منتشرةً انتشاراً واضحاً في المدة التي سبقت منتصف القرن السابع الهجريّ ، ومن الشواهد التي تؤكد هذا الأمر، ما أورده ياقوت عن أحد كتب الجاحظ التي نفتقدها اليوم، فهو يتحدث عن كتاب الفرق ما بين النبي والمتنبي قائلاً: "وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم، ولا تكاد تخلو خزانة منه، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر" (٣: ١٠٢). ومثل ذلك ما ذكره سبط بن الجوزي من وقوفه على أكثر كتب الجاحظ في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد (٦٠: ٥٧ ظ). وأما بعد القرن السابع فقد أخذ انتشار مخطوطات هذه الكتب يتراجع شيئاً فشيئاً، وقد يكون سبب ذلك الهزات المتتالية التي أخذت تعصف بالتراث الإسلاميّ عامة، وفي مقدمتها الهجمة المغولية الوحشية التي أتت على ذخائر نفيسة من التراث تبيدها بكل صلف وهمجية .

أما فيما له صلة بوضع هذه المخطوطات في الوقت الحاضر، فإذا استثنى الدارس كتابي البيان والحيوان اللذين تنتشر نسخهما الخطية في عدد من المكتبات العالمية، فإن مخطوطات الآثار الأخرى يقل وجودها في كثير من المكتبات على نحو لافت، وربما أتيح لكثير من الدارسين أن يستعرضوا فهارس بعض هذه المكتبات دون أن يقعوا على مخطوط واحد للجاحظ . وتتفرق المخطوطات الباقية اليوم في مكتبات تركيّة ومصريّة وعراقيّة ومغربيّة وألمانيّة وإنجليزيّة، وقد بدأ في الآونة الأخيرة يتسع نطاق انتشار النسخ الأصلية بطريقة التصوير الضوئي التي أفادت جمهرة المحققين، وسهلت مهمة الحصول على المخطوط وجعله في متناول الأيدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والواضح أنّ أكثر مما وصل إلينا من آثار الجاحظ، يقع ضمن مجاميع أفردت لها على وجه خاص، والحق أنّه لا يُعرفُ على نحو دقيق متى أخذ النساخ يضمون هذه الآثار إلى بعضها، ويخرجونها في مجموعات مستقلة، وإنّ كانت أقدم مجموعة من هذا القبيل تعود إلى سنة ثلاث وأربعمائة هجرية (٣٥: (م) ٦)، وهي المجموعة التي عُني بجمعها واختيار فصولها عبيد الله بن حسان، وهو رجل تكاد شخصيته تكون مغمورة لدينا. وأما اختياراته فهي تقوم على أساس الانتقاء من ثمانية وعشرين أثراً للجاحظ، من غير احتذاء أسلوب واضح يحكم هذا الانتقاء، ويبدو أن هذا الرجل وقف على هذه الآثار كاملة النصوص، فراح يختار ما عنّ له منها.

وسأعنى فيما يلي بتقديم تصور توثيقي للمجاميع الجاحظية المخطوطة التي تسنى اكتشافها حتى هذا الوقت، وهي -حسب تسلسلها الزمني- تسير على هذا النحو :

أولاً : مخطوطة داماد إبراهيم رقم ٩٤٩ (٦١) .

يوجد منها مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (٢: (م) ٤)، وأخرى في مكتبة الجامعة المصرية (٥٤: (م) د)، وأخرى في ليدن (٦٢: ٢٨٣-٢٨٤). وتقع المخطوطة في ٢٣٩ ورقة ضاع أولها، وعدد أسطرها في كل صفحة ٢٣ سطراً، كُتبت بخط النسخ الجيد الذي يقترب من خطوط القرنين السابع أو الثامن الهجريين، ولم يرد ما يشير إلى اسم ناسخها، وعليها خاتم يُفيد أنها وُقفت من قِبَل داماد إبراهيم وزير السلطان العثماني الغازي أحمد خان.

وتضم المخطوطة النص الكامل لسبعة عشر أثراً من آثار الجاحظ هي : مناقب الترك، والأخلاق المحمودة والمذمومة أو المعاد والمعاش، وكتمان السر وحفظ اللسان، وفخر السودان على البيضان، والجدّ والهزل، ونفي التشبيه، ورسالة إلى أحمد بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا، ورسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب، وفصل ما بين العداوة والحسد، وذم القواد، والنابتة، والحجاب ، ومفاخرة الجواري والغلمان، والقيان، وذم أخلاق الكُتاب، والقول في البغال، والحنين إلى الأوطان .

وقد عرف الدراسون هذا الأصل واعتمدوه من نحو خمسين عاماً ، فقد نشر عنه كرواس والحاجري أربع رسائل في القاهرة سنة ١٣٦٢هـ=١٩٤٣م (٥٤)، وحققه عبد السلام هارون كاملاً سنة ١٣٨٤ هـ=١٩٦٤م (٢،١٠) .

ثانيـاً : مخطوطة برلين رقم ٥٠٣٢ (٦٣).

تُعرف هذه المخطوطة -كما جاء في صفحة العنوان-باسم "المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ "، وليس هناك ما يشير إلى اسم صاحب الاختيار . كُتبت المخطوطة سنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٦٠هـ بقلم محمد المُقري ، وهي تقع في ١٤٤ ورقة، قياسها ٢٣ x ٢٦ سم، وعدد مسطراتها ١٧ سطراً في الصفحة الواحدة، خطها واضح جميل، وكلماتها منقوطة مضبوطة في أحيان كثيرة، وعلى الورقة الأولى تمليك باسم حسن بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي. وعلى الورقة الأخيرة تمليك آخر يرجع إلى سنة ١٢٨٠ هـ .

وتضم هذه النسخة بين دفتيها مجموعة كبيرة من النصوص المنتقاة من آثار الجاحظ المختلفة، بعضها نُشر ، وبعضها لم يسلك طريق النشر إلى هذا اليوم. وكان كراوس الحاجري قد اتخذا هذه المخطوطة أصلاً يقابلان عليه في مجموعتهما المنشورة سنة ١٣٦٢ هـ=١٩٤٣م (٥٤) . وقد عاد الحاجري إلى المخطوطة، فنشر منها نصين هما : رسالة في موت أبي حرب الصفار البصري (٦٤)، وفصول في هجاء محمد بن الجهم البرمكي (٦٥).

ثالثاً : مخطوطة طوب قبوسراي رقم ١٣٥٨ (٦٦)

منها نسخة مصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٦٧: ٣٢٣). وتعد هذه المخطوطة أقدم الأصول الباقية لمجموعة الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان، وقد كتبت سنة ١٠٨٠ هـ ، عن نسخة مفقودة يرجع تاريخها إلى سنة ٤٠٣هـ، والملاحظ أن أكثر المخطوطات التي وصلت إلينا من اختيارات عبيد الله بن حسان تصرح بالنقل عن النسخة المفقودة هذه .

تقع مخطوطة طوب قبوسراي في ١٣٢ ورقة ، قياس صفحاتها ٢٥ x ١٩ سم ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً، كتبت بخط فارسي كثيراً ما يخلو من النقط، وفيها تصحيفات وتحريفات كثيرة، ويلاحظ أن أخطاءها تقترب إلى حد ما من الأخطاء الواقعة في نسخة المتحف البريطاني التي ترد بعد قليل. وأما كاتب النسخة فاسمه محمد أبو الصلاح الحنفي.

وقد ظلت هذه المخطوطة غير معروفة عند أكثر الدارسين حتى وقت قريب، ويعود الفضل في تعريف الباحثين بها إلى رمضان ششن في مقال نشره سنة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥ م، تناول فيه الاثار الجاحظية الباقية في مكتبة متحف طوب قبوسراي في إستانبول (٤٤) .

وتحتفظ المخطوطة بمختارات من ثمانية وعشرين أثراً هي : الحاسد والمحسود، والمعلمون ، والتربيع والتدوير، ومدح النبيذ (وهو الأثر الوحيد الذي احتفظ بنصه الكامل من بين آثار هذه المجموعة)، وطبقات المغنيّن، والنساء، ومناقب الترك، وحجج النبوة، وخلق القرآن، والرد على النصارى، والرد على المشبهة، والعثمانية، والمسائل والجوابات في المعرفة، والمعاد والمعاش، والجد والهزل ، والوكلاء، والأوطان والبلدان، والبلاغة والإيجاز ، وتفضيل البطن على الظهر، والنبل والتنبل وذم الكبر، والمودة والخلطة ، واستحقاق الإمامة أو مقالة الزيدية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرافضة، واستنجاز الوعد، وتفضيل النطق على الصمت ، وفضيلة صناعة الكلام، ومدح التجار وذم عمل السلطان،والشارب والمشروب، والجوابات في الإمامة .

ويلاحظ أن أكثر من وقفوا عند هذه المخطوطة توسعوا في عد آثارها، فقد جعلها حاتم الضامن ثلاثين أثراً (٦٨) ، بينما أوصلها أدهم قاراتاري إلى أربعين أثراً (٦٩: ٢٢٤) ، وتابعه في ذلك فاضل بيات (٧٠). ويبدو أن هذا التوسع ناتج عن عدّ بعض العنوانات الجزئية آثاراً تقوم بذاتها، كما هو شأن هذه العنوانات : رياضة الصبي، وذم اللواط، وذكر الولد، والقربان، والعشق، والرد على أبي إسحاق النظام (٧٠)، فهذه العنوانات ليست أسماء آثارٍ مستقلة، بل هي عنوانات فصول وضعها عبيد الله بن حسان في ثنايا الآثار التي انتقى .

رابعاً : مخطوطة الجليلي (٧١: ٢٦٤- ٢٦٥) .

ذكر داود الجلبي أن هذه المخطوطة توجد محفوظةً في مكتبة أمين الجليلي في الموصل (٧١: ٢٦٤- ٢٦٥)، وهي حسبما يذكر الجلبي تقترب في موادها من مخطوطة داماد الآنفة. ولما كان كراوس والحاجريّ يتوقعان أن يكون لهذه المخطوطة شأنٌ في تصحيح الرسائل الواردةِ في مجموعهما، فقد ذكرا أنهما اتجها إلى الجلبي ، بصفته أول من نبه على هذه المخطوطة لسؤاله عن مصيرها، فكتب إليهما أن مكتبة الجليلي تشتت بعد وفاة صاحبها، وأن المخطوطة فقدت (٥٤:(م) و). وقد ظل الاعتقاد سائداً لدى الدارسين بفقدان هذه النسخة حتى أوضح محمود الجليلي في سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م، أن المخطوطة المذكورة موجودة لدى عائلة الجليلي، وأنها تحتوي على أربع رسائل هي : ذم القواد، ورسالة إلى عبد الله بن أبي دُؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا ، والنابتة، ورسالة إلى أبي الفرج الكاتب (٧٢) . ويؤكد الجليلي أن ما عزاه كراوس والحاجري إلى الجلبيّ ليس صحيحاً ، لأن مكتبة أمين الجليلي لم تتشتت بعد وفاته، ويذهب الجليلي بعد ذلك إلى القول إن السهو وقع من الجلبي الذي وصف مخطوطة لا توجد أصلاً في مكتبة أمين الجليلي (٧٢).

خامساً : مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١١٢٩ (٧٣) .

منها نسخة مصورة في مكتبة جامعة القاهرة (٣٥: (م) ٨)، كتبت برسم اللورد كرومر سنة ١٢٩٤ هـ، كتبها عبد الله المنصوري، وهي تقع في ٢٩٩ ورقة، وعدد مسطراتها في الصفحة الواحدة ١٧ سطراً، خطها نسخي واضح، وأخطاؤها تضارع الأخطاء الواردة في مخطوطة طوب قبو إلى حد ما، ولم يشر الناسخ إلى أصل ما نقل عنه، وربما نقل عن الأصل المفقود الذي يرجع تاريخه إلى مطلع القرن الخامس الهجري، وهو الأصل الذي نقلت عنه مخطوطة طوب قبو التي تتفق مع هذه المخطوطة في المحتوى والترتيب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرف الدارسون هذه المخطوطة منذ أكثر من نصف قرن، فقد اتخذها كراوس والحاجري اصلاً يقابلان عليه بعد رسائل المجموع الذي أخرجاه سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣م (٥٤:(م) و) . كذلك اعتمدها عبد السلام هارون في مجموعته المنشورة سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م (٣٥: (م) ٧-٨).

ساد ساً : مخطوطة الأزهر رقم ٢٣١ أباظة ٦٨٣٦ (٣٥: (م) ٧)

كتبها محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني سنة ١٣١٣هـ، وهي تتفق مع سابقتها في موادها وترتيبها، ومع أن عبد السلام هارون اطلع عليها، إلا أنّه استغنى عن اتخاذها أصلاً للمقابلة، كما صرح بذلك (٣٥ : (م) ٧). وحتى يومنا هذا لم يعتمد أيّ من المحققين هذه المخطوطة في نشراتهم لآثار الجاحظ .

سابعاً : مخطوطة دار الكتب رقم ١٩ أدب تيمور (٧٤).

كتبت هذه النسخة سنة ١٣١٥ هـ عن الأصل المكتوب في بداية القرن الخامس الذي أُشير إليه سابقاً، وكاتبها هو محمد الزمراني كاتب النسخة السابقة، والمخطوطة مكتوبة بخط النسخ، وعليها تعليقات، وتقع في ٢٠٨ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً، ولا تختلف عن سابقتيها من حيث المحتوى والترتيب.

وتعد المخطوطة أول أصل خطي اعتمد عليه الدارسون في تحقيق آثار الجاحظ في العصر الحاضر، فقد اعتمدها يوشع فنكل منذ سبعين عاماً في تحقيقه لرسالة الرد على النصارى (٧٥: ٣-٤). كما جعلها عبد السلام هارون أصلاً من أصول مجموعته المنشورة سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (٣٥: (م) ٨-٩) . وليس بعيداً أن تكون هي الأصل الذي اعتمده ناشر الفصول المختارة المطبوعة على هامش كتاب الكامل للمبرد سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م (٧٦، ٧٧).

ثامناً : مخطوطة نور الدين مصطفى رقم ١٠٠ (٧٥: ٤).

تشتمل هذه المخطوطة على مجموعة رسائل للجاحظ كتبت سنة ١٣١٧ هـ كما أشار إلى ذلك يوشع فنكل الذي عارض عليها بعض الرسائل التي حققها سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦ م (٧٥ : ٤) ، ولا يُعلَمُ في الوقت الحاضر مصير هذه النسخة ، يقول عبد السلام هارون : " وقد حاولت أن أعثر على هذه المخطوطة فلم أوفق" (١٠: ١٤١) .

تلسعاً : مخطوطة المتحف العراقي رقم ١٣٠٣٧ (٧٨: ٤٥٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتبها بخط نسخي جيد الناسخ الذي تولى كتابة مخطوطتي الأزهر ودار الكتب السابقتين سنة ١٣١٩هـ، ويبلغ عدد ورقاتها ٢٩٢ ورقة، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً ، وقياسها ٢٦ x ١٧ سم، ومادتها مطابقة للمخطوطتين المذكورتين . والملاحظ أن أحداً من محققي تراث الجاحظ لم يعتمد هذه المخطوطة حتى هذا الوقت .

عاشراً : مخطوطة مدرسة الحجّيات (٧١ : ١٠٠) .

تقع هذه المخطوطة ضمن مجموعٍ يضم مقتبسات وقصائد ومراسلات شتى (٧١: ١٠٠) في مكتبة مدرسة الحجيات بالموصل ، حسبما ذكر داود الجلبي الذي لم يشر إلى تاريخ نسخها. ويقع ضمن هذا المجموع أربع من رسائل الجاحظ، نشرها الجلبي في مجلة لغة العرب، والرسائل هي على التوالي : النابتة (٧٩)، ورسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب (٨٠)، ورسالة إلى عبد أبي الله بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا (٨١) ، وذم القواد (٨٢) .

ولعل من الغريب أن تظل هذه المخطوطة – على ما يبدو من قيمتها – خاملة الذكر عند من عُنوا بتحقيق آثار الجاحظ ، إذا ما استثني الجلبي . على أن الشيء اللافت أن الفهرس الحديث للمخطوطات المحفوظة في مدرسة الحجيات (٨٣) يخلو من الإشارة إلى هذه المخطوطة، وربما كان في ذلك ما يشير إلى فقدانها.

وإلى جانب هذه المجاميع العشرة ، ذكر بروكلمان مجموعاً يتضمن مختارات من رسائل الجاحظ محفوظاً في برلين تحت رقم ١٤٩٩ (٣٣: ١١٠). وقد كتبتُ إلى الجهات المسؤولة عن مكتبة الدولة ببرلين طالباً الحصول على صورة للمخطوطة المذكورة، فجاء الجواب أن المخطوطة المحفوظة في المكتبة تحت الرقم المذكور لا تمت إلى الجاحظ بصلة، وأن المختارات من رسائل الجاحظ هي المحفوظة تحت رقم ٥٠٣٢. وقد سبق أن تناولت هذه المخطوطة فيما مضى .

نَشَراتُها .

قبل مائة عام على وجه التحديد ، وفي نطاق حركة حضارية واسعة رمت إلى إحياء ذخائر التراث العربي الإسلامي ، بدأت العناية ببعث آثار الجاحظ وإخراجها من عتمة دور المخطوطات ، وقد كان للمصريين خاصة فضلُ السبق إلى نشر كثير من هذه الآثار قبل غيرهم، إذا كانت نشرت البيان والتبيين المطبوعة في القاهرة بين سنتي ١٣١١-١٣١٣هـ =١٨٩٣-١٨٩٥م (٨٤) ، فاتحة اتجاه جديد أخذ ينمو شيئاً فشيئاً بفعل انتشار وسائل الطباعة في البلاد العربية منذ ذلك الوقت . ومع أن بعض الآثار الجاحظية نشرت قبل هذا التاريخ، إلا أن هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النشر لم يكن مقصوداً لذاته ، كما في كتاب الحجاب المنشور ضمن كتاب طراز المجالس للخفاجي سنة ١٢٨٤ هـ = ١٨٦٦م (٨٥: ٧٣- ٩٧) .

ويمكن عد الربع الأول من هذا القرن – العشرين الميلادي – مدة حاسمة في تاريخ إحياء تراث الجاحظ في البيئات العربية، إذ ظهر في هذه المدة عددٌ من كتبه المشهورة، فقد نُشر كتاب البخلاء سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م (٨٦)، كما طُبع كتاب الحيوان في المدة نفسها (٨٧)، وسرعان ما ظهرت نشرة جديدة للبيان والتبيين أشرف عليها محب الدين الخطيب (٨٨)، كما ظهرت مجموعتان من رسائل الجاحظ نُشرت إحداهما على هامش كتاب الكامل للمبرد فيما بين سنتي ١٣٢٣ -١٣٢٤هـ = ١٩٠٥-١٩٠٦م (٧٦، ٧٧). وأما الثانية فقد أخرجها محمد ساسي المغربي في المدة عينها (٨٩). ولم يقتصر الاهتمام في هذه الفترة على إخراج الآثار الثابت نسبها إلى الجاحظ، بل ظهرت بعض الآثار المنسوبة إليه ، وفي مقدمتها : المحاسن والأضداد (٩٠) ، والتاج في أخلاق الملوك (٩١)، وتهذيب الأخلاق (٩٢) .

وفي الربع الثاني، استمرت حركة نشر آثار الجاحظ في اتجاهين: الأول أخذ على عاتقه بعث الآثار التي لم يسبق أن سلكت سبيل النشرمن قبل، ويمثل هذا الاتجاه الرسائل التي نشرها الجلبي بين سنتي ١٣٤٩-١٣٥٠هـ=١٩٣٠-١٩٣١م (٧٩،٨٠،٨١،٨٢)، والمجموع الذي أخرجه كراوس والحاجريّ سنة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م (٥٤). وأما الاتجاه الآخر فقد كان هدفه إخراج الآثار المنشورة قبلاً إخراجاً يقتدي بقواعد التحقيق العلمي الحديثة، ويمكن أن نتمثل هذا الاتجاه في تحقيق الحاجري للبخلاء (٩٣)، وعبد السلام هارون للحيوان (٩٤)، والبيان والتبيين (٩٥).

وفي الربع الثالث، تتابعت جهود الدراسين في استخراج ما لم ينشر من تراث الجاحظ ، وتعد مجموعة الرسائل التي حققها عبد السلام هارون سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م (٢، ١٠)، بالإضافة إلى تحقيقه للعثمانية (٥٠)، أهم ما قدم في هذه الفترة. ويلاحظ أن عدداً من المجاميع التي لم تعنَ بتقديم ما هو جديد في بابه ، برزت في هذه المدة أيضاً ، منها : مجموعة جميل جبر (٩٦)، ومجموعة عمر "أبو النصر" (٩٧)، ومجموعة دار النهضة (٩٨) .

وأما المدة الواقعة بعد سنة ١٩٧٥ م = ١٣٩٥ هـ ، فقد لوحظ فيها الاهتمام بإخراج الآثار ضمن مجامع مفردة، على اختلاف بينها في القيمة والمستوى والأسلوب والغاية، فإذا كان بعضها يقوم على تحري الأصول العلمية في النشر والتحقيق، كما هو شأن مجموعة الفصول المنشورة في مجلة المورد (٦٨)، فإن بعضها الآخر كان وكْده تيسير العبور إلى هذه الآثار وتقديمها بما يناسب التحصيل المعرفي للقارىء غير المختص، ومن هذا القبيل المجموعات التي نشرها علي أبو ملحم (٩٩، ١٠٠، ١٠١)، والمجموعة التي أخرجها عبد الأمير مهنا(١٠٢، ١٠٣).

هذا فيما يتصل بالبيئات العربية، وأما في دوائر الاستشراق الأجنبية ، فقد كانت العناية ببعث آثار الجاحظ محط عناية عدد من المستشرقين على نحو واضح، ويعد المستشرق الهولندي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان فلوتن أول المستشرقين اهتماماً بهذا الأمر، ولعل من الطريف أن يتجه فلوتن أول عهده بنشر آثار الجاحظ إلى إخراج كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ ، ظاناً صحة نسبته إلى أبي عثمان (١٠٤). ويبدو أن إخراج هذا الكتاب على الرغم من كونه منسوباً ، حفز فلوتن على المضي في مشروعه الرامي إلى نشر الآثار الجاحظية التي لم يسبق نشرها، ففي سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م أخرج رسالة النابتة (٤٣)، فكتاب البخلاء في السنة التالية (١٠٥)، وفي سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م ، أخرج فلوتن مجموعاً ضمنه ثلاث رسائل جديدة (١٠٦) ، وسرعان ما حالت المنية دون مواصلة هذا المستشرق جهوده في نشر آثار الجاحظ .

وبعد فلوتن ، أصاب حركة بعث تراث الجاحظ في دوائر الاستشراق ما يشبه الخمول لمدة تزيد على عشرين سنة، إذ لم يتسنّ في هذه الفترة سوى إخراج أثر منسوب للجاحظ ، هو العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس (٤٣). وظل الأمر على هذه الحال، حتى نشر المستشرق الأمريكي يوشع فنكل ثلاث رسائل في القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦م (٧٥)، كما أخرج رسالة أخرى في السنة اللاحقة (١٠٧: ١٠٠) .

ورجع الأمر إلى ما هو عليه بعد فنكل، واستمر كذلك حتى مطلع الخمسينات، إذ بدأ المستشرق الفرنسي شارل بلاّ مشروعه في تحقيق تراث الجاحظ ونشره على نحو انقطع نظيره في دوائر الاستشراق، وقد دام هذا المشروع ما يزيد على ثلث قرن، أخرج بلاّ فيها عدداً لا يستهان به من آثار الجاحظ ، منها ما نشر قبلاً كالتربيع والتدوير (٧)، وأكثرها لم يتح نشره من قبل كتفي التشبيه (١٠٨)، والقول في البغال (١٠٩)، ومفاخرة الجواري والغلمان (١١٠)، والبلدان (١١١)، وتفضيل البطن على الظهر (١١٢). ولم يكتفِ بلاّ بنشر الاثار المعروف نسبها إلى الجاحظ، بل تجاوزها إلى نشر إلى ما هو واقع في دائرة المنحول والمنسوب كمدح العلوم وذمها (١١٣).

وبعد، فهذه صفحة موجزة عُنيتْ بتقديم صورة عن حركة إحياء آثار الجاحظ في نسقها الزمني في العصر الحاضر، وقد ظهر واضحاً أنّ مسار هذه الحركة كان في تطور مستمر مع مرور الأيام، وأنّ توجيه هذه الحركة شاركت فيه عناصر عربية من مصر والشام والعراق، إلى جانب ما أسداه بعض المستشرقين الهولنديين والفرنسيين والألمان والأمريكيين ، ولا شك أن عناية هؤلاء ببعث آثار الجاحظ تمثل رغبتهم في التعمق في معرفة ما يتصل بالجاحظ بصفته أحد مشاهير أدباء العربية في عصورها الزاهرة.

وفيما يلي، سأحاول أن أعرف بالمجموعات المنشورة من تراث الجاحظ ابتداءً من مجموعة فلوتن – وهي أولى هذه المجموعات ظهوراً – إلى تاريخ إعداد هذه الدراسة، وهي مدة أربت على تسعين عاماً ظهرت فيها المجموعات التالية :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : مجموعة فان فلوتن (١٠٦).

نشر فلوتن هذا المجموع في ليدن سنة ١٣٢١هـ=١٩٠٣م، وهو بذلك أول مجموع لآثار الجاحظ، أخذ طريقه إلى النشر في العصر الحاضر. ويضم هذا المجموع ثلاث رسائل هي: مناقب الترك، وفخر السودان على البيضان، والتربيع والتدوير. وإذا استثنينا الرسالة الأولى التي نشرت قبل ذلك في القاهرة (١١٤)، فإن نشرة الرسالتين الثانية والثالثة تعد أقدم نشرة لهما. وعلى نحو عام ، يمكن القول إن فلوتن عُني بتصحيح مجموعته وإخراجها مخرجاً علمياً يناسب الوسائل المتاحة آنذاك.

ثانياً : مجموعة الفصول المختارة (٧٦، ٧٧).

طُبعت هذه الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان على هامش كتاب الكامل للمبرد المنشور في القاهرة سنة ١٣٢٣-١٣٢٤ هـ = ١٩٠٥-١٩٠٦م، وتستغرق هذه الفصول هامش الكتاب الواقع في مجلدين، وهي تشمل مختارات منتقاة من تسعة عشر أثراً هي : الحاسد والمحسود، والمعلمون، والتربيع والتدوير، ومدح النبيذ، وطبقات المغنيّن، والنساء، ومناقب الترك، وحجج النبوة، وخلق القرآن، والرد على النصارى، والمودة والخلطة، واستحقاق الإمامة ، واستنجاز الوعد، وتفضيل النطق على الصمت، وفضيلة الكلام، ومدح التجارة وذم عمل السلطان، والشارب والمشروب، والجوابات في الإمامة، ومقالة الزيدية والرافضة.

والجدير ذكره أن المجموعة لم تراعِ قواعد التحقيق العلمي ، فالإشارة إلى اسم الناشر وأصل ما نشر عنه - مثلاً - تبدو مهملة، وإن كان يغلب الظن أنه اعتمد مخطوطة دار الكتب ١٩ أدب تيمور التي سبق الوقوف عندها ، وبالإضافة إلى ذلك، فإن ما يدنو من ثلث اختيارات عبيد الله بن حسان سقطت من هذه النشرة، وأما أخطاء الطباعة والقراءة من تصحيف ونحوه، فقد فشت في المجموعة على نحو واضح ، وقد اهتم عددٌ من أصحاب المجموعات اللاحقة كعبد السلام هارون وحاتم الضامن ويحيى الجبوري ونوري القيسي، بالتنبيه على كثير من تلك الأخطاء أثناء مقابلة تحقيقاتهم على هذه النشرة.

وربما كانت ميزة هذه النشرة تُستمد - في المقام الأول - من كونها أول نشرة عربية تعنى ببعث مختارات من آثار الجاحظ لم تنشر قبلاً وذلك في مرحلةٍ مبكرةٍ - نسبياً - من تاريخ نشر الموروث الجاحظي، وقد كان لهذه النشرة مكانتها المهمة لدى الدراسين، كونها النشرة الوحيدة لنحو ثلثي اختيارات عبيد الله بن حسان، وقد استمرت هذه المكانة حتى وقتٍ قريب، حين نُشرت هذه الاختيارات كاملةً بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩م (٣٤، ٣٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : مجمـوعة الساسي (٨٩) .

نُشرت هذه المجموعة بعناية محمد ساسي المغربي ، أحد الذين شاركوا على نحو فاعل في بعث تراث الجاحظ منذ وقت مبكر، وقد تزامن صدورها مع صدور الجزء الثاني من المجموعة السابقة، وهي تشتمل على نصوص لأحد عشر أثراً بعضها كامل النص وبعضها المبتورة، والآثار هي : الحاسد والمحسود ، ومناقب الترك ، وفخر السودان على البيضان، والتربيع والتدوير، وتفضيل النطق على الصمت، ومدح التجار وذم عمل السلطان، والنساء، والوكلاء، واستجاز الوعد ، وبيان مذاهب الشيعة، وطبقات المغنيين.

والمجموعة كسابقتها لم تحتذِ منهجاً علمياً صحيحاً في النشر ، فليس ثمةَ اشارة إلى الأصل، ويبدو أن الساسي أعاد نشر ما جاء في مجموعة فلوتن الآنفة، وأضاف إليها ثمانية آثار نُشرت جميعها في مجموعة الفصول المختارة، باستثناء القطعة الباقية من رسالة الوكلاء. وهذا يعني أن مجموعة الساسي لم تقدم جديداً سوى مقتطفات من الرسالة المذكورة .

ويُلاحظ أنّ خللاً طرأ على ترقيم صفحات المجموعة ، فمع أنّ الرسالة الأولى تستغرق الصفحات ١ – ١٣ ، تجد أنّ الرسالة الثانية تبدأ ترقيماً جديداً مُستغرقةً الصفحات ١ – ٥٣ ، وإبتداءً من الرسالة الثالثة، يرجع الترقيم الى وضعه الصحيح ، بيد أنّ خللاً من نوع آخر يبدأ من الرسالة الثانية ويستمر حتى الرابعة، فالواضح أنّ الساسي يجعل الرسالة الثانية في مجموعه ثالثة (٨٩: ٥٣)، والثالثة رابعةً (٨٩: ٨١). وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنّ كثيراً من الأخطاء الواقعة في المجموعة الآنفة ظهرت في هذه المجموعة أيضاً، ويمكن أن يقف القارىء على كثير من هذه الأخطاء في المجموعات اللاحقة التي اتخذت هذه النشرة أصلاً تقابل عليه .

رابــعاً : مجموعة فنكل (٧٥).

نشر يوشع فنكل مجموعته هذه في القاهرة سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م، وهي تضم ثلاث رسائل لم تنشر قبل ذلك وهي : الرد على النصارى ، وذم أخلاق الكُتاب، والقيان. وقد اعتمد فنكل في إخراج مجموعته أصولاً خطية يُعدّ بعضُها الآن مفقوداً، وأعني بذلك الأصل الذي كان محفوظاً في خزانة نور الدين مصطفى (٧٥ : ٤). والمجموعة عموماً جيدة الإخراج، تخلو من التعليقات التي تفك مُستغلقات النصوص، مما يجدر أنّ يكون موضع اهتمام الناشر .

خامساً : مجموعة السندوبي (١١٥) .

جعل السندوبي هذه المجموعة من الآثار مُلحقاً لكتابه أدب الجاحظ، وأخرجها في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م، وهي تحوي النص الكامل أو المبتور لثمانية عشر أثراً هي :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العثمانية، وفضل هاشم على عبد شمس، وحجج النبوة، والحجاب، والتربيع والتدوير، واستحقاق الإمامة، وصناعات القُوّاد، والنساء، والشارب والمشروب، ومدح النبيذ، ورسالة في بني أمية، والعباسية، والمودة و الخلطة، وذم الزمان، ورسالة إلى ابن الزيّات في الاستعطاف، ورسالة إلى ابن أبي دؤاد في الاستعطاف، ورسالة إلى ابن المدبر في الشوق، ورسالة في العتاب .

ومع قول السندوبي إن هذه الآثار لم تُنشر من قبل (١١٥:(م))، إلاّ أنّ الناظر لا يَعْسُر عليه القطع بأنّ جميع ما تضمنته المجموعة كان قد نشر قبل ذلك ، إمّا ضمن المجموعات التي مر تناولها، وإما في بطون الكتب التي عنيت بحفظ شيء من آثار أبي عثمان، وأهمها : معجم الأدباء، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وسرح العيون لابن نباتة، وطراز المجالس للخفاجيّ. وقد احتفظت هذه الكتب بالآثار التي نشرها السندوبي في مجموعته،وخلت منها المجموعات الآنفة، ككتاب الحجاب (٨٥: ٧٣-٩٧)، والرسالة الموجهة إلى ابن المدبّر (٣: ٩١ -٩٤)، والرسالة الموجهة إلى ابن أبي دؤاد (٢١: ٢٥٥-٢٥٦). وكانت هذه الكتب قد طُبعت جميعها قبل صدور هذه المجموعة بمدة ليست وجيزة، وما من شك في أنّ السندوبي اطلع على هذه الكتب وراح يُودع مجموعته ما اشتملت عليه من آثار الجاحظ، وقد يكون الدليل على ذلك مطابقة النصوص الواردة في هذه الكتب لما أثبته السندوبي في مجموعته، إضافة إلى أنّ أكثر النصوص الأصيلة لهذه الآثار تُعدُّ مفقودةً ، ولم يبقَ ما يدل عليها سوى ما احتضنته هذه الكتب.

ومع أن السندوبي يذكر أنّ مواد مجموعته لم تنشر قبلاً ، إلاّ أنّه يشير بعد ذلك إلى اعتماده على أصولها المطبوعة (١١٥: (م))، ومع أنّه يُشير أيضاً إلى اعتماده على أُصولٍ خطية (١١٥:(م))، إلاّ أنّه لم يسمِ منها شيئاً ، شأنه في ذلك شأن كثير من ناشري التراث في تلك الفترة. والمجموعة بعد ذلك لا تأخذ نفسها بأصول التحقيق العلمي، وهي تخلو فوق ذلك من التعليقات الاّ في القليل النادر، وعلى الرغم مما بذله السندوبي في تصحيحها وتنقيحها وإقصاء كثير من عيوب التصحيف والتحريف عنها، إلاّ أنّها لم تأت بما عساه يكون جديداً من تراث الجاحظ الذي لم يُنشر من قبل. وقد نالت هذه المجموعة شُهرةً عند الدارسين لم تنلها سابقاتها، وربما كان من سبب ذلك كونها تحمل اسم السندوبي، وهو رجل له مكانته بين دُراس الجاحظ من المعاصرين ، بصفته من أوائل المختصين بأدب الجاحظ الناشرين لآثاره.

سادساً : مجموعة كرواس والحاجريّ (٥٤).

توفر على تحقيق هذه المجموعة المستشرق الألماني باول كراوس بالاشتراك مع طه الحاجري، ونشراها في القاهرة سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣م، وتعّد هذه المجموعة بالفعل أولى المجاميع التي أخذت على نفسها الاقتداء بالمنهج العلمي في تحقيق النصوص ونشرها، وهي فوق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أول نشرة اتخذت النسخ الخطية : دامـاد ٩٤٩، المتحف البريطـاني ١١٢٩، برلين ٥٠٣٢، أصـولاً لهـا. وأهم مـن ذلـك أنّ الرسـائل التـي ضمتهـا المجموعـة لـم تكـن معروفـة لـدى أكـثر المعصرين قبـل ذلـك، والرسـائل هـي : المعـاد و المعـاش، وكتمـان السّر وحفـظ اللسـان، والجـد والهزل، وفصل ما بين العداوة والحسد. وتمتاز المجموعة بعـد ذلـك بنصوصـها المُصححـة التـي تبتعد كثيراً عن مزالق التحريف والسقط والتشويه .

وأيا كان الأمر ، فإن تعليقات المحققيْن على النص اقتصرت على إثبات فـروق النسـخ، وأما ما يزخر به النص من الإشارات الأدبية والتاريخية والجغرافيـة ونحوهـا، فقد تُـرك غُفـلاً، وبما أن تخريج هذه الإشارات هو من المهمات التي يضطلع بها محقق النص، فقد كـان يجـدر ألا تبقى على الصورة التي يطالعها الناظر في هذه النشرة .

سابعاً : مجموعة الزعبي (١١٦، ١١٧).

نشر محمد علي الزعبي هذه المجموعة في بيروت (١١٧) ، ثـم أُعيد نشـرها فـي بغداد سـنة ١٤٠٩ هــ = ١٩٨٩م (١١٧). والنشـرة فـي حقيقتهـا ليسـت إلا إعـادة لنشـرة كـراوس والحاجريّ الآنفة ، وليس ثمة جهد يُذكر فيها سوى بعض التعليقات التـي أفـردت فـي نهايتهـا (١١٧: ١٧٣-١٨٧)، بالإضافة إلى مقدمة فضفاضة غلب عليها الأسـلوب الخطـابي (١١٧: ٥-١٢). ولما كان الزعبي عمد إلى نشرة كرواس والحـاجريّ فجردهـا مـن فروقـات النسـخ وأعـاد طباعتها من جديد، فإنه يمكن القول إن نشرته تفتقر إلى الجدّة في المضمون والأصالة في العمل، ولقد كان الظن أن تضم المجموعة بين دفتيها آثاراً جديدة لم تسلك سبيل النشر من قبل .

ثامناً : مجموعة جبر (٩٦، ١١٨).

طُبعت هذه المجموعة في بيروت سنة ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م (٩٦). ثـم صـدرت طبعتهـا الثانية سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨ (١١٨). والمجموعة ليست إلاّ اختيارات من عدد من آثـار الجـاحظ انتقاها جميل جبر، وهي تُقسم إلى قسمين: الأول يضم منتخبات مُطوّلة من كتاب البيان والتبيين، تمتد إلى ما يقارب ثلثي المجموعة (٩٦: ٩-١٢٢). والثاني يتضمن مُختارات من بعـض رسـائل الجاحظ، كان جبر قد نشر أكثرها فـي كتابـه "الجـاحظ فـي حياتـه وأدبـه وفكـره" (١١٩: ٢٥٧-٣٠٦).

وعلى نحو عام ، فإن المجموعة لا تنهج نهجاً علمياً صحيحاً ، فهي بـدءاً لا تشـير إلـى شيء من الأسس التي تم بناءً عليها اختيار النصوص، وهي لا تُعيّن الأصل المنقول عنـه، وفـوق ذلك، تفتقر المجموعة إلى كثير من التعليقات التي يحتاج النص إليها. وما من ريب فـي أن قيمـة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختارات التي حفلت المجموعة بها، تبقى جدّ ضئيلة في وقت تيسر فيه نشر نصوصها الأصيلة الكاملة .

تاسعاً : مجموعة هارون الأولى (٢، ١٠).

تشتمل هذه المجموعة على جميع الآثار التي سبق ذكرها عند تناول مخطوطة دامـاد ٩٤٩، حققها ونشرها عبد السلام هارون في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م، ثم أعيد تصويرها في بيروت سنة ١٤١١ هـ=١٩٩١ م (١٢٠)، وقد خلت هذه المصورة من الإشارة إلى أصلها المصري.

وتنفرد المجموعة بعدد من الميزات التي تجعلها أكثر المجموعات المنشورة قيمة وأوفاها علميّة، ولعل أهم هذه الميزات :

١ – تضم المجموعة سبعة عشر أثراً وافية النصوص، وهذه أوّل مجموعة يصل فيها مجموع الآثار الكاملة إلى هذا العدد، وربما تجاوز عدد الآثار المنشورة في مجموعة الفصول المختارة (٧٦، ٧٧) هذا العدد ، بيد أنّ جميع هذه الآثار جاءت ناقصة يعتورها البتر والاختصار، ولا يخفى على أحد أن قيمة النص الكامل لا يمكن أنّ تدانيها قيمة النص المشوه المبتور .

٢ – قابل المحقق نشرته على مجموعة من الأصول الخطية المهمة، بالإضافة إلى مقابلته على النشرات السابقة، ولا شك أن هذا الجهد ، الذي يعرف عناءه المحققون، كان على درجة من الأهمية في ضبط النص وإخراجه بصورة علميّة ، تقترب من الأصل الذي أراده المؤلف ، إلى حدّ ما .

٣ – تضمنت المجموعة تعليقات وتقييدات ضافية تساعد على تجليّة ما لا بدّ منه لفهم النص وتذوقه، كالغريب من الألفاظ، والمغمور من أسماء المواقع والأعلام، والمعمّى من الإشارات التاريخيّة والأدبيّة ونحوها. وقد زود المحقق ، إلى جانب ذلك، مجموعته بفهارس فنية ذات فوائد متعددة.

وربما كان من حسن حظ هذه المجموعة أن يتولى بعثها وإخراجها محقق مشهود له بالخبرة الطويلة في هذا الميدان، فضلاً عما اجتمع لديه من الوسائل التي تمكنه من الاضطلاع بمثل هذا العمل الذي تعوقه عقبات يعرف حقيقتها من يتصدى للكتابة عن الجاحظ، على أنّ ما تميزت به المجموعة لم يمنع وجود بعض الملاحظ عليها ، لعل أهمها :

١ – فات المحقق أنّ يقابل على أصلين خطيين يعدان أكثر جدوى في المقابلة من النشرات المطبوعة التي عُنيّ بالمقابلة عليها، أما الأصل الأوّل فهو مخطوطة الجليلي التي سبق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحديث عنها، ومع أنّ عبد السلام هارون كان على معرفة بهذا الأصل . إلاّ أنّه أخذ ما ذكره كراوس والحاجريّ عن فقدانه (٢: (م) ٥-٦). قولاً مُسلَّماً ولم يسعَ إلى التأكد من صوابه. وأما الأصل الآخر ، فهو المحفوظ في طوب قبو سراي تحت رقم ١٣٥٨، وهو - كما مر من قبل - أقدم الأصول الباقية لمجموعة الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان.

٢ - يتضح من كلام المحقق في تقديمه لرسالة نفي التشبيه (٢: ٢٨١)، ورسالة إلى عبد الله بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا (٢: ٣١١) ، ورسالة إلى أبي الفرج الكاتب (٢: ٣٢٣)، أنه لم يجد أصلاً مطبوعاً أو خطوطاً يعارض عليه ، مع أنّ هذه الاثار نشرت جميعها قبل ذلك، فالأولى نشرها شارل بلاّ (١٠٨)، والثانية والثالثة نشرهما الجلبي (٨١، ٨٠). كذلك، فإنّ لهاتين الرسالتين أصولاً خطية أخرى ، كما اتضح عند تناول مخطوطة الحجيات، ومخطوطة الجليلي.

عاشراً : مجموعة " أبو النصر" (٩٧) .

نشر عمر أبو النصر هذه المجموعة في بيروت سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م ، وهي تضم سبعة عشر أثراً بعضها مبتور، وبعضها يحتفظ بنصه الكامل، جميعها نشر من قبل، والآثار هي: فصول في هجاء محمد بن الجهم البرمكي، وذم أخلاق الكُتاب، والقيان، وصناعات القواد، والنساء، والشارب والمشروب، والنابتة، واستحقاق الإمامة، والمودة والخلطة، وذمّ الزمان، ورسالة إلى ابن الزيّات في الاستعطاف، ورسالة إلى ابن أبي دؤاد في الاستعطاف أيضاً، ورسالة إلى إبراهيم بن المدبر في الشوق، ورسالة في العتاب، والحجاب، وفضل هاشم على عبد شمس، وحُجج النبوة .

والنشرة أقرب إلى النشرات الشعبية التي لا تعبأ بالأُسس العلمية في النشر، وهي تأخذ موادها عن بعض المجموعات الآنفة من غير الإشارة التي تقتضيها الأمانة العلمية، ويظهر أن مجموعتي السندوبي وفنكل، كانتا مرجع ما تضمنته هذه المجمَوعة، فهي من جهة أعادت نشر الرسائل الإخوانية التي نشرها السندوبي في آخر مجموعته، وهي من جهة أخرى تحتفظ بعبارة مفادها أن رسالة القيان وجدت في المجموعة رقم ١٠٠ المحفوظة في خزانة نور الدين مصطفى (٩٧: ٦٥)، ولا شك أنّ ورود العبارة بنصها في مجموعة فنكل (٧٥: ٥١)، وكونه الوحيد الذي اطلع عليها من بين أصحاب المجموعات ، أمران كافيان للقطع بأن مجموعة فنكل كانت من بين المجموعات التي أخذ عنها أبو النصر.

حادي عشر : مجموعة دار النهضة (٩٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صدرت هذه المجموعة عن دار النهضة في بيروت سنة ١٣٩٢ هـ=١٩٧٢م، وهي بعد التحقيق لا تعدو أن تكون محض نشرة معادة للمجموعة التي أخرجها محمد ساسي المغربي في القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ=١٩٠٦م ، بيد أنّ النشرة خلت من الإشارة إلى هذا الأمر .

ثاني عشر : مجموعة الضامن والجبوري والقيسي (٦٨) .

نُشرت هذه المجموعة ضمن العدد الخاص الذي أصدرته مجلة المورد سنة ١٣٩٩هـ= ١٩٧٨م، وهي تضم خمسة عشر أثراً مبتوراً من مجموعة الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان، وقد نهض بتحقيق هذه الاثار ثلاثة من الأساتذة العراقيين المعروفين: الأول حاتم الضامن وقد حقق الآثار التالية: الحاسد والمحسود، المعلمون، وطبقات المغنيّن، والنبل والتنبل وذم الكبر، وتفضيل النطق على الصمت، ومدح التجار وذم عمل السلطان، ومدح النبيذ، والمودة والخلطة، واستنجاز الوعد، والشارب والمشروب. الثاني: يحيى الجبوري وقد حقق هذه الآثار : الوكلاء، وتفضيل صناعة الكلام، والجوابات في الإمامة. الثالث نوري القيسي وقد اقتصر على تحقيق رسالة النساء .

والناظر فيما اشتملت عليه المجموعة يجد أن أكثرها نشر قبل ذلك، ولاسيما في مجموعة الفصول المختارة ومجموعة الساسي. لكن ما ميز هذه النشرة عن سابقتيها قيامها على منهج علمي أمكنها من التخلص من كثير من التصحيفات والتحريفات والأسقاط والتشوهات التي اعتورت المجموعتين المذكورتين . وقد تميزت النشرة أيضاً باعتمادها أقدم الأصول الباقية من مختارات عبيد الله بن حسان وهو المحفوظ في طوب قبوسراي تحت رقم ١٣٥٨ (٦٨)، وهي بهذا أول مجموعة تُنشر عن هذا الأصل. لكن يُلاحظ أن المحققين اقتصروا على هذا الأصل دون غيره، ولقد كان بالمستطاع المقابلة على أصول أخرى مثل : المتحف البريطاني ١١٢٩، ودار الكتب ١٩ أدب تيمور، والأزهرية ٢٣١ اباظة ٦٨٣٦ ، ولاسيما أن المعرفة ببعض هذه الأصول كانت حاصلة عند أحد محققي المجموعة (٦٨).

ثالث عشر : مجموعة هارون الثانية (٣٥، ٣٤).

نُشرت هذه المجموعة التي تضم الجزءين الثالث والرابع من رسائل الجاحظ في القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م، وفيها استكمل عبد السلام هارون مجموعته الأولى المنشورة سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م. وقد ظهرت عن هذه المجموعة مصورة في بيروت سنة ١٤١١هـ= ١٩٩١م (١٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه المجموعة أول نشرة علمية كاملة للفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من آثار الجاحظ، فالملاحظ أن النشرتين السابقتين لهذه الفصول وهما: النشرة المصرية المطبوعة على هامش المبرد سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م، والنشرة العراقية المنشورة في مجلة المورد، لم تختصا بتقديم جميع النصوص التي انتقاها ابن حسان، فالأولى اقتصرت على تسعة عشر اثراً، والثانية على خمسة عشر أثراً . أما هذه النشرة فقد وضعت نصب عينيها إخراج المجموعة وافية بكل محتوياتها التي سبق ذكرها عند تناول مخطوطة طوب قبوسراي ١٣٥٨. وبالإضافة إلى ما سبق، فقد تميزت النشرة بحسن الإخراج وجودة الضبط، فضلاً عن تعليقاتها المفيدة وفهارسها الفنية الميسرة.

أمّا أبرز ما يؤخذ على المجموعة فهو عدم التفاتها إلى أقدم الأصول الخطية للفصول المختارة ، وهو المحفوظ في طوب قبوسراي تحت رقم ١٣٥٨. كذلك أغفل المحقق الإشارة إلى النشرة العراقية على قرب الفسحة منها ، يُضاف إلى ذلك عدم رجوعه إلى بعض الآثار المنشورة قبلاً في المقابلة عليها ، كما هو حال: المسائل والجوابات في الإمامة، والأوطان والبلدان، والبلاغة والإيجاز، وتفضيل البطن على الظهر. وجميع هذه الاثار كان قد نُشر قبل ذلك. وأخيراً فإن المحقق لم يتنبه إلى ما يتعلق بالرسالة الثانية والعشرين : استحقاق الإمامة. والرسالة التاسعة والعشرين : مقالة الزيدية والرافضة، فقد قام بنشرهما كل واحدة على حدة، وهما عند التحقيق رسالة واحدة، أو قل نسختان للرسالة نفسها.

رابع عشر : مجموعة الضامن (١٢٢).

يحتوي هذا المجموع الذي حققه حاتم الضامن ونشره في بغداد سنة ١٣٩٩ هـ= ١٩٧٩م ، على مختارات لعبيد الله بن حسان من أثرين هما: الرد على المشبهة ، والمسائل والجوابات في المعرفة ، ومع أن عنونة هذا المجموع بـ "ما لم ينشر من تراث الجاحظ" ، تدل على أنّ هذين الأثرين لم يسبق نشرهما قبلاً، إلا أنّ الأمر ليس على إطلاقه، لأنّ الأثر الثاني كان قد نشره بلاّ في سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (١٢٣) ويبدو أنّ الضامن لم يقف على هذه النشرة. وأمّا الأول، فقد تزامن إخراجه مع نشرته ضمن مجموعة هارون الثانية التي تقدم الحديث عنها.

والنشرة على نحو عَام علمية جيدة، ونصها يبتعد كثيراً عما قد يشوشه، وقد يؤخذ عليها اكتفاؤها بالأصل الخطي طوب قبو ١٣٥٨، وعدم استنادها إلى الأصول الأخرى مثل : المتحف البريطاني ١١٢٩، ودار الكتب ١٩ أدب تيمور .

خامس عشر : مجموعة جريس (١٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نُشر هذا المجموع ، الذي تفرغ لدراسته وتحقيقه إبراهيم جريس، في عكا سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠، وهو كسابقة - يضم مختارات لعبيد الله بن حسان، من أثرين هما : المعلمون، والرد على الشبهة. وكلاهما نُشر من قبل على يد حاتم الضامن (٦٨، ١٢٢ : ٩-٢٢)، و عبد السلام هارون (٣٥ : ٢٥-٥١، ٣٤: ٣-١٦)، غير أنّ جريس لم يأخذ هذه النشرات بعين الاعتبار، وربما لم تتهيأ له أسباب الوقوف عليها. ومهما يكن، فإن العناية الواضحة التي أسداها المُحقق، يجعل نشرته لهذين الأثرين تفوق كل نشراتهما السابقة إلى حدّ ما، فإذا كان تحقيق الضامن اعتمد مخطوطة طوب قبوسراي رقم ١٣٥٨، وتحقيق عبد السلام هارون مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١١٢٩، فإن هذه النشرة جمعت بين هذين الأصلين لأول مرة. وتمتاز المجموعة بكثرة تعليقاتها وتقيداتها المفيدة، مع دراسة تحليلية ضافية لكل من الأثرين الذين اشتمل عليهما المجموع.

سادس عشر : مجموعة غزوان والخياط وعلوان (١٢٥).

صدرت هذه المجموعة في بغداد سنة ١٤٠١هـ=١٩٨٠م. وهي تُعنى بوضع مختارات من أدب الجاحظ بين يديّ عامة القُراء، وتقسم هذه المختارات إلى ثلاثة أقسام : الأول يتضمن اختيارات من كتابي الحيوان والبخلاء اختارها عناد غزوان، وتستغرق هذه الاختيارات نحو ثُلثي المجموعة تقريباً (١٢٥ : ٩-٢١٠)، ويستقي غزوان مادة هذا الاختيار من نشرة عبد السلام هارون للحيوان (١٢٥: ١١)، ونشرة الحاجريّ للبخلاء (١٢٥: ١٣٥). وأما القسم الثاني، فهو يضم منتقيات من كتاب البيان والتبيين انتقاها جلال الخياط، ولا تتجاوز هذه الاختيارات عُشر ما اشتمل عليه القسم الأول (١٢٥: ٢١١-٢٣٤)، وقد استمد الخياط مُختاره من نشرة عبد السلام هارون للبيان والتبيين (١٢٥: ٢١٣). وأما القسم الأخير فقد اختيرت نصوص من مجموعة الرسائل التي نشرها عبد السلام هارون سنة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (١٢٥: ٢٨) ، وقد تولى الاختيار من هذه المجموعة علي علوان .

ويبدو من النظر الداخلي إلى المجموعة أنها غير متسقة في توزيع مختاراتها إلى حدّ بعيد، ففي القسم الأول، تجد الجزء الأول من كتاب الحيوان يستأثر بما يُعادل المختارات المنتقاة من باقي الأجزاء، وفي القسم الثاني لايجري توزيع المختارات على سائر أجزاء كتاب البيان بالتساوي ، وفي القسم الثالث تحظى رسالة الحنين إلى الأوطان بما لا تحظى به الرسائل الأخرى.

والمجموعة لا تسير عقب ذلك على خطى واضحة تُفصح عن الأسس التي اختيرت بناء عليها هذه النصوص، كذلك فإنّ التعليقات ذات الفوائد المتعددة التي تميزت بها النصوص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصيلة المحققة لهذه الاختيارات أُسقطت من غير سبب. وأخيراً ، فلا شك أنّ قيمة هذه المختارات تبدو مُتواضعة في حال بقاء نصوصها كاملة في متناول الأيدي .

سابع عشر : مجموعة الحاجريّ (١٢٦).

نُشر هذا الموضوع في بيروت سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، أي بعد أربعين عاماً من نشرته الأولى التي اشترك فيها باول كراوس وطه الحاجريّ. وأمّا هذه النشرة ، فقد أعاد الحاجري فيها الرسائل نفسها التي ضمتها النشرة الاولى، وأضاف إليها أربعة آثار جديدة هي : رسالة في موت أبي حرب الصفار البصري، وفصول في هجاء محمد بن الجهم البرمكي، و رسالة في علي بن أبي طالب وآله من بني هاشم، ورسالة في الترجيح والتفضيل . وجميع هذه الآثار نُشر من قبل، أما الرسالتان الأولى والثانية فقد نشرهما الحاجريّ نفسه بين سنتي ١٣٦٥-١٣٦٦هـ = ١٩٤٦-١٩٤٧م (٦٤، ٦٥)، وأما الرسالتان الثالثة والرابعة فقد نُشرتا في مجلة لغة العرب سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (١٢٧، ١٢٨).

وهكذا، يظهر أن جميع ما تضمنته المجموعة، كان قد أخذ سبيله إلى النشر قبل ظهورها، فهي والحال هذه محض نشرة مُعادة لبعض الآثار المنشورة قبلاً .

ثامن عشر : مجموعة " أبو ملحم " الأولى (٩٩).

قدّم لهذه المجموعة وعلق عليها علي أبو ملحم ، ونُشرت في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م، وهي تتضمن النص الكامل أو المبتور لأحد عشر أثراً، تنتظم جميعها في سلك الآثار ذات المنحى الكلامي، وهي : صناعة الكلام ، والقيان، والنساء، والمسائل والجوابات في الإمامة، وحجج النبوة، وخلق القرآن، واستحقاق الإمامة، ونفي التشبيه، والرد على المشبهة، والنابتة، والرد على النصارى .

وبالرجوع إلى أُسس المنهج الذي اختطه أبو ملحم وسار عليه في هذه المجموعة – ومجموعتيه اللاحقتين أيضاً – يتضح أنّ اهتمامه كان مُنصباً على إخراج آثار الجاحظ إخراجاً يجعلها أكثر سهولة في التناول ووضوحاً في المعنى، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية، قام أبو ملحم بثلاث خطوات رأى أنّ آثار الجاحظ كانت بحاجة إليها، أما الخطوة الأولى، فهي وضع مقدمة لكل أثر من هذه الآثار ، تتناوله بالدرس والتحليل وتُعرف بقيمته ومضمونه. وأمّا الثانية، فهي إعادة النظرة الداخلية لكل أثر، من خلال تنظيم جديد لفقرات النصوص وتزويدها بعنوانات فرعية تُمهد لدراسة النص، وأخيراً، فقد أوضح أبو ملحم ما تضمنه كل أثر من الإشارات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعبيرات والأفكار المطبوعة بطوابع الفلسفة والكلام. وهذه الخطوات بلاّ شك لها دورها في العبور الى آثار الجاحظ دراسةً وتحليلاً ونقداً .

وكما يبدو من مقدمة أبو ملحم (٩٩ : ٦-٧) فقد اعتمد في إخراج هذه المجموعة . على ثلاثة مجاميع تقدّم الحديث عنها وهي : مجموعة السندوبي، ومجموعتا عبدالسلام هارون. وأما المجموعات الأخرى فلم تكن محلاً للعناية ولو بشكل، وجدير بالباحث أن يلاحظ أنّ إخراج نصوص المجموعة لم يكن بالمستوى الذي يطالعنا في المجموعات التي استقى منها أبو ملحم، ولا سيما مجموعتا عبد السلام هارون. وعلى صعيد آخر فقد ترك أبو ملحم مجموعته من غير ضبط إلا في القليل النادر، كذلك فإنّ بعض المقدمات التي وضعها لم تكن بمستوى أهمية الأثر وقيمته ، كما هو الحال في مقدمة رسالة القيان (٩٩: ١١-١٢). وأما الانصراف عن شرح لغويات النص كلياً إلى شرح كلامياته، فهو إهمال لجانب مهم لا يمكن أن يستغني عنه النص التراثي. وأخيراً، فلا بد من ملاحظة أن فهرس " الأعلام والفرق والأماكن " الذي زود به أبو ملحم مجموعته (٩٩ : ٢٩١-٢٩٨)، لا تنطبق أرقامه وإحالاته على نص المجموعة ، وهو أمر يدعو إلى النظر ! .

تاسع عشر : مجموعة مهنّا (١٠٢، ١٠٣).

طُبعت هذه المجموعة التي قدّم لها وعلق عليها عبد الأمير مهنا في بيروت سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، وهي تقع في جزءين يشتملان على سبعة عشر أثراً ، هي نفسها المنشورة في مجموعة هارون الأولى ، وهذا يعني أنّ هذه المجموعة ليست إلاّ نشرة معادة لما كان نشره عبد السلام هارون في مجموعته المذكورة، وهو ما أشار إليه مهنا في سياق التقديم لمجموعته (١٠٢: ٦)، لكنّ العناية في هذه النشرة صرفت بالدرجة الأولى إلى شرح لغويات النص وفك غوامضه، ورد الأقوال والأشعار إلى أصحابها، وتخريج أسماء المواقع والبلدان، والترجمة لكثير من الأعلام، إلى غير ذلك مما جاء غُفلاً في مجموعة هارون. وبالإضافة إلى ذلك، فقد زُوّد النّص بعنوانات فرعية جزئية هدفها تبيين موضوعاته الرئيسة بحيث يمكن للدارس أنّ يَعبر إلى النص دون التعني في تبيّن خطوطه التي تحتاج إلى وقت وجُهد .

ومع ما تقدمه المجموعة من إفادات وتعليقات جديدة ، إلا أنه يلاحظ أن بعض تعليقاتها (١٠٢: ١١-١٢، ٢٢٣) سُلخت من كتاب الحاجري "الجاحظ حياته وآثاره" (٥٣ : ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٥) دون الإشارة إلى ذلك، وكذا الأمر في بعض أجزاء المقدمة (١٠٢: ١٠)، إذ نُقلت عن كتاب الأعلام للزركلي (١١ : ٧٤) من غير ذكرٍ لذلك . يضاف إليه خلو المجموعة من الفهارس الفنية المفيدة ، التي تميز بها الأصل الذي صدر مهنا عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عشرين : مجموعة "أبو ملحم" الثانية (١٠٠).

صدرت طبعتها الثانية التي خلت من الإشارة إلى الطبعة الأولى في بيروت سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م، ويبلغ عدد الآثار التي اشتملت عليها المجموعة واحداً وعشرين أثراً أطلق عليها أبو ملحم اسم : الرسائل الأدبية، وهي : كتمان السر وحفظ اللسان ، والحاسد والمحسود، والنبل والتنبل وذم الكبر، ومفاخرة الجواري والغلمان، وتفضيل البطن على الظهر، والمعلمون، وطبقات المغنيّن، والوكلاء، ومدح التجار وذم عمل السلطان، ورسالة إلى أبي عبد الله بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا، ومدح النبيذ، والشارب والمشروب، والبلاغة والإيجاز، وتفضيل النطق على الصمت، وصناعة القوّاد، والجد والهزل، وفصل ما بين العداوة والحسد، واستنجاز الوعد، ورسالة إلى أبي الفرج الكاتب، والمودة والخلطة، والتربيع والتدوير .

ويجدر بنا أن نلاحظ أن الناشر يسير على خُطى المنهج المتبعة في مجموعته الأولى، وكذا الأمر المتعلق بالمجموعات التي استقى منها. أما فيما يتصل برسالة التربيع والتدوير، فقد كان الأجدر إعادة نشرها باعتماد نشرة بلاّ، بوصفها أصح النشرات وأقربها إلى المنهج العلمي. وبما أن المجموعة وسمت بالرسائل الأدبية، فقد كان الأولى أنّ يضاف إليها الرسائل الإخوانية التي جمعها السندوبي في آخر مجموعته، بوصفها لوناً أدبياً واقعاً في هذا الإطار، بيد أن "أبو ملحم" أسقط هذه الرسائل من مجموعاته الثلاث من غير مسوّغ. وأخيراً فإنّ فهارس هذه المجموعة – كما في سابقتها – لا توافق النص، والظاهر أن خللاً ما سبب هذا التشويش الذي لم يسلم منه فهرس الموضوعات أيضاً .

حادي وعشرين : مجموعة "أبو ملحم" الثالثة (١٠١).

نُشرت هذه المجموعة في بيروت أيضاً ، لكنها خلت من الإشارة إلى تاريخ نشرها. والظاهر أنها ظهرت بعد المجموعة الأولى المنشورة سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م، كما يدل على ذلك ما جاء في مقدمتها (١٠١: ٥ ، ٧). وتحتفظ المجموعة بعشرة من آثار الجاحظ ذات الطابع السياسي، وهي : المعاد و المعاش، والأوطان والبلدان، والعثمانية، والحكمين، وفضل هاشم على عبد شمس، والعباسية، ومناقب الترك، وفخر السودان على البيضان، والحجاب، وذم أخلاق الكتاب.

ويظهر بوضوح أن " أبو ملحم " اهتم في هذه المجموعة بإعادة نشر بعض الآثار التي لم تحوها أي من المجموعات السابقة ، كما هو الحال في نشره النص الكامل للعثمانية عن نشرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد السلام هارون ، وكذا الأمر المتعلق برسالة الحكمين . وأما فيما يخص خطة المجموعة ، فقد سارت على الشاكلة نفسها التي احتذتها مجموعتا " أبو ملحم " السابقتان .

تَـرْجَـمَاتُهـا.

لم تقف الشهرة التي حققتها آثار أبي عثمان شرقاً وغرباً عند حدود الأوساط العربية، بل لُوحظ انتقال هذه الشهرة خارج هذه الأوساط، ولاسيما إلى الأوساط الغربية، ولا شك أن وجود جماعة من الغربيين تُعنى بدراسة حضارة العرب ولغتهم وآدابهم. كان ذا أثر بيّن في نشر كتب الجاحظ في تلك البيئات التي كانت تشهد تطوراً معرفياً في أكثر الميادين. والواضح أن الشهرة التي لقيها تراث الجاحظ، كانت تشكل في حدّ ذاتها مصدر إغراء دعا أبناء تلك البيئات إلى نقل ما يمكن نقله من روائع هذا التراث إلى لغاتهم القومية، وغني عن القول إنّ نقل هذا التراث عن العربية إلى غير لغة من اللغات العالمية، كان في الغالب يمثل رغبة أبناء هذه اللغات في التعرف إلى كثير من الجوانب المتعلقة بأحد أشهر المبدعين في تاريخ الحضارة العربية الإسلاميّة.

وقد ارتبطت حركة ترجمة تراث الجاحظ، إلى اللغات الأجنبية بعدد من المستشرقين ففي الثلاثينات ، كان المستشرق الألماني ريشر على رأس المهتمين بنقل مختارات من هذا التراث إلى لغته الألمانية ، وقد ترك في هذا المجال مجموعة تضم منتقيات من تسعة وعشرين أثراً ، وقد نُشرت هذه المجموعة سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣). ويلاحظ أن بعض مواد هذه المجموعة هو مما نُسب إلى الجاحظ على وجه الخطأ، كما هو الحال في القطعة المترجمة من كتاب تهذيب الأخلاق (٤٣). وبالإضافة إلى هذه المجموعة، نقل ريشر إلى الألمانية كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ، ونشر الجزء الثاني منه في سنة١٣٤٠هـ = ١٩٢٢م، والجزء الأول بعد ذلك في سنة ١٣٤٤= ١٩٢٦م (٤٣) .

وارتبطت هذه الحركة في الربع الثالث من هذا القرن بالمستشرق الفرنسي شارل بلاّ، وهو بحق أشهر من نهض بنقل عدد من آثار الجاحظ إلى الفرنسية ، وأماّ أشهر ترجماته، فهي المجموعة التي صدرت في سنة ١٢٨٧هـ= ١٩٦٧م (٤٣)، وهي تشتمل على منتخبات من نحو خمسين أثراً، وقد نقل الإنجليزي هواك هذه المجموعة إلى لغته الإنجليزية سنة ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م (١٢٩). وبالإضافة إلى هذه المجموعة، أعدّ بلاّ ترجمة كاملة لما يزيد على عشرة آثار أخرى منها : ذم أخلاق الكُتاب، وفخر السودان على البيضان، وكتمان السر وحفظ اللسان (٤٣).

وإلى جانب ذلك نقل المستشرق الإنجليزي ولياهم هانشينز في مطلع الثمانينات، عدداً من رسائل أبي عثمان إلى الإنجليزية، ومن هذه الرسائل : كتمان السر وحفظ اللسان، والحاسد والمحسود، والحنين إلى الأوطان، والقواد (١٣٠ :١٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والملاحظ أنّ اللغة الفرنسيّة استأثرت بنصيب واضح جداً من الآثار الجاحظية المنقولة إليها ، ويرجع هذا الأمر – بطبيعة الحال – إلى الجهود التي قدمها بلاّ في هذا النطاق ، تليها في ذلك اللغتان الألمانية والإنجليزية ، فبعض اللغات الأخرى كالروسيّة والإيطاليّة والتركيّة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْــلُ الثانـي

الآثَـــارُ الكَــامِلَة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عندما يُذكر الجاحظ سرعان ما يتبادر إلى الذهن غزارة الإنتاج العلميّ الذي خرج عنه، فأبو عثمان معدود منذ القدم في رأس أولئك النفر ممن شُهروا بكثرة التأليف، وضربوا بسهم وافر في الكتابة، وهذه الحقيقة يشهد بها خصومه فضلاً عن المتعصبين له، يقول المسعودي مؤكداً ضخامة ما انتجه الجاحظ : " ولا يُعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كُتباً منه" (١٣١:١٠٤). وهذه الشهادة التي يقرُّ بها من خالف الجاحظ في الفكر والرأي، لها قيمتها الخاصة، إذ يقع منها الدليل الواضح على ما سبق .

وكانت حصيلة كثرة مؤلفات الجاحظ، أنْ تعددت اتجاهاتها وتنوعت موضوعاتها على نحو بيّن للغاية، فآثاره من هذه الجهة أشبه بمتحف يجد فيه القارىء ألواناً من المعارف والآداب والعلوم، وحقاً لقد ألف الجاحظ في أكثر الفنون والأغراض، ولشدما تبدو تلك الحقيقة واضحة عند استعراض فهرست كتبه، أمّا عقله فقد انفسح لكل شيء تقريباً، وأمّا معرفته فلقد اتسعت لكل أبواب المعارف في عصره. لم يتخط أبو عثمان جانباً من جوانب حياة مجتمعه على كثرتها وتنوعها، حتى ترك فيه كتاباً مُطولاً، أو رسالة مقتضبة أو رأياً مفصلاً، أو قولاً عابراً، ولقد اتسعت مجالات التأليف عنده اتساعاً يُشاكل ثقافته الموسوعيّة الفيّاضة التي مثلت انصهار الثقافات المختلفة التي نهل منها على خير ما يكون .

والحق أنّ غزارة نتاج الجاحظ وتنوع جوانبه يجب أن توضع موضع تساؤل، فأي سبب أتاح لأبي عثمان أن ينتج هذا العدد الكبير من الكتب في تلك الاتجاهات المتباينة ؟! إنّ عدداً من الأسباب يمكن أن تُرشحَ في سبيل تقديم إجابة علمية معقولة لهذه الظاهرة اللافتة، لعل أبرزها ما يلي :

أولاً : إنّ ارتباط الجاحظ بمدرسة الاعتزال وما يسودها من علمية في الحوار والنقاش في شتى المعارف، هيأ له مادة تتسم بالوفرة والغزارة والتنوع، فكانت مداده في كثير مما كتب. أضف إلى ذلك أنّ عناية المعتزلة بالكتابة والتأليف كانت على أشُدِها في هذه المدّة، وربما كان سرّ ذلك يرجع إلى شعورهم بسلطان فكرهم يخضع له الناس، وتتبناه الدولة، وواضح أنّ الكتابة كانت إحدى وسائلهم التي تُمكنهم من التوسع في نشر مذهبهم وتعريف الناس بأصوله ومبادئه. وإنّ استقراءً عاماً لما وصل إلينا من كتابات أبي عثمان ذات الصبغة الاعتزالية، فضلاً من غيرها، كافٍ للقول أنّ فكرة الاعتزال كانت عاملاً رئيساً وفرّ له غنى في المّادة وموسوعية في المعرفة .

ثانياً : إنّ الصلة التي انعقدت أواصرها بين الجاحظ ومجتمع عصره، كانت –بلا ريب– ذات أثر واضح في كثرة مؤلفاته وتشعب اتجاهاتها ، فلقد أتيح له أنّ يعاين أحوال الطوائف الاجتماعية، وأن يعايش قضاياها عن كثب ، فكانت كثرة كتاباته حول هذا الموضوع، ترجمةً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقيقةً لتلك المعاينة. وفي هذا المضمار كانت منادمة الجاحظ الخلفاء والوزراء والقضاة والولاة والقادة ورؤساء الدواوين، باعثاً لكتابة عدد من الكتب والرسائل وتوجيهها إليهم على سبيل التقرب، على أن بعضهم كانوا يتوجهون بالطلب إلى الجاحظ ليكتب لهم في موضوعات معينة، كما هو شأن الفتح بن خاقان (٣: ١٠٠). والظاهر أنّ التشجيع المادي والمعنوي الذي ناله الجاحظ من هذه الطائفة، دفعه إلى المضي في تعزيز نتاجه العلمي .

ثالثاً : لقد شاء قدر الله عزّ وجلّ، أنّ يطولَ عمرُ الجاحظ وأن ينسأ له في الأجل، فكانت سنوات حياته تدنو من المائة ، ومما لا خلاف فيه أنّه أفاد من هذا العمر المديد ، فكان مراسه في الحياة وخبرته فيها مشاهدةً و مشاركةً ، رافداً خصباً أمده في أكثر كتبه ورسائله تقريباً ، ومع أن أمراض الشيخوخة أخذت تطأ فراشه، إلا أن نفسه ظلت مُعلقةً بالكتابة والتأليف ، ومما يؤكد ذلك حديثه عن الظرف الذي لابس تأليف كتاب الحيوان ، يقول : " وقد صادف هذا الكتاب مني حالاتٌ تمنع بلوغ الإرادة فيه، أوّل ذلك العلة الشديدة ..." (٦ : ٢٠٨) ، فكيف إذا عُلم أنّ كُتباً أخرى كالبيان والبرصان والبلدان كُتبت بعد هذا الكتاب ؟! .

رابعاً : يظهر أنّ اشتداد المنافسة بين جمهرة العلماء والمتأدبين في المحيط العلمي الذي نبغ فيه الجاحظ ، كان من العوامل التي أذكت في نفسه رُوح الكتابة والتصنيف، وجعلت مؤلفاته تأخذ حظها الأوفر من الغزارة، والموسوعية التي تتواءم مع ما كان العلماء والأدباء يأخذون به أنفسهم من شتى ألوان المعارف في ذلك العصر. والواضح أنّ الأمر لم يقف عن حدّ المنافسة بشروطها العلمية والموضوعية، بل تجاوزه الى حَسد صريح ونفاسه مُعلنة، ويبدو أنّ هذا الأمر أفاد الجاحظ أيضاً، فمضى يؤلف غير آبهٍ بما يُجاهر به حساده (٢ : ٣٦٧-٣٧٠) .

خامسا : إنّ ما هو معروف عن الجاحظ من حُب العلم والانقطاع في سبيله، بالإضافة إلى ما وُهب من قوة الحافظة وصفاء القريحة ودقة الحسّ، كل هذه المقُومات البناءة جعلته يُقبل على الكتابة والتصنيف تلبيةً لنداء الطباع المغروسة فيه، وهي الطباع التي لا يجد الإنسان عادة فِكاكاً منها .

وبعد تناول هذه الأسباب التي قدمتْ تفسيراً مقبولاً لما اتسمت به آثار الجاحظ من الكثرة في العدد والتنوع في المضمون، نأخذ فيما يلي بالوقوف عند ما وصل إلينا كامل النص من بين آثار هذه المجموعة، واحداً تلو الآخر، وفق حروف المعجم، متناولين أبرز القضايا التوثيقيّة المتعلقة بكل واحد من هذه الآثار :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - رِسالةٌ إلى إبراهيمَ بنِ المُدَبِّر .

يُعد كتاب نشوار المحاضرة أقدم المظان العربية احتضاناً لنصّ هذه الرسالة بين دفتيه (١٣٢: ٦٨-٦٩)، ويبدو من سياق كلام التنوخي أنه لم ينقل الرسالة من كتاب بعينه، بل اتكأ في إثباتها على سماعه من بعض شيوخه، ولذا تراه يسوق بهذا الخصوص سنداً يُنْهيه إلى عبد الله بن جعفر الوكيل الذي اطلع على الرسالة وقرأها، بصفته أحد ندماء إبراهيم بن المدبّر . ولا تحظى الرسالة بعد التنوخي باهتمام أصحاب المصنفات حتى مطلع القرن السابع، حين يوردها ياقوت الحمويّ في ترجمته للجاحظ نقلاً عن سلفه (٣: ٩١-٩٤). وتظل الرسالة بعد ياقوت خاملة الذكر حتّى وقت قريب إذ تعاقب على نشرها: خليل مردم (٢٨ :٩١-٩٢)، وحسن السندوبي (١١٥ : ٣١٣-٣١٥)، وعمر أبو النصر (٩٧ :١٧ -١٧٥). والملاحظ أن أيّاً من هؤلاء لا يُعيّن أصل ما نشر عنه، وإنّ كان يبدو لي أنّ الأول والثاني ينقلان عن ياقوت، وأنّ الأخير ينقل عن السندوبي على نحو ما يمكن ملاحظته في أكثر ما أخرجه من آثار الجاحظ .

ويبدو أن توجيه الجاحظ رسالته إلى ابن المدبر، كان وليد علاقة حميمة انعقدت بين الرجلين بعد مقتل ابن الزيات، والواقع أنه ليس ثمة ما يشير إلى شيء من الملابسات التي أتاحت لأبي عثمان أن يتصل بابن المدبر، وإن كان أكبر الظنّ أن مكانته المرموقة في الدولة إلى جانب موهبته الأدبية، شكلتا حافزاً قوياً دفع الجاحظ إلى توثيق الصلة به على نحو ما كان يصنع مع مشاهير ذلك العصر، ومع ما يمكن أن تصوره هذه الرسالة من توثّق عُرى المودة والصداقة بين ابن المدبر والجاحظ، إلاّ أنّ الناظر في كتابات الأخير الباقية لايلمس شيئاً من هذا القبيل ، بل إنّ رسالة ذم الكُتاب التي يدور زمن تأليفها بين سنتي ٢٢٩-٢٣٠هـ ، تتضمن تشنيعاً على ابن المدبر وترميه بالأوصاف الجارحة (١٠ : ١٩٨)، وبما أنّ الجاحظ كتب رسالته المذكورة في إطار حملة ابن الزيات على طائفة الكتاب، فالواضح أن الصلة بين الجاحظ وابن المدبر كانت منقطعة حتى سنة ٢٣٣ هـ، حين سُجن ابن الزيات وقُتل في تلك السنة ، والظاهر أنّ أبا عثمان أخذ يتقرب إلى ابن المدبر بعد هذا التاريخ، ولا سيما بعد أن قدمه المتوكل ووسد إليه عدداً من الولايات (١٣٣: ١٥٧). وهذا يعني أنّ الجاحظ كتب رسالته إلى ابن المدبر عقب التاريخ المذكور، وأكثر ما يكون زمن إنشائها محصوراً بين تلك السنة وسنة ٢٤٧هـ، وهي مدة خلافة المتوكل، وقد يكون الجاحظ وجهها إليه إبّان ولايته على البصرة (١٣٣: ١٨٠)، غير أنّ المصادر لا تسعف الدارس في معرفة زمن هذه الولاية ومدتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- رسالة إلى أحمدَ بنِ أبى دُؤاد .

ترجع أقدم أصول هذه الرسالة إلى القرن الثامن الهجريّ ، إذ تفرد جمال الدين بن نباتة بإثباتها في كتابه سرح العيون (٢١: ٢٥٥-٢٥٦) والحق أن هذا الأمر يدعو إلى النظر، فهل يُتصور أن تظل الرسالة مجهولة لدى الدارسين حتى وقت متأخر نسبياً ؟ إنّ ذلك ما تنفيه العادة ويخالفه المألوف، فالذي لا ريب فيه أنّ ابن نباتة ينقل عن أسلافه، فإذا ثبت ذلك، جاز القول إن القدامى عرفوا الرسالة وأسندوها إلى الجاحظ بصفته صاحبها، ومن المحتمل أنّ تكون شُهرت بعنوان غير الذي ذكره ابن نباتة، وقد تكون هي الرسالة التي يذكرها ابن النديم باسم العفو والصفح (٨ : ٢١١). لأن هذا العنوان ينطبق على مضمون الرسالة إلى حدّ مقبول .

والواقع أنّ استقرار الرسالة في كتاب ابن نباته كان له أوضحُ الأثر في حفظها من الضياع، وعلى هذا الكتاب كان مُعتمد نشراتها في العصر الحديث. وتعود أقدم هذه النشرات إلى ما يدنو من مائة عام تقريباً، إذ ضمنها أحمد مفتاح مختاراته التي كان يُعنى بانتقائها آنذاك (١٣٤: ٣٦٠)، والملاحظ أنّ هذه النشرة بقيت شبه مغمورة حتى هذا اليوم . وتوفر على نشر الرسالة بعد ذلك : السندوبي (١١٥: ٣١٣) ، وأحمد زكي صفوت (١٣٥: ٤٥-٤٦)، وعمر أبو النصر (٩٧: ١٧٣-١٧٤) .

ولم تكن هذه الرسالة أولى الرسائل التي أنفذها الجاحظ إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فقد وجه إليه عدداً من الرسائل قبل ذلك على نحو ما يمكن تبينه عند الحديث عن هذه الرسائل، والظاهر أنّ صلة الجاحظ به وبابنه أبي الوليد محمد بن أبي دؤاد كانت على أحسن ما يكون حتى وزر ابن الزيات للواثق في المدة من ٢٢٧-٢٣٢هـ، فقد شهدت هذه المدة قطيعة بين الجاحظ وآل دؤاد بسبب العداوة المستحكمة بين ابن الزيات وهؤلاء، ويبدو أنّ الصراع بين الوزير والقاضي كان يفرض انضمام الجاحظ إلى أحدهما، ولا شك أنّ أبا عثمان عاش صراعاً مع نفسه إزاء هذا الأمر، فها هو ذا القاضي ابن أبي دؤاد من شيوخ المعتزلة وصاحب محنة القول بخلق القرآن، هذا إلى جانب سلطته التي يستمدها من كونه كبير قضاة الدولة في ذلك الوقت. وها هو ذا ابن الزيات صاحب اليد الطولى في تصريف الشؤون العامة، فهو يتقلد الوزارة، وهو منصب له وزنه وخطره، فالوزير أشبه ما يكون بالحاكم الفعلي للدولة. ويبدو أن اتساع نفوذ الوزارة مقارنة بسلطة القضاء، أغرى الجاحظ فانقطع إلى ابن الزّيات، إلاّ أنه بقي يستشعر بأس ابن ابي دؤاد، فتجنب ثلبه عندما شن حملاته على أعداء ابن الزيات كآل نجاح، وآل وهب، وآل الصولي، وآل خاقان وآل المدبر (١٠: ١٩٧-١٩٨)، وكأن الجاحظ كان يحفظ بذلك الخط الرجعة ثانية، ويحسب نفسه واقفاً لا محالة بين يدي ابن أبي دؤاد في مجلس الحكم، وهو ما حدث فعلاً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يكد المتوكل يتولى زمام الأمر حتى قبض على ابن الزيات واودعه السجن سنة ٢٣٣هـ . ويبدو أن ابن أبي دؤاد جدّ في تعقب أصحاب ابن الزيات ومنهم الجاحظ الذي هرب خوفاً من العقوبة المنتظرة (١٣٦: ١٩٥-١٩٦). ولم يطل الأمر بالجاحظ كثيراً، اذ سرعان ما سيق إلى مجلس القضاء بين يدي ابن أبي دؤاد، ومع أنّ القاضي أمر بفكّ قيده والعفو عنه، إلاّ أن شعوراً حذراً بقي يخالج نفس القاضي في كل مرة، وإن استشفافاً لنفسية الجاحظ وهو يسطر هذه الرسالة، يشير إلى طبيعة الصلة التي ربطته بابن أبي دؤاد بعد أن أرخى الأخير سبيله، فالرسالة تتضمن إقراراً بالخطأ، واعتذاراً عما سلف، ودعوةً إلى فتح صحيفة بيضاء جديدة، ولقد مضى الجاحظ يؤكد عزمه الانقطاع إلى ابن أبي دؤاد والعمل تحت إمرته (١١٥: ٣١٣) .

وهذه الصورة من الملابسات التي لابست كتابة الرسالة إلى ابن أبي دؤاد، تُفضي إلى تحديد تاريخ دقيق لكتابتها، وبما أنّها كُتبت بعد مقتل ابن الزيات وملاحقة ابن أبي دؤاد أعوانه، فهذا يعني أنها كُتبت بعد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٣٣ هـ (١٣٧ : ١٦١). كذلك يمكن القول إنّ تاريخ كتابتها لم يتجاوز السنة المذكورة، لأن ابن أبي دؤاد الذي تولى تعقب أعوان ابن الزيات ومحاكمة بعضهم كالجاحظ، سرعان ما أصابه الفالج في اليوم السادس من شهر جمادى الأخرة سنة ٢٣٣ هـ (١٣٧: ١٦٣)، وتحول شيخ المعتزلة إلى فراشه غير عابىء بشؤون الحكم والقضاء. وهكذا يظهر أن الرسالة ترجع إلى المدة الواقعة بين نكبة ابن الزيات وإصابة ابن أبي دؤاد بالمرض أي في الثُلث الأخير من سنة ٢٣٣ هـ .

٣ – رسَائلُ في استنجَازِ الوَعْد .

وهي ثلاثة رسائل أثبتها ابن عبد ربّه الأندلسي فيما أثبت للجاحظ من الرسائل القِصار في عَددٍ من الموضوعات المتباينة (١٣٨ : ٢٤٤)، وقد درج ابن عبد ربّه على تسمية هذه الرسائل الموجزة فُصولاً ، ويبدو أنّ المقصود بكلمة "فصول" في مصطلح ابن عبد ربّه لا يختلف عن مفهوم الرسائل القصيرة أو التوقيعات المقتضبة كما يمكن الاستدلال على ذلك من تسميته أحد أبواب كتابة العقد باسم "كتاب التوقيعات والفصول والصدور" (١٣٨ :١٥٥). ويلاحظ الدارس أنّ كلّ فصل من هذه الفصول التي يذكرها ابن عبد ربّه يقوم بذاته على نحو لا يَبعُدُ عن سائر الآثار التي تستقل بذاتها .

وينبغي للباحث في هذا المضمار أنّ ينبه على أمرين : أولهما أن كثرة هذه الرسائل القصار دعت إلى تناولها – في هذا الفصل – في مجموعات وفق موضوعاتها على النحو الذي أورده صاحب العقد، فالرسائل التي في الاعتذار أُفردت على الشاكلة نفسها ، وهكذا ...، على أنّ ذلك لم يمنع من إفراد بعض هذه الرسائل بعنوانات مستقلة إذا ما وردت الإشارة – ولو على نحو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما – إلى شخص المرسل إليه، كما هو الحال في الرسالة الموجهة إلى أبي حاتم السجستاني (١٣٨ : ٢٤٣). وأمّا الأمر الآخر، فهو أنّ شدة اقتضاب هذه الرسائل لا تُتيح للباحث تناول الجانب التوثيقي المتعلق بمعرفة تاريخ إنشائها نظراً لعدم اتساع المجال في نصوص هذه الرسائل لورود إشارات أدبية أو تاريخية من شأنها إسعاف الدارس في تحقيق ذلك المطلب .

وفيما يتعلق بنشرات هذه المجموعة من الرسائل، أعاد أحمد زكي صفوت إخراجها في كتابه جمهرة رسائل العرب (١٣٥: ٥١-٥٢) معتمداً على ما أثبته ابن عبد ربّه .

٤ – رسائلُ في الاعْتِـــذَار.

عدّة هذه الرسائل تسع كتبها أبو عثمان في باب الاعتذار ، وحفظها صاحب العقد (١٣٨: ٢٤٤ -٢٤٥)، ونقلها عنه صاحب جمهرة رسائل العرب (١٣٥ : ٥٤-٥٥). والظاهر أنّ قصر هذه الرسائل وخلوها من أدنى إشارة تاريخية أو أدبية، لا يُعيّن في تحديد تاريخ كتابتها، مثلها في ذلك مثل سابقتها .

٥ – كتابُ البُخَلاء .

ليس بين أيدينا ما يدل على أن هذه التسمية "البخلاء"، هي التسمية التي اختارها الجاحظ عنواناً لكتابة، ويظهر على نحو واضح أنّ أبا عثمان لم يستقر على عنوان بعينه ، فهو يسميه تارة كتاب احتجاجات البخلاء ومناقصتهم للسُمحاء (١: ٤)، وأخرى نوادر البخلاء ومرة ثالثة احتجاج الأسْحاء (١٣٩ :١)، ونوادر أحاديث البخلاء (١٣٩: ٥)، غير أنّ هذه التسميات جميعها لم تنل حظها من الشهرة والذيع ، وفي مقابل ذلك ، شاعت تسمية الكتاب بالبخلاء على نطاق واسع جداً ، متجاوزة بذلك حدود الزمان والمكان في القديم والحديث ، فمن القدامى الذين عرفوا الكتاب بهذه التسمية : المسعوديّ (١٣١: ١٠٥)، وابن النديم (٨: ٢١٠)، والصفدي (١٢: ٥٧ظ)، والكتبي (١٣: ٥٥أب). واليوم، لا يكاد يُعرف هذا الكتاب في البيئات العلمية إلاّ بهذه التسمية التي لا تعدو أن تكون موضع إجماع عند الدارسين .

ويختلف الدارسون بعد ذلك في تعيين المدة التي كُتب فيها البخلاء ، فيرى مصطفى عبد الرزاق أن تاليف الجاحظ كتابه كان في سنة ٢٥٤هـ (١٤٠)، وهو فيما يبدو رأى بعيد جداً، لا ينهض عليه دليل يؤيده ويرده ما يأتي بعد قليل. وينزل المستشرق الفرنسي شارل بلاّ بهذا التاريخ إلى الفترة الواقعة بين سنتي ٢٤٥-٢٥٠هـ (٤٣)، بيد أن هذا الرأي كسابقه تنقصه القرائن العلمية التي تدعو الى قبوله، ويذهب الحاجري إلى جعل الكتاب من نتاج الفترة التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبقت سنة ٢٣٢ هـ، يقول في سياق تقدمته للكتاب: "وإنّما الأشبه عندنا، بعد تتبعنا للألوان الأسلوبية التي اتخذتها كتبه في المراحل المختلفة، أنّ يكون كتب هذا الكتاب في أواخر عهد ابن الزيّات، وأوائل إصابته بالفالج، في الوقت الذي كتب فيه رسالة الجد والهزل" (١٣٩:(م) ٣٨).

ومما يجعل تقديم ما يراه الحاجري على الرأيين الآنفين مُسوغاً، أمران تجدر الإشارة إليهما : أولهما أنّ الجاحظ أجرى ذكر كتاب البخلاء في صدر الحيوان في سياق عدّ كتبه التي تناولها بعضهم بالنقد والطعن ، يقول: "وعبتني بكتاب احتجاجات البخلاء ومناقضتهم للسمحاء" (١: ٤)، ومعنى ذلك أنّ كتاب البخلاء مُؤلف قبل سنة ٢٣٢هـ، وهي السنة المقاربة التي أهدى فيها الجاحظ كتابَ الحيوان إلى الوزير ابن الزيات. وثانيهما أنّ الجاحظ ألف كتاب البخلاء وهو مُصاب بالفالج، كما يظهر من الإشارة الواردة في هذا السياق (١٣٩: ١٢٣)، وسيرى القارىء من الرسالة الموجهة إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ، أنّ إصابة الجاحظ بالفالج كانت قبل سنة ٢٣٢ هـ .

والواقع أنّ نص البخلاء لا يخلو من إشارات عديدة كان من الممكن أن تكون ذات خطر في التوصل إلى تاريخ دقيق لتأليف الكتاب، لولا أنّ المصادر قصّرت في الإعانة على معرفة التواريخ الدقيقة لهذه الإشارات، كالإشارة إلى وفاة والد أحمد بن خلف اليزيديّ (١٣٩: ٤١)، والإشارة إلى ولاية داود بن أبي داود كَسْكَر (١٣٩: ٦٢) ، والإشارة إلى وفاة محمد بن أبي المؤمل (١٣٩ : ١٠١). والإشارة إلى بلوغ أبي عبد الرحمن الثوري تسعين سنة (١٣٩ : ١١٠) . ومهما يمكن أنّ يُقال عن هذه الإشارات، فإنّ تاريخ البخلاء – حسبما دلّ عليه الأمران السابقان – يرجع إلى مدة خلافة الواثق وربما أواخر خلافة المعتصم ، وحسب هذا الرأي ، فإنه يمكن عدّ المدة من سنة ٢٢٥ – ٢٣٢ هـ تاريخاً مقارباً لوضع كتاب البُخلاء .

وقد بدأت العناية بنشر كتاب البُخلاء في العصر الحاضر مع بداية هذا القرن عندما طُبع الكتاب للمرة الأولى بتحقيق المستشرق الهولندي فان فلوتن في ليدن سنة ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠م (١٠٥) ، وعلى الرغم مما داخل هذه النشرة من نقص وتشويه نبه عليه طه الحاجري أثناء مقابلة نشرته على هذه النشرة، إلاّ أنّ صدورها في ذلك الوقت كان له قيمة فعلية لا سبيل إلى إنكارها أو تجاهلها على حال من الأحوال. ولم تكد تمضي مدة وجيزة حتى أعاد محمد الساسي إخراج هذه النشرة من غير الإشارة إلى أصل ما نشر عنه، وذلك في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ= ١٩٠٥م (٨٦)، ومن يطالع هذه النشرة بوصفها أول نشرة عربية للكتاب، يتضح له بما لايدع مجالاً للشك أنها لم تتقيد بشيء من قواعد النشر والإخراج من تعليقٍ على النّص ومقابلةٍ للقراءات. والشيء نفسه يمكن أنّ يُقال عن النشرة التركية الصادرة في إستانبول سنة ١٣٢٥هـ – ١٩٠٧م (١٤١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبقي الكتاب على ما هو عليه حتى نهضت وزارة المعارف المصرية سنة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨ م، بإخراج نشرة جديدة يتسنى تدريسها للناشئة آنذاك، وقد تولّى تحرير هذه النشرة والتعليق عليها أحمد العوامري وعلى الجارم (١٤٢)، ومهما يكن من أمر هذه النشرة، فإنّ طابعها ظل تعليمياً في المقام الأول، إذ كانت العناية موجهة فيها قبل كل شيء إلى التفسير اللغويّ والإعراب النحويّ والتطبيق البلاغي إلى حد بعيد مُسرف (١٣٩ :(م) ١٠)، والملاحظ أنّ هذه النشرة كسابقتها المصرية اعتمدت نشرة فلوتن أصلاً لها. وقد تزامن صدور هذه النشرة مع النشرة الدمشقية التي تضافر على إخراجها نفر من أعضاء المجمع العلميّ في دمشق سنة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م (١٤٣)، وقد ظهرت العناية في هذه النشرة واضحة بتصحيح النص وتخليصه من مظاهر الخطأ والتشويه على نحوٍ يمكن معه عدّ النشرة أجود من سابقتيها المصريتين .

على أن هذه النشرات جميعها ظلت مرتبطةً بنشرة فلوتن الهولندية إلى حدّ بعيد، حتى أخذ طه الحاجريّ على عاتقه إخراج الكتاب في ثوب علميّ دقيق، يجمع بين تصحيح النصوص ومقارنة قراءاتها على أقدم الأصول المخطوطة التي أمكن الاهتداء إليها في ذلك الحين. وقد نشر الحاجريّ هذا العمل الجليل مع تعليقاته الضافية، التي استغرقت نحو مائتي ورقة، في القاهرة سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م (٩٣)، ثم صدرت هذه النشرة في طبعات متعاقبة، كانت آخرها الطبعة الخامسة المنشورة في القاهرة سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م (١٣٩). وغني عن القول أن تحقيق الحاجري للبخلاء يحظى اليوم برواج واسع في أوساط الدارسين بصفته أجود التحقيقات العلمية التي قُدمت في هذا الباب.

ونُشر الكتاب بعد تحقيقه علمياً على يد الحاجريّ نشرات كثيرة تزيد على اثنتي عشرة نشرة تبتعد أكثرها على الروح العلمية في النشرة والتحقيق، كما هو الحال في : نشرة محمد علي الزعبي (١٤٤)، ونشرة أحمد ظافر كوجان (١٤٥)، ونشرة فوزي عطويّ (١٤٦)، ونشرة عباس خضر (١٤٧). ووجدتْ بعضُ دور النشر في الكتاب مادة صالحة للتجارة لما تلقاه من إقبال منقطع النظير في بعض البيئات المثقفة والشعبية أحياناً، فكان القائمون على هذه الدور يقذفون بأي نشرة سابقة إلى المطبعة بغية إخراج نشرة "جديدة" تأتي بالربح، وقد يبدو هذا الاتجاه واضحاً في النشرات الصادرة عن : دار إحياء التراث العربي (١٤٨)، ودار صادر (١٤٩)، والمركز العربي الحديث (١٥٠)، ودار المطبوعات الحديثة (١٥١)، ودار الفكر (١٥٢)، ومكتبة النهضة (١٥٣). وظهر اتجاه آخر أنصب اهتمامه على تبسيط مادة الكتاب وإعادة صياغة النص أحياناً بما يناسب مستوى الصبية وصغار الناشئة، ويمكن ملاحظة هذا الاتجاه في عمل علي الجنبلاطي وعبد المنعم قنديل (١٥٤)، وكان آخر هذه الاتجاهات قد تولى تقديم نموذجات منتقاه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من البخلاء قَصْدَ إتحاف القُراء بها، ومن هذا القبيل مجموعة النصوص التي انتخبها عناد غزوان من مادة الكتاب (١٢٥ : ١٣٣-٢١٠) .

في الجانب المقابل، ظهرت عناية الأُروبيين بنقل كتاب البخلاء إلى لغاتهم منذ مطلع الثلاثينات حين أقدم المستشرق الألماني ريشر على ترجمته إلى الألمانية في سنة ١٣٥٠هـ= ١٩٣١م (٤٣)، ولم يكد ينقضي عشرون عاماً على ظهور هذه الترجمة، حتى أظهر شارل بلاّ ترجمته الفرنسية في سنة ١٣٧٠هـ=١٩٥١م (٤٣)، على أن ترجمة جزئية إلى الإيطالية نشرت في هذه السنة أيضاً (٤٣)، و كانت الترجمة الأخيرة فاتحة لظهور ترجمات جزئية أخرى، منها: ترجمة بلاّ الفرنسية الثانية (٤٣) . وترجمة هوك الإنجليزيّة (١٢٩: ١٣٣-٢١٠) .

ولعل من المثير حقاً أن تندر مخطوطات الكتاب في أكثر الخزائن العالمية على الرغم من شهرته، وما كان يلقاه من رواجٍ في العصور الأدبية الفائتة، على أن أشهر مخطوطاته الباقية هي المحفوظة في : كوبريللي (١٣٩:(م) ١٣)، وليدن (٦٢ :٥٤) .

٦- كتــابُ البِــغَــال .

تختلف صورة عنوان هذا الكتاب تبعاً لاختلاف مظانه، فبعض أصحاب الأثبات كالكتبي (١٣: ١٥٤ظ)، وابن قاضي شهبة (١٤)، وإسماعيل البغداديّ (٢٧: ٨٠٣)، يسمونه كتاب البغل، وقد أصاب هذه الصورة تحريف بيّن تحولت على إثره إلى "النعل" عند نفر من صانعي الأثبات كياقوت (٣: ١٠٦)، والصفديّ (١٢: ٥٧ب)، والسندوبيّ (٣١: ١٥٨)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٤)، وشارل بلاّ (٣٦)، وعبد المنعم خفاجيّ (٤١: ٣٠١). والعجيب أن بعض هؤلاء - كبروكلمان مثلاً- يعدون " كتاب النعل" من آثار الجاحظ، على أن النظر في صورة هذا العنوان قبل أن يطرأ عليها التحريف، كافٍ لتبيّن خطأ من نصّ على أنّ للجاحظ كتاباً بهذا الاسم .

وبالإضافة إلى هذه التسمية، تؤثر بعض أصول الكتاب المخطوطة تسميته القول في البغال (٦١: ١٩٧ظ)، بينما يؤثر بعضهما الآخر اسم البغال ومنافعها (٧١: ٢٦٥). ومهما يكن، فانّ الاقتصار على لفظ البغال بصيغة الجمع يبدو أدنى من العنوانات الباقية إلى أصل ما وضعه الجاحظ، وقد يكون من دليل على ذلك وروده بهذه الصيغة في أقدم المظان التي أشارت إليه، وأعني كتاب الفهرست لابن النديم (٨: ٢٠٩). أضف إلى ذلك تصريح الجاحظ بالصيغة عينها في فاتحة الكتاب نفسه، وذلك في قوله: " كان وجه التدبير في جملة القول في "البغال"، أنّ يكون مضموماً إلى جملة القول الحافر كله ... ." (١٠ : ٢١٥) .

وأمّا الصورة الأولى "البغل"، فيردها ورود صيغة الجمع عند ابن النديم، وهو الأصل الذي نقل عنه أصحاب القوائم اللاحقة كما مر في الفصل الأول من هذه الدراسة، وأمّا الصورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية "القول في البغال"، فإنّ صدرها أقرب إلى أنّ يكون محض رسم جرى الجاحظ على إلصاقه بالعديد من عنوانات آثاره كما يمكن ملاحظته من القائمة التي استهل بها كتاب الحيوان (١ :٤، ٥، ٧، ٩). ومعنى ذلك أنّ ما يطالعه الدارس من قول الجاحظ عند ذكر عنواناته : القول في كذا، أو حكاية قول كذا، ليس في الحقيقة من أصل العنوان كما يتراءى عند قراءة هذه العنوانات لأول وهلة. وأما الصورة الأخيرة "البغال ومنافعها"، فلا يبعد أنّ يكون الجزء الثاني من زيادة بعض النساخ والوراقين الذين كانوا يضعون عنوانات جديدة لآثار الجاحظ تناسب ما يتسنى من استقراء مادة الأثر .

وعقب تحقيق تسمية الكتاب، يمكن تناول القضية التوثيقية الأخرى المتعلقة بمعرفة تاريخ مقارب للمدة التى أُلّف فيها، ولئن كان الكتاب نفسه يخلو من إشارة صريحة تشير إلى زمن تأليفه، فإنّ الإشارة التي وردت في صدره إلى كتاب الحيوان، تجعل إضافته إلى المدة التي تلت وضع الكتاب المذكور أمراً لا محيد عنه ، يقول أبو عثمان : " كان وجه التدبير في جملة القول في "البغال" أنّ يكون مضموناً إلى جملة القول في الحافر كلّه، فيصير الجميع مُصحفاً تاماً، كسائر مَصاحف كتاب الحيوان" (١٠: ٢١٥). فهذا النص يثبت بما فيه الكفاية أنّ كتاب الحيوان كان ماثلاً للعيان عند شروع أبي عثمان بتأليف كتاب البغال، بل يمكن عدّ هذا الكتاب بمنزلة ذيل استدرك فيه الجاحظ ما فاته في الحيوان.وهكذا، يمكن إضافة كتاب البغال إلى ما بعد سنة ٢٣٢هـ، على اعتبار أنه فرغ من تحرير الحيوان على صورة ما في هذه السنة .

وقد حصر شارل بلاّ في مُقدمة تحقيق للكتاب هذه الفترة فيما سنتي ٢٤٠-٢٤٥هـ (١٠٩: ٦)، دون الاستناد إلى دليل ما بهذا الخصوص، ويبدو أنّ بلاّ تخلى عن هذا التاريخ كما يبدو من قائمته الأخيرة، إذ اكتفى بالإشارة إلى أن تأليفه كان بعد الحيوان دون تحديد زمن بعينه (٤٣) .

وكانت أولى نشرات الكتاب قد ظهرت على يد بلاّ في القاهرة سنة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م (١٠٩)، ونشرته علميّة جيدة لا تخلو من تصحيف وتحريف، عُني بالتنبيه عليهما عبد السلام هارون في نشرته للكتاب سنة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م (١٠: ٢١١-٣٧٨)، ولا تباين نشرة هارون هذه سابقتها كثيراً في قيمتها العلمية، وإنّ كانت تفوقها بحسن ضبطها وتعليقاتها المفيدة. وفي مقابل هاتين النشرتين العلميتين، ظهرت في بيروت في السنوات القليلة الماضية نشرتان لم تحتذ أيٌّ منها المنهج العلمي في النشر والتحقيق، أمّا إحداهما، فقد نشرها عبد الأمير مهنا ضمن مجموعة رسائل الجاحظ سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م (١٠٣: ١٣٥-٢٤١). وأمّا الأخرى، فقد أخرجها علي أبو ملحم مستقلة سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م (١٥٥) .

وقد نشر بلاّ مختارات يسيرة من الكتاب بالفرنسيّة (٤٣)، ونقلها هواك من بعده إلى الإنجليزية (١٢٩ : ١٨٥-١٨٨). وفيما يتصل بمخطوطات الكتاب، فإنّ النسخة الباقية منها توجد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليوم محفوظة في خزانة داماد إبراهيم في تركيا (٦١)، وهي النسخة الوحيدة التي اعتمدها شارل بلاّ ومن بعده عبد السلام هارون في نشرتيهما المذكورتين .

٧- كتابُ البَيانِ والتَّبْيين.

تُعدُّ معرفة الصور الصحيحة لعنوان هذا الكتاب موضع نزاع بين عدد من الدارسين في الوقت الحاضر، فالكتاب وإنّ استفاضت تسميته بالبيان والتبيين، إلا أن بعض المظان تؤثر تسميته بالبيان والتبيُّن، بالياء المضعفة، ولا شك أنّ اختلافاً واضحاً في المعنى ينتج عن كتابة التبيين بياءين، والتبيُّن بياء واحدة مشددة. وقد كان ترجيح إحدى هاتين التسميتين مثاراً للجدل عند فريقين: جمهور يرى وجوب الإبقاء على التسمية المشهورة، وفريق ينتصر للتسمية الأخرى وعلى رأسهم الشاهد البوشيخي الذي نشر بحثاً حول معالم هذه القضية وتاريخها، ثم راح يستوفي ما تضامر لديه من الأدلة النقلية والعقلية التي ترجح تسمية الكتاب بالبيان والتبيُّن على صنوتها الآنفة (٥٦). ولعل من المثير حقاً أنّ يكون مدار الاختلاف بين الباحثين مقتصراً على هاتين التسميتين دون النظر إلى التسمية التي صرح بها الجاحظ نفسه، وصورتها البيان والتِّبيان (١٥٦: ٣٢٩) .

ويُمكن بعد ذلك أنّ نُلقي نظرة على كل واحدة من هذه التسميات مفردة بالنظر إلى وضعها التاريخيّ:

أولاً : البَيان والتِّبيان، وهي أقدم هذه التسميات بلا منازع، وقد ذكرها الجاحظ صراحةً بهذه الصورة في كتابه البرصان والعرجان على سبيل الإحالة المستقبلية، فقال : "وسنذكر فِقراً من كلامه- أي الأحنف بن قيس - في كتاب البيان والتِّبيان، إنْ شاء الله" (١٥٦: ٣٢٩)، وهذه الإشارة الوحيدة الباقية التي سمّي فيها أبو عثمان عنوان كتابه، وأما التسميتان اللاحقتان فلم أجد في آثار الجاحظ الأخرى ما يُشير إليهما ولو على نحو ما، غير أن الشيء الذي يدعو إلى النظر في هذه التسمية أننا لا نجد ما يطابق صورتها في سائر المظان والمصادر التي أجرت ذكر الكتاب، وقد يكون في ذلك إشارة إلى وقوع ناسخ البرصان والعرجان في خطأ قراءة العنوان على وجهه الصحيح، لكنّ التحقق من هذا الغرض يعسر مع عدم توفر نسخة خطية أخرى من الكتاب المذكور حتى تجرى مقابلة القراءة عليها. ومن هنا فإني أدعو إلى التحفظ ملياً في قبول هذه التسمية لمخالفتها التسمية المأثورة المستفيضة، ولعدم قيام محض قرينة أو أثاره تجعل الباحث يغذ السير نحو احتضانها والاحتجاج لها .

ثانياً : البيان والتَّبْيين، وهي أشهر هذه التسميات وأكثرها استفاضة عند القدامى والمعاصرين، وقد عُرفت هذه التسمية تاريخياً قبل التسمية التي تليها. بمدة ليست قصيرةً أبداً،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمر الذي يدعو إلى قبولها وتقديمها على غيرها إلى حين قيام أدلة نقلية بينه تُثبت خلاف ذلك. وإذا ما قدر للدارس أن يَعُدّ بعض الذين عرفوا هذه التسمية قبل أن تُعرف صنوتها التي سترد بعد قليل، أمكن الإشارة إلى المسعودي (١٣١: ١٠٥)، والتنوخي (١٥٧: ٢٠٢)، والعسكري (١٥٨: ١٠)، والشريف الرضيّ (١٥٩: ١٥٢)، ولستَ تعدم بعد ذلك للجاحظ ترجمةً في كُتب التراجم والسير إلا فيها ما يُشير إلى صورة هذا العنوان، كما هو الحال عند : ابن النديم (٨: ٢١٠)، والخطيب البغدادي (١٦٠: ٢١٤)، وابن عساكر (١٦١)، وياقوت (٣: ١٠٦)، والقفطي (١٦٢: ٣٤٤)، والذهبي (٢٠ : ٥٢٨)، وابن كثير (١٦٣ : ٢٢)، وابن حجر العسقلاني (٩: ٣٥٧)، والسيوطي (١٦٤: ٢٢٨)، وابن العماد الحنبلي (١٦٥: ١٢٢). وإلى جانب ذلك، فإنّ أكثر مخطوطات الكتاب المحفوظة اليوم تحمل العنوان عينه ، كما هو شأن النسخ الخطية: الثانية والثالثة والرابعة التي قابل عليها عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب (٤٩: (م)١٨-١٩) .

ثالثاً : "البيان والتبيُن"، ومصادر هذه التسمية التي أمكن الاهتداء إليها حتى الآن ستة فحسب، أقدمها ما أشار إليه التوحيدي في كتابه البصائر والذخائر (١٦٦: ٢٠٥)، تليها الإشارة الواردة في مخطوطة الكتاب المحفوظة في مكتبة فيض الله بالأستانة، وهي ترجع إلى سنة ٥٨٧هـ (٤٩: (م) ٥٣). ثم الإشارة الواردة في مخطوطة الكتاب المحفوظة في مكتبة كوبريللي بالأستانة، وتاريخها يرجع الى سنة ٦٨٤هـ (٤٩: (م) ١٧). ومثلها ما ورد في المخطوطة المحفوظة في مكتبة القرويين بفاس، وهي لا تحمل تاريخاً (٥٦). ويضاف إلى هذه الإشارات ما ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٦٧ : ٤٧١)، وأبو محمد القاسم بن محمد السلجماسي في كتابه البديع في أساليب التجنيس والبديع (٥٦). وأمّا فيما عدا ذلك، فلا نكاد نقع على ما يعزز هذه التسمية التي نبه على صوابها بعض الدارسين مثل : كليمان هيوار (١٦٨: ٢١٣-٢١٤) وإبراهيم سلامة (١٦٩: ٦٩)، على أن فريقاً آخر لم يكتفِ بالتنبيه ، بل عمد إلى سوق الأدلة والإحتجاج لها كما هو شأن ميشال عاصي (١٧٠: ٤٠) والشاهد البوشيخي (٥٦) .

والملاحظ أنّ أدلة هذا الفريق أكثر ما تقوم على دليل عقلي أو تفسير منطقي، ومن المعروف أنّ الأخذ بالمروي والمنقول أولى من غيره في هذه القضية وأشباهها، وما دام النظر في السياق التاريخي قد أثبت أن تسمية الكتاب بالبيان والتبيُن لم تُعرف إلاّ بعد أنّ بلغت صنوتُها مبلغ الاستفاضة والشهرة عند كثير من قُدامى الدارسين، فلا ضير إذن في متابعة أقدم هاتين التسميتين حتى يظهر ما يدعو إلى تبني اللاحقة منهما.

وبالانتهاء من التحقيق في مسألة عنوان الكتاب، يمكن أنّ ينتقل النظر التوثيقي إلى المسألة الأخرى المتعلقة بتحديد تاريخ تأليفه، ولدينا في هذا السياق إشارات احتفظ بها كتاب البيان والتبيين نفسه، تتضمن ذكر كتاب الحيوان الذي قدمه الجاحظ إلى الوزير ابن الزيات سنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣٢هـ (٤٩: ٦٠، ٢٢٥). وتنص آخر هذه الإشارات صراحةً على أن كتاب الحيوان كان ماثلاً للعيان أثناء اشتغال الجاحظ بتأليف هذا الكتاب، يقول: "كانت العادة في كتب الحيوان أنّ أجعل في كل مُصحف من مَصاحفها عشر ورقات من مقطّعات الأعراب، ونوادر الأشعار، ولمّا ذكرتَ عَجَبَك بذلك، فأحببتُ أنّ يكون حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر، إن شاء الله" (١٧١: ٣١٢)، وهذه الإشارة وغيرها مما ورد في كتاب البيان والتبيين تُشير بوضوح إلى أنه لم يظهر إلا بعد ظهور كتاب الحيوان، أي بعد سنة ٢٣٢هـ .

ولدينا من جهة أخرى إشارة ثانية تؤكد أن تاريخ تأليف الكتاب لم يتجاوز سنة ٢٤٠هـ، فقد أورد ابن النديم وياقوت أنّ الجاحظ قال: "أهديتُ كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دؤاد، فأعطاني خمسة آلاف دينار " (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٦) ، فإذا ما علمنا أنّ المصادر اتفقت على أنّ وفاة ابن أبي دؤاد مفلوجاً كانت سنة ٢٤٠ هـ (٨: ٢١٢، ١٣٧: ١٩٧)، أمكن القول إنّ الجاحظ فرغ من الكتاب وقدمه إليه قبل هذه السنة .

وبما أنّ الجاحظ وضع كتابه بعد كتاب البرصان والعرجان المؤلف بعد سنة ٢٣٥هـ ، فهذا يعني أنّ تأليف البيان والتبيين ينحصر في المدة بين سنتي ٢٣٥-٢٤٠هـ. ويمكن تضييق هذه المدة إلى سنة ٢٣٧هـ. لأنّ صلة الجاحظ بآل دؤاد وقفت عند هذا التاريخ، إذ أخذت الدولة أحمد بن أبي دؤاد وبنيه، وحُبسوا واستصفيت ضياعهم وأموالهم على نحو حدث به الطبري (١٣٧ : ١٨٩) .

وتجدر الإشارة قبل الانتقال إلى جانب آخر في توثيق الكتاب إلى رأي طه الحاجريّ المتعلق بتاريخ هذا الأثر، فالواضح أن الحاجريّ جعله من نتاج الفترة الواقعة بعد سنة ٢٤٧هـ، اعتماداً على أنه مؤلف بعد الحيوان الذي يرى الحاجريّ أنه كُتب بعد هذه الفترة على نحو ما سيرد عند تناول هذا الكتاب، وحتى يستقيم هذا الرأي للحاجريّ، أخذ يرد النصوص التي تقدم فيما ذهب إليه، فقد رد النص الذي ذُكر فيه إهداء الجاحظ كتاب الحيوان إلى ابن الزيات، وكتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي دؤاد، وكتاب الزرع والنحل إلى الصولي، يقول: "ولكننا لا نستطيع أنّ نمنح هذا النص ثقتنا، كما سنشير إلى ذلك حين نعرض للقول في كتاب الحيوان والبيان والتبيين" (٥٣: ٢٧١)، والملاحظ أنّ الحاجريّ لم يعد إلى مناقشة هذا النص كما وعد بذلك .

وبالانتقال إلى الجانب الأخير في توثيق الكتاب ، يمكن الإشارة إلى المرحلة المبكرة التي تبوأها البيان والتبيين في تاريخ إحياء تراث الجاحظ في العصر الراهن ، فالكتاب هو أول أثر جاحظيّ أخذ سبيله إلى النشر بصورة مستقلة منذ بداية دخول المطابع وانتشارها في البلاد العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. وكانت نشرته الأولى قد طبعت بالمطبعة العمليّة في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة بين سنتي ١٣١١-١٣١٣هـ=١٨٩٣-١٨٩٥م (٨٤) ، أي قبل تمام مائة عام . وقد توفر على قراءة هذه النشرة والعناية بها : حسن الفاكهاني، ومحمد الزهري الغمراوي . وهي نشرة سقيمة إلى حدٍ ما، فنصها يعاني من التشويش ولا يخلو من تصحيف وتحريف وسقط ، أضف إلى ذلك خلوها من الضبط والتعليقات المفيدة إلا فيما ندر .

وبعد هذه النشرة بنحو عشرين عاماً، ظهرت نشرة جديدة للكتاب أشرف عليها محب الدين الخطيب (٨٨)، ويُلمس في هذه النشرة جهدٌ واضحٌ في تقويم النص وتخليصه من كثير من أخطاء القراءة ، إلا أنّ ضبط النص والتعليق عليه ظلا مقتصرين على جانب من الكتاب دون النفاذ إلى جوانبه الباقية. ولم تمض سوى فترة قصيرة بعد ظهور هذه النشرة ، حتى عكف حسن السندوبيّ على إخراج نشرة جديدة تميزت عن سابقتيها بضبط كثير من نصوص الكتاب وتفسير غريبها والتعليق عليها تعليقات مفيدة جداً ، وبذلك كانت هذه النشرة أجود نشرات البيان غير مدافع حتى نافستها على هذه المنزلة النشرة التي أظهرها عبد السلام هارون . وقد كان السندوبي - رحمه الله - شديد العناية بمراجعة نشرته الأولى التي نشرها في القاهرة سنة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦م (١٧٢)، كلما أُتيح له إعادة طبعها من جديد، ومن هنا فقد تميزت الطبعة الثانية التي أخرجها سنة ١٣٥١هـ=١٩٣٢م (١٧٣) بشرح مستفيض لكثير من مواد الكتاب، إلى جانب تزويده بفهارس ذات فوائد متعددة ، والشيء نفسه يُقال عن الطبعة الثالثة المنشورة سنة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م (١٧٤) .

وكانت آخر هذه النشرات النشرة العلمية التي تولى تحقيقها عبد السلام هارون على خمسة أصول خطية قديمة (٤٩ : (م) ١٦-١٧، ٢٣)، وقد امتازت هذه النشرة باحتذائها الأصول العلمية الحديثة من ضبط للنص وتعليقٍ عليه وتخريجٍ لمواده، يُضاف إلى ذلك بيان فروقات النسخ ومقابلتها، وقد أُلحقت بهذه النشرة فهارس فنية متكاملة ذات فوائد جمة من شأنها أنّ تضع مطالب الكتاب ومواده في موضع يسهل معه البحث والمراجعة في وقت قصير. وقد خرجت الطبعة الأولى لهذه النشرة في القاهرة بين سنتي ١٣٦٧-١٣٦٩هـ=١٩٤٨-١٩٥٠م (٩٥)، ثم ظهرت الطبعة الثانية بين سنتي ١٣٨٠-١٣٨١هـ=١٩٦٠-١٩٦١م (١٧٥)، وقد تميزت هذه الطبعة عن سابقتها بإضافات وتعليقات وتصحيحات جديدة، وظهرت في بيروت وبغداد والكويت مصورات عن هذه النشرة .

وإلى جانب هذه النشرات ، ظهرت نشرات أخرى تنأى في مجملها عن المنحى العلمي في النشر ، كما هو شأن نشرة فوزي عطوي (١٧٦) ، والنشرة الصادرة عن دار الفكر للجميع في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م (١٧٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالإضافة إلى هذه النشرات الكاملة ، ظهر اتجاه يُعنى بتقديم منتقيات مختارة من مادة الكتاب لتكون أشبه بأنموذجات تُلذ وتُحتذى ، فكان مما مضى في هذه السبيل منتخبات نشرت في إستانبول سنة ١٣٠١هـ=١٨٨٣م، ثم طبعت ثانيةً في القاهرة سنة ١٣٢٨هـ=١٩١٠م (٤٩: (م) ٢٠) ونشر المقدسيان : خليل بيدس وشريف النشاشيبي مختارات أشد تمثيلاً للكتاب من سابقتيها ، وقد ظهرت هذه المختارات في القدس سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣ (١٧٨) وكانت آخر الاختيارات مضياً في الاتجاه عينه ، تلك التي نشرها جلال الخياط في بغداد سنة ١٤٠١هـ=١٩٨٠م (١٢٥: ٢١١-٢٣٤).

وعلى صعيد نقول الكتاب إلى الألسنة الاخرى، ترجم ريشر فصولاً قصاراً منه إلى الألمانية (٤٣)، ثم أعقبه شارل بلاّ فاقتطف منه اختيارات نقلها إلى الفرنسيّة (٤٣)، وقد نقلت هذه الاختيارات إلى الإنجليزية (١٢٩: ١٠٠-١١١) .

وأما فيما يخص مخطوطات الكتاب ، فإن باستطاعة القارىء أن يقف على أشهرها فيما رصده : بروكلمان (٣٣: ١١٠) ، وبلاّ (٤٣) .

٨- كتاب التَبصر .

مع أن تسمية الكتاب وردت في جميع طبعاته باسم التبصر بالتجارة ، إلاّ أنّ المؤلف اقتصر على جزء من هذه التسمية، كما هو واضح من قوله: "وسميته بكتاب التبصر" (١٧٩)، ويبدو أن الناشر زاد في العنوان ليكون مناسباً للمادة العلمية التي احتضنها الكتاب، ولماّ كان المؤلف قد نص على تسمية بعينها، آثرت أن أُتابعها، وأما التسمية الأخرى فإنّ قرائن كافية تدعو إلى احتضانها لم تقم بعد .

وفيما له علاقة بنسبة الكتاب إلى الجاحظ ، أثار عددٌ من الدارسين شكّهم في صحة هذه النسبة، وكان من أبرز من مثل هذا الفريق : علي أبو ملحم (٣٩: ٦١)، وجميل جبر (١١٩: ٦٧)، بيد أنهما لم يقدما أدله من شأنها تأييد ما ذهبا إليه بهذا الخصوص، ويبدو أن خلو سائر الأثبات القديمة من ذكر هذا الكتاب أثار التساؤل عند هذا النفر، فكان أن أفضى الشك عندهم إلى نفي كون الكتاب من آثار الجاحظ .

ومن هنا ، تبدو أهمية تحقق الباحث من وجه الصواب فيما يدور حول هذه النسبة من شك أو عدمه . ويجب بدءاً الإقرار أن الوسائل اللازمة للقطع في هذه القضية . لا تبدو قوية إلى درجة متقدمة يمكن معها عد النتيجة قولاً فصلاً لايقبل المناقشة أو النقد ، بل على خلاف ذلك فقد تأتي الأيام بأدلة تقوض ما يمكن الاحتجاج له هنا من رجحان نسبة كتاب التبصر إلى أبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عثمان. ويبدو لي أن الشواهد التي أسوقها فيما يلي يمكن عدّها أدلة مقبولة تثبت إلى حدّ ما أنّ الكتاب من تأليف الجاحظ، والشواهد هي :

أولاً : لم يرد في أي مصدر من مصادر دراسة الجاحظ ما ينفي إضافة الكتاب إلى الجاحظ.

ثانياً : لا يمكن عدّ عدم ورود اسم الكتاب في القوائم التي وضعها القدماء لمؤلفات الجاحظ دليلاً على أن الكتاب ليس للجاحظ، لأن هذه القوائم كما ظهر عند تناولها في الفصل الأول لم تجمع بين دفتيها جميع ما تركه أبو عثمان .

ثالثاً : ليس في نّص الكتاب ، أيُّ إشارة أدبية أو تاريخية متأخرة عن عصر الجاحظ من شأنها تقديم ما يُستأنس به في إسقاط نسبة الكتاب عن مؤلفه .

رابعاً : ليس في طريقة تأليف الكتاب وأسلوبه ما يختلف اختلافاً بيّناً عن الطرائق الأسلوبية التي عهدها الدارسون في تراث الجاحظ. أمّا ما يراه القارىء من تقسيم الكتاب إلى مجموعة من الأبواب التي يحمل كل منها عنواناً مستقلاً، فالظاهر أنها من الزيادات التي أضافها النسّاخ والوارقون إلى الأصل، بهدف تيسير الانتفاع بالكتاب على أسرع وجه .

خامساً : إنّ مقدمة الكتاب، وهي التي يفتتحها الجاحظ بقوله : "سألت – أكرمك الله – عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة ... " (١٧٩)، تضارع ما جرى عليه أبو عثمان في مقدمات آثاره من إبداع شخص يخاطبه، وكأنّ ما يكتبه أشبه بجواب عن رسالة وصلت إليه تتضمن سؤالاً عن شيء ما .

سادساً : إنّ موضوع الكتاب الذي يدور حول التجارات وجلب البضائع وتسويقها، ليس من الموضوعات الجديدة على الجاحظ، فالمعروف أنّه وضع عدداً من الآثار في هذا الجانب، منها رسالته في مدح التجار(٣٤: ٢٥١-٢٥٨)، وكتابه أقسام فُضول الصناعات ومراتب التجارات (٤:١)

سابعاً : نقل أبو منصور الثعالبي من الكتاب فصولاً عديدة ببعض التصرف، نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها (١٧٩)، ولا شك أن إضافة الثعالبي بعض ماورد في الكتاب إلى الجاحظ ، يؤيد الشواهد الآنفة في عدّ كتاب التبصر أثراً خلفه الجاحظ .

فإذا تحققت لدينا صحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ ، انطلقنا نتلمس تاريخ تأليفه، ويظهر للدارس بعد إعمال النظر ملياً أن الكتاب يخلو من أدنى إشارة يمكن أن تعضد فرضاً علمياً لتاريخ تأليفه.وعليه ، يبقى الزمن الذي شهد ولادة الكتاب غائماً لا يمكن تبينه على نحو واضح، وإنْ تكن إضافته إلى فترة ما بعد الاعتزال، أي بعد سنة ٢٣٢هـ ، أقرب من غيرها، بسبب ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نصادفه من اختفاء النزعة المذهبية التي لازمت أكثر الكتابات التي كتبها أبو عثمان في المدة التي تغلب فيها المعتزلة قبل سنة ٢٣٢هـ .

وقد نشر حسن حُسني عبد الوهاب هذا الكتاب في مجلة المجمع العلميّ بدمشق سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م ، عن أصل محفوظ ضمن مجموع خطي في المكتبة العموميّة بتونس (١٧٩) ، ثم أعاد نشره ثانيةً في القاهرة بعد مُدة وجيزة من نشرته الأولى (١٨٠) ، وقد صدرت هذه النشرة مرة ثالثة في بيروت في سنة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م (١٨١) .

٩ – رسالةُ التَّربيعِ والتَّدْويرِ .

بالإضافة إلى هذا العنوان الذي شُهرت به الرسالة ، ذكر صاحب زهر الآداب ثلاث عنوانات أخرى عُرفت بها الرسالة أيضاً، وهي: رسالة الطول والعرض، ورسالة التوسع والتدوير، ورسالة المفاكهات (٥٥: ٢٦٠). ويبدو أن تحريفاً وقع في العنوان الثاني حوّل صورة العنوان الأصل التربيع و التدوير إلى التوسع والتدوير حتى غدا هذا الأخير كأنه عنوان جديد يباين الصورة الأولى. ومهما يكن، فإنّ تفرد الحُصْري بذكر هذه العنوانات، التي يغلب أن تكون وُضعت بعد عصر الجاحظ على أيدي النساخ والوارقين، لايمكن أنّ يقف أمام صورة الأصل التي بلغت مبلغَ الاستفاضة عند القدامى والمحدثين ، كما يمكن الاستدلال عليه من مخطوطات الرسالة ونشراتها التي أجمعت على تلك الصورة . يُضاف إلى ذلك أنّ غير واحد مما تقدم عصرهم عصر الحُصْري الذي استقل بذكر هذه العنوانات عرفوا الرسالة بالصورة عينها، وأشهر هؤلاء التنوخي (١٥٧: ٢٠٢)، والتوحيدي (١٨٢: ٢٩٧) ، وابن النديم (٨: ٢١١). وأمّا أصحاب الأثبات اللاحقون ، فمع أنّ بعضهم أورد العنوان بالصورة نفسها كالصفدي مثلاً (١٢ : ٥٧ظ)، إلاّ أنّ أثبات الباقين كالكتبي وابن قاضي شهبة، لم تخل من تصحيف أو تحريف أبعد العنوان عن وضعه الحقيقي كذكره على هذا النحو: الترفيع، في ثبت الكتبي (١٣ : ١٥٥ب)، وعلى هذه الشاكلة : البديع، في قائمة ابن قاضي شهبة (١٤) .

وفيما يدور حول تاريخ إنشاء الرسالة، انقسم الدارسون إلى فريقين إزاء هذه المسألة : أما الفريق الأول، فيذهب إلى إضافة الرسالة إلى الشطر الأخير من حياة الجاحظ بعد فراغه من تأليف الحيوان، ويمثل هذا الرأي: شوقي ضيف، وأحمد المختار الوزير ، ويستند هذا الفريق فيما يذهب إليه إلى الأدلة التالية :

أولاً : من يتصفح الرسالة يجد كثيراً مما عرض له الجاحظ فيها قد ذكره في كتاب الحيوان، ويشهد لذلك أننا نجده يُنحي على أحمد بن عبد الوهاب باللائمة على ما يدعيه بالحيوان، وأنّه يعرف في الخفّاش سبعين أُعجوبة (٥١ : ١٧٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : وردت الإشارة إلى ابن الزيات في الرسالة بصيغة الماضي ، مما يدل على أنّ عهده كان قد انقضى حين كتابة هذه الرسالة (٥١: ١٧٨) .

ثالثاً : الرسالة مَبْنيةٌ على سمة الاستطراد ، وهذه السمة -حسب رأي شوقي ضيف- جاءت نتيجة لعلة الجاحظ وعجزه عن ترتيب كتبه ورسائله التي ألفها حين علت به السن (٥١ : ١٧٨) .

رابعاً: وصف الجاحظ زمانه وقت تأليف كتاب الحيوان على نحو مُختلف عما وصفه به في هذه الرسالة، مما يدعو إلى القول إن هذين الأثرين كُتبا في عصرين متباينين تماماً (٥٢).

خامساً: أمّا بخصوص النص الوارد في الحيوان عن هذه الرسالة، فلا يَبْعُد - في رأي الفريق - أنّ يكون قد أُضيف إلى الحيوان بعد الفرغ منه (٥٢) .

وأمّا الفريق الآخر، فقد سعى إلى تحديد زمن مقارب للرسالة، على أنّ يكون ذلك واقعاً في المدة التي تقدمت وضع كتاب الحيوان . وقد يكون طه الحاجري أبرز من ذهب إلى تأييد هذا الرأي، وهو يعدُّ، بعد تلمسه للملابسات التي أحاطت بتأليف الرسالة ، سنة ٢٣١هـ تاريخياً مُقارباً لوضع الرسالة (٥٣: ٢٧٩). ويذهب المستشرق الفرنسي شارل بلاّ إلى تأييد هذا الرأي أيضاً، غير أنه يجعل زمن إنشائها ضمن الفترة من سنة ٢٢٧-٢٣٠هـ (٤٣). ويتكيء هذا الفريق في تقرير وجهة نظره على ما جاء في الرسالة نفسها من أن غرور أحمد بن عبد الوهاب الذي جعله الجاحظ موضوعاً لرسالته، سوّل له مطاولة ابن الزيات، والوقوف منه موقف النظير، في سياق الحكاية عن الحاضر، يقول : "وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول أبا جعفر -يعني ابن الزيات- وتخاشنه وتنافره وتراهنه ... " (٧ : ٢٣) ، وهذا كافٍ في الدلالة على أنّها كتبت في عهد ابن الزيات، قبل موته سنة ٢٣٣هـ (٥٣ : ٢٧٦-٢٧٧) .

ولدى النظر في أدلة الفريقين ، يبدو لي أنّ الرأي الثاني أدعى للقبول من سابقه إذا ما علمنا أن الجاحظ صرح بتأليف هذه الرسالة في الجزء الأول من كتاب الحيوان ، فهو يقول بعد أن يورد قطعه مُقتضبة منها :" فإنّ أعجبتك هذه المسائل ، واستظرفت هذا المذهب فاقرأ رسالتي إلى أحمد بن عبد الوهاب فإنّها مجموعة هناك " (١ :٣٠٨ - ٣١١) . وهذا النص يقطع أنّ الرسالة كانت ماثلة للعيان حين كتابة هذا الكلام ، وعليه ، فإنّ كلام الجاحظ نفسه يؤيد الرأي القائل بوضع الرسالة قبل تاليف الحيوان ، أي قبل سنة ٢٣٢هـ .

وأما أدلة الفريق الأول ، فهي بحق لا ترقى إلى درجة تؤهلها للوقوف في وجه ما سبقت الإشارة إليه من تصريح الجاحظ بكتابة الرسالة قبل الحيوان من جهة، ومن الإشارة إلى مطاولة أحمد بن عبد الوهاب لابن الزيات في عهد هذا الأخير من جهة أخرى. ومن الممكن أن نتوقف بُرهةً بغية مناقشة كل دليل من هذه الأدلة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : لا ينهض الدليل الأول وحده للدلالة على أنّ الرسالة كُتبتْ بعد الحيوان، بل انّ أحد الأساليب الشائعة عند الجاحظ إعادة ما كان عرض له في آثاره السابقة .

ثانياً : تشيع الإشارة عند الجاحظ إلى معاصريه بصيغة الماضي، دون أن يحمل ذلك دلالة قاطعة على انقضاء حياة أي منهم . ويقف أمام الإشارة إلى ابن الزيات في سياق الماضي، الإشارة إليه بصيغة الحاضر كما مر من قريب. كذلك الأمر، فإن الإشارة التي يستند إليها هذا الفريق ، وهي قول الجاحظ : " وقد كنت أتعجب من محمد بن عبد الملك ..." (٧ : ٤٥) ، لا تعني بالضرورة انقضاء عهد ابن الزيات ، وأما دلالتها على الماضي ، فيمكن أن توجه توجيها يصرفها عن ذلك .

ثالثاً : أمّا أن سمة الاستطراد التي شاعت في هذه الرسالة وغيرها من آثار الجاحظ المتاخرة جاءت نتيجة مرض الجاحظ في شيخوخته ، فأمر لا يمكن قبوله إلا بعد تقديم ما يمكن أن يكون دليلاً بيّناً عليه .

رابعاً : أما اختلاف وصف الزمان بين كتاب الحيوان وهذه الرسالة، فالحق أن وصف الجاحظ زمانه يخضع في المقام الأول لما يعيشه من ظروف آنية ساعة الكتابة، يُضاف إلى ذلك أن ثمة ثنائية واضحة كانت تشد الجاحظ أبداً في كتابته، وقد تمثلت هذه الثنائية في الاحتجاج للشيء ونقيضه في آن واحد .

وفي ضوء هذه المناقشات، فإن إضافة الرسالة إلى المدة التي سبقت تأليف الحيوان تبدو أقرب من غيرها فيما يتعلق بقضية تعيين تاريخ مقارب لكتابة الرسالة .

لقد لقيت رسالة التربيع والتدوير عناية واضحة العصر الحاضر بوصفها إحدى أشهر الآثار التي خطها أبو عثمان ، وقد ظهر حتى الآن سبع نشرات كاملة لها ، هي حسب تسلسلها الزمني :

١ – نشرة فان فلوتن ، أخرجها في ليدن سنة ١٣٢١هـ =١٩٠٣م (١٠٦: ٨٦-١٥٦) وهي جيدة على الرغم ممّا بها من تصحيف وتحريف .

٢ – نشرة الساسي المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ =١٩٠٦م (٨٩ : ٨٢ – ١٤٧) ، ويبدو أنّها مقتبسة من النشرة السابقة .

٣ – نشرة السندوبي ، أخرجها ضمن رسائل الجاحظ سنة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م (١١٥: ١٤٧-٢٤٠) ، ويبدو انّ مرجع السندوبي فيها هو إحدى النشرتين الآنفتين .

٤ – نشرة شارل بلاّ المطبوعة في دمشق سنة ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م (٧)، تقع في مجلد كامل، وهي تمتاز عن غيرها بجودة الضبط وحسن الإخراج مع تعليقات ضافية كُتبتْ بالفرنسية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ – نشرة فوزي عطوي ، نشرها في بيروت سنة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م (١٨٣)، وهي أقرب إلى الطبعات التجاريّة منها إلى العلميّة .

٦ – نشرة دار النهضة ، نشرت ضمن رسائل الجاحظ في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢ (٩٨: ٨٥–١٣٤) ، وهي مطابقة لنشرة الساسي السابقة .

٧ – نشرة علي "أبو ملحم" ، صدرت في بيروت في الفترة الأخيرة ضمن رسائل الجاحظ الأدبية (١٠٠ : ٤٢٩ –٤٩٥) ، وقد اعتمد أبو ملحم في إخراجها على نشرة السندوبي الفائتة ، كما صرح بذلك (١٠٠ :٩) .

وإلى جانب هذه النشرات الكاملة، نُشرت الرسالة غير مرة نشراً جزئياً ، فقد طُبعت فصولٌ منها على هامش كتاب الكامل في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٦: ٣٠–٩٧)، كما نشر عبدالسلام هارون منتقيات منها ضمن اختيارات عُبيد الله بن حسان سنة ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م (٣٥: ٥٣–١٠٩) .

وقد عُني الغربيون، من جانبهم، بنقل الرسالة إلى غير لغة من لغاتهم ، وربما كان يحدوهم إلى مثل ذلك ما كنت تلقاه الرسالة في الأوساط الشرقية ، فقد ترجمها ريشر أول الأمر إلى الألمانية ضمن المقتطفات التي أخرجها سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١ م (٤٣)، ثم تابعه آدار فنقلها إلى الفرنسيّة فيما بين سنتي ١٣٨٦–١٣٨٧هـ = ١٩٦٦–١٩٦٧م (٤٣)، ونقل شارل بلاّ منتقى منها إلى الفرنسيّة في هذه الفترة (٤٣)، ونشر هواك هذا المنتقى بالإنجليزيّة فيما بعد (١٢٩: ١٢٦–١٣٠) .

وتتوزع مخطوطات الرسالة المعروفة اليوم في عدد من المكتبات العالمية ، منها : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦)، وليدن (٦٢ : ٣٦٩) .

١٠ – رسالةُ تَصْويبِ عليٍّ في تَحكِيمِ الحَكَمين .

لا تختلف صورة عنوانات هذه الرسالة عن بعضها كثيراً، فهي ترد في أقدم الإشارات إليها باسم تصويب عليّ في تحكيم الحكمين (٨: ٢١٠)، وتدنو هذه الصورة إلى حدّ ما من الصورة الأخرى الواردة في بعض الأثبات اللاحقة وهي تصويب على في أمر الحكمين (١٣ : ١٥٤ ظ)، وأمّا مخطوطة الرسالة، فقد ذكرت العنوان علي هذا النحو : الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في فعله (١٨٤) .

وعلى الرغم من تباين هذه العنوانات ، إلا أنه يسهل ترشيح العنوان الأول ليكون ألصقها بالعنوان الذي وضعه المؤلف ، ذلك أنّ صورة هذا العنوان تبدو محكمة أكثر من غيرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما يناسب النمط العام لعنوانات آثار الجاحظ، يضاف إلى ذلك وروده في أقدم المظانّ التي أشارت إلى الرسالة . وأما العنوان الآخر، وهو تصويب علي في أمر الحكمين ، فلا ريب أنّ من ذكره بهذه الصورة – وهو ابن شاكر الكتبي–خالف أصل ما نقل عنه من الأثبات التي تفردت بذكر الصورة الأولى . وأما ما يخص العنوان الأخير ، فالواضح أنّ صورته القلقة التي لا تخلو من خطأ نحوي واضح ، تبتعد كثيراً عن النمط الذي جرت عليه أسماء آثار الجاحظ ، ويبدو أنّ أحد النّساخ تعرض لهذا العنوان بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة ، حتى جاءت صورته مُباينةً صورة الأصل .

هذا ما يتعلق بالتحقق من عنوان الرسالة، وأما بخصوص تعيين تاريخ مقارب لكتابتها، فقد يكون في طبيعة موضوعها ما يساند في التوصل إلى شيء في هذا النطاق. لقد كتب الجاحظ رسالته في أخطر المسائل السياسية التي افترقت الأُمة عليها، وهي المسألة التي تمخضت عنها أحداثٌ جسامٌ في حركة التاريخ الإسلامي، وربما كان أبرز هذه الأحداث غلبة الأمويين على أمر الأُمة وسياستهم إياها قريباً من مائة عام. وقد ترتب على اختلاف الأُمة في مسألة قبول التحيكم بين علي و معاوية أو ردّه ، ظهور اتجاهات جديدة على الساحة، لعل أهمها حركة الخوارج. ولما استوت الاتجاهات الإسلامية فيما بعد على شكل فرق لها أصولها ومبادؤها، كان لكل فرقة وجهة نظرها الخاصة في هذه المسألة، فأهل السنة والجماعة يرون رأياً، والشيعة رأياً آخر، والخوارج رأياً مخالفاً، ولم تكن المعتزلة بعيدة عن المشاركة في هذا المعترك المذهبي. وعليه، يمكن عدّ هذه الرسالة مُعبرةً إلى حد بعيد عن وجهة ما يعتقده المعتزلة في هذه القضية، كما يمكن الاستدلال عليه من كتابتهما على يد أبرز شيوخهم مع قيامه فيها مُدافعاً ما أمكنه عنهم، وفي مقابل، ذلك تراه لا يترك سانحة في رسالته هذه إلاّ ويعّرض بأهل السنة أو الشيعة أو الخوارج أو غيرهم من الفرق (١٨٤) .

وظهور النزعة المذهبية على نحو واضح في الرسالة، يجعل إضافتها للفترة التي تغلب فيها المعتزلة أمراً سائغاً إلى حد بعيد، لأنّ هذه النزعة كما يبدو من تتبع النسق التأليفي عند الجاحظ، أخذت تَفْتُر حدتها شيئاً فشيئاً بعد أنّ انتهت الأمور لصالح أهل السنة بعد سنة ٢٣٢هـ، وكأن الجاحظ أخذ يوطن كتاباته بعد هذا التاريخ على مجاراة السياسة الجديدة للدولة وفي مقدمتها إنهاء الجدل ومماحكاته بين المتكلمين. وحسب هذا التوجيه، فإنّ تاريخ الرسالة لا يتجاوز التاريخ المذكور في أقصى ما يمكن توقعه. على أنّ الرسالة احتفظت بإشارة لها قيمتها في هذا المجال، يقول الجاحظ :" وأنّ أردت معرفة ذلك، فانظر في كتابي الذي فرقت بين قبائل قريش، وميزت فيه بني عبد مناف، وبينت فيه من فَضّل بني هاشم، وأظهرت فيه جمال عبد المطلب" (١٨٤). فالظاهر أنّه يُشير إلى كتابه المعروف بفضل هاشم على عبد شمس، وإذا ما علمنا أن تاريخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأليف هذا الكتاب يدور حول سنة ٢٢٧هـ ، كما سيظهر عند تناوله في الفصل الثالث إنّ شاء الله، أمكن القول إنّ الجاحظ كتب رسالته بُعيد هذه السنة. وهكذا، يمكن حصر تاريخ إنشاء الرسالة بين سنتي ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ .

ومن الممكن بعد تحديد تاريخ مقارب للرسالة، النظر في الجانب التوثيقي المتعلق بحصر نشراتها ومخطوطاتها وما عساه يكون نُقل منها إلى غير اللسان العربي. وأول ما يلفت النظر في هذا السياق أنه لا يوجد بين أيدينا سوى نشرتين تكاد الرسالة تكون مغمورة معهما عند كثير من الدارسين، أمّا النشرة الأولى ، فيعود الفضل في تحقيقها إلى المستشرق الفرنسي شارل بلاّ الذي نشرها في مجلة المشرق في بيروت سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م (١٨٤)، والنشرة على نحو عام تسير وفق قواعد النشر العلميّة الحديثة، ويبدو أن بقاء هذه النشرة حبيسة إحدى المجلات، يكمن خلفه ضيق رقعة انتشارها في أوساط الدارسين حتى وقت قريب . وقد اعتمد بلاّ في نشرته مخطوطةً وحيدةً محفوظةً في مكتبة الأمبروزيانا (١٨٤)، ولم يتسنّ للباحثين حتى الآن اكتشاف غير هذه النسخة . وأما النشرة الثانية، فقد أخرجها علي أبو ملحم في بيروت بالاعتماد على نشرة بلاّ المذكورة (١٠١: ٣٣٧، ٣٩٩)، على أنّ هذه النشرة لا تدنو بحال في قيمتها العلمية من النشرة السابقة .

وأما ترجمات الرسالة، فهي تقتصر على نشر بلاّ بعض فقراتها بالفرنسية على عادته في نقل نُبذ من مجموعة آثار الجاحظ (٤٣)، وقد أمكن نقل هذه الفقرات إلى اللغة الإنجليزيّة في فترة لاحقة (١٢٩ : ٦٦-٧٢) .

١١- رسائلُ في التَعَازِي .

عددها أربع رسائل تقع ضمن الرسائل القصار التي أودعها ابن عبد ربّه كتاب العقد (١٣٨: ٢٤٥)، وتشبه هذه الرسائل سابقتها في استنجاز الوعد والاعتذار من حيث اقتضابها الشديد وافتقارها إلى نوع من الإشارات التي تُعين في معرفة نسقها التاريخي بين سائر آثار الجاحظ . ويلاحظ أنّ هذه المجموعة من الرسائل لم تحظ بما تجدر الإشارة إليه في سياق الحديث عن نشراتها أو ترجمتها التي كنا نتوقع .

١٢- رسالةُ الجدِّ وَالهَـزْل .

هذا هو عنوان الرسالة وفق ما ورد في أصولها المخطوطة (٦١ : ٩٢ظ)، وأما أصحاب الأثبات القديمة ، فقد ذكروها باسم المزاح والجد ، كما هو الحال عند ابن النديم (٨ :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١١) ، وياقوت (١٢: ١٩٨)، والصفديّ (١٣ : ٥٨ب). وربما كانت هي عين الرسالة التي ذكرها ابن الفرات باسم الغضب والرضا (٨ : ٢١١)، لأن الرسالة في الحقيقة تتناول هذين المسلكين المتضادين بالشرح والتحليل . وقد تكون التسمية التي احتفظت بها مخطوطات الرسالة أدق من غيرها ، وربما زاد من احتمالية ذلك تصريح ابن الفرات بصورتها عقب ذكره الصورة التي وردت قبل قليل (٨ : ٢١١) .

ويبدو من استعراض الرسالة، أن تاريخ إنشائها لايخرج عن المدة بعد سنة ٢٢٧هـ، وهي سنة وفاة المعتصم، إلى سنة ٢٣٣هـ، وهي السنة التي قُتل فيها ابن الزيات. ومما يدل على إنشائها بعد سنة ٢٢٧هـ، ما جاء فيها من الإشارة إلى وفاة المعتصم (٢: ٢٣٥)، ومعنى ذلك أنّ الرسالة لا ترجع بحال إلى ما قبل السنة المذكورة. وأما ما يدل على إنشائها قبل سنة ٢٣٣هـ، فتوجيهها من الجاحظ إلى ابن الزيات يستعطفه بعد الجفوة التي وقعت بينهما .

على إنّ إشارة أُخرى في الرسالة يمكن أن تُقرب هذه المدة ، إذ ورد ذكر أصحاب المظالم (٢: ٢٣٥)، وهم الذي قصّ الطبريّ خبرهم في حوادث سنة ٢٢٩هـ (١٣٧: ١٢٥). وبذلك يمكن إرجاع الرسالة إلى المدة من سنة ٢٢٩-٢٣٣هـ، وهي المدة نفسها التي ذهب الجاحريّ إلى عدّها تاريخاً مُقارباً لإنشاء الرسالة . (٥٣: ٢٦٧-٢٦٨) .

ويظهر للدارس من النظر في سياق العناية بنشر الرسالة ، ظهور عدة نشرات لها ، على اختلافٍ في القيمة والمستوى ، ويمكن عدّ نشرة كراوس والحاجريّ (٥٤: ٦١ - ٩٨). ونشرة عبد السلام هارون (٣ :٢٣٧-٢٧٨) أجود نشرتين؛ لاحتذائهما المنهج العلمي في كثير من صوره، ولا سيما النشرة الثانية منهما. وأمّا النشرات الباقية وهي : نشرة محمد الزعبي (١١٧: ٩٥-١٣٧)، ونشرة عبد السّلام هارون ضمن الفصول المختارة (٣٤: ٨١ -٩١)، ونشرة الحاجري المُعادة عن نشرته التي أخرجها مع كراوس (١٢٦ : ٦٩-١١٢)، ونشرة علي "أبو ملحم" (١٠٠ : ٣٢٥-٣٥٩)، نشرة عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ١٦٥-١٦٩)، فإنها تدور في إطار النشرتين السابقتين، وبالتالي، فإن قيمتها العلمية تبدو ضئيلة إزاء هاتين النشرتين.

وقد انتخب بلاّ مقتطفات من الرسالة ونقلها إلى الفرنسيّة (٤٣)، وسرعان ما نقلها هواك إلى الإنجليزيّة (١٢٩ : ٢٩٧-٢١٦) وفيما يتصل بمخطوطات الرسالة، فإن نسختها الكاملة تقع ضمن مجموعة الرسائل المحفوظة في مكتبة داماد إبراهيم بتركيا (٦١)، كما توجد منتقيات منها ضمن مختارات عُبيد الله بن حسان المحفوظة في المتحف البريطاني (٧٣)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، ودار الكتب المصرية (٧٤) ، وطوب قبوسراي (٦٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- رِسَالةٌ إلى أبي حَاتِمٍ السِّجِسْتَاني.

ترد هذه الرسالة ضمن طائفة من رسائل الجاحظ القصار، حفظها ابن عبد ربّه في كتابه العقد (١٣٨: ٢٤٣)، وعن هذا الكتاب أعاد نشرها صاحب جمهرة رسائل العرب (١٣٥: ٥٣). والرسالة على شدة اقتضابها تكاد تكشف ملمحاً جديداً عن صلة أبي عثمان باللغويّ المعروف أبي حاتم السجستاني، وهي صلة يكتنفها غموض شديد، ومع أن الرجلين كانا من أبناء جيل واحد وبيئة مشتركة، إلاّ أنّ المصادر لا تُفصح عن أشياء ذات بال في إقامة تصور ما عن تلك الصلة .

والرسالة عموماً لا تخرج عن النمط الذي تسير عليه أكثر الرسائل الخاصة التي كتبها الجاحظ ، فهي تفتقر إلى ما من شانه معرفة تاريخ مقارب لإنشائها. وربما كُتبت في واحدة من المرات التي كان يزور أبو عثمان فيها مدينة البصرة، حيث قضى أبو حاتم شطر حياته الأكبر فيها، وليس بعيداً أن تكون قد كُتبت في أواخر حياة الجاحظ، حين جمعت البصرة بينه وبين أبي حاتم وقد علت بهما السن. ويشير صاحب العقد إلى شيء من الظروف التي أحاطت بكتابة الرسالة، فقد تناهى إلى أبي عثمان أنّ أبا حاتم نال منه في شيء وكأنّ الجاحظ سيء بذلك، فكتب إليه يدعوه إلى الكف عن التعرض له، وتتضمن إشارة ابن عبد ربه من جهة أخرى تسجيل ما صادفته الرسالة في نفس أبي حاتم، إذ اقلع عن التعرض لأبي عثمان بشيء يكرهه (١٣٨: ٢٤٣).

١٤ – كتابُ الحِجَاب .

يُعرف هذا الكتاب تارة بكتاب الحجاب ، وأخرى باسم ذم الحجاب، ويبدو أنّ العنوان الأول أقرب إلى الصورة الصحيحة لِوروده في أقدم النسخ الخطية من جهة (٦١ :١٤٥ظ) ، ولأنّ المؤلف أشار إليه في قوله: "وقد جمعتُ في كتابي هذا ما جاء في "الحجاب" من خبر وشعر ..." (١٠ :٣٠)، من جهة أخرى. وأمّا صورة العنوان الآخر، فترجع إلى ما ذكره شهاب الدين الخفاجي في كتابه طراز المجالس (٨٥: ٧٣٠)، ويبدو أنّ هذا الأخير وضع العنوان المشار إليه بناء على استقرائه الرسالة .

وبخصوص نسبة الكتاب إلى الجاحظ، أبدى غير باحث شكه في صحة هذه النسبة ، يقول حسن السندوبي في نشرته :" وقد نقلت هذه الرسالة من الشهاب الخفاجي وفي نفسي من نسبتها إلى الجاحظ شيء "(١١٥ :١٨٦)، وقد وعد السندوبي بتناول هذا الأمر لكنه لم يفِ بوعده . وذهبت وديعة النجم إلى مثل ذلك ، فقالت : " فنحن لا نسطيع أن نجزم بصورة تامة أن كتاب الحجاب حقاً من مؤلفات الجاحظ " (٣٧: ١٣)، وهذا يعني أن نسبة الكتاب إلى الجاحظ ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زالت قابلة للأخذ والرد ، وهو ما يدعو الباحث إلى استنطاق ما من شأنه أن يُفضي إلى رأي يأخذ حظَّه من العلميّة والموضوعيّة .

وينبغي الإقرار قبل المضي في تلمس الشواهد التي تُرجح إضافة الكتاب إلى الجاحظ أنّ هذا الترجيح لا يبدو نهائياً تماماً، لأنّ بعض الشواهد لا تكتنز القوة المطلوبة التي تؤهله ليكون دليلاً قاطعاً يُنفى معه ما قد يتطرق إلى نفس الباحث من شك مضمر يرجع إلى الحدس والشعور، وأما الشواهد التي أرى أنها تؤيد نسبة الكتاب إلى الجاحظ ، فهي :

أولاً : إنّ خلّو سائر الأثبات القديمة التي سردت جريدة كتب الجاحظ من ذكر هذا الكتاب ، لا يقف وحده دليلاً تُنفى على أساسه نسبة الكتاب إلى الجاحظ ، لأنّ هذه الأثبات كما اتضح في الفصل الأول من هذه الدراسة لم تشتمل على جميع آثار الجاحظ ، بل إنّ كثيراً من هذه الآثار لم تأخذ طريقها إلى تلك الأثبات .

ثانياً : ليس في نص الكتاب ، ولا في إشاراته التاريخيّة والأدبية ، ولا في أعلامه ، ما يتجاوز العصر الذي عاش فيه الجاحظ .

ثالثاً : يبدو من تتبع السماعات التي صرح بها المؤلف أنّ جميع مُسمعيه ممن عاشوا في العصر الذي عاش فيه الجاحظ ، ومن هؤلاء : أبو تمام (١٠ : ٥٩، ٨٣)، وأبو علي البصير (١٠: ٤٥، ٦٦)، والبلاذري (١٠: ٥٩، ٨٥)، والعطوي (١٠: ٨٥)، وواضح أن الجاحظ صرح بالسماع المباشر عن أكثر هؤلاء في كتبه الأخرى . ولا شك أنّ هذه السماعات تُشير بوضوح إلى أنّ واضع الكتاب قد عاصر من سمع منهم، ثم أودع سماعاته هذا الكتاب، وهو أمر لا يَبْعد عن الجاحظ كثيراً .

رابعاً : ليس في أسلوب الكتاب وطريقته ما يباين طريقة الجاحظ المعروفة في كتبه، فهو بدءاً يماثل أكثر آثار الجاحظ في فاتحته التي تتضمن دعاءً للمخاطب بطول البقاء ودوام السعادة والبعد عن كل سوء (١٠ : ٢٩)، ثم ينتقل إلى موضوع الكتاب على نحو يختلف كثيراً عما يطالعه الدارس في كثير من كتبه. وتشكل المادة المروية السواد الأكبر من مادة الكتاب، ولا غرابة في ذلك، لأن الجاحظ صرح منذ البداية أن غايته جمع ما جاء في الحجاب من خبر وشعر، ومعاتبه وعُذر، وتصريح وتعريض (١٠: ٣٠). فمنهجه في هذا الكتاب إذنْ يقوم على أساس ضمّ ما اتصل بالموضوع من الأشعار والأخبار ونحوها فحسب، دون محاورة هذه المنقولات والوقف منها موقفاً معيناً يمثل رؤية المؤلف الذاتية .

أمّا ما يراه القارىء من تقسيم الكتاب إلى ما يشبه الفصول التي لم يجرِ عليها الجاحظ في أكثر كتاباته الأخرى، فلا يبعد أن تكون من باب الزيادات التي كان يُقحمها بعض الوراقين والنساخ على النصوص بغية تيسير المراجعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد الفراغ من تناول الشواهد التي تقف في جهة إضافة الكتاب إلى مؤلفات الجاحظ الثابتة، يمكن الانطلاق إلى تحديد الزمن الذي أُلف الكتاب فيه ، ويُلاحظ هنا أنه على الرغم من كثرة الإشارات التي حفل بها الكتاب، إلاّ أنّ أكثرها يرد وفق صورة لا تُجدي في تلمس تاريخ تأليفه، ومن أمثلة هذه الإشارات قوله: أنشدني فلان أو حدثني فلان وما أشبه. على أنّ الأبيات التي تضمنت ذكر حُجّاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل (١٠: ٨٥) ، تشير إلى أنّ الكتاب أُلّف بعد أن أصبح لهذا الشخص حُجّاب يقفون ببابه، أي بعد وزارته سنة ٢٣٦هـ . وهذا يعني أنّ الجاحظ وضع كتابه وقد تقدم به العمر حتى قارب الثمانين .

ويبدو من النظر في الجانب المتصل بنشرات الكتاب و مخطوطاته وترجماته، أن نشرته الأولى ترجع إلى فترة مبكرة ، حين نُشر ضمن كتاب طراز المجالس في القاهرة سنة ١٢٨٤هـ= ١٨٦٦م (٨٥ : ٧٣-٩٧)، بوصفه مادةً أودعها الخفاجي كتابه. وبعد أكثر من ستين عاماً، قام السندوبي بتصحيحه ونشره من جديد ضمن المجموعة التي أخرجها سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥ : ١٥٥-١٨٦). ثم حققه عبد السلام هارون تحقيقاً علمياً وافياً بالاعتماد على أصوله الخطية والمطبوعة (١٠ : ٢٥- ٨٥) ، واتكاءً على هذه النشرة صدرت في بيروت في المدة الأخيرة نشرتان جديدتان أخرج الأولى عبد الأمير مهنا (١٠٣: ١٧-٦٠) ، والثانية علي أبو ملحم (١٠١ : ٥٦٣ - ٦٠١) .

وأما ما يخص نقوله إلى غير العربية ، فلم تحظ بالنقل منه سوى قطعة نقلها المستشرق الألمانيّ ريشر إلى لغته (٤٣) ، وأما فيما عدا ذلك فليس للمترجمين من أبناء اللغات المختلفة جهود تُذكر بهذا الصدد . وأخيراً فإنّ المخطوطة الوحيدة المكتشفة حتى الآن ، وهي التي نشر عنها عبد السلام هارون الكتاب ، توجد محفوظة ضمن مجموعة رسائل الجاحظ في خزانة داماد إبراهيم التركيّة (٦١) .

١٥- كتابُ الحَنينِ إلى الأوطَان .

لعل أهم القضايا التي يجدر تناولها عند الحديث عن هذا الكتاب ، تحقيق ما يتعلق بصحة نسبته إلى الجاحظ من شكوك أثارها بعض الدارسين ، ويلاحظ الدارس أن الباحثين ينقسمون اليوم إلى فريقين بالنظر إلى هذه القضية ، أما الفريق الأول فيمثله حسن السندوبيّ ، ويحتج له علي أبو ملحم ، ويرى هذا الفريق أن الكتاب ليس من آثار الجاحظ ، وأن بعضهم قام بنحلة ليلقى الرواج عند الناس (٣١ : ١٥٣) . ويستند هذا الفريق إلى الأدلة التالية :

أولاً : اختلاف طريقة تأليف الكتاب عن الطريقة التي اصطنعها الجاحظ في كتبه ، فالكتاب - في رأي الفريق - يخلو من الأصالة الفكرية التي يمكن انّ يطالعها القارىء في غير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب من كتب الجاحظ ، فهو ليس إلاّ محض اختيارات منتقاة تتعلق بحب الإنسان وطنه (٣١ : ١٥٣ ، ١٠١ : ١٨) .

ثانياً : طرق الجاحظ موضوع الكتاب في كتاب آخر هو كتاب الأوطان والبلدان ، وليس من الحكمة في شيء إعادة معالجته مُجدداً (١٠١: ١٨) .

ثالثاً : في الكتاب نعرة شعوبية تبدو من قول منسوب إلى أعرابي موجة إلى الجاحظ، كما تبدو هذه النعرة من تمجيد الفُرس واليهود وذكر مآثرهم وأخبارهم وحبهم أوطانهم (١٠١: ١٩) .

رابعاً : ورد في الكتاب ألفاظ غريبة متكلفة ، تباين ما كان يدعو إليه الجاحظ من فصاحة اللفظ والابتعاد عن الوحشية والتكلف البياني (١٠١ : ١٩) .

وأمّا الفريق الآخر ، فقد مثله : بروكلمان (٣٣ : ١٢٨) ، و غربي الحاج أحمد (١٨٥) ، بيد أن عبدالسلام هارون كان من أبرز من دافع عن صحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ مستنداً إلى الحجج الآتية (١٠ : ٣٨٠-٣٨١) :

أولاً : ليس في الكتاب سمة من السمات التي توحي بأنّه ليس من وضع الجاحظ ، لأنّه جارٍ على طريقته في التأليف،فهو محض اختيارات مختلفة تتعلق بموضوع الحنين إلى الأوطان ، يربط الجاحظ بينهما ، ويبوبها ذلك التبويب الذي يعهده الدارسون في آثاره . وأسلوبه التعبيري لا يُجافي ما هو معهود من بيانه ، ومقدمة الكتاب آية على ذلك .

ثانياً : ليس في نصوص الكتاب، ولا في رجاله، ولافي حوداثه ما جاوز زمنه زمن الجاحظ .

ثالثاً : في الكتاب نُصوص مشتركة بينه وبين سائر كتب الجاحظ الأخرى ، وهذه السمة معروفة عنده .

رابعاً : ورد في الكتاب ذكر أقوال الفُرس ، وكلام الحكماء والفلاسفة ، ونوادر الأعراب وأهل البادية . وقد جرى أبو عثمان على هذا النمط في سائر كتبه .

وبعد إيراد حجج الفريقين مُفصلةً ، يبدو لي أنّ رأي الفريق الثاني أدعى للقبول من سابقه للأسباب التالية :-

أولاً : إنّ ما يقتضيه المنطق الصحيح، أنّ يظل الكتاب المنسوب إلى الجاحظ ثابت النسبة حتى تُثبت الأدلة والشواهد المبينة خلافه، وبما أنّ الأدلة التي ساقها الفريق الأول لا ترقى إلى مستوى أدلة الفريق الثاني من حيث الصحة والقوة، فإنّ شُبهة الانتحال تُنفى عن الكتاب حتى يقوم ما يثبتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : إنّ ما ذكره الفريق الأول من تناول الجاحظ موضوع هذا الكتاب في كتابه الأوطان والبلدان. لا يمكن عده دليلاً يُستند إليه في هذا الشأن، لأنّ الجاحظ كان يسلك هذه السبيل في عددٍ من كتبه، بل يمكن عدّ هذه الطريقة منحى اتسمت به الكتابة عند الجاحظ .

ثالثاً : أمّا دعوى هذا الفريق وجود نعرة شعوبية في الكتاب، فالحق أنها ليست بهذه الصورة تماماً ، فكل ما هناك محض أقوال يسيرة يرويها الجاحظ عن غيره دون أنّ تمثل هذه الأقوال اتجاهاً أو حتى رأياً يُعتد به والحق أن أشباه هذه المرويات ليست غريبة عن آثار الجاحظ الباقية .

رابعاً : أمّا ورود الألفاظ الغريبة في الكتاب ، فهي ترجع إلى باب المرويات التي كان أبو عثمان يؤديها دون أنّ تُمثل خصائص أسلوبه في الكتابة . أضف إلى ذلك أنّ الاستشهاد بغريب اللفظ ونحوه قد يطالعنا في غير كتاب من كتب الجاحظ .

خامساً : يبدو من تتبع سلسلة الذين صرح مؤلف الكتاب بالسماع عنهم كالتوزي (١٠: ٢٩٣)، وسليمان بن معبد (١٠: ٢٩٧)، وحماد بن إسحق الموصلي (١٠: ٢٩٩)، والمازني (١٠: ٣٠٤)، أنّ جميعهم ممن عاشوا في عصر الجاحظ، وروى عنهم في كتبه. وهذا يُشير إلى نفي احتمال تأليف الكتاب بعد الجاحظ ، إلاّ أن يكون بعضهم قد لفق هذه السماعات، وهو أمر يحتاج إلى مستندات مُوثقة .

سادساً : ذكر ابن خير الإشبيلي في فهرسه ما رواه عن شيوخه هذا الكتاب باسم كتاب حب الوطن، ونص صراحة على أنه للجاحظ (١٨٦: ٢٨٥). وهذا يعني أن القدماء عرفوا الكتاب على أنه من كتب الجاحظ قبل مطلع القرن السادس الهجري .

وبعد تناول ما يتصل بنسبته الكتاب إلى الجاحظ، يظهر الدارس على نحو جليّ ، أنّ مادته تخلو من أدنى إشارة تُنير الطريق أمام وضع هذا الأثر في نسقه التاريخي المقارب، شأنه في ذلك شأن بعض آثار الجاحظ . لكن ربما كان تأليفه يرجع إلى ما بعد سنة ٢٣٢هـ، بسبب ما نطالع من اختفاء النزعة المذهبية في نصه، وهي النزعة الغالبة على كتابات الجاحظ الواقعة قبل هذا التاريخ .

وقد نُشر كتاب الحنين إلى الأوطان بضع مرات، أُضيف فيها إلى الجاحظ، وكان طاهر الجزائري صاحب السبق إلى نشره في القاهرة سنة ١٣٣٣هـ=١٩١٤م (١٨٧)، وقد بقيت هذه النشرة وحيدة حتى نهض عبد السلام هارون بتحقيقه وفق الأصول العلميّة الحديثة، وذلك بعد نحو خمسين سنة من نشرته الأولى (١٠ : ٣٧٩ – ٤١٢). وصدرت في بيروت بعد نشرة هارون نشرتان : الأولى أصدرتها دار الرائد العربي سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م (١٨٨) والثانية أخرجها عبد الأمير مهنا ضمن مجموعته المنشورة سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١٠٣ : ٢٤٢ - ٢٦٠) . وأما علي أبو ملحم ، فقد أحجم عن نشره ضمن رسائل الجاحظ لشكه في صدق نسبته إلى أبي عثمان .

وفيما يتعلق بنقله إلى اللغات الأخرى،ظهرت ترجمة مقتطفات منه إلى الألمانية ، نشرها ، ريشر في مجموعته سنة ١٣٥٠هـ =١٩٣١م (٤٣) . ونقله وليام هانتشينز إلى الإنجليزية في مطلع الثمانينات (١٣٠ : ١٥) .

على أن مما يلفت النظر، على الرغم من القيمة المتواضعة للكتاب ، انتشار نُسخه الخطية بشكل افتقرت إليه العديد من الآثار الجاحظية ذات الشهرة والقيمة الواضحتين ،وأشهر مخطوطاته التي يمكن الإشارة إليهما بهذا الصدد هي : مخطوطة داماد (٦١) ، ومخطوطة الخزانة التمورية (١٠ : ٣٨١) ، ومخطوطات أخرى في الموصل (١٨٥) .

١٦ - كتابُ الحَيَوان .

مع أن هذا الكتاب شهر بهذه التسمية في أكثر البيئات العلمية مُذ ألفه الجاحظ ، إلاّ أنّ بعض القدامى آثر أن يسميه طبائع الحيوان على نحو ما يمكن مطالعته عند عبد القاهر البغدادي (١٧: ١٧٧)، وأبي المظفر الإسفراييني (١٨: ٥٠). وما من ريب في أنّ التسمية الأولى هي التسمية التي وضعها الجاحظ لكتابه كما صرح بذلك في غير موضع (١٠ : ٢١٥ ، ٤٩ : ٦٠) .

ويبدو من استحضار الشواهد المتعلقة بتاريخ تأليف الكتاب أنّ الجاحظ فرغ من تحريره على صورة ما قبل وفاة الوزير ابن الزيات سنة ٢٣٣هـ ، وهذه النتيجة تبدو بدهية إذا ما عُلم أن الجاحظ أهدى كتابه إلى الوزير المذكور، فكافأه بخمسة آلاف دينار (٨: ٢١٠)، وليس يعني ذلك أن صورة الكِتاب حين قُدم إلى ابن الزيات كانت نهائية على الشاكلة التي نراها اليوم، فالذي يبدو أن الجاحظ كان يحرص بين الفينة والأخرى على الرجوع إلى كتابه والزيادة فيه، حتى غدا أشبه بموسوعة حافلة تضم ألواناً مختلفة من المعارف. وبوسع أي مطلع على كتاب مطول كالحيوان أنّ يُدرك في قرارة نفسه أنّ إقامة مثل هذا الكتاب تحتاج إلى فُسحة مديدة من الزمن حتى تستوي هذه الرغبة . وبناء على هذا الرأي، فلا يبعد أنّ تكون الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب وضعت بعد وفاة ابن الزيات، كما يمكن الاستدلال على ذلك من وجود بعض الإشارات المتأخرة في هذه الأجزاء، وهو ما لا يُلمس في الأجزاء الأربعة الأولى من الكتاب. وأشهر هذه الإشارات التي يرجع تاريخها إلى ما بعد سنة ٢٣٢هـ ، الإشارة إلى خلافة المتوكل (١٨٩ : ٢٥٢- ٢٥٣) .

وواضح أن طه الحاجري اعتمد هذه الإشارة في تحديد زمن تأليف الكتاب ، فهو يتخذ من قول الجاحظ : "وحَدَّثني بهذا الحديث في الأيام التي قام بها أمير المؤمنين المتوكل على الله"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دليلاً على إضافة الكتاب إلى المرحلة التي تعقب عهد المتوكل (٥٣: ٣٩٧)، وحسب هذا الرأي، فإن تأليف الحيوان يرجع إلى المدة بعد سنة ٢٤٧هـ، وهي السنوات الأخيرة من حياة الجاحظ. وحتى لا يؤخذ على الرأي الذي ذهب إليه الحاجري مأخذ، أنكر صحة النص الذي ذكر فيه الجاحظ إهداء كتاب الحيوان إلى ابن الزيات، وكتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي دؤاد، وكتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم الصولي، وقد ذكر الحاجري ذلك صراحة حين قال : "لا نستطيع أن نمنح هذا النص ثقتنا " (٥٣: ٢٧١).

وإنكار هذا النص أقرب إلى أنّ يكون جزماً ليس ثمة دليل يؤيده ، والواقع أن هذا الأمر جرَّ الحاجري إلى إنكار نص آخر يدور حول حكاية أندلسي حملته شهرة التربيع والتدوير والبيان والتبيين على الرحلة إلى العراق، والانقطاع إلى الجاحظ نحو عشرين سنة (٥٣: ٤٢٥)، وهو إنكار لا يقوم عليه دليل أيضاً. أمّا النص الذي استند إليه الحاجري في إرجاع الحيوان إلى ما بعد خلافة المتوكل ، فمن الممكن توجيهه بأحد أمرين : الأول أنّ هذا النص يقع في آخر الجزء السابع من كتاب الحيوان، أي أنه يقع ضمن الاجزاء التي رجحتُ وضعها بعد سنة ٢٣٢هـ، وعليه، فلا عجب أنّ ترد في الكتاب إشارة بعد هذا التاريخ. وأمّا الأمر الآخر، فقد يكون المقصود من قوله " الأيام التي قام بها أمير المؤمنين المتوكل " الأيام الأولى التي كانت فيها بداية تحركه طلباً للخلافة بعد وفاة الواثق سنة ٢٣٢هـ .

وهكذا يظهر أنّ ورود بعض الإشارات المتأخرة في الأجزاء الأخيرة من الحيوان ، لا تنفي أن يكون أُهدى بصورته الأولى إلى ابن الزيات قبل سنة ٢٣٣هـ . ويبدو أنّ شروع الجاحظ في تأليفه كان قبل أربع سنوات أو خمس من هذا التاريخ، وقد أمكن من استقراء مادة الكتاب تحديد أقرب إشارتين إلى هذا التاريخ، أما الإشارة الاولى، فهي بيت للبحتري من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب (١: ٦٨)، ويرجع تاريخ هذه القصيدة إلى سنة ٢٢٨هـ (١٩٠: ١٦٣-١٦٦). وأما الاشارة الثانية، فهي ذِكْرُ خلافتي المعتصم والواثق (٦: ٤٢٢)، ويبدو أن هذه الإشارة لا تبعد عن التاريخ المذكور أيضاً، وعليه يمكن تحديد السنة التالية لسنة ٢٢٨هـ، أو التي تليها تاريخاً مقارباً استهل فيه الجاحظ تأليف كتابه الحيوان. وعلى اعتبار أنه أمضى في تحريره الأول مدة سنتين أو ثلاث قبل أنّ يقدمه إلى ابن الزيات، فإنه يمكن عدّ سنة ٢٣٢هـ السنة التي أتم فيها أبو عثمان الكتاب على صورته الأولية .

وفيما يختص بالجانب الأخير في توثيق الكتاب، يمكن الإشارة إلى نشراته الثلاث : أما أولاها ، فقد أخرجها أحد الوراقين المهتمين بآثار الجاحظ في مطلع هذا القرن، وأعني به محمد ساسي المغربي الذي نشر عدداً من أمهات كتب الجاحظ ورسائله، وقد طُبعت هذه النشرة في سبعة أجزاء في القاهرة في الفترة الواقعة بين سنتي ١٣٢٣-١٣٢٥هـ=١٩٠٥-١٩٠٧ م (٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم مما تجدر الإشارة إليه من أهمية هذه النشرة وقيمتها من حيث كونها أقدم نشرة لهذا الكتاب، إلا أنها لم تحتذ منهجاً علمياً صحيحاً في النشر، وهي لا تسلم من خطأ وسقط وتشويه وتحريف نبه عبد السلام هارون على كثير منه أثناء مقابلة نشرته على هذه النشرة .

وأمّا النشرة الثانية، فقد ظهرت في القاهرة في المدة من سنة ١٣٥٧-١٣٦٤هـ= ١٩٣٨ -١٩٤٥م (٩٤)، وقد نهض بتحقيقها تحقيقاً علمياً وافياً عبد السلام هارون في نطاق مشروعه لإحياء مكتبة الجاحظ، وقد صدرت الطبعة الثانية للكتاب في القاهرة سنة ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م (١). وامتازت هذه النشرة بجودة الضبط والتحقيق العلميين، وبالرجوع إلى أصول الكتاب مخطوطةً ومطبوعةً في سبيل تصحيح نصه وإقصائه عما شأنه أن يُشوش على الدارس أو يعترض طريقه، كما أسدى المحقق سابغة أخرى في ابتداعه فهارس فنية متنوعة المطالب، سهلة المتناول، تيسر للباحث الكشف عن كثير من المعارف والمعلومات المتشعبة في أرجاء كتاب حافل مثل الحيوان .

وأمّا آخر هذه النشرات، فقد أخرجها فوزي عطوي في بيروت (١٩١)، وهي نشرة سقيمة للغاية، ليس فيها جهد علمي واضح، ويبدو أنّ هذه النشرة كما هو شان جميع آثار الجاحظ التي ادّعى عطوي تحقيقها على أقدم أصولها الخطية !! (٤٧ : ٤٤) لم تكن ذات غاية علميّة يُطمأن إليها .

ويبدو أنّ طول الكتاب وتشتت معارفه دَعوَا غير واحد من القدامى والمعاصرين إلى التعرض له بالاختصار والتهذيب تارة، والانتقاء والاختيار طوراً آخر. وأشهر من اختصره من القدامى الشاعر المعروف ابن سناء المُلك (١٩٢ :٢٦٥) ، وتابعه في مثل ذلك عبد اللطيف البغدادي (٢٧: ٦١٤). وفي العصر الحديث، أخرج عبد السلام هارون تهذيباً اصطفى فيه الطائفة اللافتة من مادته ، وقد نُشر هذا التهذيب في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م (١٩٣) . وكان فؤاد البستاني قد عُني بنشر منتخبات من الكتاب في حلقات متتالية ضمن سلسلة الروائع سنة ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨م (٢٩) . كما نشر فان فلوتن (٣٣ : ١١١)، وعناد غزوان (١٢٥ : ٩-١٣١) ، ونعيم الحمصي وعبد المعين الملوحي (١٩٤) مختارات من هذا القبيل .

وعلى نقيض ما كان يتوقع من تعدد المنقولات عن الحيوان إلى اللغات الأخرى ، لم تظهر في هذا الجانب سوى منتقيات مقتضبة أحالها شارل بلاّ إلى الفرنسية (٤٣) ، وهي المنتقيات نفسها التي نقلها هواك إلى الإنجليزية (١٢٩ : ١٣٠-١٨٥) ، ولم يبرز فيما عدا ذلك ما تجدر الإشارة إليه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من حصيلة الشهرة التي لقيها كتاب الحيوان أن كثرت أصوله المخطوطة وانتشرت في العديد من أمهات خزائن دور المخطوطات العالمية ، ويمكن الرجوع بهذا الصدد إلى ما أورده بروكلمان (٣٣: ١١١)، وشارل بلاّ (٤٣)، وهدى بهنام (٤٥) .

١٧ – رسالةٌ في ذَمِّ الزَمَان .

وجه أبو عثمان هذه الرسالة إلى أحد إخوانه (١٩٥ :٣٤٢) ، بيد أن المصادر لا تُعين الدارس في معرفة اسم هذا الشخص، كذلك فإنّ نصّ الرسالة لا يُفضي إلى شيء بهذا الخصوص، فهي تخلو من الإشارة إلى تاريخ إنشائها ،لكن لهجة الجاحظ فيها تومىء إلى أنّه كتبها بعد انقضاء دولة المعتزلة ، أي بعد سنة ٢٣٢هـ ، فهو لايترك فرصة تنقضي حتى ينعى على فساد الأيام التي كتب فيها رسالته ، وما شهدته هذه الأيام من تغير الأحوال وانقلاب الموازين وتبدل القيم ، ويبدو أنّ قوله :" فهذا دليل على أن الطّلاح أحدى من الصّلاح، وأن الفضل قد مضى زمانه وعفت آثارُه، وصارت الدائرة عليه، كما كانت الدائرة ضده " (١٩٥ : ٣٤٤)، يحمل موازنة ضمنية بين دهرين أحدهما – في نظر الجاحظ – دهر استقامة وصلاح، وهو عصر الاعتزال. والآخر، دهر تبدل وفساد، وهو عصر ما بعد الاعتزال . والعصر الأول، هو العصر الذي وصفه الجاحظ بقوله : " وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وخوى نجم التقية . وهبت ريح العلماء ، وكسد العي والجهل، وقامت سوق البيان والعلم " (١ : ٨٦ – ٨٧) . وأمّا العصر الثاني ، فهو الذي نعته الجاحظ في هذه الرسالة بقوله : " استحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة أنذالنا " (١٩٥: ٣٤٢)، وقوله "فقد طالت الغمة، وواطنت الكربة ، وأدلهمت الظلمة ، وخمد السراج، وتباطأ الانفراج" (١٩٥: ٣٤٥). ولاشك أنّ اختلافاً واضحاً يظهر في نَفَس الجاحظ ولهجته بين ما وصف به العصر الأول والعصر الثاني، الأمر الذي يجعل إضافة الرسالة إلى المدة بعد سنة ٢٣٢هـ مُرجحاً على غيره، لا سيما مع عدم وجود قرائن تمنع هذا الترجيح.

تندرج هذه الرسالة في عداد إخوانيات الجاحظ التي حفظها ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابة العقد (١٩٥: ٣٤٢-٣٤٥)، وقد ظلت الرسالة على وضعها في هذا الكتاب حتى اتجه عدد من الباحثين في العصر الحاضر إلى إعادة نشرها ، وتعد نشرة أحمد مفتاح ، التي ترجع إلى نحو مائة عام ، أقدم هذه النشرات (١٣٤: ٣٦٢-٣٦٤)، تليها نشرة أحمد فريد الرفاعي (١٩٦: ٨٠-٨٢)، فالسندوبي (١١٥: ٣١٠-٣١١)، فصاحب جمهرة رسائل العرب (١٣٥: ٤٩-٥١). ويُلاحظ أنّ جميع هذه النشرات صدرت في القاهرة قبل منتصف هذا القرن ، وأما بعد ذلك ، فقد أعاد عمر أبو النصر نشرها في بيروت بالاعتماد على نشرة السندوبي (٩٧ : ١٦٩-١٧١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فيما يتصل بنقول الرسالة إلى اللغات الأخرى ، فقد نقلت إلى الفرنسية سنة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧ (٤٣) وترجمها شارل بلاّ ثانية إلى الفرنسية (٤٣) ، ونقلت هذه الترجمة إلى الإنجليزية بعد مدة وجيزة من عمل بلاّ (١٢٩ : ١٢٢ -١٢٤) .

١٨ - رسالةُ ذمِّ الكُتَّاب .

هذا هو عنوان الرسالة حسبما أشار إليه عدد من أصحاب الأثبات القديمة،كابن النديم (٨ : ٢١١) ، وياقوت(٣: ١٠٩) ،والصفديّ (١٢ : ٥٨ب) ، بيد أنّ هذه الصورة تختلف قليلاً في أصل الرسالة الخطي ، فهي تُذكر هناك باسم ذمّ أخلاق الكُتاب (٦١ : ١٩٠ظ) ، ويبدو أنّ العنوان الأوّل يبقى أقرب إلى نمط عنوانات آثار الجاحظ من العنوان الآخر ، وفق ما يمكن أنّ يُستشف من عنونة الجاحظ إحدى رسائله باسم ذم الوراقين (٨ :٢١١) ، كذلك فإنّ هذا العنوان يقف مقابلاً لعنوان الرسالة المُضادة التي وسمت بمدح الكُتاب (٨ : ٢١١) .

وعند استنطاق نص الرسالة عن تاريخ إنشائها ، يجد الباحث أنها تستأثر ببعض الشواهد المجدية التي تُعين في تحسس ذلك الطلب ، فأوّل ذلك الإشارة إلى وزارة الفضل بن مروان (١٠ : ٢٠٥) ، ومعروف أن هذا الشخص تقلد الوزارة للمعتصم نحو ثلاث سنوات ، ثم صُرف عنها سنة ٢٢١هـ (١٩٧ :٤٦) ، وهذا يقطع أنّ تاريخ إنشاء الرسالة يرجع إلى المدة بعد السنة المذكورة. ويبدو في الجهة المقابلة أن كتابة الرسالة لم تتجاوز السنة التي تولى فيها عُبيد الله بن يحيى بن خاقان وزارة المتوكل ، وهي سنة ٢٣٦هـ ، ومنبع هذا الاستنتاج هو تشنيع الجاحظ على والد هذا الوزير في هذه الرسالة على نحو يجمع القسوة والجراءة ، فهو يجعله أولاً في عداد الكُتّاب الموصوفين بنذالة الطبع وفسالة الرأي . ولايلبث حتى ينسبه إلى الذل أو الفاقه، ويسوق حادثة له مع الشاعر المعروف أبي العتاهية تدل على شدة لؤمه وفرط بخله (١٠ :١٩٨ - ١٩٩) . ولا أحسب أنّ الجاحظ كان يتعمد الوقوع في والد كبير وزراء الدولة في عصره ، بل على خلاف ذلك تماماً ، فقد كان الجاحظ كان يخطب ود هذا الوزير بكل ما أمكن منذ ولايته أمر الوزارة . وهذه الإشارة تُفضي إلى القول إنّ الجاحظ كتب رسالته قبل وزارة عبيد الله بن خاقان ، أي قبل سنة ٢٣٦هـ ، وعليه ، يظهر أن زمن كتابة الرسالة ينحصر بين سنتي ٢٢١ - ٢٣٦هـ .

ومن التدقيق في نص الرسالة ، تظهر إشارة أخرى تبدو مهمة جداً في تضييق هذه الفسحة الزمنية التي تمتد زهاء خمسة عشر عاماً ، يقول الجاحظ في سياق ذكره كُتّاب بني العباس : " ثم كتب لهم ابن يزداد وكان أشقاهم، حتى هلك " (١٠: ٢٠٤)، فالإشارة تبدو واضحة هنا إلى وفاة الكاتب محمد بن يزداد التي ترجع إلى سنة ٢٣٠ هـ، حسبما جاء في بعض،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر (١٩٨: ٢٥٨)، وبناء على هذه الإشارة، يمكن عدّ المدة بين سنتي ٢٣١-٢٣٦هـ ، تاريخياً مقارباً كُتبت الرسالة فيه ، على أنّه من الممكن التوصل إلى تاريخ أكثر دقة من هذا التاريخ ، فقد عرّض الجاحظ كما يبدو من رسالته - بالكاتب إبراهيم بن العباس الصولي واتهمه بالشرة والرقاعة (١٠:١٩٧) ، ومعلوم أن الصولي نال حظوة في الدولة ابتداءً من ولاية المتوكل سنة ٢٣٢هـ وحتى وفاته سنة ٢٤٣هـ، وكان في هذه المدة يتولى رئاسة ديوان الرسائل، وهو منصب له خطره آنذاك لما يُوكل إليه من سائر مكاتبات الدولة. ولا إخال الجاحظ كان قادراً على مواجهة الصولي والوقوع في شخصه وإشاعة مثالبه، وقد أضحى أحد أعيان الدولة،ممن لهم اليد الطولى في تصريف شؤونها، بل الأرجح أنّ يكون صدر ذلك عن الجاحظ قبل أنّ تكون هذه حال الصولي .

وهكذا يبدو مما سبق، أن تاريخ الرسالة أدنى إلى أن يكون محصوراً في المدة بين سنتي ٢٣٠هـ - ٢٣٢هـ، أي في الفترة الأخيرة من وزارة ابن الزيات المعروف بعدائه لكثير من رجال عصره من كتاب وأدباء وشعراء وساسة وغيرهم، ومن هنا يبدو أنّ هدف الجاحظ من توجيه هذه الطعون والتجريحات إلى جماعة الكُتّاب، كان في إطار الحملة المشهورة التي شنها ابن الزيات عليهم ابتداءً من سنة ٢٢٩هـ ، على نحو ما حدّث به الطبري في حوادث تلك السنة (١٣٧: ١٢٥)، ومما يؤيد ذلك أنّ أكثرهؤلاء الذين تعرض لهم الجاحظ بالذمّ والتجريح كنجاح ابن سلمة، وأحمد بن الخصيب ، وسليمان بن وهب، والحسن بن وهب (١٠ : ١٩٧-١٩٨) هم أنفسهم الذين نَصَبَ لهم ابن الزيات العداوة وحبسهم وألزمهم أموالهم وفق ما ورد في إشارة الطبري .

وبعد الانتهاء من هذا الجانب في توثيق الرسالة، يمكن النظر في الجانب الآخر الذي تنصب غايته على معرفة الوضع الذي صارت إليه الرسالة في الوقت الحاضر، وأوّل ما يمكن ملاحظته في هذا الشان انقطاع أحد المستشرقين الأمريكيين، وهو يوشع فنكل، إلى إخراج الرسالة لأول مرة، وذلك في آخر الربع الأول من هذا القرن (٧٥ : ٣٩-٥١)، وقد ظلت هذه النشرة وحيدة نحو أربعين عاماً، حين أخرج عبد السلام هارون نشرته الجديدة المحققة سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م (١٠: ١٨٣-٢٠٩)، وبالاعتماد على هذه النشرة ، صدرت في الفترة الأخيرة نشرتان في بيروت ، نشر أحدهما علي أبو ملحم (١٠١ : ٦٠٣ - ٦٢٢) ، والأخرى عبد الأمير مهنا (١٠٣ : ٢٤٢-٢٦٠)، بيد أنّ القيمة العلمية لهاتين النشرتين تبدو ضئيلة في ضوء وجود النشرة العلمية المحققة .

وفي نطاق العناية المتعلقة بنقل الرسالة إلى اللغات الأخرى، كانت مختارات من الرسالة قد أخذت سبيلها إلى اللغة الألمانية في إطار ما نهض به المستشرق الألماني ريشر من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقل منتخبات من آثار الجاحظ إلى لغته (٤٣)، كما نقل شارل بلاّ الرسالة كاملة إلى الفرنسية في سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م (٤٣)، على أنه نشر منتقيات منها بعد ذلك (٤٣)، وقد نقل هواك هذه المنتقيات إلى الإنجليزية (١٢٩: ٢٧٣-٢٧٥).

١٩ – رسالةٌ إلى رَجلٍ وَعَدَه .

أورد صاحب العقد هذه الرسالة من إخوانيات الجاحظ في كتابه المذكور (١٩٩:٢٥٠، ٢٣ :٢٤٤)، ونقلها عنه أحمد زكي صفوت في كتابه جمهرة رسائل العرب (١٣٥:٥١). ويُلاحظ أن ابن عبد ربه ترك الرسالة غُفلاً من ذكر اسم الشخص الذي وُجِّهت إليه، وهو الذي وعد الجاحظ فماطلة في الوعد ، فكتب إليه يدعوه إلى استنجاز وعده ، ويحذره آفة المطل. ويبدو أن شدة اقتضاب الرسالة لم تترك أدنى فُسحة لورود محض إشارة عابرة يُستأنس بها في تلمس تاريخ مقارب للمدة التي كُتبت فيها.

٢٠ – رسالةٌ في الردّ على أحَدِهم.

تقع هذه الرسالة ضمن كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ المحفوظ في برلين برقم ٥٠٣٢ (٦٣: ٨٨ب-٨٩ظ) ، وهي من الرسائل القليلة التي احتفظ بها الكتاب المذكور كاملةً، إذ الغالب على نصوصه أن تكون من الاختيارات المبتورة، وقد بقيت الرسالة مخطوطة لم تنشر حتى الآن.

والظاهر أنّ الجاحظ كتبها جواباً على رسالة تلقاها من بعضهم بهذا الخصوص، يدل على ذلك قوله في صدرها "جُعلتُ فداك، قرأتُ كتابك ....." (٦٣ : ٨٨ب)، غير أنّ الجاحظ كعادته أهمل تسمية الشخص المخصوص بالرسالة. ويبدو واضحاً أنّ صورة هذا الشخص – كما تظهر من الرسالة– تقترب إلى حدّ بعيد من صورة أحمد بن عبد الوهاب، كما وردت في رسالة التربيع والتدوير، لاسيما فيما يتصل بادعائه العلم مع كونه يجهل أسبابه. ويلاحظ أيضاً أنّ أسلوب الرسالة يدنو كثيراً من الأسلوب الذي بُنيت عليه الرسالة المشار إليها.

وفيما يتعلق بتاريخ الرسالة، فإنه يمكن عدّها من الرسائل المتأخرة التي أنشأها أبو عثمان وقد أربت سنه على التسعين، والدليل على ذلك إشارته إلى بعض خلفاء بني العباس المتأخرين، يقول "واللهِ لو دبرها السفاح على مروان، وأبو جعفر على أبي مسلم، أو المأمون على المخلوع، أو المعتصم على بابك، أو المعتز على المستعين....." (٦٣: ٨٩ب) فهو يشير إلى ما صنعه المعتز بالمستعين ، ويبدو أنّه يقصد ما حَدَثَ في سنة ٢٥٢هـ، حين خلع المعتز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستعين وأخذ البيعة لنفسه (١٣٧ : ٣٤٨ –٣٤٩) ، وورود هذه الإشارة في الرسالة يفيد أنها كُتبت بعد السنة المذكورة ، وهذا يعني أن الجاحظ أنشأها قُبيل وفاته بمدة وجيزة .

٢١ – رسالةٌ في الشُكْر .

أورد أبو العباس القلقشندي النص الكامل لهذه الرسالة في كتابه صُبح الأعشى (٢٠٠: ١٩٦-٢٠٢)، وقدم لها بقوله، "هذه نسخة رسالة أنشأها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، سماها رسالة الشكر ، وقصد بها مدح وزير المتوكل، وشُكر نعمه لديه، مُصدراً لها بذكر حقيقة الشكر وبيان مقاصده" (٢٠٠: ١٩٦). ويُلاحظُ الدارس أن القلقشندي لم يفصح عن المصدر الذي نقل فيه ، كما أنه لم يذكر اسم الوزير الذي وجه إليه أبو عثمان الرسالةُ مُكتفياً بالإشارة إلى أنه وزير المتوكل . ومهما يكن ، فإن فضل حفظ هذه الرسالة وتعريف الدراسين بها يظل مقصوراً على القلقشندي بوصفه الوحيد الذي أثبت نصها من بين القدماء والمعاصرين ، ولولا أنه أودعها كتابه – فيما أودع من الآثار – لكان مصيرها مصير ذلك العدد الكثير من رسائل الجاحظ المفقودة .

لقد تضمنت الرسالة إشارة إلى خلافة المتوكل، فمن ذلك قوله :"وأي زمان بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله أحق بالتفضيل، وأولى بالتقديم من زمان ظهرت فيه الدعوة الهاشمية، والدولة العباسية، ثم زمان المتوكل على الله والناصر لدين الله" (٢٠٠: ٢٠٣) وهذا النص يشير بوضوح إلى كتابة الرسالة بعد ولاية المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ، ومن الممكن اعتماد إشارة أخرى في تحديد تاريخ أكثر دقة من هذا التاريخ، ففي قوله، بعد كلامه الآنف، "والإمام الذي جلّ فكره ، وكثر شغله بتصفية الدين وتهذيبه، وتخليصه وتنقيحه، وإعزازه وتأييده، واجتماع كلمته، ورجوع ألفته" (٢٠٠: ٢٠٣)، ما يشير إلى ما قام به المتوكل سنة ٢٣٤ هـ من إظهار السُنة والدعوة إلى اجتماع الأمة، وهذه الإشارة الأخرى تعني أن الرسالة لم تُكتب إلاّ بعد السنة المذكورة. وبما أن الرسالة كُتبت في خلافة المتوكل إلى وزيرٍ مِنْ وزرائه ، فهذا يقطع بأنها كُتبت قبل سنة ٢٤٧ هـ ، وعليه فإن تاريخ إنشائها ينحصر في المدة من سنة ٢٣٤ – ٢٤٧ هـ ، وأكثر ما يدور حول سنة ٢٣٦ هـ ، كما سيظهر للقارىء بعد قليل .

وبما أن الوزير المخصوص بالرسالة هو أحد وزراء المتوكل ، فهذا يعني أنه لا يعدو أن يكون أحد الثلاثة الذين وُسد إليهم أمر الوزراة في خلافته ، وهم على التوالي : محمد بن عبد الملك الزيات ، ومحمد بن الفضل الجرجرائي ، وعُبيد الله بن يحيى بن خاقان . أما ابن الزيات فإن وزارته للمتوكل لم تدم أكثر من أربعين يوماً كانت علاقته بالمتوكل فيها شديدة التوتر ، ولم يلبث حتى قلته في سنة ٢٣٣ هـ ، على نحو ما هو معروف (١٣٧: ١٥٦-١٦١)، ويمكن استبعاد ابن الزيات من أن يكون هو المخصوص بالرسالة بالاستناد إلى أمرين : الأول ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وردت به الإشارة إلى ما قام به المتوكل سنة٢٣٤هـ،وهو ما يؤكد أن الرسالة كُتبت بعد مقتل ابن الزيات. والثاني أن مجمل الأوصاف التي وسم بها أبو عثمان الوزير الذي وُجهت إليه الرسالة، لا تنطبق على ما هو مشهور من سوء العلاقة بين ابن الزيات والمتوكل، فمن ذلك قوله : "وحُقَّ لمن كان من غرس المتوكل على اللـه وابتدائه ، ومن صنائعه واختياره، أن يخرج على أدبه وتعليمه ، وعلى تثقيفه وتقويمه ..." (٢٠٠ : ٢٠٦) ، فهذا الوصف أبعد ما يكون عن ابن الزيات صاحب العداوة المعروفة للمتوكل . أما الوزير الآخر محمد بن الفضل الجرجرائي، فإن وزارته لم تطل كذلك (١٣٧: ١٦٢ ، ١٨٥) ، وسرعان ما صرفه المتوكل ، وليس بين أيدينا ما يشير إلى أن الجاحظ كان على صلة به .

ولا يبقى من هؤلاء سوى الوزير عُبيد الله يحيى بن خاقان الذي اختاره المتوكل للوزارة سنة ٢٣٦ هـ (١٣٧ : ١٨٥)، وهو بحق أشهر من ولي الوزارة للمتوكل، وقد استطاع الاحتفاظ بهذا المنصب حتى سنة ٢٤٧هـ، سنة مقتل الخليفة. وتدل المستندات التي وصلت إلينا أن الجاحظ كان على صلة وثيقة به، كما يُفهم من إهداء بعض الرسائل إليه، ولا سيما رسالة فصل ما بين العداوة والحسد، وقد يكون الجاحظ كتب إليه هذه الرسالة في بداية توليه الوزارة كما يمكن أن يستشف من الحديث عن وصية يحيى بن خالد البرمكي لابنه جعفر حين تقلد الوزارة ، ومن الدعاء له في آخر الرسالة (٢٠٠: ٢٠٥-٢٠٦). وإذا صح هذا التقدير فإن تاريخ إنشاء الرسالة يدور في فلك سنة ٢٣٦هـ وهي السنة التي تقلد فيها ابن خاقان منصبه في الدولة.

٢٢ - رسالةٌ في صِفَةِ كِتابِ الفُتْيَا.

يرد عنوان هذه الرسالة في أُصولها الخطية باسم رسالة إلى أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفتيا (٦١ : ١١٥ظ)، وهو العنوان نفسه الذي تذكره بعض القوائم الحديثة (٤٣) . ويبدو لي أن العنوان الأول أكثر دقة من غيره ، لسببين : أحدهما أن هذا العنوان يوافق النمط العام لعنوانات رسائل الجاحظ التي تنتمي إلى هذا اللون ، كما في رسالته في صفة كتاب نظم القرآن، ورسالته في وصف كتاب خلق القرآن (٨ : ٢١١). وثانيهما أن هذا العنوان ورد بالصورة عينها في أقدم الإشارات إليه (٨ : ٢١١)، ويبدو أن العنوان الثاني وضعه بعض النساخ الذين كانوا يستقرئون آثار الجاحظ ويضعون عنوانات لها بناءً على هذا الاستقراء ، وربما كان في عبارة "يخبره فيها بكتاب الفتيا" ما ينفي أن يكون هذا العنوان من وضع الجاحظ من جهة، ويثبت قيام النساخ بمثل هذا العمل من جهة أخرى .

وكما يبدو من العنوان ، فإن هذه الرسالة ليست كتاب الفتيا عينه، بل هي تقديم لذلك الكتاب، أرسلها أبو عثمان إلى ابن أبي دؤاد كي يعلمه بتأليف هذا الكتاب ويعرفه به. وتتضمن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسالة إبانة عجلى للخطوط التي جرى عليها أبو عثمان في كتابه، مع عرض موجز للظروف والملابسات التي أملت عليه، والحق أن أمر تقديم العلماء والأدباء كتبهم ومؤلفاتهم ليس بدعاً، فقد درج الكثير منهم على مخاطبة ذوي الشأن والسلطان برسائل من هذا النوع ، تشتمل على إهداء الكتاب، وتعرف بمنهجة ومضمونه وملابسات تأليفه . وللجاحظ رسائل أخرى من هذا القبيل، أشهرها رسالته في نفي التشبيه التي أرسلها إلى أبي الوليد بن القاضي أحمد بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتابه في الرد على المشبهة (٢ : ٢٧٩-٣٠٨) .

وأمّا كتاب الفتيا الذي عرضت له هذه الرسالة وأبانت عن شيء من مادته، فهو من الكتب التي عدت عليها عوادي الدهر، ولم يبق ما يدل عليه سوى تلك الإشارة التي تحتفظ بها هذه الرسالة ، إضافة إلى نُتفٍ احتفظت بها بعض المصادر القديمة (١٧: ١٤٧) .

والرسالة عموماً لا تشذ عن أكثر رسائل الجاحظ ، إذ يعز أن تجد فيها إشارة صريحة إلى المدة التي كتبت فيها ، ومع ذلك فإن تاريخ كتابتها لا يعدو أن يكون محصوراً بين سنتي ٢١٨ - ٢٤٠ هـ ، أي منذ ولاية ابن أبي دؤاد مشيخة القضاة في بداية عهد المعتصم حتى وفاته مفلوجاً ببغداد ، ومما يؤكد ذلك أن نص الرسالة يشير إلى أن الجاحظ وجهها إلى ابن أبي دؤاد وهو متولٍ ذلك المنصب (٢ : ٣١٣)، وأما قبل سنة ٢١٨ هـ ، فإن صلة الجاحظ به لم تتجاوز صلة أبناء المذهب الفكري الواحد، وليس من شك في أن حلقات المعتزلة وأنديتهم جمعت بين الرجلين ، لكن صلتهما الحقيقية بدأت منذ مطلع خلافة المعتصم ، ويبدو أن الجاحظ أحس بمكانة أبن أبي دؤاد في الدولة بعد توليه القضاء وامتحانه الناس بخلق القرآن ، فراح يؤثره بكتبه ورسائله المختلفة .

وتيسيراً للبحث في هذه المدة الزمنية التي تمتد أكثر من عشرين سنة، أرى أن توزع حسب الفترات التالية : الأولى سنة من ٢١٨-٢٢٧هـ، وهي مدة خلافة المعتصم، الثانية من سنة ٢٢٧-٢٣٢هـ، وهي خلافة الواثق، الثالثة من سنة ٢٣٣-٢٣٦هـ، أي من مقتل ابن الزيات حتى وزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان للمتوكل ، الرابعة من سنة ٢٣٧-٢٤٠ هـ، أي من سجن أحمد بن أبي دؤاد إلى وفاته . ولا شك أن إلقاء نظرة على صلة الجاحظ بأبن أبي دؤاد في كل فترة من هذه الفترات ، سيكشف أضواء جديدة تُفيد في التوصل إلى تاريخ مُقارب للمدة التي كُتبت الرسالة فيها . ولا بأس من إرجاء البحث في الفترة الأولى حتى نفرغ من استنطاق الأدوار الثلاثة الباقية .

أما الفترة الثانية ، فقد مر في الرسالة السابقة قبل قليل أن صلة الجاحظ بابن أبي دؤاد كانت أثناءها شديدة التوتر نظراً لانقطاعه إلى ابن الزيات صاحب العداوة المعروفة لابن أبي دؤاد، وقد ظهر توتر هذه العلاقة واضحاً في هرب الجاحظ من وجه ابن أبي دؤاد حين قبض

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على ابن الزيات. ولا يتصور والحال هذه أن تكون هناك صلة ثقافية بين الجاحظ وابن أبي دؤاد، وقد بلغت الأمور بينهما ذلك المبلغ ، ومن هنا ، فإنه يُستبعد أن يكون أبو عثمان وجه رسالته لهذا القاضي في هذه المدة .

وأما الفترة الثالثة ، فلم يلبث فيها أبن أبي دؤاد في منصبه إلا يسيراً ، فقد تنحى عن القضاء بعد فترة وجيزة من نكبة ابن الزيات بسبب الفالج الذي ألزمه البيت وجعله قعيد الفراش، والملاحظ أن الكتابات التي وجهها الجاحظ إليه في تلك الفترة الوجيزة ، كانت أكثر ما تدور حول طلب العفو والصفح عما مضى ، وعليه ، فإنه يعسر إضافة الرسالة إلى هذا الدور الذي ذهب اليه الحاجري (٥٣ : ٣١١ – ٣١٥) ، لضيق المدة بين نكبة ابن الزيات وإصابة القاضي ابن أبي دؤاد بالمرض ، ولأن الجاحظ كما تقدم كتب رسالته إلى القاضي وهو بعد في سدة القضاء يتبوأ مكانته في الدولة .

وأما رابع هذه الأدوار، فليس إلا أبعدها، لأنه شهد نكبة أحمد بن أبي دؤاد وبنية، فقد غضبت عليه الدولة وأودعته السجن وصادرت أمواله على نحو ما حدّث به الطبري (١٣٧: ١٨٩)، والظاهر أن صلة الجاحظ بآل دؤاد فترت في هذه المدة ، وقد حلّ بهم ما حلّ .

وهكذا لا يبقى أمامنا سوى الفترة الأولى، وهي مدة شهدت بالفعل اتصالاً وثيقاً بين الجاحظ وابن أبي دؤاد، وخصه بالعديد من كتاباته، ومما يزيد قناعة أن الرسالة كُتبت في هذا الدور أن مجمل الأوصاف التي وسم بها أبو عثمان ابن أبي دؤاد في الرسالة ألصق ما تكون بشخص ابن أبي دؤاد في هذه الفترة التي تمثل الدور الذهبي لآل دؤاد، فأول ذلك الإشارة إلى خطر المنصب الذي يتولاه القاضي ابن أبي دؤاد ، يقول : "وأنت أيها العالم معلم الخير وطالبه، والداعي إليه وحامل الناس عليه ، من موضع السلطان بأرفع مكان ، لأن من جعل الله إليه مظالم العباد ومصالح البلاد ، وجعله مُتصحفاً على القضاة وعتاداً على الولاة ، ثم جعله الله منزع العلماء ومفزع الضعفاء ومستراح الحكماء ، فقد وضعه بأرفع المنازل وأسنى المراتب" (٢ : ٣١٣). وثانيه الإشارة إلى كثرة أشغال ابن أبي دؤاد (٢ : ٣١٨) ، وهذه السمة ألصق ما تكون بشخص القاضي الذي ينظر في مظالم الناس من نهاره ، ومصالح نفسه من ليله ، ولا يمكن أن تنطبق على الدور الذي حكاه الحاجري ، لأن ابن أبي دؤاد ظل طريح الفراش في ذلك الدور ، ومما يزيد في قيمة هذه الإشارة ، وجود نظير لها في رسالة نفي التشبيه التي كتبها الجاحظ إلى ابن القاضي المذكور في هذا الدور (٢ : ٣٠٣) .

وتشتمل الرسالة نفسها بعد ذلك على غير قرينة تُشير في مجملها إلى أن إنشاءها كان إبان المدة التي تغلب فيها المعتزلة ، وغنى عن القول إن الدور الذي رجحتُ يقع ضمن هذه المدة، فمن ذلك إشارته إلى صلاح السلطان "فقد صلح السلطان، وعلى الله تمام النعمة في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صلاح الرعية" (٢: ٣١٣)، ومن ذلك إشارته إلى صلاح الدهر "فقد أمكن القول وصلح الدهر، وخوى نجم التقية، وهبت ريح العلماء" (٢ ٣١٧). ولا أحسب أن الجاحظ يعمد إلى الحديث عن الدور الذي رجحه الحاجري بمثل هذه اللهجة، وقد تحول الأمر الى أهل السُّنة وهوى نجم المعتزلة.

وأمّا ما ذهب إليه الحاجري من كون موضوع الرسالة - أُصول الفقه - يدنو من موضوعات أهل السُّنة أكثر من غيرهم ، يجعل إضافتها إلى المدة من ٢٣٣ - ٢٣٦ هـ مسوغاً ، لأن أبا عثمان كان يجاري التحول الذي أصاب سياسة الدولة في هذه المدة (٥٣ : ٣١٢) ، فان ما ذكرته سابقاً كاف للرد على هذا الرأي ، يُضاف إلى ذلك أنه لا يلزم من كون موضوع كتاب الفتيا أقرب إلى الموضوعات التي تناولها أهل السنة ، أن يكون هذا الكتاب - وبالتالي هذه الرسالة - قد كتب في المدة التي غلب فيها أهل السُّنة لأمر يسير ، وهو أن المعتزلة كانت لهم عناية خاصة بهذا الموضوع ، وما زالت آراؤهم في الأدلة الشرعية ومواردها وحجيتها معروفة لدى دارسي علم الأصول ، فلم يكن هذا العلم - إذن - بعيداً عن اهتمام المعتزلة ، وإن كان لا ينكر فضل أهل السُّنة فيه .

وهكذا ، يتضح أن جعل الرسالة من نتاج المدة من ٢١٨ - ٢٢٧ هـ ، هو أولى من إضافتها إلى الفترة التي ذهب إليها الحاجري ، بالاعتماد على ما تقدم تفصيله .

وقد نشرت الرسالة مرات حتى الآن ، ويرجع الفضل في إخراجها لأول مرة إلى داود الجلبي الذي نشرها في بغداد سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م (٨١) ، بيد أن شهرة هذه النشرة ظلت محدودة ، وقام عبد السلام هارون بإخراجها من جديد في سنة ١٣٨٤ هـ=١٩٦٤م (٢: ٣٠٩-٣١٩) ، وتبعه شارل بلاّ في السنة التي تليها (٤٣)، وتولى إعادة نشرها في الفترة الأخيرة علي أبو ملحم (١٠٠ : ٢٤٥-٢٥٦) ، وعبد الأمير مهنا (١٠٢ : ٢٢٠-٢٢٥) .

كما أتيح لبعض فقر الرسالة أن تنقل إلى الفرنسية(٤٣)، والإنجليزية(١٢٩: ٥٠-٥١). وتوجد الرسالة اليوم مخطوطة في مكتبة داماد إبراهيم في تركيا (٦١)، وفي مكتبة أمين الجليلي في الوصل (٧٢) .

٢٣ - كتابُ الصَّوَالِجَة.

وردت الإشارة إلى عنوان هذا الكتاب في أكثر الأثبات القديمة والحديثة، فمن الذين أجروا ذكره من القدامى ابن النديم (٨: ٢١١). وياقوت (٣: ١٠٩)، والصفدي (١٢: ٥٨ب)، والكتبي (١٣: ١٥٥ب)، وابن قاضي شهبة (١٤) . ومن المعاصرين : خليل مردم (٢٨: ٤١)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسندوبي (٣١ : ١٣٤) ، وبروكلمان (٣٣ : ١٢٤) ، وإمتياز عرشي (٤) ، وشار بلاّ (٤٣) ، وقد أجمع هؤلاء – سابقهم ولاحقهم – على أن الكتاب من آثار الجاحظ .

وحسبما ذكر عبد السلام هارون ، فان نسخة خطية وحيدة من الكتاب توجد اليوم محفوظة ضمن مجموع في مكتبة الزاوية العباسية بمدينة بزو في المغرب ، ومنها مصورة في الخزانة العامة للكتب بمدينة الرباط تحت رقم ٨٧ (١٥٦ : (م)أ ، ذ) ، ويشتمل هذا المجموع على ثلاثة آثار للجاحظ ، هي : البرصان والعرجان ، والوكلاء ،والصوالجة. أما الأول فقد نُشر غير مرة ، وأما الآخران ، فقد ذكر عبد السلام هارون أن الحجر لا يزال سارياً عليهما ، ومن العُسر بمكان أن يسمح القائمون على أمر المكتبة بتصوريهما (١٥٦ : (م) ذ) .

وقد سعيت حثيثاً ، بوساطة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ، للحصول على مصورة من مخطوطة الكتاب ، ولكن دونما جدوى .

٢٤ – رسائلُ في العِتَاب .

وهي ثلاث عشرة رسالة قصيرة تجري مجرى التوقيعات التي انفرد ابن عبد ربه بإيرادها في سياق ما أورده من رسائل الجاحظ القصيرة (١٣٨: ٢٤٢-٢٤٣)، ولا تشذ هذه المجموعة عما سبقت الإشارة عند تناول مجموعة الرسائل التي في التعازي، لا سيما فيما يتعلق بصعوبة التوصل إلى ما من شأنه الاقتراب من التاريخ الذي كُتبت فيه .

٢٥ – رسالةُ العُثْمَانيّة .

لم يرد في النسخة الكاملة للرسالة ما يشير إلى عنوانها الحقيقي، وسماها المفهرسون جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، اقتباساً من عبارة وردت في أواخر مخطوطتها (٥٠ : (م) ٨)، وبما أن هذه التسمية وضعت حديثاً – من قبل مفهرسي المكتبة – فهذا يعني أنها ليست التسمية الأصل التي عُرفت بها الرسالة بها، ومن هنا يمكن استبعادها تماماً، وأما النسخة الجزئية التي تمثلها اختيارات عُبيد الله بن حسان، فقد أوردت العنوان باسم مقالة العثمانية (٧٣: ١٦١ ب) . والملاحظ أن هذه التسمية تقترب على نحوٍ ما من إشارة الجاحظ إلى الرسالة عينها في صدر الحيوان (١: ١١). وقد سبقت الإشارة عند تناول كتاب البغال إلى أن الجاحظ جرى على الصاق ما يشبه الرسوم في كثير من عنوانات آثاره كأن يقول : حكاية كذا أو مقالة كذا أو القول في كذا ... .

والواضح أن لفظ مقالة الوارد في عنوان هذه الرسالة هو من هذا القبيل . وهذا يعني أن تسمية الرسالة بالعثمانية هي – بالفعل – أصح هذه التسميات ، ويدل على صحتها أمران :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول أن نفراً من القدامى عرفوا الرسالة بالتسمية عينها، كالمسعودي (٢٠١ : ٧٧) ، وابن النديم (٨: ٢١٠)، وياقوت (٣: ١٠٧)، وابن أبي الحديد (٢٠٢: ٢٥٧) ، والصفدي (١٢ : ٥٧ظ) ، والكتبي (١٣ : ١٥٤ط) ، وابن قاضي شهبة (١٤). والثاني أن النقوض التي وضعها القدامى على هذه الرسالة بُنيت عنوانات على أساس من هذه التسمية ، كما هو الحال في نقض العثمانية لأبي جعفر الإسكافي (٢٠٣)، ونقض العثمانية لأبي عيسى محمد بن هارون الوراق (٢٠٣)، والرد على العثمانية لأبي الأحوص المصري (٢٠٣) ، ونقض العثمانية لأبي الجيش مظفر بن محمد البلخي (٢٠٣) ، والرد على الجاحظ في العثمانية لمحمد بن محمد بن النعمان (٢٠٣) ، وبناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية لأحمد بن موسى بن طاووس (٢٠٤) .

وبما أن الاشارة إلى هذه الرسالة وردت على لسان الجاحظ في كتابه الحيوان (١ : ١١)، فهذا يفضي إلى القول إن تأليفها كان قبل وضع هذا الكتاب سنة ٢٣٢ هـ ، وربما كان تاريخها لا يبتعد كثيراً عن هذه السنة .

وقد نشر عبد السلام هارون الرسالة نشرة علمية محققة في القاهرة سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م (٥٠) ، وأعاد علي أبو ملحم إخراج هذه النشرة ، مجردة من تعليقاتها ، في بيروت قبل بضع سنوات (١٠١ : ١٢٧ – ٣٣٦) . وبالإضافة إلى هاتين النشرتين الكاملتين ، نقل حسن السندوبي مقتطفات منها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ونشرها في القاهرة ضمن رسائل الجاحظ سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م (١١٥ : ١ – ١٢) ، كما نشر عبد السلام هارون طرفاً منها – نشر علمياً محققاً – ضمن مجموعة اختيارات عبيد الله بن حسان المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م (٣٤ : ١٧ – ٤٣) .

في مجال ترجماتها الرسالة ، اختار شارل بلا فصولاً منها ونقلها إلى الفرنسية سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م (٤٣) ، ثم عمد هواك إلى هذه الفصول فنقلها إلى الإنجليزية في فترة لاحقة (١٢٩ : ٧٣ – ٨٢) .

وتوجد من هذه الرسالة نسخة خطية محفوظة في مكتبة كوبريللي بتركيا ، وهي أصل النشرة التي حققها عبد السلام هارون سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م (٥٠) ، كما توجد مختارات منها ضمن مجموعة اختيارات عبيد الله بن حسان المحفوظة في دار الكتب (٧٤) ، والأزهرية (٣٥ : (م) ٧) ، والمتحف البريطاني (٧٣) ، طوب قبوسراي (٦٦) .

٢٦ – رسالةُ فخرِ السُّوَدانِ على البيْضان .

تُعد هذه الرسالة إحدى الرسائل التي قاست عنواناتها تلاعباً واضطراباً واضحين ، فهي ترد مرة باسم فضل السودان على البيضان (١٥ : ٥٩) ، ومرة أخرى تحت عنوان فخر السودان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومناظرتهم مع البيضان (١٦ : ٩٢) ، أما أصحاب الأثبات القديمة فقد اقتصروا على تسيمتها بالسودان والبيضان كما هو الحال عند : ابن النديم (٨ : ٢١١) ، وياقوت (٣ : ١٠٨)، والصفدي (١٢ : ٥٧ظ) ، وابن قاضي شهبة (١٤) ، ويبدو أن تسميتها بفخر السودان على البيضان وفق ما جاء في أصولها الخطية (٦١ : ٧٨ ظ) ، أقرب إلى نمط بعض عنوانها آثار الجاحظ ، وأكثر دلالة على مضمون الرسالة من غيره ، وإن يكن الجاحظ كرر غير مرة لفظ مفاخر السودان ، كما في قوله : "ذكرت أنك أحببت أن أكتب لك مفاخر السودان ، فقد كتبتُ لك ما حضرني من مفاخرهم " (٢ : ١٧٧) ، ومثل ذلك قوله : "فهذا ما حضرنا من مفاخر السودان" (٢ : ٢٢٥) .

وقد ورد ما يشير إلى توجيهها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دُؤاد ، فقد جاء في آخرها ما نصه : "فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان ، وقد قلنا قبل هذا في مفاخر قحطان ، وسنقول في فخر عدنان على قحطان" (٢ : ٢٢٥) . وقد صرح الجاحظ بتأليف مفاخر قحطان وفخر عدنان باسم أبي الوليد وذلك في رسالة النابتة التي بعثها إليه يتسأذنه فيها بإرسال هذين الكتابين إليه (١٠ : ٢٢). والظاهر من هذين النصين أن رسالة فخر السودان على البيضان وُجهت إلى أبي الوليد، فيما وجه إليه الجاحظ من الرسائل والكتب التي اختصت بموضوع المفاخرات .

ويبدو أن كتابة الجاحظ رسالته هذه تزامنت مع وضعه مفاخر قحطان وفخر عدنان ، كما يمكن أن يُستدل عليه من النصين السابقين ، وبما أن هذين الكتابين ذُكرا في رسالة النابتة التي يدور زمن إنشائها حول سنة ٢٢٣ هـ ، فإنه يمكن إضافة هذه الرسالة إليهما أيضاً ، وبذلك يكون تاريخ إنشائها قبل السنة المذكورة ، على أنها لم تُكتب قبل خلافة المعتصم ، لأن صلة الجاحظ بأبي الوليد بدأت مع بداية خلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ . وهكذا يمكن تحديد المدة من سنة ٢١٨ – ٢٢٢ هـ تاريخاً مُقارباً أنجز الجاحظ فيه هذه الرسالة وأرسلها إلى أبي الوليد .

وفي نطاق تناولة للرسالة ، ذهب الحاجري إلى جعل تاريخ وضعها قبل كتاب طبقات المُغنيّن المؤلف سنة ٢١٥ هـ ، واستدل على ذلك بقوله إنها ذُكرت في رسالة النابتة التي وجهها الجاحظ إلى ثُمامة بن أشرس الذي كان أبو عثمان يؤثره بكتاباته في هذه المرحلة (٥٣ : ٢٤١). لكن ما دامت الوثائق التي بين أيدينا تؤكد أن رسالة النابتة لم تكن موجهة إلى ثمامة بن أشرس كما ذهب الحاجري، صح لدينا أن رسالة فخر السودان على البيضان لم تكن موجهة إليه أيضاً، لأن الجاحظ – كما يُستشف من النصين الآنفين – وجه الرسالتين إلى شخص واحد هو أبو الوليد ابن أبي دؤاد .

وبعد ، فقد نُشرت الرسالة – حتى الآن – عدة مرات ، وكان أول من سعى في هذه السبيل المستشرق الهولندي فلوتن سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ (١٠٦ : ٥٧ – ٨٥) ، وسرعان ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهرت نشرة أخرى في القاهرة ضمن الرسائل التي عُني بها محمد ساسي المغربي(٨٩ :٥٤ - ٨١) ، ويظهر أن عمله اقتصر على مجرد إعادة نشرة فلوتن السابقة ، وبقيت جهود الباحثين مقتصرة على هاتين النشرتين نحو ستين عاماً ، أظهر بعدها عبد السلام هارون نشرة علمية محققة تعد أجود نشرات الرسالة غير مدافع (٢: ١٧٣-٢٦٦) . على أن ثلاث نشرات توالت في إثر هذه النشرة ، بيد أن جميعها كانت مجرد نشرات مُعادة لم تتكىء على أصول خطية حتى تقدم ماهو جديد في بابه ، وقد صدرت هذه النشرات في بيروت بعد سنة ١٣٩٠هـ =١٩٧٠م ، وهي : نشرة دار النهضة (٩٨ : ٦١ - ٨٤) ونشرة علي "أبو ملحم" (١٠١ : ٥٢٧ - ٥٦١) . ونشرة عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ١٢٥ : ١٦٤) .

وعلى مستوى ترجماتها إلى اللغات الأخرى ، نقل ريشر سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م، مقتطفات منها إلى الألمانية (٤٣) ، ويبدو أنّ ذلك شجعه على إصدار ترجمة وافية لها فيما بعد (٤٣) ، كما حول شارل بلاّ بعض فقرها إلى الفرنسية فيما نقل من آثار الجاحظ (٤٣) ، ولم يلبث هواك أنّ نقلها إلى الإنجليزية سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م (١٢٩ : ١٩٥ - ١٩٨) .

وفي نطاق مخطوطاتها ، ما تزال نسختها الخطية الكاملة محفوظة ضمن مجموعة رسائل الجاحظ في مكتبة داماد إبراهيم بتركيا (٦١) .

٢٧ - رسالةٌ إلى أبي الفَرجِ بنِ نَجاحٍ الكَاتِب.

ربما كانت هذه هي الرسالة التي ذكرها ابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٩-١١٠) باسم رسالة في الكَرم إلى أبي الفرج بن نجاح، غير أن التحقق من ذلك يحتاج إلى قرائن يمكن عدّها عزيزة في الوضع الحاضر، وسواء أكانت هي عين الرسالة التي ذكرها ابن النديم ومن بعده أم غيرها ، فإن أبا الفرج هو المعني بكلام الجاحظ في كلا الحالين .

وأبو الفرج هذا شخصيّة تكاد تكون مغمورة إلى حد ما، والظاهر أنه تقلب في الدواوين والجيش في عصر المتوكل بدليل تسمية الجاحظ إياه "فتى الكُتاب والعسكر" (٢: ٣٣١) ، وأما أبوه نجاح بن سلمة ، فقد قصّ الطبريّ شيئاً من خبره في حوادث سنة ٢٤٥هـ ، ويبدو من ذلك أنه كان عاملاً للمتوكل على ديوان التوقيع وتتبع العمال، وعلت مكانته في الدولة بسبب خطورة هذا المنصب ، حتى قربه المتوكل واتخذه نديماً له، حتى خافه جميع العمال فكانوا يقضون حوائجه (١٣٧ : ٢١٤) ، وقد استمرت حال نجاح بن سلمة وابنه أبي الفرج على أحسن ما يكون حتى السنة المذكورة ، إذ غضب عليهما المتوكل والزمهما الاموال والضياع ، ووجه بهما إلى السجن فَضُرب نجاحٌ حتى فارق الحياة (١٣٧ : ٢١٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنّ أواصر الصلة بين الجاحظ وآل سلمة توثقت بعد أنّ تبوّأ هؤلاء مكانتهم في الدولة ابتداء من خلافة المتوكل، وأمّا قبل ذلك فالظاهر أن صلة الجاحظ بابن الزّيات الذي ناصبهم العداء (١٣٧ :١٢٥)، جعلته يتعرض لهم بالطعن والتجريح، كما هو واضح من وصف نجاح بن سلمة بالطيش والسخافة في رسالة ذمّ الكتاب التي يدور تاريخها بين سنتي ٢٣٠ - ٢٣٢ هـ (١٠ : ١٩٧) .

وفي ضوء هذا القدر من الملابسات ، فإنّ زمن إنشاء الرسالة أقرب إلى أن يكون واقعاً ضمن المدة من وفاة ابن الزيات إلى النكبة التي أصابت آل سلمة ، أي في الفترة بين عاميّ ٢٣٣- ٢٤٥هـ ، وهو التاريخ الذي ترجع إليه بعض الرسائل التي وجهها الجاحظ إلى أبي الفرج كاستنجاز الوعد ، والمودة والخُلطة ، كما سيأتي في الفصل الثالث ، إن شاء الله .

والرسالة في مجملها ليست إلاّ قصيدة قالها الجاحظ يمدح فيها أبا الفرج ويدعوه إلى إطلاق رزقه،والذي يدعو إلى النظر أنّ الجاحظ يورد اسم قائل هذه القصيدة في وضع مُعميّ تماماً ، فهو يقول : " إن قائلها رجل يُكنى أبا عثمان " (٢ : ٣٢٥) ، لكنه من جهة أخرى يسوق أسماء نحو ثلاثين شخصاً جميعهم يُكنى بأبي عثمان وهو معهم ، دون أنّ ينسب القصيدة إلى واحد منهم . لكن إشارةً وردت في القصيدة نفسها تُثبت أنّ الجاحظ هو القائل ، وأمّا الإشارة فهي قوله يخاطب أبا الفرج (٢ : ٣٣٠) :

أُعيذك بالرحمنِ من قولِ شامتٍ أبو الفرج المأمول يزهدُ في عمرو

ففي قوله " عمرو" إشارة واضحة إلى اسم الجاحظ .

وعند الحديث عن الجانب التوثيقيّ الأخير في هذه الرسالة ، يمكن الإشارة إلى احتفاظ ياقوت الحموي بنحو ثلث أبيات القصيدة التي شكلت صُلب الرسالة ، وهو ما يشير إلى وقوفه عليها (٣: ١١١-١١٣)، على أن النشرات الكاملة للرسالة توالت ابتداء من سنة ١٣٤٩هـ= ١٩٣٠م، فقد حققها داود الجلبي في هذه السنة ونشرها مجلة لغة العرب (٨٠) ، ثم ظهرت محققتها الثانية بعد ما يزيد على ثلاثين عاماً على يد عبد السلام هارون (٢ : ٣٢٠ - ٣٣٢) ، وهذه النشرة هي - بحق - أصح وأوفى وأقرب إلى المنهج العلمي من غيرها . واعتماداً على هذه النشرة صدرت مؤخراً في بيروت نشرتان أخرج إحداهما علي أبو ملحم (١٠٠ : ٣٩٥-٤٣٠)، والأخرى عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ٢٢٦ - ٢٣٢) ، وليس من شك في أن قيمة هاتين النشرتين لا تدنو بحال من نشرة هارون الآنفة .

أمّا فيما يتعلق بمخطوطة الرسالة ، فإنّ نسختها المعروفة توجد اليوم ضمن مجموعة رسائل الجاحظ المحفوظة في خزانة داماد إبراهيم في تركيا (٦١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨ – رسالةُ فَصْلِ ما بينَ العَدَاوةِ والحَسد .

تبدو نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ ثابتة تماماً ، بخلاف ما قد يوحيه خلو سائر الأثبات القديمة من ذكرها ، فأسلوب الرسالة وطريقة بنائها يشهدان بصدق عزوها إلى أبي عثمان، والواقع أنه ليس ثمة ما يمكن أن يقف دليلاً بيّناً على الطعن في حقيقة هذه النسبة ،ومهما يكن، فقد بقيت الرسالة أشبه بمجهولة عند أكثر الدارسين في القديم والحديث، حتى أمكن العثور عليها مخطوطةً ضمن مجموعة رسائل الجاحظ المحفوظة في مكتبة داماد إبراهيم (٦١) .

وربما كان ذيع الرسالة التي كتبها أبو عثمان في الحاسد والمحسود، أحد أسباب خمول هذه الرسالة عند القدامى ، ويبدو أنّ تفرغ كلتا الرسالتين لدراسة الموضوع نفسه أوهم الذين وضعوا أثباتاً وفهارس لمؤلفات الجاحظ أن هاتين الرسالتين رسالة واحدة تحمل غير عنوان، فأدرجوا أحد هذين العنوانين ، وأسقطوا الآخر بناءً على ما أداهم إليه النظر في العنوانات الظاهرية ، من غير التوثيق المباشر من النصوص الأصيلة .

ويبدو من النظرة الداخلية في الرسالة خلوها من إشارة صريحة تفصح عن المدة التي أُنشئت فيها ، لكن توجيه الجاحظ رسالته إلى الوزير أبي الحسن عُبيد الله بن خاقان ، كما يدل عليه ما ورد في آخرها (١٠ : ٣٧٠) ، له أهميته في تحديد زمن كتابتها ، فالذي يبدو أن أبا عثمان اتصل بهذا الوزير منذ وُسد إليه أمر الوزارة في سنة ٢٣٦هـ (١٣٧ : ١٨٥) . وأمّا قبل هذا التاريخ، فالظاهر أنّ صلة الجاحظ به كانت سيئة ، بدليل ما نجده من تشنيعه على والده يحيى ابن خاقان في رسالة ذم أخلاق الكتاب ، ولم يكتف الجاحظ حتى وصمه بالذل والفاقة ، وساق حكاية له مع أحد الشعراء تدل على فرط حرصه وشدة بخله (١٠ : ١٩٨-١٩٩). ويبدو أنّ الجاحظ اتجه إلى إقامة صلة طيبة مع هذا الوزير، وقد أحس بسعة نفوذه وخطر منصبه في الدولة ، لا سيما منذ ولايته الوزارة للمتوكل .

وبما أنّ الجاحظ كتب رسالته إلى عبيد الله بن خاقان في مدة وزارته ، وهو ما دل عليه النظر الآنف ، فإن الرسالة تُضاف إلى المدة بعد سنة ٢٣٦هـ ،وهي السنة التي تولى فيها ابن خاقان الوزارة ، وقد دامت وزارته حتى مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ ، وقد تميزت هذه المدة بغلبة أسباب الاستقرار وطوابع الدعة عليها ، وفيها نشط أهل السُنة وجدوا في ما إعادة الأمور إلى نصابها ، بعد أنّ غيروا سياسة الاعتزال التي تبناها الخلفاء من لدن المأمون حتى الواثق . وأمّا المدة بعد سنة ٢٤٧هـ ، فقد ساءت فيها أحوال هذا الوزير فعُزل عن منصبه، وأفضى الأمر إلى نفيه ومنعه من الحج (١٧٧ :٢٥٨)، والظاهر أنّ حاله ظلت تسير على خلاف ما تشتهي نفسه إلى ما بعد وفاة الجاحظ، حين ولي الوزارة من جديد للخليفة المعتمد (١٣٧: ٤٧٤). وهكذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو مما سبق ، أنّ المدة بعد سنة ٢٤٧هـ حتى وفاة الجاحظ ، تبدو بعيدة عند البحث في تاريخ إنشاء الرسالة ، لأنّ النَفَسَ الغالب على نصها مخاطبةُ الوزير المذكور في حال قوته وسطوته ، لا في حال ضعفه وتجريده من سلطانه .

وبناءً على تقدم ، فإنّه يمكن عدّ المدة من سنة ٢٣٧ - ٢٤٧هـ ، تاريخاً مُقارباً لكتابة الجاحظ رسالتَه إلى الوزير ابن خاقان ، وهو ما يؤيده الحاجري في سياق تناوله للرسالة (٥٣: ٣٧٣)، وأمّا تحديد سنة بعينها ، فأمر لايمكن القطع به في ضوء فقدان الوسائل التي تتيح للباحث القيام بمثل هذا العمل .

ويعود تاريخ نشر الرسالة لأول مرة إلى ماقبل نصف قرن تقريباً ، إذ توفر على تحقيقها كراوس والحاجري (٥٤ : ٩٩-١٢٤) وأعاد الحاجري إخراج هذه النشرة فيما بعد (١٢٦ : ١٥٧-١٩٠)، كما أعادها محمد الزعبي دون الإشارة إلى ذلك (١١٧ : ١٣٩-١٧١). وحققها عبد السلام هارون تحقيقاً علمياً في سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م (٢ : ٣٣٣ -٣٧٣)، وعن هذه النشرة صدرت نشرتان أُخريان في الفترة الأخيرة ، الأولى أخرجها علي أبو ملحم (١٠٠: ٣٦٥-٣٩١)، والثانية عبدالأمير مهنا (١٠٢ : ٢٣٢-٢٥٩). ومن بين هذه النشرات الخمس، يمكن عدُّ النشرات الأولى والثانية والرابعة نشرات علمية استنت بالقواعد والأصول الحديثة في النشر والتحقيق .

وفيما يتصل بنقول الرسالة إلى غير العربية ، نهض شارل بلاّ بترجمة أجزاء منها الى الفرنسية (٤٣) ، ثم نُقلت الترجمة نفسها إلى الإنجليزية (١٢٩ : ٢١٦ - ٢٢١) .

٢٩ - رسالةٌ إلى قُلَيْبٍ المُعْتَزِلي.

تفرد صاحب كتاب سرح العيون بحفظ هذه الرسالة من إخوانيات الجاحظ (٢١ :٢٥٥) ، ونقلها عنه أحمد مفتاح في كتابه مفتاح الأفكار في النثر المختار (١٣٤ : ٣٦٤) ، ومن بعده أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب (١٣٥ : ٥٣) . وقد ذُكر الشخصُ المرسل إليه في هذه الكتب الثلاثة باسم قلِيب المَغْربي ، وهو تحريف فيما يبدو ، وصوابه أن يُقال : المعتزلي ، كما يُمكن الاستدلال على ذلك من المصادر التي ذكرته بهذا الاسم (١٥٨ : ٢٢٢ ، ٢٠٥ : ٣٣١-٣٣٢) .

وقليب هذا الذي راح أبو عثمان يُعاتبه تارة ويتشوق إليه تارة أخرى ، شخصية يلفها ضباب كثيف ، ولم يتح لي بعد بحث طويل عن هذه الشخصية في المصادر القديمة سوى إشارات عابرة ، تدل في مجملها على أنّه صاحب أدب واقتدار على البلاغة (٢٠٥ : ٣٣١ -

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٣٢) ، وإذا كانت الحال على هذه الصورة ، فمن الصعوبة بمكان تعيين تاريخ للسنة التي كتب فيها أبو عثمان رسالته إلى ابن نحلته يلومه على الجفوة التي صرمت حبل المودة بينهما .

٣٠ – رسالةُ القُوّاد .

تُعرف هذه الرسالة تارة بصناعات القُوّاد ، وتارة أخرى بطبائع القُوّاد ، ومرة ثالثة بذمّ القُوّاد (٦١ : ١٣٣) . ويبدو أن هذه الزيادات التي سببت اختلافاً في صورة العنوان وُضعت وفق أهواء الوارقين ، فمنهم من آثر زيادة لفظ صناعات ، ومنهم من كان يحلو له إضافة لفظ طبائع ، وهكذا ... ومهما يكن ، فيبدو أنّ عنونة الرسالة باسم القُوّاد من غير هذه الزيادات يبقى مقبولاً إلى حدّ بعيد ، لا سيما أنّ الأثبات القديمة اتفقت على هذه التسمية كما هو واضح عند ابن النديم (٨ : ٢١٠) ، وياقوت (٣ : ١٠٧) ، والصفدي (١٢: ٥٧ط) ، وابن قاضي شُهبة (١٤) . أضف إلى ذلك أن هذه التسمية تُوافق النمط العام لعنوانات الآثار التي أفرغها الجاحظ في تناوله طوائف مجتمع عصره، كما هو شان كتبه ورسائله التي تحمل هذه العنوانات : البخلاء، والطفيليون ، و المعلمون ، والقيان .... .

وأوّل ما يمكن أن يصادفه قارىء الرسالة الأسلوب الذي صيغت وفقه ، وهو أسلوب لم يعهده أكثر الدارسين في كتابات الجاحظ من قبل ، فالحديث يوضع في هذه الرسالة على لسان أحد عشر شخصاً من أرباب المهن ، كلٌ يُواري بالألفاظ والمصطلحات المستعملة في مهنته ، فالطبيب يستخدم مصطلحات الطب وأدواته ، والخياط يوظف ما اصطلح عليه أهل هذه المهنة وهكذا ... .

ومع ما يمكن أن يُشعر به أسلوب الرسالة، إلاّ أن ما بين أيدينا من القرائن يُشير إلى أن الرسالة من نتاج الجاحظ على نحو ليس بمقدور الدارس إثبات خلافه، فالأثبات – كما تقدم – تنص على أن الرسالة للجاحظ، ونسختها الخطية تشير إلى الأمر عينه (٦١ : ١٣٣ط)، أما نص الرسالة فليس فيه إشارة متاخرة عن عصر الجاحظ، وفوق ذلك كله، يمكن أن يُشير الباحث إلى وجود بعض الطرائق الأسلوبية التي لم يعهدها كثير من الدارسين عند الجاحظ من قبل، كما هو حال تلك القطعة الواقعة في آخر رسالة فصل ما بين العداوة والحسد (٢: ٣٦٧-٣٧١)، فهي في لغتها وروحها تقترب من أسلوب المقامة العربية عند روادها الأوائل .

وفي سياق تحديد تاريخ كتابة الرسالة تظهر قيمة الإشارة التي يسوقها الحُصْري وهو بصدد التقديم للرسالة ، يقول : " وللجاحظ من هذا النوع رسالة كتب بها إلى المعتصم ، وقيل المتوكل ، في الحض على تعليم أولاده ضروب العلوم وأنواع الأدب" (٥٥: ١٤٢)، وهذا المقطع يتفق إلى حد بعيد مع ما جاء في مطلع الرسالة نفسها ، يقول أبو عثمان " دخلتُ على أمير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤمنين المعتصم بالله ، فقلت له يا أمير المؤمنين .... " (٢: ٣٧٩). ويسوق أبو عثمان الرسالة المتضمنة ما جرى له في مجلس المعتصم، وكأنه يُحدّث شخصاً عن تلك الحادثة. من هنا ، يبدو أنّ الجاحظ كتب رسالته هذه إلى المتوكل لا إلى المعتصم، إذ لا يُتصور أن يكتب أبو عثمان إلى المعتصم كي يعلمه بدخوله عليه، ووقوفه بين يديه، ويخبره ما كان حدثه به من قبل. فالجاحظ لم يكتب رسالته إلى المعتصم وإنما دخل عليه وحدثه بخبره مع أهل الصنائع، ويبدو أن الجاحظ عمد – فيما بعد – إلى تدوين هذا الحدث، ووجه بذلك إلى المتوكل لإخباره بما جرى معه بين يدي المعتصم ، ولتقديم النصيحة له بضرورة أخذ أبنائه بتعلم ضروب العلوم والآداب من غير الاقتصار على طرف منها . وقد يؤيد هذا التوجيه، كون المتوكل استدعى الجاحظ فعلاً إلى البلاط لتعليم أولاده (٢٠٦ : ٩٤) .

فإذا ما صح أن الرسالة وُجهت إلى المتوكل ، أمكن القول إن تاريخ إنشائها ينحصر في المدة من ٢٣٢-٢٤٧ هـ ، وهي مدة خلافته ، والأغلب أن يرجع تاريخ كتابتها إلى بداية هذه المدة، لأن الجاحظ سعى في توثيق صلته بالخليفة الجديد منذ وكلّ إليه الأمر .

وفي سياق الحديث عن نشر الرسالة ، يُصادفك ظهور نشراتها منذ فترة مبكرة جداً في حركة بعث تراث الجاحظ ، إذ طُبعت سنة ١٢٨٤هـ = ١٨٦٦م ضمن كتاب طراز المجالس للخفاجي ، بوصفها مادة من مواد هذا الكتاب (٨٥ : ٦٧-٧١) ، وفي سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م، حققها داود الجلبي ونشرها في بغداد (٨٢) ، وبعد فترة وجيزة ظهرت نشرتان لها في القاهرة ، الأولى أخرجها حسن السندوبي في رسائل الجاحظ (١١٥: ٢٦٠ -٢٦٥) ، والأخرى طُبعت ضمن كتاب جمع الجواهر للحصري ، كونها من مواد هذا الكتاب (٢٠٧ : ١١٦-١٢٠)، والملاحظ أنّ صدور هاتين النشرتين جاء في وقت واحد . وأما نشرتها العلمية ، فقد أخرجها عبد السلام هارون في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م (٢: ٣٧٥-٣٩٢)، وهي تمتاز بُحسن إخراجها على نحو ينأى عن تشويه النص وشيوع السقط والتحريف فيه . وبعد هذه النشرة ، ظهرت ثلاث نشرات لم تحتذِ واحدة منها المنهج العلمي في النشر ، وهي : نشرة عمر "أبو النصر" (٩٧ : ٩٥-٩٦، ١٦٠-١٦٢) ونشرة عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ٢٦٠-٢٦٩)، ونشرة علي "أبو ملحم" (١٠٠ : ٣١١ - ٣٢١) .

وبالنظر إلى نُقول الرسالة عن العربية ، يُشار إلى الترجمة التي نشرها ريشر بالألمانية في الثُلث الأول من هذا القرن (٤٣) ، كما يمكن الإشارة إلى نقل شارل بلاّ بعض فقرها الى الفرنسية سنة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م (٤٣) ، وهي الفِقَر التي نقلها هواك إلى الإنجليزية في مطلع الثمانينات (١٣٠ : ١٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجد النسخة الكاملة من أصل الرسالة محفوظة في مكتبة داماد إبراهيم بتركيا (٦١)، بالإضافة إلى وجودها ضمن مخطوطات كتابي جمع الجواهر وطراز المجالس ، وهما الكتابان اللذان احتفظا بنص الرسالة .

٣١ – رسالةُ القِيَــان .

هذه هي صورة عنوان الرسالة كما وردت في أصولها المخطوطة (٦١ : ١٢٣) ، وهي تطابق بذلك الصورة الواردة في ثبت ابن النديم (٨ : ٢١٠) ، أقدم الأثبات التي وصلت إلينا عن تراث الجاحظ ، ولابدّ في هذا المقام من ملاحظة التحريف الذي طرأ على هذه الصورة عند أصحاب الأثبات اللاحقة كياقوت (٣: ١٠٧)، و الصفديّ (١٢: ٥٧ظ)، والكتبيّ (١٣: ١٥٤ظ). وتبعاً لهذه التحريفات ، تحول عنوان الرسالة إلى صورة جديدة هي "الفتيان"، والواقع أنّ هذه الصورة أوهمت عدداً ممن وضعوا أثباتاً لآثار الجاحظ في العصر الحاضر، فراحوا يعدون "الفتيان " كتاباً للجاحظ ، وبوسع أي مُتفحص أن يُطالع هذا الأمر عند رمضان ششن (٤٣)، وشارل بلاّ (٤٣) ، وإمتياز عرشي (٤) .

ويُلاحظ أنّ الجاحظ أدخل رسالته في سياق يدعو إلى النظر ملياً ، فهو يضع الكلام في أولها على لسان جماعة من المقينين : " من أبي موسى بن إسحاق بن موسى، ومحمد بن خالد خَذّار خَذّاه، وعبدالله بن أيوب سُمير و ...." (١٠: ١٤٣). وتجده بعد الفرغ من تسميتهم جميعاً، يصرح بتوجيهها إلى طائفة وسمهم بـ " أهل الجهالة والجفاء، وغلظ الطبع، وفساد الحس" (١٠ : ١٤٣) ، فإذا ما جاء إلى نهاية الرسالة قال :" هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من أسميناهم في صدرها. فإنّ كانت صحيحة فقد أدينا منها حق الرواية ، والذين كتبوها أولى بما قد تقلدوا من الحجة منها. وإنّ كانت منحولة فمن قبل الطفيليين ، إذ كانوا قد أقاموا الحجة في اطّراح الحشمة، والمرتبطين ليسّهلوا على المقينين ما صنعه المقترفون . فإنّ قال قائل : إنّ لها في كل صنف من هذه الثلاثة الأصناف حظاً وسبباً فقد صدق " (١٠ : ١٨١).

فأنت تلاحظ أنّ الجاحظ يسعى في سبيل تعمية الرسالة وإخفاء حقيقة نسبتها إليه ، والحق أنّه لا يوجد تحت أيدينا ما يُفسر سبب قيام الجاحظ بهذا الأمر ، إلاّ أنّ يكون تملكه شعور الخوف من أناس يطعنون في رسالته ، فما كان منه إلاّ أنّ أظهرها على نحو مُبهم كما كان يفعل في بعض كتاباته ، على ما صرح في رسالة فصل ما بين العداوة والحسد (٢: ٣٥١) . ولئن كان الجاحظ فعل ما فعل قصداً ، فإنّ الشك لا يساورنا أبداً في أنّ الرسالة من صوغ قلمه ، وأنّه وضعها موضعاً فنياً خاصاً ، فولد أحاديثها على لسان طائفة من المقينين ، وجعلهم يدحضون حجج خصومهم ممن عابوا عليهم مسلكهم في القيان . وإذا ما أردنا تلمس بعض الأدلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تنطق بصحة نسبة الرسالة إلى الجاحظ ، أشرنا إلى أسلوبها وطريقة بنائها ، إلى جانب خلوها من الإشارات الأدبية أو التاريخية المتأخرة عن عصر الجاحظ ، أضف إلى ذلك اتفاق القدامى على نسبتها إليه .

ويغلب أنّ يكون تاريخ إنشاء الرسالة واقعاً في نطاق المدة التي ساد فيها سُلطان المعتزلة، أي قبل سنة ٢٣٢هـ ، ويبدو ذلك من أمرين : أولهما أنّ الرسالة موجهة في أصلها إلى الردّ على أهل الحديث الذين يعتقدون آراء في الموضوعات التي عُقدت الرسالة لأجلها كالنظر إلى النساء ومحادثتهن ، ويظهر من الرسالة أنّ الجاحظ حمل عليهم حملةً شعواء تجعل القول بوضع الرسالة في زمن ظهور المعتزلة عليهم قولاً يُحالفه الصواب إلى حدٍّ بعيد ، على أنّ مما يؤيد ذلك ابتعاد الجاحظ عن التعرض لهم بعد أن انقلبت الأمور لصالح تيار أهل السُنة بعد سنة ٢٣٢هـ . وأمّا الأمر الآخر، فهو وجود اتجاه عند الجاحظ يُعنى بالكتابة في المرأة والغناء وما اتصل بالموضوع ، كما يمكن ملاحظته من كتاب طبقات المغنيّن المؤلف في سنة خمس وعشرة ومائتين(٣٥ : ١٣٤) ، وربما كان وضع رسالة القيان لا يبتعد عن هذا التاريخ كثيراً .

لقد ظهرت عناية الدارسين بنشر الرسالة منذ مستهل الربع الثاني من هذا القرن ، حين أخرجها يوشع فنكل أوّل مرة في القاهرة سنة ١٧٤٤هـ=١٩٢٦م (٧٥ : ٥٢ - ٧٥)، وبعد نحو أربعين عاماً من هذه النشرة ، أعاد عبد السلام هارون تحقيق الرسالة تحقيقاً علمياً في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ =١٩٦٤م (١٠: ١٣٩-١٨٢)، وتوالت نشراتها بعد ذلك في بيروت ، فنشرها عمر "أبو النصر" (٩٧ :٦٨-٩٤)، وأعقبه علي أبو ملحم بنشرة ظهرت سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م (٩٩ : ٦١ - ٨٩) ، ولم تلبث هذه النشرة يسيراً حتى تبعتها نشرة عبد الأمير مهنا في السنة اللاحقة (١٠٣ : ٩٤ - ١١٨) . وتفتقر هذه النشرات الثلاث إلى أصول النشر العلمي ، فليس منها ما صدرت عن أصل خطي ، كما هو شأن النشرتين المتقدمتين ، وفضلاً عن ذلك ، فقد خلت بعض هذه النشرات من التعليقات على نص الرسالة .

وقابلت هذه عناية من نوع آخر انصبت على نقل الرسالة -أو جزء منها - إلى اللغات الأخرى ، فقد ترجم ريشر قدراً وافراً من مادتها الألمانية في فترة الثلاثينات (٤٣) ، في حين قدّم شارل بلاّ ترجمة فرنسية لها سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م (٤٣) ، ونقل هواك هذه الترجمة إلى الإنجليزية بعد فترة وجيزة (١٢٩ : ٢٥٩ -٢٦٩) ، وبالإضافة إلى ماسبق ، نشر بستون ترجمة إنجليزيّة وافية في سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م (٤٣) .

وفيما له علاقة بمخطوطات الرسالة ، لم يتسنّ الكشف حتى الآن سوى عن أصلها المحفوظ في مكتبة داماد إبراهيم بتركيا (٦١)، وهو الأصل الذي نشر عنه عبد السلام هارون،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الأصل الذي صدر عنه يوشع فنكل في نشرته المذكورة قبلاً ، فلا يُعلم مصيره كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند تناول مخطوطة نور الدين مصطفى في الفصل الأول من هذه الدراسة .

٣٢- رسالةُ كِتْمانِ السرِّ وحفظِ اللسان .

هذا هو عنوان الرسالة حسبما جاء في نسختها الخطية المحفوظة في مكتبة داماد (٦١ : ١٢٦) ، ويبدو أنّها عين الرسالة التي ذكرها غير واحد من أصحاب القوائم باسم كتمان السرّ (٨: ٢١١ ، ٣: ١٠٩) ، مقتصرين على طرف من عنوانها ، والظاهر أنّها الرسالة نفسها التي أشار إليها ابن الفُرات في قوله: "رسالة إلى أحمد بن أبي عون في حفظ السرّ واللسان "(٨ : ٢١١)، وتبدو قيمة العنوان الأخير في تعيينه اسم الشخص الذي وجه إليه الجاحظ رسالته . ومهما يكن، فإنّ ما ورد في أصل الرسالة المخطوطة يُعد أقرب من غيره في التعبير عن مقصود الجاحظ من رسالته .

ويظهر واضحاً أنّ الرسالة تفتقر إلى إشارة من شأنها فتح نافذة على معرفة المدة التي تنتمي إليها، ومع ذلك فلا يَبْعُد أن تكون كُتبت بعد سنة ٢٣٢هـ ، أي عقب زوال دولة المعتزلة لصالح أهل السُّنة ابتداء من خلافه المتوكل، وأهم ما يُستأنس به في هذا الصدد ، خلو نص الرسالة من تلك النزعة المذهبية التي كنا نُطالعها في كتاباته التي ترجع إلى ما قبل السنة المذكورة، ويلاحظ أنه لما ورد خبر الأعمش مع أصحاب الحديث – أهل السُّنة – اكتفى أبو عثمان بسرد الخبر دون التعرض لهؤلاء بالثلب والطعن كما هو دأبه في كثير من آثاره المؤلفة في المدة التي تملك فيها المعتزلة (٢: ١٤٥) .

وكما ورد في إشارة ابن الفرات الآنفة ، فقد كتب الجاحظ رسالته باسم أحمد بن أبي عون، أحد الذين اتصل بهم في ذلك العصر ، بيد أن طه الحاجري الذي لم يتسنَّ له أن يطالع هذه الإشارة الوادرة في النشرة الأخيرة من كتاب الفهرست (٨ : ٢١١) ، رجّح أنّ تكون الرسالة موجهة إلى الوزير عبيد الله بن خاقان الذي ولي وزارة المتوكل سنة ٢٣٦هـ . ومن أجل ذلك راح الحاجري يقيم ترجيحات مفترضة قادته إلى الحديث عن ملابسات الرسالة ودوافع تأليفها (١٢٦: ١٩١-١٩٧). والحق أنّه لا يوجد بين أيدينا ما يمنع أن يكون ابن أبي عون هو المخصوص برسالة الجاحظ ، ما دامت الإشارة قد وردت إلى ذلك ، ولم يَرد ما يُشكك في صحتها.

واذا ما قُدر للباحث أن يُلقي – بعد ذلك– نظرة على الجانب الآخر في توثيق الرسالة، أمكنه البحث من الوقوف على ما أسداه الدارسون عرباً ومستشرقين لهذا الأثر في مجاليّ النشر والترجمة . أمّا في المجال الأول ، فإنّ فضل السبق إلى بعث الرسالة يعود إلى المستشرق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألماني باول كراوس ورفيقه طه الحاجري ، فقد كانت هذه الرسالة ثانية أربع رسائل جاحظية ضمها المجموع الذي نشراه في القاهرة سنة ١٣٦٢هـ= ١٩٤٣م (٥٤ : ٣٧-٦٠). وعن هذه النشرة صدرت في بيروت نشرتان أخريان : أمّا الأولى فقد نشرها محمد علي الزعبي، دون الإشارة إلى أصل ما نقل عنه (١١١ : ٦٣-٩٣)، وأمّا الثانية فهي نشرة مُعادة أخرجها الحاجري بعد أربعين عاماً من نشرته السابقة مع كراوس (١٢١ : ١٩١-٢٢١) .

وبعد نشرة كراوس والحاجري ، أظهر عبدالسلام هارون نشرته في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م (٢: ١٣٥-١٧٢)، وقد أخذت هذه النشرة نفسها بمقتضيات المنهج العلمي من ضبط النص ومقابلة أصوله المخطوطة والمطبوعة . وكانت هذه النشرة كسابقتها أصلاً صدرت عنه نشرتان أُخريان في بيروت أيضاً ، والنشرتان هما : نشرة علي "أبو ملحم" (١٠٠ : ٨٥ - ١١٢) ، ونشرة عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ١٠٠-١٢٤)، ولا تختلف هاتان النشرتان في المنهج والغاية عن سائر الآثار التي نشرها أبو ملحم ومهنا .

أما فيما يتصل بالجانب الآخر ، فيشار في هذا الاتجاه إلى ترجمتي شارل بلاّ الكاملة والجزئية إلى الفرنسيّة (٤٣) ،وإلى ترجمة هوالك الجزئية إلى الإنجليزية (١٢٩ : ٢٢٢-٢٣٠)، وإلى ترجمة وليام هاتشينز الكاملة إلى الإنجليزية (١٣٠ : ١٥) .

٣٣- رسالةٌ إلى مُحمدِ بنِ عبدِ الملك الزّيات .

يُعد كتاب زهر الآداب للحُصريّ أقدم مصدر احتفظ بنص الرسالة(٢٠٨ : ٤٩٥ - ٤٩٦) ، وأشار الحُصري في سياق تقدمته للرسالة إلى شيء من ملابسات إنشائها ، وتعود هذه الملابسات إلى ما ذكره الجاحظ نفسه ، وذلك حين يقول : " تشاغلتُ مع الحسن بن وهب أخي سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شُغلي مع الحسن بن وهب ، فتنكر لي وتلوّن عليّ ، فكتبتُ إليه رُقعةً نُسختُها ... " (٢٠٨ : ٤٩٥) . ومضى الجاحظ في رسالته يستدر عطف الوزير ابن الزيات ويتقرب إليه بما يُفضي إلى حصوله على العفو .

وهذا القدر من الملابسات كافٍ لإضافة الرسالة إلى المدّة ما بين سنتي ٢٢٧-٢٣٣هـ، ففي هذه المدة كانت صلة الجاحظ منعقدةً بالحسن بن وهب على ما يظهر من رسالة مدح النبيذ الواردة بعد قليل ، ويبدو أنّ تاريخ هذه الرسالة يقترب على نحو ما من الرسالة المذكورة التي يدور زمن إنشائها بين عاميّ ٢٣١ - ٢٣٢ هـ ، كما سيظهر عند تناولها وممّا يزيد في دقة هذا التاريخ كون الرسالة موجهة إلى ابن الزيّات ، وهذا يقطع بأنها كُتبتْ قبل وفاته سنة ٢٣٣هـ. وعن أصل ما أورده الحُصْري في زهر الآداب عُني المعاصرون بإعادة نشر الرسالة ، إذ تعاقب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على إخرجها قبل منتصف هذا القرن أربعة من الدارسين ، هم : أحمد مفتاح وهو أول من نشرها في هذا العصر (١٣٤ : ٣٦١ - ٣٦٢) ، يليه خليل مردم (٢٨ : ٨٩ -٩١) ، فالسندوبي الذي أدخل على النص قطعة طويلة ليست من أصله (١١٥ : ٣١٢ - ٣١٣) ، وأخيراً أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب(١٣٥ : ٤٣ - ٤٥) . ولم تنشر الرسالة بعد ذلك سوى مرة واحدة أظهرها عمر أبو النصر في بيروت سنة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م (٩٧ : ١٧١-١٧٣)، وهي محض إعادة لنشرة السندوبي الآنفة .

٣٤ - رسائلُ مُخْتَـلِفَـة .

يزيد مجموع هذه الرسائل القصار التي حفظها كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، على عشرين رسالة وردت في إثر بعضها ضمن مخطوطة الكتاب المحفوظة في برلين (٦٣: ١٠٧ب : ١١١ب) . ولا تختلف هذه الرسائل عن سابقاتها في : استنجاز الوعد وَالاعتذار وَ التعازي وَ العتاب ، إلاّ من حيث طولها الذي يفوق طول الرسائل المفْرغة في هذه الموضوعات بعض الشيء . ومهما يكن من أمر ، فإنّ التوصل إلى زمن إنشاء هذه المجموعة من الرسائل لتأخذ مكانها في النسق التاريخي لآثار الجاحظ ، يبدو عسيراً جداً ، لخلوها من الشواهد التي تُعين - ولو على نحوٍ ما - في تحقيق هذا المطلب .

٣٥- رسالةُ مَدْحِ النَبِيذ.

وهي الرسالة الوحيدة التي وصلت كاملة من بين مجموعة الآثار التي ضمتها اختيارات عُبيد الله بن حسان ، وبذا تكون قد سلمت من اختصار هذا الشخص، كما هو شأنه في جميع الآثار الواردة في مجموعته .وإذا كان عُبيد الله بن حسان قد جرى على تقسيم المنتقيات التي يختارها من كل أثر إلى قطع أسماها فُصولاً، إلاّ أنه اقتصر في هذه الرسالة على فصل واحد جعل عنوانه : " فصل من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفه أصحابه " (٧٣ : ٤٢ب) . ومع ما يمكن أنّ تُوحي به صورة العنوان من عدم وصول النص الكامل للرسالة ، إلاّ أنّ عُبيد الله بن حسان ساقها بأكملها من غير تعريضها لتقسيمات الفصول التي يطالعها الدارس في باقي مواد مجموعته ، ومن يتصفح الرسالة يتبين له أنْ ليس فيها سقط واضح يدعو إلى القول إنّها مبتورة النص كما هو الحال في جميع نصوص المجموعة التي وردت ضمنها الرسالة .

وتختلف الأثبات في إيراد صورة العنوان على وجهين : أما الأثبات القديمة و بعض الحديثة فقد اكتفت بلفظ مدْح الكُتاب ومَدْح النبيذ (٨: ٢١١ ، ٣ : ١٠٩ ، ١٢ : ٥٨ب ، ١٣ :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥٥ظ)، وأمّا الأثبات الباقية ، فإنّها تُضيف عبارة " وصفة أصحابه " فوق العنوان المذكور (٣٣: ١١٧ ، ٤١ : ٢٩٤) ، ويبدو أنّ العنوان الأول أقرب إلى نمط العنوانات التي جرى الجاحظ على وسم رسائله بها، على نحو ما يمكن ملاحظته في مَدْح الكُتّاب ومَدْح الوراقين (٨: ٢١١) . وأمّا العنوان الآخر فالملاحظ أنّ الأثبات التي أوردت بتلك الصورة توثق عن مخطوطة الرسالة أو نشراتها، وقد أخذت هذه الأثبات الزيادة التي وضعها عبيد الله بن حسان على أنها من صُلب العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ، دون الاستناد إلى شيء بهذا الخصوص .

وكما جاء في أصول الرسالة الخطية (٧٣ : ٤٢ب) ، فقد كتبها الجاحظ باسم الحسن بن وهب، أحد مشاهير كتاب الدواوين في ذلك العصر، وليس بين أيدينا ما يرد هذا أو يجرح فيه، بل إن شواهد تعضد هذا وتؤيده ، فقارىء الرسالة يلمس فيها ملامح واضحة من منادمة الجاحظ للحسن بن وهب في مجلس شُرب، وهو ما صرح به الجاحظ في موطن آخر ، يقول : "تشاغلتُ مع الحسن بن وهب أخي سليمان ابن وهب بشرب النبيذ أياماً، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شُغلي مع الحسن بن وهب، فتنكر لي، وتلون علي " (٢٠٨ : ٤٩٥)، وهذا يعني أن الرسالة لم تُكتب من فراغ ، بل كانت وليدة منادمة جامعة ضمت الجاحظ والحسن بن وهب ، ويبدو أنّ الحسن لم يكن كَلِفاً بالنبيذ مُسرفاً في شرابه كما هو شأن نديمه الجاحظ، وسلوك الحسن هذا لم يجد هوى في نفس أبي عثمان ، فما كان من الأخير إلاّ أنّ خطّ الرسالة ناعياً على نديمه قلة إطنابه في مدح النبيذ ، وتقصيره في شربه ، وقلة الرعاية لحقه ، مما جرّ عليه الأدواء الوضيعة كالجرب والباسور (٣٥: ١١٤-١١٥) . وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنّ إشارة الرسالة إلى علة الشخص المرسل إليه وإلى عمله في الديوان (٣٥ : ١١٥) ، تحمل دلالة أخرى على أنّ الحسن بن وهب هو المقصود بكلام الجاحظ في هذه الرسالة .

وهناك غيرما إشارة في الرسالة يَصْلُح ترشيحها في محاولة التوصل إلى زمن مقارب لإنشائها ، فأول ذلك الإشارة إلى عمل الحسن بن وهب في الديوان (٣٥ : ١١)، والظاهر أنّ ذلك كان في خلافة الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ، كما يُستشف من حديث الطبريّ عن إلزام الواثق الكُتّاب الأموال في سنة ٢٢٩هـ (١٣٧: ١٢٥). وأمّا الإشارة الأخرى، فهي قوله : "وكيف صارت أمراضي أمراض الأغنياء وأمراضك أمراض الفقراء إلا لمعرفتي بفضله ، واستخفافك بقدره . ألا ترى أني مُنقرس مفلوج، وأنت أجرب مبسور " (٣٥ : ١١٤)، وواضح أنّ الجاحظ يُشير في هذا المقطع إلى علته وعلة الحسن بن وهب . أمّا علة الحسن فالمشهور أنّها كانت في زمن ابن الزيات ، وفي كتاب الأغاني نص يقطع بذلك (٢٠٩ : ٦٣). وفي ديوان البحتري قصيدة قالها في استنهاض الحسن من هذه العلة (٢١٠ : ٢١٩٠-٢١٩٢)، ويرجع تاريخ هذه القصيدة – فيما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توصل إليه محقق الديوان – إلى سنة ٢٣٠هـ (٢١٠-٢١٩٠)، وهو تاريخ يتفق مع ما تضمنته الإشارة الأولى . وأما علة الجاحظ فقد كانت قبل سنة ٢٣٣هـ، كما حققها عبد السلام هارون (١: (م) ٢٥ – ٢٦) .

وهكذا يظهر أنّ ورود الإشارة إلى علة الجاحظ والحسن بن وهب في هذه الرسالة يؤدي إلى القول إنّ زمن كتابتها لا يعدو أن يكون واقعاً في حدود المدة بين سنتي٢٣١-٢٣٢هـ، بناءً على تعيين تاريخ هاتين العلتين ، وهو ما دل عليه النظر الآنف .

وفي نطاق نشر الرسالة ، كانت أولى نشراتها في القاهرة على هامش كتاب الكامل للمُبرد سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٦: ٩٧-١٢٠)، وقد اتسمت هذه النشرة بكثرة التصحيف والتحريف فيها . بعد ذلك قام السندوبي بإخراجها ثانية على نحو يدنو من النشرة السابقة (١١٥ : ٢٨٥-٢٩١). ولم يتسن إخراجها من جديد عقب نشرة السندوبي حتى فترة قريبة جداً ، حين تولى تحقيقها حاتم الضامن، ونشرها في العدد الخاص عن الجاحظ في مجلة المورد (٦٨) . وسرعان ما ظهرت في القاهرة نشرة عبد السلام هارون التي تُعدّ أجود هذه النشرات (٣٥ : ١١١-١٢٨) وكانت نشرة علي "أبو ملحم" المعادة عن نشرة هارون آخر نشرات الرسالة (١٠٠: ٢٥٧-٢٧٢) .

وأمّا في نطاق نقولها إلى اللغات الأخرى ، فقد نقل ريشر أجزاء منها إلى الألمانية في فترة مبكرة نسبياً (٤٣) ، ومن جهته ، نقل شارل بلا منتقيات منهاإلى الفرنسيّة (٤٣) ، وقد نُقلت هذه المنتقيات إلى الإنجليزيّة قبل نحو ربع قرن تقريباً (١٢٩ : ٥٤ – ٥٥) .

وتوجد الرسالة اليوم مخطوطة ضمن مجموعة الفصول المختارة لعُبيد الله بن حسان ، ومنها نسخ محفوظة في : دار الكتب (٧٤) ، والأزهريّة (٣٥ : (م)٧) ، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦) .

٣٦- رسالةُ المَعَادِ والمَعَاش .

تُعد هذه الرسالة مثالاً واضحاً على ما لقيته عنوانات رسائل الجاحظ من الخلط والتشويش على أيدي النساخ والوارقين ، فهي تُعرف عند ابن عبد ربه الأندلسي باسم الأدب (٣: ٢٨)، وتُعرف في نُسخها الخطية تارة بالأخلاق المحمودة و المذمومة ، وتارة أخرى بالمعاد والمعاش في الأدب وتدبير الناس ومعاملاتهم (٢ : ٨٩)، ونشرها عبد السلام هارون باسم المعاش والمعاد (٢ : ٨٧)، غير أن تسميتها بالمعاد والمعاش تُعدّ أكثر دقة من غيرها لسببين : الأول اتفاق أقدم الأثبات على صورة هذه التسمية ، كما يمكن تبينه عند : ابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٨) ، والصفدي (١٢ : ٥٧ظ) ، والكتبيّ(١٣ : ١٥٥ب) . والآخر تصريح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاحظ بهذه التسمية في موضوع الحديث عن الرسالة ، يقول : " فرأيتُ أنّ أجمع كتاباً من الأدب ، جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش " (٢ : ٩٥)

والحقيقة أنّ تعدد عنوانات الرسالة أوقع عدداً ممن صنعوا أثباتاً لمؤلفات الجاحظ في الاضطراب ، فإنّ بروكلمان على سبيل المثال يذكر رسالة الأخلاق المحمودة والمذمومة على أنّها مباينة لرسالة المعاد والمعاش في الأدب وتدبير الناس ومعاملاتهم (٣٣: ١١٧)، ويورد شارل بلاّ كتاب الأدب و رسالة المعاد والمعاش (٤٣) على أنّهما عملان مستقلان، والملاحظ أن أكثر القوائم المصنوعة بعد بروكلمان لا تسلم من الوقوع في هذا الخلط. ومهما يكن من أمر هذه العنوانات المختلفة ، فهي – فيما يظهر – مُستلة من الرسالة نفسها، ويبدو أنّ بعض الوراقين دمغوا بها الرسالة بعد أن قاموا باستقراء المضمون .

وبالانتقال إلى البحث في تاريخ إنشاء الرسالة ، يجد الباحث نفسه مضطراً إلى حل الشائكة التي تتصل بتعيين الشخصية التي كُتبت الرسالة باسمها ، وبعد التحقيق ، ظهر أن مبعث هذه الشائكة يعود إلى أمرين : أحدهما ما ذكره ابن النديم : " قال الجاحظ في رسالته إلى محمد ابن عبد الملك الزيات ..." ثم إيراده قطعة من هذه الرسالة (٨ : ٢٠٩) ، و ثانيهما : ما جاء في أصول الرسالة الخطية ، إذ ورد في النسخة الأولى أنها موجهة إلى ابن الزيات ، وفي النسخة الأخرى أنها موجهة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد (٢ : (م) ٧) . وهكذا يظهر أنّ الشخص الذي أُهديت الرسالة إليه ، لا يعدو أنّ يكون أحد شخصين كانت بينهما خصومة شديدة، وهما : ابن الزيات وأبي الوليد بن أبي دؤاد.

وفي محاولة استنطاق الرسالة ، تجد أنّ بعض الشواهد تشير إلى أن أبا الوليد هو الشخصية التي قصدها أبو عثمان برسالته ، وأول ذلك ما ذكره أبو عثمان من معرفته هذه الشخصية في أيام حداثتها (٢: ٩١) ، وهذا ينطبق على أبي الوليد دون ابن الزيات ، لأنّ صلة الجاحظ بابن الزيات لم تنعقد إلاّ في خلافة المعتصم، وكان ابن الزيات إذ ذاك يدنو من الأربعين، وأما أبو الوليد فقد اتصل به الجاحظ في تلك الفترة أيضاً وكان ما زال بعدُ في نضارة الشباب وفورته. وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن في الرسالة إشارة أخرى لا تقل قيمة عن الإشارة الأولى، وهي قول أبي عثمان يخاطب أبا الوليد : " وكان من نعمة الله عندي أن أجعل أبا عبد الله – حفظه الله – وسيلتي إليك ، فوجدتُ المطلب سهلاً ، والمراد محموداً " (٢ : ٩٣) ، وأبو عبد الله الذي اتخذه الجاحظ وسيلة هو القاضي أحمد بن أبي دؤاد والد أبي الوليد ، و لا يمكن بحال أنّ يُقال إنّ الجاحظ اتخذ هذا القاضي وسيلة إلى ابن الزيات ، بسبب ما كان بين هذين من حقد وضغينة انتهت بمقتل الأخير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد تحديد الشخصية المخصوصة بالرسالة ، يمكن للباحث أن يتعرف إلى التاريخ إنشائها ، فمن المعروف أنّ صلة الجاحظ بأبي الوليد ظهرت واضحة في مرحلتين ، الأولى في عهد المعتصم ، وكان أبو الوليد آنذاك في شبابه ، والثانية بعد مقتل ابن الزيات حين وكل أمر القضاء إلى أبي الوليد خلفاً لأبيه الذي أقعده المرض ، ولما كانت الرسالة تتضمن إشارة إلى المرحلة الأولى وهي التي وصفها الجاحظ بأيام الحداثة (٢ : ٩١) ، فإن ذلك يشير إلى أنّ الرسالة أُنشئت في الفترة التي تليها . والذي أُقدره أنّ زمن كتابتها يدور حول سنة ٢٣٤هـ ، وهي السنة التي تولى فيها أبو الوليد مشيخة القضاء ، لأنّ الرسالة كما يبدو ليست إلا دستوراً يقدمه أبو عثمان لأبي الوليد ليسير عليه في سياسته الناس ، ومهما تجاوز تاريخ إنشائها فإنّه لا يتعدى سنة ٢٣٧هـ، وهي السنة التي نُكب فيها آل دؤاد ، والمظنون أنّ صلة الجاحظ بهم انقطعت عند هذا التاريخ. وتجدر الإشارة أخيراً إلى ما ذهب إليه بلاّ في قوله أن الجاحظ حرّر الرسالة للمرة الأولى قبل سنة ٢٣٢هـ باسم الأخلاق المحمودة والمذمومة ، وأعاد تحريرها ثانية بعد السنة المذكورة باسم المعاد والمعاش (٤٣) ، ولستُ أدري كيف توصل بلاّ إلى هذا الرأي الذي تعوزه الوثائق والنصوص التي لم يضع بلاّ يده على شيء منها .

وعند الحديث عن الجانب التوثيقي الآخر ، وهو المتعلق بنشرات الرسالة وترجماتها، يمكن عدّ نشرة كراوس والحاجري الصادرة في القاهرة سنة ١٣٦٢هـ=١٩٤٣م (٥٤: ١- ٣٦)، بالإضافة إلى نشرة عبد السلام هارون المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤ (٢ : ٨٧ – ١٣٤)، أوفى هذه النشرات وألصقها بالمنهج العلمي الحديث في التحقيق والنشر . وأما النشرات الباقية ، وهي نشرة محمد الزعبي (١١٧: ٢٣-٦١)، ونشرة عبد السلام هارون الثانية (٣٤ : ٦٧-٧٩) ، ونشرة الحاجري الثانية (١٢٦: ١١٣-١٥٥)، ونشرة عبد الأمير مهنا (١٠٢ : ٧٣ – ٩٩) ، ونشرة علي "أبو ملحم" (١٠١ : ٩٣ – ٩٦) ، فلم تقدم جديداً فوق ما تضمنته النشرتان المذكورتان . ولا سيما أنّ بعض هذه النشرات هو في الحقيقة محض إعادة نشر لهاتين النشرتين دون اعتماد أصول الرسالة المخطوطة .

وفي إطار نقولها إلى غير العربية ، اختار شارل بلاّ منتقيات منها وترجمها إلى الفرنسيّة (٤٣) ، ونقل هواك المنتقيات عينها إلى الإنجليزيّة (١٢٩ : ٢٠٢ – ٢٠٦) .

أمّا فيما يتصل بالأصول الخطية، فإن نسختها الكاملة تُحفظ في مكتبة داماد إبراهيم بتركيا (٦١) ، كما توجد مختارات منها ضمن فصول عُبيد الله بن حسان المخطوطة في : دار الكتب (٧٤) ، والأزهريّة (٣٥ : (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٧ – رسالةُ مُفَاخَـرةِ الجَـوَارِي والغِلْمَان .

ليس في قائمة كتب الجاحظ رسالة تحمل هذا العنوان ، وإنّما نجد عنوانين يقتربان على نحو ما من هذه الصورة وهما : كتاب الجواري (٨ :٢١٠) وكتاب الغلمان (١٩: ٤٧) ، ويبدو أنّهما من العنوانات التي عُرفت الرسالة بها ، والظاهر أنّ العنوان الذي جمع بينهما في صورة واحدة هي مفاخرة الجواري والغلمان ينطبق أكثر من غيره على الموضوع الذي تفرعت له الرسالة .

وفي محاولة تلمس تاريخ إنشاء الرسالة ، تبدو إشارة الجاحظ إلى إحدى المناظرات التي عقدها في كتابه الحيوان ، وذلك حيث يقول : "ونحن لم نقصد في ذكرنا هذه الأخبار الردّ على من أنكر هذه الأمور ، ولكنا لما ذكرنا اختصام الشتاء والصيف، واحتجاج أحدهما على صاحبه، واحتجاج صاحب المعز والضأن بمثل ذلك.." (١٠: ٩٥). فالإشارة إلى المناظرة بين صاحبي المعز والضأن تبدو جلية في هذا النص ، وتعد هذه المناظرة من أبرز المناظرات التي أجراها الجاحظ على ألسن بعض من يتعصبون للحيوان ، و قد استغرقت طرفاً لا يُستهان به من كتاب الحيوان (٢١١: ٤٥٥–٥١١). وفي هذه المناظرة يحتج كل من صاحب الضأن والمعز على خصمه، ويحاول كل منهما جاهداً أنْ يَنْسُبَ ما استطاع من الفضائل والمكرمات إلى الحيوان الذي يتعصب له إلى جانب دحر منافسه ورد مزاعمه و افتراءاته، وعلى هذه الشاكلة تسير المناظرة بين الطرفين .

إنّ ورود هذه الإشارة إلى إحدى مناظرات كتاب الحيوان في هذه الرسالة يحمل على إضافتها إلى الفترة التي تلت تأليف كتاب الحيوان، وبما أن الجاحظ قدّم هذا الكتاب إلى الوزير ابن الزيات سنة ٢٣٢هـ ، فإنّ تاريخ الرسالة يرجع إلى ما بعد هذا التاريخ ، وليس ثمة ما يدعو إلى القول بصعوبة التوصل إلى تاريخ بعينه ضمن الفترة الممتدة بعد السنة المذكورة .

ويبدو بعد محاولة الاقتراب من زمن الرسالة أن بعثها إلى الحياة كان موضع عناية غير واحد من المعاصرين ، فقد تولى شارل بلاّ إخراجها لأول مرة قبل نحو أربعين عاماً في بيروت سنة ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م (١١٠). ولم تمضِ سوى بضع سنوات حتى أعاد عبد السلام هارون تحقيقها في نطاق مجموعة الرسائل التي نشرها في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م (١٠: ٨٧–١٣٧)، وعن هذه النشرة ، صدرت في بيروت قُبيل سنوات نشرتان أخريان ، أخرج الأولى عبد الأمير مهنا (١٠٣: ٦١–٩٣) والثانية علي أبو ملحم (١٠٠: ١٦١–١٩٦). ولا تختلف هاتان النشرتان من حيث المنهج و الغاية عن سائر الآثار التي عني بإخراجها أبو ملحم وعبد الأمير مهنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبخصوص ما أسداه الباحثون من جهود تتعلق بنقل الرسالة إلى غير العربية ، نشر شارل بلاّ- كما هو الشأن في كثير من آثار الجاحظ - منتقى من الرسالة بالفرنسية في سنة ١٣٨٧ هـ=١٩٦٧ (٤٣) . وأعاد هوالك نشر المنتقيات بالإنجليزية بعد سنتين من نشرة بلاّ (١٢٩ : ٢٧٠ - ٢٧١) .

وليس بين أيدي الدارسين اليوم من مخطوطات الرسالة سوى نُسخة وحيدة تحتفظ بها مكتبة داماد إبراهيم (٦١)، وهي أصل ما صدر عنه شارل بلاّ وعبد السلام هارون في نشرتيهما للرسالة .

٣٨ - رسالةُ مناقِبِ التُّركِ وعامّةِ جُنْدِ الخِلافة .

يختلف عنوان هذه الرسالة اختلافاً بيناً تبعاً لتباين المصادر التي ذكرته ، فهو يرد عند غير واحد من أصحاب الأثبات باسم مناقب جند الخلافة و فضائل الأتراك (٨: ٢١١، ٣٣: ١٠٧- ١٠٨)، وتأتي هذه الصورة مُحرفةً على نحو يُفقد المعنى تماماً في ثبت الكتبي (١٣: ١٥٥ب)، ويرد العنوان تارة أخرى في المخطوطة الدامادية باسم فضائل الأتراك (٦١: ٢٠ط) بالاقتصار على شطر منه . وأمّا العنوان الذي اخترته فقد جاءت صورته في عدد من أصول الرسالة المخطوطة ، كما هو الحال في نسخة المتحف البريطاني (٧٣: ٦٢ب) ، أضف إلى ذلك أن جُلّ نشرات الرسالة وُسمت بهذا العنوان .

ويبدو من النظر في الرسالة أنها تتألف من ثلاثة أجزاء لم تكتب جميعها في فترة واحدة، أما الجزء الأول فهو أشبه ما يكون بمناظرة بين أجناد الدولة العباسيّة من عرب وَموال وبنويين وخُراسانيين (٢: ٥-٢٨)، وأما الجزء الثاني فهو أدنى إلى أن يكون حلقة وضعها أبو عثمان حتى يلتئم الجزء الأول والأخير في رسالة واحدة (٢: ٢٩-٣٥). وقد كتب أبو عثمان هذين الجزءين وضم إليهما الثالث الذي كتبه قبل ذلك ، وقدمها جميعاً إلى الفتح بن خاقان، أحد كبار أعيان الدولة في عصر الواثق والمتوكل ، وعلى هذا فإن تحرير الجزئين الأول والثاني أقرب إلى أن يكون بعد سنة ٢٢٧هـ ، وهي السنة التي تولى فيها الواثق الخلافة، ولعل ورود الإشارة في الجزء الأول إلى فتح عمورية ما يؤيد هذا الرأي (٢:١٦) . وأما الجزء الأخير الذي شكل مادة الرسالة واختص بمناقب الترك، فقد صرح أبو عثمان في صدره بأنه كتبه : " أيام المعتصم بالله "(٢: ٣٦)، وهذا يعني أن تاريخ هذا الجزء يقع لا محالة في المدة من سنة ٢١٨-٢٢٧ هـ. وقد اتجهت العناية إلى إحياء هذه الرسالة منذ فترة مبكرة تقريباً ، فكان أنْ ظهرت نشرتها الأولى في القاهرة سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨م (١١٤)، وهي نشرة لا بأس فيها ، وإن كانت لا تسلم تصحيفٍ وتحريفٍ واضحين ، وسرعان ما تلت هذه النشرة نشرة فان فلوتن التي طُبعت في ليدن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ١٣٢١هـ = ١٩٠٣م (١٠٦: ١ -٥٦)، وهي أجود كثيراً من سابقتها ، وإن كانت لا تخلو من خطأ في القراءة في كثير من الأحيان . وعن هذه النشرة صدر محمد ساسي المغربي في نشرته المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ=١٩٠٦ م (٨٩ : ٢-٥٣). وفي مقابل ذلك اعتمدت دار النهضة الحديثة على نشرة الساسي في إخراج نشرة جديدة للرسالة ظهرت ضمن رسائل الجاحظ في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢ م (٩٨: ١٩-٦٠). والملاحظ أن غير نشرة من نشرات الرسالة ظلت تدور بشكل مباشر أو غير مباشر في فلك نشرة فلوتن، حتى نهض عبد السلام هارون بتحقيق الرسالة في نشرة علمية محققة، تعد أفضل ما ظهر من نشراتها حتى الآن (٢: ١-٨٦). وقد أُقتبست عن هذه النشرة المحققة نشرتان ظهرتا في بيروت في غضون السنوات القليلة الماضية، أخرج الأولى علي أبو ملحم (١٠١: ٤٧١-٥٢٦)، والثانية عبد الأمير مهنا (١٠٢: ١١-٧٢). وهما تسيران في الغاية والمنهج على شاكلة الآثار التي تولى هذان نشرها . وإلى جانب هذه النشرات الكاملة، نُشرت الفصول التي اختارها عُبيد الله بن حسان من الرسالة في المجموعتين المطبوعتين في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٦ : ١٦٦-٢٧٥)، وسنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م (٣٥ : ١٦١-٢٢٠) .

كما حظيت نقولها إلى اللغات الأخرى بعناية واضحة منذ الربع الأول من هذا القرن، فقد نقلها هارلي ووكر إلى الإنجليزية في سنة ١٣٣٣هـ=١٩١٥م (٣٣: ١١٥)، ثم أعقبه ريشر فترجمها إلى الألمانية سنة ١٣٤٣ هـ=١٩٢٥م (٤٣)، وفي سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م، نشر رمضان ششن ترجمة كاملة لها بالتركيّة (٤٣) وفي أثناء ذلك ظهر عدد من الترجمات الجزئية، أشهرها ترجمة شارل بلاّ الفرنسية (٤٣) ، وترجمة هواك الإنجليزيّة (١٢٩: ٩-٩٧) .

ولعل ما يميز هذه الرسالة عن كثير من رسائل الجاحظ الأخرى، تناثر أصولها الخطية في عدد من دور المخطوطات العالمية مثل : مكتبة داماد إبراهيم في تركيا (٦١)، والمكتبة الوطنية في باريس (٤٣) ، والمتحف البريطاني (٧٣)، ومتحف طوب قبوسراي (٦٦) ودار الكتب المصرية (٧٤) .

٣٩ - رسالةٌ في مَوتِ أبي حَرْبٍ الصَّفَّار البَصْري .

لم يرد في كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ المخطوط في برلين ما يشير إلى عنوان هذه الرسالة التي احتفظ بها الكتاب المذكور (٦٣ : ٤٧ب-٥٣ظ) . ورجح طه الحاجري أن تكون هي الرسالة المذكورة عند ياقوت باسم رسالة في موت أبي حرب الصفار البصري (١٢٦ : ١٩) ، وهو ترجيح يؤيده ما ورد في الرسالة من الإشارة إلى أن الشخص الذي كُتبت فيه هو أحد أبناء البصرة كما يُفهم من صلاة جعفر بن القاسم عليه بمسجد الوصي (١٢٦: ٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون من الصعوبة تحديد اسم الشخص الذي وجه إليه الجاحظ هذه الرسالة التي تضمنت عرض حال أبي حرب البصري من بدء شكواه إلى أن غُيب في التراب ، وإنّ تكن الإشارة وردت إلى تكنيته بأبي محمد غير مرة (١٢٦: ٢٢، ٢٦) .

وأما أبو حرب البصري، فإنّ كُتب التراجم لم تسعف في تشكيل صورة عن حياته وثقافته فضلاً عن صلة الجاحظ به، ويبدو من نصّ هذه الرسالة أنّه كان أحد سراة البصرة الموسرين الذين يختلف إلى مجالسهم دعاة الأدب والعلم (١٢٦: ٢٤-٢٥)، وأما فيما عدا ذلك، فإنّ المعلومات المتاحة عن هذا الرجل تبدو قليلة جداً .

ويظهر من قول الجاحظ : " ثم وضع سريره بفناء مسجد الوصي، فصلى عليه جعفر القاسم ، ومن حضره من النساك والعباد والأشراف ..." (١٢٦: ٢٤)، أن وفاة أبي حرب ترجع إلى أيام ولاية جعفر بن القاسم على البصرة ، وترجع هذه الولاية - فيما ذكر التوحيدي - إلى زمن الخليفة الواثق (٢١٢: ١٢٠)، هذا يعني أنّ تاريخ هذه الوفاة ينحصر في السنوات من ٢٢٧-٢٣٢هـ، أي إنّ إنشاء الرسالة يقع ضمن هذه المدة .

وقد قُدّر لهذه الرسالة التي تمثل منحى متطوراً من الإبداع الفني عند الجاحظ أن ينشرها الحاجري في فترة الأربعينات عن أصلها المحفوظ في برلين (٦٤)، ثم أعاد إخراجها في المجموع الذي نشره في بيروت سنة١٤٠٣ هـ =١٩٨٣م (١٢٦ : ١٧-٢٧). وعلى صعيد آخر، قام شارل بلاّ بنقل الرسالة إلى الفرنسيّة سنة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م (٤٣)، ثم ظهرت ترجمتها إلى الإنجليزيّة بعد فترة وجيزة من ترجمة بلاّ (١٢٩: ١١٦-١٢١) .

٤٠ - رسالةٌ إلى مُويْس بنِ عمْرَان .

ليس ثمة ما يشير إلى هذه الرسالة في المصادر العربية سوى ما أورده أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ، قال : " كتب مويس بن عمران إلى الجاحظ يدعوه : عندي قدران طبختهما بيدي يحكيان المسك الأذفر ، فإن رأيتَ أن تصير إليّ مُتفضلاً فعلتَ . فكتب إليه الجاحظ : مجلسك المجلس الذي يمنع المصرين التوبة ، وينقض عزمة الأواه الحليم ، وأنا علة من قرني إلى قدمي من حملي على نفسي ما ليس من عادتها ، فهب لي نفسي هذا الأسبوع ثم أنا بين يديك تقتادني حيث شئت ، فعلتَ ، إن شاء الله " (٢١٢ : ١٢٣) . ويبدو من هذا النص أن رابطة قوية كانت تجمع بين الجاحظ وصديقه الذي كتب إليه يدعوه إلى مشاركته في طعام صنعه، بيد أن المرض كان يمنع أبا عثمان من إجابة الدعوة ، فكتب إلى صديقه يستمحيه عذراً، على أن يصير إليه بعد أسبوعه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومويس بن عمران الذي كتب إليه أبو عثمان هذه الرسالة الجوابية، هو أحد نبلاء البصرة في ذلك العصر، وصمه الجاحظ بالبخل في كتاب البخلاء غير مرة (١٣٩: ٧١، ١٣٠، ١٣٥) ، لكنه من جهة أخرى ، نوه بما أشتهر به من صدق القول (٢١١: ٤٦٨)، وقد عُرف مويس بسعة معرفته في الكلام والفتيا ، وكان كثيراً ما يختلف إلى حلقات المعتزلة ومجالسهم، وهو معدود في الطبقة السادسة من طبقاتهم (٢١٣: ٦٠)، على الرغم من إنكاره بعض أصولهم كالقول في المنزلة بين المنزلتين (٢١٤ : ٩٣) .

وأمّا معرفة زمان اتصال الجاحظ به وكيفية ذلك الاتصال ، فإنّه من الصعوبة بمكان أنّ يتوصل الباحث إلى التحقق من ذلك بسبب ضياع ما من شأنه أنّ يقف سنداً في هذا التحقيق، لكن ربما كانت هذه الصلة ترجع إلى المرحلة البصرية على اعتبار أن الجاحظ وصديقه درجا واكتهلا في هذه المدينة ، وإذا صح هذا الرأي ، فالأرجح أنّ يكون الجاحظ كتب هذه الرسالة قبل رحيله إلى بغداد ، أي قبل سنة ٢٠٠هـ ، على أن ذلك لا ينفي أن تكون كُتبت بعد هذا التاريخ ، ولاسيما في الفترات التي كان أبو عثمان يزور فيها مدينته الأولى ليمضي بعضاً من الوقت بعيداً عن الأجواء الصاخبة في عاصمة الدولة .

٤١- رسالةُ النَابِتة .

ليس في القوائم القديمة رسالة للجاحظ تحمل هذا العنوان، على أنّ ذلك لا ينفي نسبتها عنه ، لأنّ هذه القوائم لم تحتفظ بأسماء جميع الآثار التي تركها أبو عثمان، ومع أنّ الرسالة تُعرف في أقدم مخطوطاتها باسم النابتة (٦١ : ١٣٩ظ)، إلاّ أنّ بعض نشراتها صدرت بعنوانات مختلفة يبدو أنها وُضعت من قِبل الناشرين، كما في نشرتها التي تحمل عنوان رسالة في بني أمية (٢١٥) ، ونشرتها الأخرى المعنونة باسم رأي أبي عثمان الجاحظ في معاوية والأمويين (٢١٦) . وذهب الحاجري إلى عدّ هذه الرسالة عين الرسالة التي وردت في القوائم القديمة باسم إمامة معاوية (٥٣ : ١٨٧) ، وهو رأي ترده الحقيقة العلمية من وجهين : الأول أن الدارس لا يمكنه إطلاق حكم قاطع على أي من آثار الجاحظ باعتماد العنوانات الظاهرية التي لا تسمح في تبين موضوع الأثر على نحو دقيق يصح معه الانتهاء إلى رأي ثابت بهذا الخصوص. والثاني أنّ الجاحظ جعل أكبر وكده في هذه الرسالة التشنيع على معاوية رضي الله عنه، ورميه بكل نقيصة حتى وصل الأمر إلى تكفيره وسائر بني أمية الذين يعدهم أبو عثمان أهل بدعة نبتوا بعد قتل عثمان رضى الله عنه، فالرسالة إذن موجهة في حقيقتها إلى صدور الأمويين ومن شايعهم، وأما الرسالة المعنونة باسم إمامة معاوية فقد اطلع عليها المسعودي وذكر أنها في "تأييد إمامة بني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمية والانتصار لمعاوية بن علي بن أبي طالب وشيعته الرافضة " (٢٠١: ٧٧). وهكذا يظهر أن التباين الحاصل بين " إمامة معاوية " و " النابتة " يمنع منعاً باتاً أن يكونا الأثر نفسه .

وقبل الانتقال إلى تعيين المدة التي كُتبت الرسالة فيها، تجدر الإشارة إلى أن النص الذي بين أيدينا يمثل النص الكامل للرسالة، بخلاف ما يُشعر العنوان الذي وضعه السندوبي للرسالة وصورته: من رسالته في بني أمية (١١٥: ٢٩٢)، ويبدو أن صورة هذا العنوان أوهمت الحاجري، فراح يقيم دراسته للرسالة بناءً على أنه لم يصل إلينا سوى بقية منها (٥٣: ١٨٧-١٩٣)، غير أن سياق الرسالة ووجودها ضمن نسخة داماد ذات الآثار الكاملة ، يشهدان أن نصها وافٍ لا ينقصه شيء.

وبما أن الرسالة تقع في عداد ما كتب الجاحظ إلى أبي الوليد بن أبي دؤاد، حسبما جاء في أقدم أصولها الخطية (٦١: ١٣٩ ظ)، فهذا يعني أنها ترجع إلى واحدة من المدتين اللتين شهدتا اتصالاً بينهما ، وتقع أولى هاتين المدتين – كما سبق الحديث عن ذلك – ضمن خلافة المعتصم ، أي من سنة ٢١٨ -٢٢٧هـ . وأما الثانية فقد استمرت من سنة ٢٣٣ – ٢٣٦هـ . وبما أن هذه المدة عاشت انقلاباً لصالح أهل السُنة على المعتزلة تمثل في انصراف الدولة عن سياسية الاعتزال ، فقد كان لِزاماً على الجاحظ ، وقد أفضت الأمور إلى هذه الحال ، أن يبتعد في كتاباته عن مسألة كإمامة معاوية التي عُدت في رأس المسائل المتنازع عليها بين المعتزلة وأهل السُنة . والمتتبع لكتابات الجاحظ ابتداءً من هذه الفترة، يجد أن اتجاهاً جديداً ظهر عند الجاحظ تمثل في مجاراة السياسة الجديدة في الدولة، وهذا يعني أن الرسالة أدنى إلى المدة الأولى منها إلى المدة الثانية، ويبدو أن تأليف الرسالة كان يدور في حدود سنة ٢٢٣هـ وما بعدها إلى آخر خلافة المعتصم، وقد ورد في رسالة نفي التشبيه التي ترد عقب هذه الرسالة ، ما يشير إلى أن صلة الجاحظ كانت منعقدةً بأبي الوليد في هذه المدة .

وينبغي هنا التوقف عند رأي الحاجري في زمن إنشاء الرسالة ، فهو يرى أن الجاحظ كتبها إلى ثمامة بن أشرس في نحو سنة ٢١١هـ ، وهي السنة التي أمر فيها المامون منادياً فنادى ببراءة الذمة من معاوية ومن ذكره بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٣: ١٨٨-١٩٣). ويمكن للباحث أن يوجه النقد إلى هذا الرأي من زاويتين :

الأولى : لم يرد ما يشير إلى أن الرسالة موجهه إلى ثمامة بن أشرس ، كما ذهب الحاجري، بل على خلاف ذلك تماماً، فإن أصولها الخطية تنص صراحة على أنها كُتبت إلى أبي الوليد بن أبي دؤاد، فقد ورد في صدر مخطوطتها المحفوظة ضمن مجموعة داماد ما نصه: "رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد في النابتة" (٦١: ١٣٩ظ)، وجاء في آخرها ما نصه : "تمت الرسالة من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاحظ رحمه الله إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد في النابتة" (٦١: ١٤٤و). ونظير ذلك ما ورد في نسخة مدرسة الحجيات التي اعتمدها داود الجلبي في نشرة للرسالة (٧٩)، والعجيب حقاً أنّ يطلع الحاجري – فيما بعد – على بعض الأصول التي تنص على أن الرسالة كانت موجهة إلى أبي الوليد (٥٣: ١٩٣) ثم يأبى إلاّ الإصرار على رأيه الأول.

الثانية : لا يمكن القول بصورة تامة إنّ الرسالة جاءت استجابة آنية للملابسات التاريخية المتمثلة بإعلان البراءة من معاوية سنة ٢١١هـ ، لأن هذه المسألة لم تقف عند هذه السنة حتى يُجعل زمن تأليف الرسالة لصيقاً بها ، بل يُلاحظ أنّ المسألة استمرت قوية في تيار المعتزلة طوال الفترة التي كانوا يوجهون فيها سياسة الدولة حتى وفاة الواثق سنة٢٣٢هـ . والحال هذه ، فلا عجب أن ترى أصداء هذه المسألة في رسالة الجاحظ التي ترجع إلى عهد المعتصم .

ولا يعضد الحاجري بعد ذلك استشهاده بقول الجاحظ، يحمد الله أن أتاح للمعتزلة هذه المكانة الجديدة في الدولة :" وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقّين ورحمهم، وقوى ضعفهم وكثّر قلتهم ، حتى صار ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد، أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا، وأعلم بما يلزم فيه منا، وأكشف للقناع من رؤسائنا" (٥٣: ١٩٢-١٩٣) . فهذا المقطع الذي يتخذه الحاجري دليلاً على إضافة الرسالة إلى عصر المأمون، ليس-فيما أرى- مما يصح الاستدلال به في هذا الموطن بالذات، لأنّ ما جاء في هذا المقطع يمكن أن ينطبق على عصر المامون أو المعتصم أو الواثق دونما تمييز، و معنى ذلك أن ليس ثمة خصوصية في هذا المقطع تدعو إلى إضافته إلى عصر المأمون دون عصر المعتصم أو الواثق، لأن العصرين الأخيرين ما كانا إلاّ امتداداً واضحاً لسياسة الدولة واتجاهها في عصر المأمون .

ويبدو من النظرة التوثيقية الأخيرة للرسالة، تعدد نشراتها ووفرة نسخها الخطية على نحو لم سبق له مثيل في رسائل الجاحظ، ويبدو أنّ ما تضمنته الرسالة من تناول قضية تاريخية سياسية شائكة، وهي مسألة خلافة الأمويين، كان له أكبر الأثر في الباحثين ابتداءً من نسخها عند القدامى وانتهاء بنشرها عند المعاصرين ، وقد أمكن البحث من رصد اثنتي عشرة نشرة للرسالة، شارك في إخراجها عدد من الباحثين العرب وبعض المستشرقين خلال مدة أربت على مائة عام. وتعود أقدم هذه النشرات إلى سنة ١٣١٧هـ=١٨٩٩م، إذ أخرجها فان فلوتن ضمن أعمال المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين المنعقد آنذاك (٤٣)، و كانت هذه النشرة من أوائل الآثار الجاحظية التي عني المستشرقون ببعثها، وتوالت النشرات بعضها بعد ذلك ، وكان الربع الثاني من هذا القرن مدة حاسمة إذ ظهرت أكثر هذه النشرات ، فقد نشرها بدءاً أحمد فريد الرفاعي في كتابه عصر المأمون (١٩٦: ٧٢-٨٠)، ثم حققها داود الجلبي سنة ١٣٤٩هـ=١٩٥٠م (٧٩) ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسرعان ما أخرجها السندوبي ضمن رسائل الجاحظ (١١٥: ٢٩٢-٣٠٠)، ثم نشرها أحمد زكي صفوت في جمهرة رسائل العرب (١٣٥: ٥٦-٥٨) وقد تلت هذه النشرات نشرة محمود عرنوس (٢١٥)، ونشرة عزت العطار (٢١٦)، والنشرة الملحقة بكتاب النزاع والتخاصم للمقريزي (٤٣).

وكانت نشرة عبد السلام هارون المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٨٤هـ =١٩٦٤م (١٠ : ٣ -٢٣) أكثر هذه النشرات جودة وأدناها إلى المنهج العلمي الصحيح. وقد ظهرت عقب هذه النشرة ثلاث نشرات في بيروت هي : نشرة عمر "أبو النصر" (٩٧: ١٢٥-١٣٥)، ونشرة علي "أبو ملحم " (٩٩: ٢٣٧-٢٥١)، ونشرة عبد الأمير مهنا (١٠٣ :٥-١٦)، ولاشك أنّ هذا العدد من النشرات أدّى إلى توسيع رقعة انتشار الرسالة في الأوساط العلمية على نحو لافت.

وقد نقل شارل بلاّ الرسالة إلى الفرنسية سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م (٤٣) ثم نشر مختارات منها بعد ذلك (٤٣) ، وقد تُرجمت هذه المختارات إلى الإنجليزيّة (١٢٩ : ٨٢-٨٦).

وتتوزع مخطوطات الرسالة في عدد من أمهات دور المخطوطات العربيّة و العالميّة، على أنّ أشهر مخطوطاتها توجد في: دار الكتب (١٠: ٦)، ومكتبة داماد إبرهيم في تركيا (٦١).

٤٢- رسالةُ نفيِّ التَشَّبِيه .

هذا هو عنوان الرسالة كما جاء في أصلها الخطي المحفوظ في مكتبة داماد إبراهيم (٦١: ١٠٦ظ)، وانفرد شهاب الدين الخفاجي بإثبات عنوان آخر صورته : وصف العوام (٨٥: ١٧٥)، وقد أثبتت وديعة النجم من عرض القطعة التي ساقها الخفاجي -تحت هذا العنوان - على نص الرسالة، أنّ أحدهم قام بتحوير الألفاظ المتصلة بالعنوان الأول ، واستبدالها بالألفاظ التي تُناسب العنوان الآخر (٣٧: ١٨-٢٢). و ما توصلت إليه وديعة النجم بهذا الخصوص كافٍ لتقديم صورة العنوان الأول على صنوتها الموضوعة من قِبل بعض الوارقين .

والرسالة التي بين أيدينا لم ترد الإشارة إلى ذكرها في أيٍّ من القوائم التي صنعها القدماء لآثار الجاحظ ، وربما ظنوا أنّ هذه الرسالة هي عينها رسالة الرد على المشبهة، فأدرجوا أحد هذين العنوانين ، وأسقطوا الآخر ، والملاحظ أنّ الحاجري يذهب إلى ما يشبه هذا الأمر ، فهو كما يظهر من سياق كلامه، يعد هذين الأثرين أصلاً واحداً (٥٣: ٣٣٩-٣٤٢)، وهو ما ترده الحقيقة العلمية ، فرسالة نفي التشبيه ليست إلاّ تقديماً لرسالة الردّ على المشبهة، وجهها الجاحظ إلى أبي الوليد محمد بن أبي دؤاد كي يخبره فيها بوضع رسالة يرد فيها على المُشبهة، مع حديث عن الأُسس العامة للمنهج الذي احتذى، ويبدو هذا الأمر واضحاً في قوله : "وقد كتبتُ – مدّ الله في عمرك – كتاباً لا يرتفع عنه الحاذقُ المستغني، ولا يرتفع عن الريض المبتدىء ..." (٢ : ٢٨٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جاء في مخطوطة الرسالة ما يُؤكد توجيهها إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد (٢: ٢٨١)، وأمّا الرسالة نفسها، فهي تُشير إلى شي من ذلك أيضاً، يقول الجاحظ مخاطباً أبا الوليد :" وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب – أبقاك الله – دون أبي عبد الله أكرمه الله ..." (٢: ٣٠٣)، وأبو عبد الله هذا هو القاضي أحمد بن أبي دؤاد والد أبي الوليد الذي وجهت إليه الرسالة.

وكما مر عند تناول رسالة المعاد والمعاش ، فإن صلة الجاحظ كانت منعقدة بأبي الوليد في مرحلتين : الأولى في عهد المعتصم، والأخرى في المدة بين سنتي ٢٣٣-٢٣٧هـ، فإلى أي هاتين المرحلتين تنتمي هذه الرسالة ؟ . إنّ بعض الإشارات الواردة في ثنايا النص تُشير إلى كتابتها في المرحلة الأولى، فمن ذلك الحديث عن الخليفة المعتصم ، وما قام به من الأعمال الجليلة خدمة للإسلام وأهله، يقول : "ولعل قائلاً أن يقول : وكيف لم تذكر أمير المؤمنين، والمعتصم بربّ العالمين، الذي حقق الله به الدين، وسددّ به الثغور، وردّ به المظالم ...، فنسأل الله الذي أسندنا بخلافته، أنّ يمن علينا بطول بقائه، وأنّ يخصنا بحسن نظره كما خصنا بمعرفة حقه، والإحتجاج لملكه، والذب عن سلطانه" (٢: ٣٠٦ : ٣٠٨). ففي تصريحه بذكر المعتصم والدعاء له بطول البقاء ، مايقف دليلاً على أن الرسالة كُتبت قبل وفاته سنة ٢٢٧هـ .

وأمّا الإشارة التي توازي هذه الإشارة قيمة ، فهي حديثه مرات عن امتحان أحمد بن أبي دؤاد الناس بخلق القرآن (٢: ٢٨٥-٢٨٨)، وفي ذلك ما يدل على أنّ الرسالة وُضعت بعد سنة ٢٢٠هـ ، وهي السنة جدّ فيها ابن أبي دؤاد في امتحان الناس .

وهكذا يظهر أن تاريخ إنشاء الرسالة يقع في إطار المدة من سنة ٢٢٠-٢٢٧ هـ، وربما كانت سنة ٢٢٣هـ أو التي تليها تاريخياً مُقارباً شهد مولد هذا الأثر ، بدليل الإشارة إلى قيام المعتصم بتحصين الثغور الإسلامية (٢: ٣٠٦)، وفي ذلك إشارة إلى ما نهض به هذا الخليفة في السنة المذكورة من حرب الروم وفتح عموريّة حمايةً لتخوم المسلمين التي كانت اعتداءات الروم لا تنفك عنها .

وبعد النظر في الوجه التوثيقي الآنف، يمكن النظر في الوجه المتعلق بنشرات الرسالة وترجماتها ومخطوطاتها الباقية، أمّا نشراتها فقد كانت أسبقها ظهوراً تلك التي حققها بلاّ سنة ١٣٧٢هـ=١٩٥٣م (١٠٨)، وبالرغم مما تميزت به هذه النشرة من اقتفاء معالم المنهج العلمي، غير أنها بقيت ضيقة الانتشار في أوساط الدارسين ، وكانت نشرتها الأكثر علمية تلك التي أخرجها عبد السلام هارون ضمن مجموعة الرسائل سنة ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م (٢: ٢٧٩ – ٣٠٨)، وعن هذه النشرة صدرت في المدة الأخيرة نشرتان : أخرج الأولى عبد الأمير مهنا (١٠٢: ٢٠٠ -٢١٩) ، والأخرى علي أبو ملحم (٩٩ : ٢٠٣ : ٢٢٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نطاق ترجمات الرسالة ، نقل بلاّ منتقيات منها إلى الفرنسية (٤٣) وأتبعه هواك بترجمة المنتقيات عينها إلى الإنجليزية (١٢٩ : ٥١ - ٥٢) .

٤٣ - رسَالةُ وَصاة .

يظهر من السياق الذي أورد فيه ياقوت هذه الرسالة، أنّ أبا العيناء طلب إلى الجاحظ أن يكتبها لتكون وصاة يقدمها صديق له إلى أحد العمال الذين كان الجاحظ على صلة وثيقة بهم. ويبدو أنّ أبا عثمان ما كان يُحب أن يكتب في هذا الشأن ، إلا أنّه مع إصرار أبي العيناء ، كتب إلى ذلك العامل رسالة مُقتضبةً أوصاه فيها بردّ حاملها وعدم الالتفات إلى طلبه ، لكنّ أبا العيناء عرف مضمون الرسالة قبل أنّ تصل إلى يد المرسل إليه (٣: ٨٣) .

ويعود تاريخ هذه الرسالة - فيما يبدو - إلى خلافة المتوكل ٢٣٢- ٢٤٧هـ ، فقد ورد عقب هذه الرسالة ما مفادها أنّ الفتح بن خاقان حُدث بخبرها فنقله إلى المتوكل الذي طلب إحضار الجاحظ إلى مجلسه فكان ذلك سبب اتصال أبي عثمان به (٣: ٨٤). وإذا ما صحت هذه الرواية ، فإن كتابة هذه الرسالة تقع في السنوات الأولى من خلافة المتوكل ، أي في المدة بين سنتي ٢٣٢ - ٢٣٥هـ .

وبالإضافة إلى احتفاظ ياقوت بنص الرسالة (٣ : ٨٣ - ٨٤) ، فقد حفظها من قبله صاحب زهر الآداب (٥٥ : ٢٠٤) ، وفي العصر الحاضر أعاد أحمد مفتاح نشرها قبل نحو مائة عام (١٣٤ : ٣٦٤) .

٤٤- رَسائلُ وَصَاة .

يبلغ عدد هذه الرسائل أربع رسائل مقتضبة استقل بحفظها ابن عبد ربّه فيما حفظ من رسائل الجاحظ القِصار في عدد من الموضوعات المتباينة (١٣٨: ٢٤٣-٢٤٤)، وعن صاحب العقد نقلها -في العصر الحاضر- أحمد زكي صفوت وأودعها كتابه جمهرة رسائل العرب (١٣٥: ٥٢). ولا تعدو هذه المجموعة أن تكون من جنس المجموعات المتقدمة في : استنجاز الوعد وَالاعتذار والتعازي وَ العتاب، لا سيما فيما يتعلق بتحقيق ملابسات كتابتها أو تاريخ إنشائها ، أو نحو ذلك مما هو موضع اهتمام النظر التوثيقي .

٤٥ - رسالةُ الوُكَلاء .

ترد هذه الرسالة تارة باسم الوكلاء ، كما في نسخها الخطية (٧٣ : ١٩٤ ظ)، وتارة باسم الوكلاء والمُوَكّلين ، كما في أثبات القدامى (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧)، وقد تحرفت هذه الصورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ثبت إسماعيل البغدادي على هذا النحو : الوكلاء والمتوكلين (٢٧: ٨٠٣)، وهو معنى بعيد للغاية، ويبدو أنّ الصورة الواردة في مخطوطات الرسالة تظل أقرب من الصورة الأخرى إلى العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ ، ويلاحظ أنّ هذه الصورة تجري على غِرار أكثر عنوانات آثار الجاحظ الباحثة في طوائف المجتمع العباسي آنذاك، كما هو شان الكتب والرسائل التي تحمل العنوانات التالية : القيان، والقُوّاد، واللصُوص، والبخلاء، والطفيليون، والمعلمون.

والفصول المنشورة من نص الرسالة لا تُعطينا أدنى إشارة تُعين في تلمس تاريخ مُقارب للمدة التي أُنشئت فيها ، ومع ذلك فيبدو أنّ الجاحظ كتبها في الفترة التي كتب فيها رسالتيه في المعلمين والوراقين ، يقول :" وقد رأيتك – حفظك الله – خوّنتَ جميع الوكلاء وفجّرتهم، وشنّعتَ على جميع الوراقين وظلمتهم وجمعت جميع المعلمين وحفظت مساوئهم، وتناسيتَ محاسنهم .." (٣٤ : ٩٧)، فالواضح من هذا المقطع أنّ الجاحظ راح يعقد رسائل في الردّ على هذا الذي قصد طوائف الوكلاء والوراقين والمعلمين ، بالطعن والثلب. ويبدو أنّ هذه الرسائل أُنشئت في إثر بعضها لتكون أشبه بحلقات متصلة تُفحم الخصم بالحجة، وتُرسي الأُسس الصحيحة التي يتسنى وفقها نقد هذه الطوائف نقداً موضوعياً يُبين ما لها وما عليها. وإذا صح هذا التوجيه، فإنّ إنشاء هذه الرسالة يرجع إلى ما بعد سنة٢٣٢هـ، حيث انقضاء دولة المعتزلة، وحيث علت السن بأبي عثمان، فأخذ يكتب حول كثير من فئات مجتمع عصره، تدفعه إلى ذلك تجربته الطويلة التي اكتسبها من حياة مديدة حافلة، ومن احتكاك مباشر بكافة مظاهر الحياة الاجتماعية في ذلك العصر

وبالانتهاء إلى المنحى الآخر الذي يوثق للرسالة، تجد أنّه لم يتح حتى هذا الوقت نشر نصها الكامل على الرغم من وجوده مخطوطاً كما سيرد بعد قليل، وأما ما تسنى نشره منها فيمثل مجموعة فصول اختارها عُبيد الله بن حسان من الأصل الوافي، وقد نشر محمد ساسي المغربي طرفاً من هذه الفصول في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ=١٩٠٦ م (٨٩: ١٧٠-١٧٢)، وظهرت هذه النشرة ثانية في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢ م (٩٨ : ١٥٥-١٥٨). وفي أواخر السبعينات ظهر تحقيقان علميان لهذه الفصول، تولى إخراج الأول يحيى الجبوري في مجلة المورد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م (٦٨) ، والثانية عبد السلام هارون في السنة اللاحقة (٣٤: ٩٣-١٠٥)، واعتماداً على النشرة الأخيرة أخراج علي أبو ملحم نشرته في بيروت قبل سنوات قليلة (١٠٠ : ٢٢٥-٢٣٦)، وهي تجري مجرى غيرها من الآثار التي أعاد أبو ملحم نشرها .

وأمّا في نطاق نقول الرسالة إلى اللغات الأخرى ، فقد ظهرت ترجمات جزئية لها بالألمانية (٤٣)، والفرنسية (٤٣) والإنجليزيّة (١٢٩: ١٧٣-١٧٥)، على تباعد في الزمن بينهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجد النسخة الخطية الكاملة للرسالة محفوظةً ضمن مجموع في مكتبة الزاوية العباسية بمدينة بزو في المغرب، ومنها مصورة في الخزانة العامة بمدينة الرباط (١٥٦: (م) أ، ذ)، وكما تقدم عند تناول كتاب الصوالجة، فإنّ هذا المجموع يتضمن ثلاثة آثار للجاحظ هي: البرصان والعرجان، والوكلاء، والصوالجة. وقد سعيت بواسطة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية في سبيل الحصول على نسخة مصورة عن الأثرين الأخرين ، بيد أن ذلك لم يُفضِ إلى شيء .

وأمّا مخطوطاتها المبتورة فتتناثر اليوم في: دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٤:(م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣) ، طوب قبوسراي (٦٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْـــلُ الثَـــالِث

الآثـــــارُ المَبْتُـــــورة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمة ظاهرة لافتة تستوقف الباحث في ما وصل إلينا من آثار الجاحظ، على الرغم من الشهرة التي أحرزتها آثاره، إلاّ أنّ عدداً كبيراً منها لم يحتفظ بنصه الكامل، وما بين أيدينا من هذا القبيل يزيد على خمسة وثلاثين أثراً وصلت مبتورةً فاقدةً شيئاً من نصها الأصيل، وقد تراوح هذا البتر بين آثر وآخر، بيد أننا لا نستطيع أنّ نُحدّد الحجم الحقيقي للبتر ما دامت النصوص الكاملة قد ضاعت.

وعند التساؤل عن مُجمل الأسباب التي أوصلت إلينا ذلك العدد من الآثار مُشوهاً يعتوره البتر والاختصار، تجدر الإشارة أولاً إلى قيام بعض الشيوخ والأساتذة في العصور الخالية بالانتقاء من كتب الجاحظ، لتكون هذه المنتقيات أشبه بنموذجات توضع بين يدّي الناشئة فيحفظون نصوصها طوراً ويحتذون أساليبها طوراً آخر. وربما كانت مجموعة الفصول التي اختارها عُبيد اللّه بن حسان من آثار الجاحظ أبرز مثال ينطوي في هذا الباب، والملاحظ أن أكثر الآثار المبتورة تقع ضمن الاختيارات التي انتخبها هذا الرجل. ومع أنّ انتقاء هذه النصوص كان يُعد آنذاك مظهراً من مظاهر العناية بأدب الجاحظ وتراثه، إلاّ أنّه بفقدان النصوص الوافية التي جرى منها الاختيار ، انقلب الأمر إلى الضد، فصرنا نَعُدّ وصول هذه الآثار إلينا على تلك الصورة مثلبةً وجنايةً على ما تركه أبو عثمان .

وبالإضافة إلى ذلك، فيبدو أنّ بعض النساخ والوراقين عمدوا إلى اقتضاب ما تولوا نسخة من آثار الجاحظ اقتضاباً يريحهم من كثرة النسخ ويُخفف عنهم من عنائه، وما يستلزمه من وقت وطاقة ومال، فكانوا يختارون من النصوص الكاملة ما عنّ لهم من غير احتذاء منهج ما يحكم هذا الاختيار بالضوابط العلميّة .

وكان بعض المؤلفين القدامى يودعون كتبهم المصنفة نُصوصاً مطولة يقتبسونها من كتب الجاحظ، ولما دار الزمن دورته، وفقدت النصوص التي اقتبس منها هؤلاء ، بقيت مقتبساتهم في بطون تلك المصنفات مُشكلة آثاراً مبتورة .

وقد سارت خُطة هذا الفصل الذي تناول الآثار الواقعة في الإطار الآنف، على الشاكلة التي سار وفقها الفصل المعقود للآثار الكاملة، فالآثار تُسرد تباعاً حسب ترتيب حروف المعجم، كل أثر على حدة، والقضايا عينها التي انصبت عليها العناية قبلاً ، تُتناول في كلّ أثر من آثار هذه المجموعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ – كتابُ الأخْبَـــار .

يُعرف هذا الكتاب بكتاب الأخبار، وهي التسمية التي صرّح بها الجاحظ في مقدمة الحيوان (١: ٩) ، وأشار إليها عدد من أصحاب القوائم كابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٨)، والكتبيّ (١٣: ١٥٥ ب)، وابن قاضي شبهة (١٤). بيد أنّ هؤلاء ذكروا عنواناً آخر هو الأخبار وكيف تصح (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧، ١٣: ١٥٤ ظ، ١٤) ، وهذا العنوان –فيما يبدو من القطعة الباقية من الكتاب – صورة أخرى للعنوان الآنف. وإلى جانب هذين العنوانيين ، ذكر أبو الحسين الخياط عنواناً آخر صورته تصحيح مجيء الأخبار (٢١٤ : ١١١). وذكره السندوبي (٣١: ١١٨)، وبروكلمان (٣٣: ١١٤) باسم تصحيح الأخبار. ولا شك أنّ النظر العلمي يدعو إلى تقديم الصورة الأولى، بناءً على ما جاء من الإشارة إليها في كلام الجاحظ .

وبالاستناد إلى الإشارة الواردة في صدر الحيوان، فإنّ تاريخ تأليف الكتاب ينطوي في المدة قبل سنة ٢٣٢ هـ، ويبدو أنّ تأليفه كان في إطار الجدل الطويل الذي قام بين أهل السُّنة والمعتزلة حول ما يتعلق بالحديث الشريف من الاحتجاج في الشرع، وطرق الأداء والتحمل، والقبول والردّ. وقد كانت هذه المسائل وأشباهها مدار حلقات الجدل ومجالس الكلام، لاسيما في تلك الفترة التي أذكى فيها متكلمو المعتزلة أشتاتاً من هذه الموضوعات .

ولم تبق من أصل الكتاب سوى منتقيات يسيرة، أثبت بعضها الشريف المرتضى في المنية والأمل، وأعاد فضل اللّه الزنجاني نشرها في مجلة لغة العرب سنة ١٣٥٠ هـ=١٩٣١م (٢١٧). كما احتفظ نشوان الحميري بقطعة أطول وأوفى من سابقتها في كتابه الحور العين، ونُشرت هذه القطعة مُستلةً مرتين، أخرج الأولى شارل بلاّ سنة ١٣٨٧ هـ=١٩٦٧م (٤٣)، والأخرى إمتياز عرشي سنة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م (٤).

وقد نُقِلَتْ قطعة من بقايا الكتاب إلى الألمانية سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، ونقل بلاّ القطعة المحفوظة في كتاب نشوان الحميري إلى الفرنسية مع الوقت الذي أخرج فيه نشرته الآنفة (٤٣) .

٢ – كتابُ استِطَالةِ الفَهـم .

وردت الإشارة إلى هذا الكتاب عند غير واحد من القدامى، فقد أشار إليه مسكويه في جاويذان خرد (٢١٨: ٤٦٩). وتابعه شهاب الدين الخفاجي في طراز المجالس (٨٥: ١٠٤). والواضح أنّهما وقفا على هذا الكتاب ونقلا منه، يقول الخفاجيّ: "المجلس السادس في نبذ كلام الحكماء والشعراء، وقد صنف في هذا الجاحظ كتاباً سماه استطالة الفهم، ولِهُوشِنج الحكيم كتاب يسمى جاودان خرد، مدحه الجاحظ وفيه كلام جليل. ولأحمد ابن مسكوية في ذلك كتاب جاودان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خرد أيضا، وفيه كلمات شريفة وهو كتاب مطول. وقد وقفت على هذه الكتب واخترت منها حكماً بديعة منها .... " (٨٥: ١٠٤). وواضح من كلامه أنّ الكتاب يُعنى بانتقاء مقطعات من أقوال الحكماء والشعراء على وجه الخصوص .

وقد بقيت من مادة الكتاب قطعة مقتضبة أوردها مسكوية في جاويذان خرد (٢١٨: ٤٧٨-٤٨٠)، ومنها نسخة مخطوطة في برلين (٢١٩). وتُشير هذه القطعة إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد تولي المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ ، يدل على ذلك قول الجاحظ عن الواقدي عن الفضل بن سهل : "لما دُعي للمأمون بُكور خراسان بالخلافة ... " (٢١٨: ٤٧٨).

* رسالةٌ في الاستعطاف (؟)

أورد ابن نباتة هذه " الرسالة" في كتابه سرح العيون (٢١: ٢٥٦-٢٥٨)، وعن هذا الكتاب أعاد نشرها : أحمد مفتاح (١٣٤: ٣٥٨-٣٦٠)، وحسن السندوبي (١١٥: ٣١٥-٣١٦)، وأحمد زكي صفوت (١٣٥: ٤٦-٤٩). وعن نشرة السندوبي صَدَرَ عمر أبو النصر في نشرته المطبوعة في بيروت سنة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م (٩٧: ١٧٥-١٧٧). ولعل من المثير حقاً أنّ يقوم هؤلاء جميعهم بنشر "الرسالة" على أنها أثر جاحظيّ قائم بنفسه، مع أنّ تدقيق النظر في نصها يثبت خلاف ذلك تماماً؛ " فالرسالة" - إنّ صح أن نُطلق عليها هذا المصطلح - ليست إلاّ فقرات منتقاه من رسالة الجد والهزل التي وجهها أبو عثمان إلى محمد بن عبد الملك الزيات (٢: ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٧). ويبدو أنّ ورّاقاً عمد إلى رسالة الجد والهزل فلفق منها "رسالة" جديدة، بعد أنّ أحسن الربط بين الفقر المقتطفة، وبعد أنّ وضع فاتحة وخاتمة على طريقة الجاحظ في الفواتح والخواتم .

٣ - رسالةُ استنْجَازِ الوَعْد .

تنطوي هذه الرسالة في قائمة الرسائل التي أضرب القدماء عن ذكرها في أثباتهم، وذهب إمتياز عرشي إلى عدها عين الرسالة التي ذكرها أصحاب الأثبات باسم الوعد والوعيد (٤). والحق أن ما ذهب إليه عرشي لا يستند إلى دليل علمي يؤيده، كما أنه لا يقف ألبتة أمام النظر العلمي الدقيق، لأن رسالة الجاحظ في استنجاز الوعد تتناول الوعد من حيث كونه فضيلة يلزم الوفاء بها، أمّا الوعد والوعيد فهي تتفرع - فيما يبدو من عنوانها - لدراسة أصل من الأصول التي أقام عليها المعتزلة منهجهم الفكري. فالفارق بين موضوع الرسالتين يبدو واضحاً جداً، وهو ما يدعو إلى عدّ استنجاز الوعد و الوعد والوعيد عملين يستقل كل منهما بنفسه عن الآخر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ورد في ثنايا الرسالة ما يشير إلى أن الجاحظ أنفذها إلى أبي الفرج بن نجاح بن سلمة الكاتب. يقول : " وأسماؤكم وكناكم بين فَرَج ونُجْح، وبين سَلامة وفَضْل " (٣٤: ٢٣٣). ومن المعروف أن صلة الجاحظ انعقدت بأبي الفرج بعد وفاة الوزير ابن الزيات سنة ٢٣٣ هـ، فكتب إليه عدداً من الرسائل منها الرسالة التي سبق تناولها في الفصل السابق من هذه الدراسة، ومنها هذه الرسالة، ومنها الرسالة الموسومة باسم المودة والخلطة. وإذا ما ثبت أن الرسالة كُتبت إلى أبي الفرج كما تدل على ذلك الإشارة الآنفة، أمكن القول إن تاريخ إنشائها يرجع إلى المدة من سنة ٢٣٣-٢٤٥هـ، أي منذ مقتل ابن الزيّات حتى نكبة آل نجاح على يد عُبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل. ولا يُتصور أنّ تكون الرسالة كُتبت بعد سنة ٢٤٥هـ، وقد ذهبت ريح آل نجاح وفقدوا مكانتهم في الدولة، كذلك لا يمكن إرجاع الرسالة إلى ما قبل سنة ٢٣٣ هـ، لأن ابن الزيات كان الشخصية الأثيرة لدى الجاحظ حتى مقتله، فضلاً عن سوء علاقة الجاحظ بآل نجاح في هذه الفترة، كما يبدو من تشنيعه على نجاح بن سلمة ورميه بالطيش والسخافة في رسالته ذمّ أخلاق الكُتاب (١٠: ١٩٧).

فإذا ماصح أنّ الرسالة أنشئت في المدة من سنة ٢٣٣-٢٤٥هـ، تَرجّح إضافتها إلى ما بعد سنة ٢٣٦هـ، أي منذ تولي عُبيد اللّه بن خاقان وزارة المتوكل. فقد كان الجاحظ يتوجه إلى هذا الوزير بكتاباته المختلفة، والظاهر أنّ ذلك أغضب أبا الفرج-نظراً للعداوة الشديدة بينه وبين ابن خاقان - فأخذ يُضيق على الجاحظ معاشه، فما كان من الجاحظ إلاّ أنّ مضى يستعطفه ويتوجه إليه بالمدائح والمكاتبات لقاء الإفراج عن جرايته، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً في الرسالة التي تقدم تناولها في الفصل الثاني. ويبدو أنّ هذه الرسالة والتي تقدمت تدخلان في نطاق مدّة واحدة .

وقد نشرت الفصول الباقية من الرسالة في العصر الحاضر عدة نشرات، كانت أولاها النشرة المطبوعة على هامش كتاب الكامل في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ= ١٩٠٥م (٧٧: ٢٢٠-٢٢٧)، ثم تلتها نشرة الساسي ضمن مجموعة رسائل الجاحظ الصادرة في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م (٨٩: ١٧٣-١٧٧) ، وتقترب هاتان النشرتان من بعضهما على نحو واضح جداً، مما يرجح اعتماد الساسي على النشرة الآنفة . وعن نشرة الساسي ظهرت نشرة مُعادة في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م (٩٨: ١٥٩-١٦٢). ونُشرت الرسالة بعد ذلك نشرة علمية بتحقيق حاتم الضامن سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م (٧٨) ، وهذه النشرة أجود من سابقاتها باتباعها الأصول العلمية في النشر والتحقيق. ولم تلبث حتى ظهرت نشرة علمية أخرى أخرجها عبد السلام هارون ضمن مجموعة اختيارات عبيد الله بن حسان سنة ١٣٩٩ هـ=١٩٧٩م (٣٥: ٢١٧-٢٢٦)، وعن هذه النشرة أخرج علي أبو ملحم نشرته الجديدة في بيروت في المدة الأخيرة (١٠٠: ٤١٩-٤٢٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نطاق نقل بقايا الرسالة إلى اللغات الأخرى، قام ريشر بترجمة مقتطفات منها إلى الألمانيّة ضمن مجموعته المنشورة في ألمانيا سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، وأما فيما عدا ذلك فلم تظهر ترجمات تجدر الإشارة إليها في هذا السياق .

وفيما يتعلق بأصول الرسالة الخطّية، توجد عدة نسخ منها ضمن مجموعة اختيارات عبيد الله بن حسان المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦) .

* كتابُ أطعِمَةِ العَرَب (؟).

لم يقع في الأثبات القديمة كتاب ألفه الجاحظ في أطعمة العرب، وربما كانت إشارة الميداني إلى "كتاب" من هذا النوع هي الوحيدة التي أمكن العثور عليها بعد تنقيبٍ في بطون الكتب (٢٢٠ :٤٩)، وعن هذه الإشارة صدر عدد من مؤلفي الأثبات المعاصرين مثل بروكلمان (٣٣: ١٢٣)، وشارل بلاّ (٤٢)، وإمتياز عرشي (٤). وقد ذهب بروكلمان وعرشي إلى إدراج "كتاب أطعمة العرب" في عداد الآثار المستقلة التي تقوم بذاتها. بينما افترض بلاّ احتمالية كون هذا العنوان الجزء الأخير من كتاب البخلاء، وهو الجزء الذي قصره أبو عثمان للحديث عن موضوع الطعام عند العرب (٤٣) .

ومما يؤيد ما افترضته بلاّ، أنني وقفت أخيراً على مخطوطة محفوظة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٩٥١، عنوانها أطعمة العرب للجاحظ، مكتوبة بخط محمود شكري الآلوسّي في سنة ١٣٢٣هـ، وفي مفتحتها ما نصه : " قال الشيخ الذي ملك زعامة الإجادة في التحرير، ورياسة الإفادة في التسطير، علامة زمانه، ووحيد أوانه، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – رحمه الله – في آخر كتاب البخلاء ما نصه .... " (٢٢١: ١ب). وفي نهايتها ما نصه : "هذا آخر ما كتبه الإمام أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، علامة البصرة، في أطعمة العرب .... " (٢٢١: ٢٧ ب). وقد قمت بتصفح هذه المخطوطة من بدايتها حتى نهايتها ، فألفيتها مُطابقة للجزء المشار إليه آنفاً من كتاب البخلاء، وهذا يدل على أنّ "أطعمة العرب"، ليس إلا جزءاً من هذا الكتاب، بخلاف ما أوهمته إشارة الميداني .

أما كيف استقلت هذه القطعة بنفسها عن كتاب البخلاء، فالذي يبدو أن أحدهم أفردها برقعة بعد أنّ وجد فيها قدراً صالحاً من الأخبار والأشعار والطرائف المتعلقة بشؤون الطعام في البيئة العربية. والحق أنّ لا عجب في مثل هذا الأمر الذي يطالعه الدارس في مواضع أخرى، كما هو حال القطعة المُستلة من الحيوان باسم فضل اتخاذ الكتب، وسيأتي تناول هذه القطعة بعد حين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ – كتابُ البُرصانِ والعُرجَانِ والعُميانِ والحُولاَن .

يبدو أنّ الجاحظ لم يستقر على وضع ثابت في تسميته هذا الكتاب، فهو يذكره في البيان والتبيين باسم العرجان (١٧١: ٧٤)، ويذكر في صدر الكتاب عنواناً آخر هو العرجان والبرصان والعميان والصُمَّان والحُولان (١٥٦: ٩)، يبدو أنّ العنوان الذي احتفظت به مخطوطة الكتاب، وهو البرصان والعرجان والعميان والحُولان (١٥٦: (م) ت)، أكثر دقة من سابقه، لأنّ الجاحظ ابتدأ كتابه بالكلام على البرصان ثم أردف بالكلام على العرجان، وأمّا العميان والحولان فقد خلت النسخة المخطوطة التي وصلت إلينا من تناولهما، وهو ما دعا إلى ضم الكتاب إلى جملة الآثار المبتورة .

ويُعرف الكتاب إلى جانب هذه العنوانات بعنوانين أُخريين لا يعدوان أن يكونا مجزوءين، كالعرجان والبرصان الوارد في ثبتي ياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ)، وقد جاء مُحرفاً في ثبت ابن النديم على هذه الصورة : العُرصان والبرصان (٨: ٢١١)، وذكر السيوطي في بغية الوعاة صورة أخرى هي العرجان والبرصان والقرعان (١٦٤: ٢٢٨). ولاشك أنّ قوة هذين العنوانين لا ترقى إلى قوة العنوان الوارد في المخطوطة، لأنّ الجاحظ بدأ بالبرصان ثم ثنى بالعرجان، ولأنّه لم يقتصر على هاتين الطائفتين بل تعدى إلى العميان والحولان كما ظهر آنفاً .

ويظهر بعد التحقق من أقرب عنوانات الكتاب أنّ تاريخ تأليفه يرجع إلى المدّة بين سنتي ٢٣٥–٢٣٧هـ، أما ما يدل على التاريخ الأول فهو ورود الإشارة في الكتاب إلى وفاة أبي الحسن المغْنّي المعروف بعَلُّوية (١٥٦: ١٦٣–١٦٥). وبالرجوع إلى المصادر التي أشارت إلى وفاته، يذكر صاحب الأغاني أنّها كانت بعد وفاة إسحاق الموصليّ بمُدَيْدَة يسيرة (٢٢٢: ٣٣٣)، والشائع لدى أصحاب التراجم أنّ وفاة الأخير كانت سنة ٢٣٥هـ، كما صرح بذلك أبو الفرج الأصفهاني (٢٢٣: ٤٣٠)، وابن خلكان (٢٢٤: ٢٠٤). وهذه الإشارة تدعو إلى إضافة الكتاب إلى ما بعد سنة ٢٣٥هـ.

وأمّا ما يدل على أن الكتاب أُلف قبل سنة ٢٣٧هـ، فهو أن الجاحظ وضع كتابه هذا قبل كتاب البيان والتبيين، وهذا الأمر يبدو واضحاً في قوله: "وسنذكر فقراً من كلامه –أي الأحنف– في كتاب البيان والتبيان، إن شاء الله" (١٥٦: ٣٢٩). ففي هذا النص إشارة صريحة إلى أنّ تأليف كتاب البرصان كان أسبق من تأليف كتاب البيان والتبيين، وقد ظهر عند تناول الكتاب الأخير في الفصل الثاني أنّ تأليفه لم يتجاوز سنة ٢٣٧هـ، لأن الجاحظ قدمه إلى أحمد بن أبي دؤاد الذي أخذته الدولة وبنيه بالنكبة في تلك السنة حتى وفاته سنة ٢٤٠هـ. وهكذا يمكن القول إنّ الجاحظ وضع كتابه بعد سنة ٢٣٥ هـ وقبل سنة ٢٣٧ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونُشر كتاب البرصان والعرجان غير مرة، أمّا نشرته الأولى فقد حققها مُرسي الخوليّ في بيروت سنة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م(٢٢٥)، وأعاد إخراجها سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م (٢٢٦). على أنّ المُحقَّقَة التي أظهرها عبد السلام هارون في بغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م (١٥٦) تُعد أجود من سابقتها وأقوم، وقد امتازت هذه النشرة بتعليقاتها الضافية وفهارسها المتنوعة ، فضلاً عن سلامة نصها مما قد يُشوشه .

وما أمكن العثور عليه من مخطوطات الكتاب حتى هذا الوقت ينحصر في المخطوطة المحفوظة في مكتبة بزو تحت رقم ١٦، المصورة في خزانة الكتب العامة في الرباط تحت رقم ٨٧ (١٥٦: (م) ذ) ، وهي الأصل الوحيد الذي صدر عنه ناشرا الكتاب .

٥ – رسالةُ البَلاغَـــةِ والإيْجَـــاز .

وهي من جملة الرسائل التي خلت من ذكرها سائر الأثبات القديمة، وأمّا الأثبات الحديثة فقد خالفت بعضها في صورة العنوان، ففي حين يوردها بروكلمان (١٢٠:٣٣)، ومن بَعْدِه عبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٩٧) باسم البلاغة والإعجاز ، تتفق القوائم الباقية على تسميتها باسم البلاغة والإيجاز (٤، ٤٣)، موافقةً بذلك ما جاء في أصولها المخطوطة (٧٣: ٢١٩ ظ). والظاهر أنّ تصحيفاً طرأ على الصورة التي أوردها بروكلمان وخفاجي، مما أبعدها عن الصورة الأصيلة .

ولا يوجد بين أيدينا من أصل الرسالة سوى قطعة قصيرة، تخلو ما من شأنه المضي في تلمس تاريخ إنشائها. ولذا فإنّ تعيين المدة التي شهدت ولادة هذا الأثر من آثار الجاحظ، تظل غير معروفة تماماً ما دامت الوسائل لا تُسعف الدارس في التوصل إلى شيء بهذا الخصوص ، وإنْ كنت أميل إلى إضافتها إلى ما بعد سنة ٢٣٢هـ، إذ اتجه الجاحظ في هذه المدّة إلى الكتابة في موضوعات البيان كما هو واضح من كتابه الموسوم بهذا الاسم .

والقطعة الباقية من الرسالة لا تحفل بأفكار أصيلة تجدر الإشارة إليها، بل هي على نحو عام لا يتجاوز نمط الآراء التي أشاعها في البيان والتبيين. وقد يكون هذا هو السبب وراء بقاء هذه الفصلة من الرسالة مطوية حتى وقت قريب جداً، حين تولى بعثها حاتم الضامن سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م (٢٢٧)، ثم تبعه عبد السلام هارون فأظهرها ضمن مجموعة اختيارات عُبيد الله بن حسان في السنة التالية (٣٤: ١٤٩-١٥٢)، وقد نقل علي أبو ملحم هذه النشرة وطبعها في بيروت ضمن رسائل الجاحظ الأدبية (١٠٠: ٢٩٣-٢٩٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولابدّ عند الحديث عن نُقول بقايا الرسالة إلى غير العربية، من ملاحظة هذا الأمر، وهو أنّ هذه البقايا ظهرت مترجمة إلى الفرنسيّة (٤٣)، ثم إلى الإنجليزية (١٢٩: ١١٧-١١٩)، قبل أنّ تظهر نشراتها العربية. وهذا يعني أنّ النَقَلَة اعتمدوا أصولاً مخطوطة في عملهم .

وفيما يتعلق بمخطوطات القطعة الباقية من أصل الرسالة، فإنها توجد في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦) .

٦ – كتابُ البُلْـدان.

تتسع هوة الاختلاف في ضبط صورة عنوان هذا الكتاب اتساعاً يثير الانتباه، فهو يُعرف بدءاً بكتاب البلدان عند عدد من القدامى، لعل أشهرهم ابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت في كتابيه : معجم الأدباء (٣: ١٠٨)، ومعجم البلدان (٢٢٨: ٥٩٣)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ)، والكتبيّ (١٣: ١٥٥ ب)، وابن قاضي شهبة (١٤). وتقابل هذه التسمية تسميته بالأمصار ، وقد أشار إلى هذه التسمية نفر من القدامى أيضاً، نذكر منهم : المقدسيّ (٢٢٩: ٥)، وابن حوقل (٢٣٠: ٦٦)، وابن نباتة (٢١: ٢٤٩)، وحاجي خليفة (٢٥: ١٣٩٨). وبالإضافة إلى هاتين التسميتين، ذكر المسعودي تسمية أخرى هي الأمصار وعجائب البلدان (١٦: ١١٣)، وأما أصوله الخطية الباقية فقد ذكرته باسم الأوطان والبلدان (٧٤: ١٩٩ ب).

والحق أنّ تعدد عنوانات الكتاب على هذا النحو أمر مشكل في حدّ ذاته، وقد أدى بعدد من الدارسين إلى الوقوع في الخلط والاضطراب، فمن ذلك أنّ إسماعيل البغدادي ذكر كتاب الأمصار ثم أعقبه بكتاب البلدان (٢٧: ٨٠٣) على نحو يُشعر أنّهما كتابان مستقلان. والشيء نفسه يُقال في ذكر بروكلمان لكتاب الأوطان والبلدان (٣٣: ١٢٠)، ثم كتاب الأمصار وعجائب البلدان (٣٣: ١٢٥) .

والواضح لي أنّ تسمية الكتاب بالبلدان تبدو أكثر قبولاً من غيرها لأمرين : الأول أنّ هذه التسمية مذكورة عند غير واحد ممن وقفوا على الكتاب ونقلوا منه، وأخص بالذكر منهم ياقوت الحمويّ الذي اقتبس قطعة منه في معجم البلدان (٢٢٨: ٥٩٣). والثاني أنّ الجاحظ آثر لفظ البلدان على لفظ الأمصار عند حديثه عن موضوع الكتاب، يقول : " سألت – أبقاك الله – أن أكتب لك كتاباً في تفاضل البلدان .... " (٣٤: ١٠٩) .

وإذا ما مضينا إلى تلمس تاريخ الكتاب، تبين بما لا يدع مجالاً للشك أنّه يُضاف إلى المدة الأخيرة من حياة الجاحظ، وقد أربت سنه على التسعين. والذي يُفضي إلى هذه النتيجة المؤكدة، إشارة الجاحظ إلى مرور مائة وستّ عشرة سنة على قيام دولة بني العباس، يقول : "ولبني هاشم مُذ ملكوا هذه الدُفعة – دون أيّام عليّ بن أبي طالب والحسين بن علي – إلى يومنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا مائةٌ وستةَ عشرة سنة" (٣٤: ١٢٢). وبما أنّ مُلك بني العباس كان ابتداءً من سنة ١٣٢ هـ، فإن التاريخ الدقيق لهذا الكتاب يقع فيما بين سنتي ٢٤٨-٢٤٩هـ، ومما قد يؤيد هذا الأمر، ما وردت به الإشارة إلى كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس على سبيل الإحالة عليه، يقول " فإن أحببتَ أنّ تعرف جملة القول في خصال بني هاشم فانظر في كتابي هذا الذي فرقت فيه بين خصال بني عبد مناف وبين بني مخزوم، وفرّقتُ ما بين عبد شمس. فإنّه هناك أوفر وأجمع" (٣٤: ١٢٥). وسيظهر عند تناول الكتاب المذكور أنّ الجاحظ وضعه في سنة٢٢٧هـ، فلا عجب أنْ يُحيل عليه.

ولعل من الملاحظ في سياق الحديث عن نشرات الكتاب أنّ تظل فصوله الباقية مطوية حتى فترة متأخرة نسبياً بالنظر إلى باقي آثار أبي عثمان. إذ كانت أولى نشراته قد ظهرت بتحقيق شارل بلاّ في مجلة المشرق سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م (١١١)، ثم لم تلبث هذه النشرة قليلاً حتى قام صالح العلي بنشره من جديد في مجلة كلية بجامعة بغداد سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (٢٣١)، وقد ظهرت مستلة هذه النشرة في بغداد في السنة التالية (٢٣٢). وكانت ثالث نشراته تلك التي أخرجها عبد السلام هارون ضمن مجموعة الفصول المختارة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م (٣٤: ١٠٧-١٤٧)، وقد اعتمد أبو ملحم هذه النشرة في إصدار نشرته الجديدة ضمن مجموعة رسائل الجاحظ السياسية (١٠١: ٩٧-١٢٥) . وإذا ما استثنينا النشرة الأخيرة، فإنّ النشرات الأخرى تمتاز بنهجها أساليب التحقيق العلمي وقواعده الحديثة .

وفي إطار نقوله إلى اللغات الأخرى، نقل بلاّ مقتطفات منه إلى الفرنسية سنة١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، كما نُقلت هذه المقتطفات عينها إلى الإنجليزية في فترة لاحقة (١٢٩: ١٨٨-١٩٥).

ويمكن الإشارة بعد ذلك إلى أشهر مخطوطات القطعة الباقية من أصل الكتاب، وهي تُحفظ اليوم في عدد من المكتبات العالمية، لعل أهمها : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦) .

٧ – تَفْضِيلُ البَطْنِ عَلى الظَهر .

هذه الرسالة من جملة الرسائل التي لا يجد لها الدارس ذكراً في سائر الأثبات التي صنعها القدماء بقصد إحصاء تراث الجاحظ ، ومع ذلك فربما كانت عين الرسالة التي ذكرها البغدادي باسم ذمّ اللواط (١٧: ١٦٢)، وإنْ يكن جلُّ الباحثين فرقوا بينهما بناءً على الاختلاف الظاهري بين العنوانيين. لكن الواضح من استقراء الفصول الباقية من الرسالة ، أنّ العنوان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول يتفق مع ما أورده البغدادي في نهاية المطاف، لأن الرسالة موجهة في أساسها لردم ذلك السلوك البهيمي المنحرف.

إنّ خلو الأثبات القديمة من الإشارة إلى عنوان الرسالة ، لا يمكن أن يقف وحده للطعن في صحة نسبتها إلى أبي عثمان، فروحه الكلامية التي تُعنى بتشقيق القول والإغراق في الاحتجاج لفضائل البطون على الظهور من كل وجه يتصوره الإنسان، تقف دليلاً على صدق عزو هذا الأثر إلى جملة الآثار التي تركها الجاحظ . أضف إلى ذلك أنّ مضمون الرسالة لا ينأى أبداً عن تصور الجاحظ له في رسالته مفاخرة الجواري والغلمان. وأمّا عنوانها فإنّه يُجاري عنوانات بعض كتابات أبي عثمان، كتفضيل النطق على الصمت.

وبقايا الرسالة لا تختلف بوجه عام عن كثير من الآثار المبتورة، إذ تندر الإشارة إلى واقعة أدبية أو تاريخية يُستأنس بها في تلمس تاريخ مقارب للفترة التي كُتبت الرسالة فيها. كذلك لا يقع الدارس على محض أثارة تُعين في معرفة الشخصية التي خصها الجاحظ بالرسالة، لكن الذي يبدو من مخاطبة الجاحظ إياها بنبرة هجومية لا تفارق التسفيه والتقريع (٣٤: ١٦٥-١٦٦) أن هذه الشخصية لا ترقى إلى طبقة كبار أولي الأمر من مثل : ابن الزيات ، وابن أبي دؤاد، وابن خاقان، ومن إليهم . وعلى الرغم من صعوبة التوصل إلى تاريخ إنشاء الرسالة على نحو يُوثق به، إلاّ أنه يُمكن إضافتها إلى الفترة التي أُنشئت فيها رسالة الجواري والغلمان حتى يتسنى التحقق من تاريخها الحقيقي، وحسب هذا الرأي فإنّ الرسالة تقع في نطاق الآثار المؤلفة بعد ٢٣٢هـ، ويبدو أنّ هذا النمط من الكتابة كان يستهوي الجاحظ في هذه المرحلة بالذات.

وبوسع أي مطلع على تاريخ نشر تراث الجاحظ. أن يلاحظ أن هذه الرسالة ظلت مغمورة عند الدارسين حتى فترة قريبة، حين حققها شارل بلاّ في حوليات الجامعة التونسية سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م (١١٢)، كما أعاد عبد السلام هارون تحقيقها من جديد بعد فترة وجيزة من نشرة بلاّ (٣٤: ١٥٣-١٦٦)، وكانت نشرة عبد السلام هارون هذه الأصل الذي نشر عنه علي أبو ملحم في بيروت قبل بضع سنوات (١٠٠: ١٤٧-١٦٠) .

وتتفق الرسالة مع بعض رسائل الجاحظ في ظهور ترجمتها الجزئية إلى الفرنسية (٤٣)، والإنجليزية (١٢٩: ٢٦٩)، قبل أن تشهد ظهور نشرتها بالعربية، وتفسير ذلك أن شارل بلاّ الذي تولى نقلها إلى الفرنسية، اتكأ على أصولها الخطيّة في نقله، وعن ترجمته الفرنسية نُقلت بقايا الرسالة إلى الإنجليزية .

ومن الممكن بعد رصد نشرات الرسالة وترجماتها، أنّ تأتي الإشارة إلى أشهر نسخها الخطيّة وهي المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨ – رسالة في تَفْصِيلِ بني هَاشم على سِواهم .

لم يبق من أصل هذه الرسالة سوى قطعة صغيرة أوردها بهاء الدين الأربلي في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة (١٢٦: ٤٧). وقد ذكر هذا الرجل أنّه وقف على نسخة من الرسالة بخط عبد اللّه بن الحسين الطبريّ، فعمد إلى اختصارها، ثم ضمنها كتابه المذكور. وربما كانت الرسالة التي اطلع الأربليّ عليها هي الكتاب المعروف بفضل هاشم على عبد شمس أو فرق ما بين هاشم وعبد شمس، غير أنّ مقابلة القطعة التي احتفظ بها الأربليّ على ما بقي من هذه الكتاب، لا تُشجع تماماً في المضي في قبول ما يترتب على هذا الاحتمال .

ولعل من الواضح للعيان أنّ الجزء الباقي من الرسالة لا يقدم شيئا ذا بال بخصوص الاقتراب من تاريخ لها يمكن بناء عليه وضعها في نسق مُناسب بين غيرها من جملة الآثار التي خلفها أبو عثمان. ومع أنّ قضية الاحتجاج لبني هاشم كانت تشغل الجاحظ مذ اتصل بالخليفة المأمون في حدود سنة ٢٠٠ هـ، إلاّ أنّ انشغاله الحقيقي بهذه القضية ظهر على أوضح ما يكون في أواخر خلافة المعتصم وبداية خلافة الواثق ، فكان أنْ أخرج كتابه في فرق ما بين هاشم وعبد شمس في هذه الفترة تحديداً، وربما كانت هذه الرسالة تدور في فلك هذه المدة أيضاً .

ومع أنّ القطعة الباقية من أصل الرسالة محفوظة في كتاب الأربلي، إلا أنها استلت ونُشرت مستقلة مرتين : إحداهما في مجلة لغة العرب سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م (١٢٧)، والأخرى في مجموع رسائل الجاحظ الذي أخرجه طه الحاجريّ في بيروت سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (١٢٦: ٤٧-٥٩)، وقد خلت كلتا النشرتين من التعليق على النص وتخريج إشاراته المختلفة، ممّا يجدر أنْ يكون محلاً لعناية المحقق .

٩ – رسالةُ تَفْضِيلِ النُطقِ على الصَمْت .

ليس في الأثبات القديمة ما يُشير إلى عنوان هذه الرسالة ولو على نحو ما، على أن ذلك لا ينفي ألبتة نسبتها إلى الجاحظ، لأمر يسير جداً وهو أنّ هذه الأثبات جميعها لم تتضمن ذكر سائر أسماء الكتب التي تركها أبو عثمان. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ أسلوب الرسالة لا يخرج عن مجمل الطرائق والأساليب التي كان الجاحظ يحتذيها في فنه، وهذا يعني أنّ نسبة الرسالة إلى أبي عثمان تظل ثابتة ما لم تقدم أدلة كافية تدعو إلى إبطالها .

ولا يجد الباحث نفسه بحاجة إلى التحقق من عنوان الرسالة، وقد اتفقت عليه الأثبات الحديثة ابتداء من السندوبيّ (٣١: ١٢٨)، وبروكلمان (٣٣: ١١٧)، فبهنام (٤٥)، إلى شارل بلاّ (٤٣)، كما وردت الصورة نفسها في أصول الرسالة الخطية (٧٣: ٢٥٤ ب) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كانت الأجزاء الباقية من الرسالة لا تعين في افتراض تاريخ لإنشائها، شأنها في ذلك شأن كثير من آثار الجاحظ، إلاّ أنّ الموضوع الذي عُقدت من أجله، يبدو قريباً من الموضوعات التي كان الجاحظ يتناولها في الدور المعتزليّ الذي سادت فيه النزعة الكلاميّة. فالجاحظ – كما يبدو من بقايا رسالته – لا يترك فضيلة من فضائل الكلام على الصمت، حتى يحتج لها ما أُوتي إلى ذلك سبيلاً، وتراه يُعني أثناء ذلك بتشقيق وجوه الكلام من جميع أقطارها على نحو يكشف تماماً عن مظاهر قدرته الكلاميّة. وقد تناول أبو عثمان شيئاً من آرائه التي دافع عنها في رسالة فضيلة صناعة الكلام في هذه الرسالة أيضاً، ويبدو أنّ هاتين الرسالتين تندرجان في الفترة التي رجحتُ، وهي الفترة الواقعة قبل سنة ٢٣٢ هـ.

ويظهر أن نشرات بقايا الرسالة، سارت إلى حدّ كبير في المسار نفسه الذي سلكته غيرها من نشرات الآثار الأخرى، فقد طُبعت أول الأمر على هامش الكامل في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ=١٩٠٥م (٧٧: ٢٢٧-٢٣٨)، ثم لم يستقر الأمر إلا يسيراً حتى أعاد الساسي إخراجها من جديد في السنة التالية (٨٩: ١٤٨-١٥٤). وظلت هذه النشرة كذلك حتى طُبعت ثانية في بيروت سنة ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م (٩٨: ١٣٥-١٤٠)، وعلى نقيض هذه النشرات ظهرت نشرتان جديدتان في أواخر السبعينات، أخذتا على عاتقهما متابعة الأسلوب العلمي الحديث في نشر النصوص والتعليق عليها، وقد توفر على هاتين النشرتين : حاتم الضامن (٦٨)، وعبد السلام هارون (٣٤: ٢٢٧-٢٤٠). وبالإضافة إلى هذه النشرات الخمس، قدّم علي أبو ملحم نشرة جديدة في سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م (١٠٠: ٢٩٧-٣١٠) بالاعتماد على نشرة هارون الآنفة .

وفي حقل الترجمة إلى اللغات العالمية، نقل ريشر منتقيات من القطع الباقية إلى الألمانية في عقد الثلاثينات (٤٣)، ثم تبعه بلاّ فترجم نبذة مقتضبة منها إلى الفرنسيّة (٤٣)، وسرعان ما أُتيح نقل ما ترجمه بلاّ إلى الإنجليزية (١٢٩: ٢٣٠-٢٣١).

وتوجد القطع الباقية من أصل الرسالة اليوم مخطوطة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

١٠ – كتابُ الجَوابَاتِ في الإمَامة .

لم ترد الإشارة إلى هذا العنوان في الأثبات التي صنعها القدماء لآثار الجاحظ، وصدر أصحاب القوائم الحديثة كبروكلمان (٣٣: ١١٤)، وبلاّ (٤٣)، عن الأصول الخطية التي أوردت هذه الصورة (٧٣: ٢٧٨ ظ) .

والواضح أنّ بقايا الكتاب تسير على شاكلة كثير من الآثار المبثورة، فهي تخلو الإشارة التي من شأنها المضي في تلمس تاريخ كتابة الأثر، لكن يبدو أنّ موضوع الكتاب أقرب إلى أنّ يكون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الموضوعات التي كان أبو عثمان يؤثر تناولها في تلك الفترة التي سادت فيها نزعة الاعتزال، في الوقت الذي اشتجرت فيه الآراء والأفكار حول مسألة الإمامة التي يمكن عدّها من أخطر القضايا في التاريخ السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وما أعقب ذلك من أحداث خطيرة. وإذا ما صح هذا التقدير، فإن هذا الكتاب يُضاف إلى ما قبل سنة ٢٣٢هـ، حين كان سلطان المعتزلة مُهيمناً، وربما كان من جملة الكتب التي وجهها أبو عثمان إلى المأمون في الإمامة في حدود سنة ٢٠٠ هـ (١٧١: ٣٧٤) .

وقد نُشرت بقايا هذا الكتاب عدة مرات، كانت أُولاها على هامش الكتاب الكامل للمبرد في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٧: ٢٦٩-٢٩١) وهي تسير على نمط غيرها من الآثار التي تضمنتها هذه المجموعة، ولا سيما فيما يتعلق بعدم جريانها وفق أساليب التحقيق العلمي، وثانيتها نشرة السندوبي الملحقة بكتاب استحقاق الإمامة (١١٥: ٢٤٩-٢٥٩). وبقيت هاتان النشرتان وحيدتين إلى أنْ قام بتحقيق ما تبقّى من الكتاب يحيى الجبوري سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م (٦٨)، ثم أخرج عبد السلام هارون نشرته المحققة في السنة اللاحقة (٣٤: ٢٨٢-٣٠٧). ونشرها علي أبو ملحم ملحقة بكتاب استحقاق الإمامة سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م(٩٩: ١٨٧-١٩٨).

وفي نطاق نقول ما بقي من مادة الكتاب إلى اللغات الأخرى، يمكن الإشارة إلى نقل شارل بلاّ مقتطفات منه إلى الفرنسية سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، وترجم هوالك هذه المقتطفات إلى الإنجليزية فيما بعد (١٢٩: ٦٤-٦٦).

وتجدر الإشارة بعد ذلك إلى أشهر مخطوطاتها الباقية التي تُحفظ في : دار الكتب (٧٤) والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦).

١١ - رسالةُ الحَاسِدِ والمحْسُود .

تكادُ الأثبات التي أجرت ذكر هذه الرسالة تُجمع على تسميتها بالعنوان المذكور، ولا يشذ عن ذلك سوى إسماعيل البغدادي الذي أوردها باسم رسالة في الحَسَد (٢٧: ٨٠٢). والواقع أن هذه الصورة التي تفرد بها صاحب هدية العارفين، لا تقف أمام قوة الصورة الأولى وكثرة طرقها.

ويبدو من البحث في بقايا الرسالة خلوها من إشارة صريحة تُؤدي إلى معرفة تاريخ كتابتها، وعلى الرغم من ذلك فالرسالة جديرة بأن تضاف إلى المدة التي جرت فيها القطيعة بين الجاحظ ووليّ نعمته محمد بن عبد الملك الزيات، وقد وقعت هذه الجفوة -فيما توصل إليه طه الحاجريّ - في حدود سنة ٢٢٩هـ (٥٣: ٢٦٨-٢٦٩)، تلك السنة التي ناصب فيها هذا الوزير سائر طوائف الكُتّاب العداء، ولم يكتفِ حتى راح يتعقبهم بالسجن ومصادرة الأموال (١٣٧:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٥). والذي يبدو أن بقاء الجاحظ بعيداً عما حل بالكتاب، أثار نفراً من الحساد الشانئين فراحوا يبذلون سعاياتهم لدى ابن الزيات، حتى أفضى الأمر في نهاية المطاف إلى فساد رباط الخلة بينه وبين أبي عثمان .

ومن ينعم النظر في الفصول الباقية من الرسالة ، تطالعه نغمة واضحة تدعو إلى قمع العداوة وإنهاء الجفوة، وإبطال سعاية أهل النفاسة والحسد، وإحلال الألفة والمودة مكان الضغينة وتوقد القلوب . وإنك لتقرأ آخر ما جاء في الرسالة: " ونحن نسأل اللّه الجليل أن يصفي كدر قلوبنا، ويجنبنا وإياك دناءة الأخلاق ، ويرزقنا وإياك حسن الألفة والاتفاق" (٣٥: ٢٣)، فلا تملك إلا أن تُضيف الرسالة إلى مدة تلك الجفوة التي أصابت القلوب بكدرها وأقصت الألفة عن النفوس. ووفق هذا التقدير تكون الرسالة كُتبت باسم محمد بن عبد الملك الزيات في نحو سنتي ٢٢٩-٢٣٠هـ، وهو تاريخ يبدو مقبولاً إلى حدّ ما .

وقد ظهرت عدة نشرات للفصول الباقية من الرسالة، وقد تفاوتت قيمة هذه النشرات تبعاً لاحتذائها أصول المنهج العلمي . ويمكن توزيع هذه النشرات، بالنظر إلى هذا الأمر، إلى مجموعتين : الأولى تشمل أربع نشرات هي :

١ - النشرة المطبوعة على هامش كتاب الكامل للمبرد في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٦: ٢-١٧)، ولا تختلف هذه النشرة عن سائر ما هو منشور على هامش كتاب المُبرد من حيث كثرة التصحيفات والتحريفات مع الافتقار إلى شيء من مقتضيات الأسلوب العلمي في النشر والتحقيق.

٢ - نشرة محمد ساسي المغربي المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م (٨٩: ٢-١٣)، وهي لا تبتعد كثيراً عن النشرة الآنفة في وضوح ثغراتها وأخطائها.

٣ - النشرة المطبوعة في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م (٩٨: ٩-١٨)، وهي محض نشرة مُعادة لنشرة الساسي، من غير الإشارة إلى ذلك.

٤ - نشرة علي "أبو ملحم" المطبوعة في بيروت (١٠٠: ١١٣-١٢٨)، وهي إعادة لنشرة عبد السلام هارون التي تقع ضمن المجموعة .

وإذا كانت هذه المجموعة لم تأخذ نفسها بما يقتضيه المنهج العملي، فإنّ المجموعة المُقابلة سعت سعياً حثيثاً في الاقتداء بحيثيات هذا المنهج ومقتضياته، على أن هذه المجموعة لم تشمل سوى نشرتين تقع كلتاهما في نطاق فترة زمنية قريبة جداً . أمّا أولى هاتين النشرتين فقد حققها حاتم الضامن ضمن الفصول المحققة في العدد الخاص من مجلة المورد سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٨م (٦٨)، وأما الثانية فقد أخرجها عبد السلام هارون في السنة التالية ضمن مجموعة الفصول المختارة من كتب الجاحظ لعبيد الله بن حسان (٣٥: ١-٢٣). وتمتاز هاتان النشرتان بحُسن الإخراج والدقة ومقابلة الأصول بعضها ببعض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي مقابل نشرات الرسالة بلغتها الأصل، نُقلت مقتطفات منها إلى غير لغة من اللغات الحديثة، كما هو شأن منقولات ريشر إلى الألمانية (٤٣)، وبلاّ إلى الفرنسية (٤٣). وهواك إلى الإنجليزية (١٢٩: ٢٢١-٢٢٢)، ووليام هانشينز إلى الإنجليزية أيضاً (١٣٠: ١٥).

وتنتشر مخطوطات الرسالة في الوقت الحاضر في عدد من المكتبات المعروفة، ولعل أشهر هذه المخطوطات المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

١٢ - كتابُ الحُجَّـــة في تَثْبِيـتِ النُبُّـــوة .

هذا هو العنوان الذي وضعه الجاحظ لكتابه، وقد صرح بصورته في صدر الحيوان فقال: "فعبتَ كتاب الجوابات، وكتاب المسائل، وكتاب أصحاب الإلهام، وكتاب الحجة في تثبيت النبوة" (١: ٩)، كما ذكره مرة أخرى في آخر الحيوان باسم كتاب الحُجة (١٨٩: ٢٠٠)، مقتصراً على طرف منه، وبعد الجاحظ، تعددت عنوانات الكتاب تبعاً للموارد التي تولت ذكره، أمّا أبو الحسين الخياط فيسميه الإخبار وإثبات النبوة (٢١٤: ٢٥)، وأمّا أبو بكر بن الأخشاد فيطلق عليه دلائل النبوة (٣: ١٠١)، بينما يذهب عبد القاهر الجرجاني إلى الاقتصار على جزء منه، فيسميه كتاب النبوة (٢٣٣: ٣٨٩). وذكره ابن النديم، وهو أول من أشار إليه من أصحاب الأثبات القدامى، باسم الحُجَّة والنبوة (٨: ٢١١)، وقد تحرفت هذه الصورة على نحو لافت للغاية عند أكثر من تعرض لها بعد ابن النديم، فهي ترد باسم الحجر والنُبُّوة عند ياقوت (٣: ١٠٨)، والصفدي (١٢: ٥٨ ب)، وابن قاضي شهبة (١٤)، وخليل مردم (٢٨: ٤١)، والسندوبي (٣١: ١٢٩). كما ترد تارة أخرى باسم الحَجَر والفتوة عند الكتبي (١٣: ١٥٥ ب)، وإسماعيل البغدادي (٢٧: ٨٠٣). وبالإضافة إلى جميع هذه العنوانات ، وردت تسميته بحجج النبوة في سائر مخطوطاته الباقية (٧٣: ٨٨ ب) .

ومن بين هذه العنوانات المتباينة ، تبدو أهمية تقديم العنوان المثبت أعلاه لأمرين: الأول أنّ هذا العنوان أقدم هذه العنوانات بلا منازع. والأهم من ذلك أنّ الجاحظ نفسه أشار إليه صراحة، ونص على صورته في مقدمة كتابه الحيوان . فوجب بناءً على هذين الاعتبارين الصيرورة إلى ما هو مثبت عند المؤلف بصفته صاحب العلاقة الأولى في هذا الأمر .

ويجدر قبل الانتقال إلى تعيين تاريخ تأليف الكتاب، الوقوف قليلاً عند رأي طه الحاجريّ في علاقة هذا الكتاب بكتاب الأخبار ، فهو يذهب إلى القول أنّهما كتاب واحد اعتماداً على ما جاء في الكتاب من تناول مسألة الأخبار (٣٥: ٢٢٣-٢٢٤). لكن يبدو لي أن الأمر على خلاف ما ذهب إليه الحاجري مُستدلاً بأمرين : أحدهما أن الجاحظ فرّق بين هذين الكتابين في مقدمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيوان، فقال " فعبت كتاب .....، وكتاب الحجّة في تثبيت النبوة، وكتاب الأخبار" (١: ٩)، فهذا النص يتضمن إشارة واضحة إلى أنّهما كتابان يستقل كل واحد بنفسه. والثاني أنّ القطعة الباقية من كتاب الأخبار (٤)، لا تدل على شيء مما ذهب إليه الحاجريّ، فنصها لا يتفق مع بقايا كتاب الحجة في تثبيت النبوة.

وبالانتقال إلى تاريخ تأليف الكتاب، فإنّ ورود الإشارة إليه في كتاب الحيوان يُفضي إلى إضافته إلى المدّة التي سبقت وضع هذا الكتاب، أي قبل سنة ٢٣٢هـ، وهي السنة المقاربة التي فرغ فيها الجاحظ من تأليف الحيوان وأهداه إلى ابن الزيات. والملاحظ أنّ الفصول الباقية من الكتاب تخلو من الإشارة إلى ما من شأنه تحديد تاريخ مُقارب في فضاء المدة المذكورة .

وقد نُشرت بقايا الكتاب حتى هذا اليوم خمس نشرات ، هي على التوالي :

١ – النشرة المطبوعة على هامش كتاب الكامل (٧٦: ٢٧٥-٢٩٦، ٧٧: ١-١١٧)، وهي تسير على منوال سائر النشرات التي ضمتها هذه المجموعة خاصة بالنظر إلى عدم جريانها وفق الأساليب العلمية في النشر والتحقيق .

٢ – نشرة السندوبيّ المطبوعة ضمن رسائل الجاحظ (١١٥: ١١٧-١٤٧)، وقد أُلحق بهذه النشرة الأجزاء الباقية من رسالة الجاحظ في خلق القرآن ، على نحو اختلط معه الأثران .

٣ – نشرة عمر "أبو النصر" (٩٣: ٢٤١-٢٧٥). وهي محض إعادة لنشرة السندوبيّ الآنفة .

٤ – نشرة عبد السلام هارون (٣٥: ٢٢١-٢٨١)، وهي أجود هذه النشرات وألصقها بالأسلوب العلميّ القائم على معارضة الأصول ، وإقصاء التشويش والخطأ عن النصوص .

٥ – نشرة علي "أبو ملحم" (٩٩: ١٢٥-١٦١)، وهي تتخذ من النشرة السابقة أصلاً لها .

وفي إطار ترجمتها إلى اللغات الأخرى، حظيت مختارات من هذه البقايا بالنقل إلى الألمانية في سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣) ، وإلى الفرنسية في سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، وإلى الإنجليزيّة في سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (١٢٩: ٣٩-٤٨).

وأما المخطوطات المكتشفة لما تبقى من أصول الكتاب، فهي تتفرق في عدد من دور المخطوطات ، لعل أهمها : دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦).

١٣ – رسالةُ خَلْقِ القُرآن .

لم يصل إلينا من هذه الرسالة سوى تفاريق اختارها عُبيد اللّه بن حسان من الأصل الكامل الذي اطلع عليه، ومهما يكن من أمر ضياع هذا الأصل كما هو شأن الغالبية من مختارات عُبيد الله بن حسان، إلاّ أنّ البقية الباقية لها خطرها فيما يتصل بموقف المعتزلة من محنة القول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بخلق القرآن. فالرسالة تجدر أن تكون وثيقة مُعتزلية نادرة تسجل الأحداث البارزة في سؤال الإمام أحمد بن حنبل بين يدي المعتصم من قِبل القاضي أحمد بن أبي دؤاد، ومما يزيد في قيمة هذه الوثيقة كونها صادرة عن المعتزلة أنفسهم، وهذا يعني أنّها تتضمن وجهة نظرهم في هذه القضية التي اشتجرت حولها العقلية الإسلامية في تلك المرحلة .

ولا بُدَّ عند التطرق لعنوان الرسالة، من ملاحظة هذا الأمر، وهو اتفاق سائر الموارد التي أجرت ذكرها على صورة العنوان. وأول ذلك ما صرح به الجاحظ نفسه في مقدمة كتابه الحيوان (١: ٩)، يلي ذلك ما جاء في النسخ الخطية التي وصلت إلينا (٧٣: ١٢١ ب)، يضاف إلى ذلك اتفاق القوائم الحديثة على الصورة عينها (٣٣: ١١٤، ٤١: ٢٨٦، ٤٣، ٤٥). غير أنّ الملاحظ بعد ذلك خلو سائر الأثبات التي صنعها القدماء لأثار الجاحظ من الإشارة إلى الرسالة، على الرغم من إشارة الجاحظ إليها في أول الحيوان .

والرسالة بشكل عام تسير على الوتيرة التي جرى عليها أبو عثمان في أكثر رسائله، فقد تركها غُفلاً من غير تعيين لتاريخ إنشائها، إلاّ أنّه يمكن من تلمس بعض الشواهد، والأثارات التوصل إلى شيء ذي بال في هذا السياق. فبقايا الرسالة تُشير بوضوح إلى وقوف الأمام أحمد ابن حنبل في مجلس بين يدي المعتصم، أمام جمهور من القضاة والفقهاء والمتكلمين (٣٥: ٢٩٢)، كما ترد الإشارة ثانيه إلى إيذاء الإمام وضربه بالسياط (٣٥: ٢٩٥). وتاريخ الحادثة المعروفة يرجع إلى نحو سنة ٢٢٠هـ، واحتفاظ الرسالة بالإشارة إلى هذه الحادثة يقطع أنّ إنشاءها يقع بعد هذا التاريخ، وهذا يعني أنّ الرسالة لم تُكتب قبل سنة ٢٢٠هـ .

ويهمنا بعد هذا التحديد الجزئي لتاريخ الرسالة تحديد الشخصية التي خصها أبو عثمان برسالته، ومثل هذا الأمر سيكون مُعيناً في تلمس تاريخ مقارب بعد سنة ٢٢٠ هـ، فمن عساها تكون تلك الشخصية التي كُتبت الرسالة باسمها ؟. الحق أنّه يوجد لدينا ثلاث شخصيات مُميزة يمكن أنّ تكون مؤهلة للبحث في هذه القضية، ولاسيما أنّ الجاحظ عقد صلات قوية مع كل واحدة منها ابتداء من التاريخ المذكور قبلاً. وهذه الشخصيات هي : القاضي أحمد بن أبي دؤاد، وابنه أبو الوليد محمد بن أبي دؤاد، والوزير محمد بن عبد الملك الزيات. فالناظر في أكثر كتابات الجاحظ منذ سنة ٢٢٠هـ حتى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ، يجد أن الجاحظ كان يؤثر هذه الشخصيات بالذات، حتى كأنما كان أدبه مخصوصاً بهؤلاء في هذه الفترة. فإلى أي واحد من هؤلاء كُتبت الرسالة ؟.

إنّ الرسالة نفسها لا تُقدم إجابة شافية، وسبب ذلك يعود إلى الجاحظ نفسه، إذ لم يُصرح باسم الشخص الذي أُرسلت إليه الرسالة. وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فلابُد من تناول هذه الشخصيات واحدةً تلو الأخرى، بغية معرفة أيها أقرب إلى التساؤل المطروح من قريب. أما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصية أحمد بن أبي دؤاد، فاللافت أنّ الجاحظ أجرى ذكرها ثلاث مرات في هذه الفصول الباقية، وذلك في سياق مناظرته لأحمد بن حنبل، وفي هذه المرات الثلاث لم يرد ما يُشعر بتوجيه الرسالة إليه، بل إنّ المرة الأخيرة تحمل إشارة واضحة تنفي أنّ تكون الرسالة كُتبت باسمه، يقول أبو عثمان مخاطباً المرسل إليه : " وأحمد بن أبي دؤاد – حفظك الله – أعلم بهذا الكلام، وبغيره من أجناس العالم ....." (٣٥: ٢٩٤). فأنت تراه يتحدث لشخص آخر عن أحمد بن أبي دؤاد، ولعل في جملته المعترضة "حفظك الله" ما يدل على أنّه يخاطب شخصاً آخر غير ابن أبي دؤاد، وهذا الأمر يدعو إلى استبعاد فكرة توجيه الرسالة إلى الشخصية الأولى .

وأما احتمال توجيه الرسالة إلى ابن الزيات، فهو مستبعد أيضا بالإتكاء على هذين الاعتبارين:

الأول : أننّا لا نتصور أنّ يُوجه الجاحظ إلى ابن الزيات رسالة يُشيد فيها بموقف القاضي ابن أبي دؤاد، ويُظهره فيها بمظهر المنافحِ عن المعتزلة، الناطقِ باسمهم، المحاجِج خصومهم، إلى غير ذلك مما يتضمن مَدْحاً وإطراء لمناقب هذا الرجل. وسبب ذلك أنّ عداوةً شديدةً كانت مُشتعلة بين الرجلين انتهت بمقتل أحدهما، ولا أحسبُ أنّ الجاحظ – وهو الخبير بما يناسب كل مقام – كان يغامر في نشر فضائل ابن أبي دؤاد أمام عدوه اللدود ابن الزيات .

الثاني : ورد في الرسالة ما يشير إلى بُعد دار المرسل إليه عن دار الجاحظ (٣٥: ٢٨٧)، في حين كان ابن الزيّات يسكن إلى جوار الجاحظ، كما هو واضح من قوله مخاطباً هذا الوزير في رسالة الجد والهزل الموجهه إليه : " ودُورُنا بالعسكر متجاورة، ومنازلنا بمدينة السلام متقابلة " (٢: ٢٦٥).

وهكذا لا يبقى أمام البحث سوى شخصية أبي محمد بن أبي دؤاد، وهي بحق أقرب إلى التساؤل الآنف من غيرها، فالجاحظ يُقدم رسالته إلى أحد أبناء نحلته، وهي تتضمن آية القول في مسألة عُدّت في رأس المسائل الخلافية بين المعتزلة وخصومهم، ولا سيما أهل السُنة، وهي تتضمن فوق ذلك إشادة بموقف والد أبي الوليد ودفاعه عن هذه المسألة ووقوفه في وجه منكريها. وإشادة الجاحظ بوالد أبي الوليد تكاد تكون جارية في أكثر الآثار التي كتبها الجاحظ إليه، كما هو الحال في رسالة المعاد والمعاش (٢: ٩٣)، ونفي التشبيه (٢: ٣٠٣).

وإذا كان النظر الآنف يُثبت أن الرسالة وجهت إلى أبي الوليد، فإن البحث يعود إلى معرفة تاريخ مقارب لها بعد سنة ٢٢٠ هـ، لقد ظهر في الفصل الثاني أنّ الجاحظ اتصل بأبي الوليد في مرحلتين : الأولى في عهد المعتصم ، وأكثر ما كانت هذه الصلة تدور حول سنة ٢٢٣هـ. والثانية في السنوات الأولى من عهد المتوكل. والسؤال الذي يبرز هنا : في أي من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هاتين الفترتين المرحلتين كانت كتابة الرسالة ؟. أمّا طه الحاجريّ فيرى أنّ الرسالة من كتابات الفترة الثانية، ويحدد لذلك تاريخاً مُقارباً يدور حول سنة ٢٣٤هـ (٥٣: ٣٣٤-٣٤٢).

ومع ما يمكن أن ينطوي عليه رأي الحاجري من وجهة نظر خاصة، إلاّ أنّه من الممكن مناقشته في هذين الأمرين: -

الأول : أننا لا نتوقع أنّ يعمد الجاحظ إلى تناول مسألة من أخطر المسائل الخلافية بين السُنة والمعتزلة، ولاسيما في هذه الفترة التي يراها الحاجريّ. والسبب في ذلك أنّ أهل السُنة تغلبوا في هذه الفترة على مقاليد الأمور، فكان أن أبطلوا ما كان من المشاحنات الكلاميّة الدائرة آنذاك، ولقد ظهر واضحاً أن الجاحظ أخذ يجاري هذا الانقلاب الجديد في كتاباته، إذ لوحظ أنّ كتاباته الواقعة بعد سنة ٢٣٢هـ لا تصل في حدتها المذهبية إلى المستوى المعهود إبان دولة المعتزلة. وأمّا هذه الرسالة فإنّ موضوعها وحدّتها يشهدان بكتابتها في المدة التي كان فيها سُلطان المعتزلة قائماً، وهل كان يستطيع أبو عثمان أنّ يشنع على أهل السُنة ويرميهم بالكفر البواح، إلاّ حين كان الأمر بيد خصومهم المعتزلة ؟! .

الثاني : وردت في آخر الرسالة إشارتان، إحداهما تتضمن تشخيصاً آنياً لحال أهل السُنة في العصر الذي غلب عليه الاعتزال، وهي قوله : " والنابتةُ اليومَ في التشبيه مع الرافضة، وهم دائبون في التألم من المعتزلة" (٣٥: ٣٠٠). وأما الأخرى فهي تُشير إلى وقوف السلطان في صف المعتزلة مع خوف أهل السُنة منه، يقول مخاطباً أبا الوليد : " الآن معك أمران، السلطان وميلهم إليه، وخوفهم منه" (٣٥: ٣٠٠). إنّ هاتين الإشارتين أصدق ما تنطبقان على المدة التي سطع فيها نجم المعتزلة ، ولعل في قوله " اليوم " و "الآن" ما يُشير إلى أنّ الرسالة كُتبت في عصر الاعتزال الذي يتحدث الجاحظ عنه، لا في عصر تالٍ كما رجح الحاجريّ .

مما سبق، يتبين أنّ تاريخ الرسالة يُضاف إلى المدة الواقعة بين سنتي ٢٢٠-٢٣٢ هـ، أي منذ محنة الإمام ابن حنبل وجلده حتى بداية خلافة المتوكل، وأكثر ما يدور زمن إنشائها حول سنة٢٢٣هـ، وهي السنة التي تأسست فيها وشائج علاقة طيبة بين الجاحظ وأبي الوليد بن أبي دؤاد.

وبالانتقال إلى الجانب التوثيقي الأخير، يمكن تتبع نشرات الرسالة في ضوء نسقها الزمني فقد طُبعت الفصول الباقية من أصل الرسالة أوّل الأمر على هامش الكامل في القاهرة (٧٧: ١١٧-١٤٧)، بيد أنّ هذه النشرة جاءت مُتصلة بكتاب آخر هو حُجج النبوة، وكأنما هي جزء من هذا الكتاب. ومع أنّ السندوبيّ أعاد إصدار هذه النشرة من جديد سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥: ١٤٧-١٥٧)، إلا أنّه سار على الوتيرة نفسها، مما يشير إلى أنّ النشرة الأولى كانت مظنة نشرته المذكورة. وبقيت الرسالة على ما هي عليه، مختلطة بكتاب حُجج النبوة، حتى أظهر عبد السلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هارون مُحققته الجديدة التي أعادت الرسالة إلى وضعها الصحيح (٣٥: ٢٨٣-٣٠٠). وكانت آخر نشراتها تلك التي أصدرها علي أبو ملحم في بيروت سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م (٩٩: ١٦٣-١٧٥)، وهي محض إعادة لنشرة عبد السلام هارون .

ونقل شارل بلاّ مُختاراً من بقايا الرسالة إلى الفرنسيّة سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، ولم يلبث هذا المختار حتى نقلة هواك إلى الإنجليزية في سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (١٢٩: ٤٨-٥٠).

وأخيراً، تأتي الإشارة إلى مخطوطات القطع الباقية من الرسالة وأشهرها مخطوطة: دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

١٤ - دِيْـوَانُ شِعْـر.

لعل من أهم الأشياء التي تسترعي نظر الدارس عدم ورود الإشارة في المظان القديمة إلى ديوان أفرده الجاحظ ليضم أشعاره المنظومة، وقد يكون أبو عثمان فعلاً لم يعبأ بجمع شعره مدفوعاً بما يجد في نفسه من شاعرية لا ترقى إلى مستوى الجودة والكثرة ونحو ذلك مما امتاز به العديد من شعراء تلك المدّة كأبي تمام والبحتري وابن الجهم ومن إليهم .

ولم أجد أحداً أشار إلى ديوان تركة الجاحظ سوى حاجي خليفة (٢٣٤: ٧٨١) من المتأخرين، ورمضان ششن، وشارل بلاّ (٤٣) وإمتياز عرشي (٤) من المعاصرين. وقد صدر هؤلاء جميعهم عن إشارة صاحب كشف الظنون الآنفة. ومهما يكن، فمن المحتمل أن يكون بعض المتأخرين أفرد ما وقع له من شعرٍ قاله الجاحظ في مجموع وسم بـ " ديوان الجاحظ" هو نفسه المقصود بإشارة حاجي خليفة .

وفي ضوء عدم الاهتداء إلى أصل خطيّ للديوان، نهض محمد جبّار المعيبد بجمع ما بقي من شعر الجاحظ في بطون الكتب، ونشره في مجلة المورد سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م (٢٣٥)، ثم نشره ثانية في كتابه "شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري" (٢٣٦ : ٧٣-١١٠) .

١٥ - رسالةُ ذَمِّ الهَـوَى .

ليس في القائمة الموروثة لآثار الجاحظ رسالة تحمل هذا العنوان، وربما كانت هي الرسالة التي ذكرها أصحاب القوائم بعنوان ذمّ الزّنـا (٨: ٢١١، ٣: ١٠٨)، بيد أنّ التحقق من ذلك يبدو عسيراً في ضوء غياب القرائن التي تدعو إلى المضي في تقبل هذا الاحتمال .

وكل ما نعرفه عن هذه الرسالة يرجع إلى ما أورده شارل بلاّ عنها نقلاً عن رمضان ششن الذي أشار إلى وجود نسخة مبتورة منها في المكتبة الأشرفية بتركيا (٤٣)، ولم يتح لي أن أطلع على هذه النسخة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦ - رسالةُ الردِّ على المُشَبِّهة .

وردت إشارة الجاحظ إلى هذه الرسالة في صدر كتابه الحيوان (١: ٩) ، ضمن قائمة كتبه التي تولاها خصومه بالطعن والنقد، وقد اتفقت الإشارة الواقعة في الحيوان مع ما ذكره أصحاب القوائم (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧) على صورة عنوان الرسالة الوارد في بعض أصولها الخطيّة الباقية (٧٣: ١٥٥ ظ).

وتجري الرسالة بعد ذلك على شاكلة كثير من رسائل الجاحظ، فالقطع الباقية منها لا تُسعف في التعرف إلى الزمن الذي كُتبت فيه، ويذهب طه الحاجري إلى تصنيفها ضمن كتابات الجاحظ إلى أبي الوليد بن أبي دؤاد في المرحلة الأولى من الفترة الثانية من العهد البغدادي (٥٣: ٣٣٩-٣٤٢)، أي منذ مقتل ابن الزيّات سنة ٢٣٣هـ، إلى وزارة عبيد الله بن خاقان سنة ٢٣٦هـ (١٣٧: ١٨٥)، بيد أنّ النظر الفاحص إلى موضوع الرسالة في ضوء الحياة السياسية التي كان يعيشها المجتمع آنذاك، يُفضي إلى نتيجة مغايرة تماماً لما ذهب إليه الحاجري .

فالرسالة، كما هو واضح من عنوانها، تنبع من صميم فكر المعتزلة، وتمثل ما كان يدور في حلقاتهم وأنديتهم من حركة تهدف إلى الوقوف أمام الاتجاهات الأخرى والردّ عليها، ما وسعت إلى ذلك حيلة. ولقد غدا واضحاً أنّ هذا الأمر كان يسير في ظلال تولي المعتزلة زمام الأمر حتى ذهاب دولتهم التي كانت تحثهم على التصدي لكل خصومها، وهل كنّا نتوقع من الجاحظ، وقد ذهبتْ ريح الاعتزال السياسي، أنّ يتوجه إلى القاضي أبي الوليد برسالة ينعى فيها على من يسميهم "المشبهة" وقد أضحوا يديرون زمام أمور الحكم والسلطة؟! إننّا نعلم أنّ الجاحظ أخذ ينأى نفسه بعيداً عن مسائل من هذا القبيل منذ أن انقلبت الأمور لصالح أهل السُنة، وإن القاء نظرة عابرة على رسالة المعاد والمعاش التي وجهها إلى أبي الوليد في العهد الذي تولى فيه أهل السُنة، تكفي لتبين الانحراف الواضح الذي أصاب مسار الكتابة عند الجاحظ بعد وقوع ذلك التحول السياسي المعروف .

وبالعودة إلى رسالة نفي التشبية التي سبق تناولها من قبل، يمكن أن نطالع حديثاً له أهميته في تعيين زمن كتابة الرد على المشبهة، يقول أبو عثمان مخاطباً أبا الوليد : " وقد كتبت - مدّ اللّه في عُمرك - في الردّ على المشبهة كتاباً لا يرتفع عنه الحاذق المستغني، ولا يرتفع عنه الريّض المبتدىء، وأكثر ما يعتمد عليه العامة ودهماء أهل التشبية من هذه الأمور ويشتمل عليه الفضل من حُشوة الناس. ويُختدع به المحدثون من الجمهور الأعظم، تحريف أي كثيرةٍ إلى غير تأويلها ، وروايات كثيرة إلى غير معاينها" (٢: ٢٨٩). ويقول في موضع آخر من الرسالة نفسها : " وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد اللّه أكرمه اللّه،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرى واحداً، ولأنك وإنْ كنت كثير الشغل، فهو أقل فراغاً منك على كثرة شغلك" (٢: ٣٠٣). وإذن فرسالة نفي التشبية أرسلت إلى أبي الوليد كي يعرفه فيها الجاحظ برسالته في الردّ على المشبهة، ويطلعه على مضمونها والمنهج الذي سار عليه فيها. وقد وجه الجاحظ رسائل من هذا النوع، يُوطيء فيها كتبه أو رسائله التي قصد تقديمها إلى ذوي الشأن في الدولة ، كما هو الحال في رسالته أحمد إلى بن أبي دؤاد يخبره فيها بكتاب الفُتيا، وكما هو حال رسالته في وصف كتاب خلق القرآن، ورسالته في صفة كتاب نظم القرآن (٨: ٢١١).

وبالرجوع إلى ما ذكره أبو عثمان في نفي التشبية، نجد أنّه يشير إلى فراغه من الردّ على المشبهة، وهذا يُستدل عليه من قوله " وقد كتبتُ – مدّ اللّه في عمرك – في الردّ على المشبهة كتاباً .... " (٢: ٢٨٩)، ومن قوله: " وكان من أسباب دفعي إليك هذا الكتاب ..... " (٢: ٣٠٣). وهذا يعني أن الجاحظ كتب رسالة نفي التشبية بعد أن كانت رسالته في الردّ على المشبهة ماثلةً للعيان. وإذا ما علمنا أنّ تاريخ نفي التشبية يدور في فلك سنة ٢٢٣هـ كما ظهر عند تناولها في الفصل السابق، أمكن القول إنّ تاريخ الردّ على المشبهة لا يبعد كثيراً عن السنة المذكورة لأن الجاحظ – فيما يبدو – لم يكد يفرغ من هذه الرسالة، حتى عجّل بالكتابة إلى أبي الوليد ليعلمه بذلك. وعليه فإن من الممكن عدّ السنة السابقة لسنة ٢٢٣هـ أو التي تقدمتها، تاريخاً مقبولاً وضع الجاحظ فيه الرسالة المذكورة .

وقد ظلت الأجزاء الباقية من أصول الرسالة مطوية في عداد المخطوطات حتى قريب، إذ تعاقب على إخراجها إخراجاً علمياً كل من : عبد السلام هارون (٣٤: ٣-١٦)، وحاتم الضامن (١٢٢: ٩-٢٢)، وإبراهيم جريس (١٢٤: ٨٩-١٢٥)، وفوق هذه النشرات العلمية المحققة، أضاف علي أبو ملحم نشرة جديدة اعتمدت نشرة عبد السلام هارون أصلاً لها (٩٩: ٢٢٧-٢٣٦).

وفي سياق رصد أشهر النسخ الباقية من أصل الرسالة، يمكن الإشارة المخطوطات المحفوظة ضمن مجموعة الفصول المختارة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥ (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

ولعل من الملاحظ بعد رصد نشرات الرسالة ومخطوطاتها أن الجانب المتصل بنقولها إلى اللغات الأخرى، لم يحظ بما تجدر الإشارة إليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧ – رسالةُ الردِّ على النَّصـارَى .

يَرد عنوان هذه الرسالة بهذه الصورة في أثبات القدامى كابن النديم (٨: ٢١٠)، وياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ)، وابن قاضي شُهبة (١٤). وتتفق نسخها الخطية الباقية على الصورة نفسها (٧٣: ١٢٩ ظ) .

بيد أنّ إشارة الجاحظ إلى هذه الرسالة في صدر الحيوان قد تبدو مُشكلةً إلى حدّ ما، يقول مخاطباً عائب كتبه "كما عُبتَ كتابي في الوعد والوعيد، وكتابي على النصارى واليهود "(١: ٩)، فهل تعني هذه الإشارة أنّ الجاحظ جعل رده على النصارى واليهود في رسالة واحدة أفرغها لهذه الغاية ؟!. الحق أنّ الشواهد التي تحت أيدينا تشير إلى خلاف ذلك تماماً، فنص الرسالة موجه إلى النصارى دون اليهود ، يقول أبو عثمان في فاتحتها : " أمّـا بعد، فقد قرأتُ كتابكم، وفهمتُ ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى ..... " (٣٥: ٣٠٣)، أضف إلى ذلك أنّ الجاحظ لما أشار ثانيةً إلى هذا العنوان في الجزء الرابع من الحيوان اقتصر على لفظ النصارى دون اليهود فقال : " وقد ذكرنا شأنهم في غير ذلك، في كتابنا على النصارى، فإن أردته فاطلبه هناك " (٦: ٢٨). وفضـلاً عن ذلك، فقد ذهب جميع صنعة القوائم إلى التفريق بين الرد على النصارى والرد على اليهود، كما هو واضح عند ابن النديم (٨: ٢١٠، ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٧، ١٠٨)، والصفدي (١٢: ٥٧ ظ).

فهذه الدلائل مجتمعةً تُشير إلى أنّ الجاحظ لم يترك رسالة مُفردةً في رده على النصارى واليهود معاً، بل رسالتين مفردتين تستقل كل واحدة منهما بنفسها، تتولى أولاهما الرد على النصارى، بينما تختص الأخرى بالرد على اليهود، ومن الممكن أن نوجه نص الحيوان، الذي أوحى أن الجاحظ جمع ردوده على النصارى واليهود في رسالة واحدة، توجيهاً ليدل على خلاف ذلك، بضبط لفظ "كتابي" ليدل على المثنى، وفق هذه الصورة " كِتَابَيَّ " .

وبما أن الإشارة إلى الرسالة وردت غير مرة في الحيوان على سبيل الإحالة عليها، فهذا يؤكد أنها وُضعت قبل تأليف هذا الكتاب، أي قبل سنة ٢٣٢هـ. على أن ما بقي من رسالة الفتح بن خاقان إلى الجاحظ ، يُشير إلى أن هذه الرسالة وُضعت بعد حادثة إحراق غَنَّام المرتد في سنة ٢٢٥هـ (٣: ١٠٠)، يقول الفتح مخاطباً أبا عثمان " .... فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة على كتاب الرد على النصارى، وأفرغ منه وعجلْ به إلي، وكن من جدا به على نفسه، تنل مشاهرتك، وقد استطلقتُه لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا ما لم تحتكم به نفسك. وقد قرأتُ رسالتك في بصيرة غنام ، ولولا أني أزيدُ في مُخليتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها، والسلام " (٣: ٩٩–١٠٠). فهذا المقطع من الرسالة يَدل على أنّ رسالة الجاحظ في بصيرة غَنَّام المرتد كانت ماثلةً للعيان في الوقت الذي طلب فيه الفتح بن خاقان إلى الجاحظ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسراع في الفراغ من رسالته في الرد على النصارى، الأمر الذي يُفضي إلى وضع هذه الرسالة في تاريخ لاحق للرسالة المؤلفة في بصيرة غنام المرتد التي أُنشئت على أثر إحراقه بالنار في سنة ٢٢٥هـ (١٣٧: ١٠٣). وهذا القدر من تبين الملابسات يجعل تاريخ رسالة الرد على النصارى محصوراً في نطاق الفترة الواقعة بين سنتي ٢٢٥-٢٣٢هـ، أي في المدّة الأخيرة من خلافة المعتصم ومدة خلافة الواثق.

ولاشك أنّ كتابه ابن خاقان إلى الجاحظ يدعوه إلى إنجاز الرسالة في أسرع ما يمكن، تدل على أنّ الدولة مُمثلةً برجلها الفتح بن خاقان، كانت تطلب إلى الجاحظ الكتابة في مسائل مُلحةٍ ترى ضرورة الإبانة عن وجهة النظر فيها أمام الرعية. ويبدو أنّ الفتح قام بدوره بتقديم الرسالة إلى الخليفة - إمّا المعتصم أو الواثق - ليكون على بينة مما يشبه البيان الرسمي الذي يتولى الجاحظ تحريره، ومما يشير إلى ذلك، قول الفتح بن خاقان مخاطباً أبا عثمان في صدر رسالته المشار إليها "إنّ أمير المؤمنين يجدّ بك، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بُعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إليّ من هذا عنوانه، فزدتك في نفسه زيادة كفَّ بها عن تجشيمك، فاعرف لي هذه الحال ....." (٣: ٩٩-١٠٠) .

ويهمنا قبل الانتقال إلى منحى آخر يُوثق للرسالة، أنّ نقف قليلاً عندما يراه طه الحاجريّ من إضافتها إلى المدة الواقعة بين سنتي ٢٣٣-٢٣٦هـ (٥٣: ٣٥٩-٣٦٦)، وهي المدة التي برزت فيها بعض مخاطر أهل الذمة على الدولة مما دفع الخليفة المتوكل إلى إصدار مرسومه المعروف في سنة ٢٣٥ هـ (١٣٧: ١٧١-١٧٤). والواقع أن ما ذهب إليه الحاجري يُستبعد من عدّة وجوه: أولهما أن الإشارة وردت إلى الرسالة في كتاب الحيوان. وهذا يعني أنها كُتبت قبل سنة ٢٣٢هـ. والثاني أنّ هذه الرسالة أُنشئت في الفترة التي أنشأ فيها الجاحظ رسالته في بصيرة غنام المرتد، ومعروف أن إنشاء هذه الرسالة كان في إطار حادثة إحراق هذا المرتد سنة ٢٢٥هـ، وأخيراً فإنّ نص الرسالة لا يخلو من نزعة مذهبية مُغالية تتمثل بالتشنيع على أهل السنة وغيرهم من الفرق المخالفة للمعتزلة (٣٥: ٣٥١)، وغني عن القول أنّ هذا الاتجاه كان واضحاً في كتابات الجاحظ السابقة لسنة ٢٣٢هـ، بخلاف الفترة اللاحقة للتاريخ المذكور، وهي الفترة التي خرج الأمر فيها من أيدي المعتزلة إلى أهل السُّنة .

ويمكننا بعد هذا القدر من تبين تاريخ الرسالة، تناول الجانب المتعلق بنشراتها وترجماتها ومخطوطاتها. أما ما يتصل بنشراتها فهي تتمثل في النشرة المبتورة المطبوعة على هامش كتاب الكامل الصادر في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٧: ١٤٨-١٨٤) ، تليها نشرة يوشع فنكل المنشورة في القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ=١٩٢٦م (٧٥: ١٠-٣٨). وهي أجود وأوفى من سابقتها،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أنّ نشرة عبد السلام هارون المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م (٣٥: ٣٠١-٣٥١)، تُعد أكثر هاتين النشرتين التزاماً بمقومات المنهج العلمي الصائب، لا سيما من حيث ضبط النصوص ومقابلة نسخها والتعليق عليها. وعن هذه النشرة، أخرج علي أبو ملحم نشرته في بيروت سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م (٩٩: ٢٥٣-٢٨٩).

أما فيما له علاقة بترجماتها إلى الألسنة الأخرى، فلعل من اللافت أنّ تحظى هذه الرسالة بعناية واضحة من هذا الجانب على نحو لم نعهده إلاّ في بعضٍ من جملة آثار أبي عثمان التي سلمت من يد الحدثان. ويرجع أوّل نقول الرسالة إلى سنة ١٣٤٥هـ=١٩٢٧م، إذ تولى نقلها إلى الإنجليزية يوشع فنكل الذي نشرها بالعربية قبل هذا التاريخ بسنة واحدة (٤٣)، ثم أعقب هذه الترجمة ترجمة ريشر إلى الألمانية سنة١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، تلتها ترجمتها الفرنسية على يد آلوشي سنة ١٣٥٨هـ=١٩٣٩م (٤٣). وبالإضافة إلى ذلك نقل شارل بلاّ منتقيات منها إلى الفرنسيّة سنة١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، ولم يلبث أن نقلها هواك إلى الإنجليزيّة (١٢٩: ٨٦-٩١)

وتوجد أشهر النسخ الخطية لبقايا الرسالة ضمن مخطوطات مجموعة اختيارات عُبيد اللّه ابن حسان المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

١٨ - كتابُ الشَّـرابِ والمَشْـرُوب.

بوسع أي مُطلع على عنوان هذا الكتاب أنّ يلاحظ اتفاق الموارد التي أجرت ذكره على صورته المذكورة، ويمكن ملاحظة هذا الأمر عند أصحاب القوائم القدامى : كابن النديم (٨: ٢١٠)، ياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ)، والكتبي (١٣: ١٥٥ ب)، وابن قاضي شهبة (١٤)، وكذا الأمر للمعاصرين من أصحاب القوائم كالسندوبيّ (٣١: ١٣٣)، وبروكلمان (٣٣: ١١٧)، وإمتياز عرشي (٤)، وشارل بلاّ (٤٣)، بالإضافة إلى ما أجمع عليه أصحاب القوائم قديمهم وحديثهم، وقد ورد ذكر صورة العنوان عينها في مخطوطة الرسالة المحفوظة في المتحف البريطاني (٧٣: ٢٦٨ ظ) .

وفي نطاق البحث في تاريخ تأليف الكتاب، يظهر واضحاً للعيان أن الأجزاء الباقية منه تفتقر إلى الإشارة الصريحة بهذا الخصوص، ومع ذلك فيبدو أنّ تاريخه أقرب إلى أن يكون في المدة التي ساد فيها سلطان المعتزلة ، قبل سنة ٢٣٢هـ، والذي يدعو إلى تبني هذا الرأيّ ما يطالعه الدارس في بقايا الكتاب من نزعة مذهبية واضحة يمكن تمثلها في أمرين :

الأول : دفاع الجاحظ عن مسألة تحليل الأنبذة واحتجاجه لها ما وسعته إلى ذلك حيلة، ومعروف أنّ خلافاً عريضاً قام بين المعتزلة وأهل الحديث حول مسألة الحكم الشرعي في هذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشربة، أهو حلال أم حرام ؟. وقد استمر هذا الخلاف في تصاعد طيلة المدة التي أدار فيها المعتزلة شؤون الدولة في عصر المأمون و المعتصم والواثق ، وقد ساق الجاحظ طرفاً من بعض الأحاديث التي كانت تجري في مجلس المأمون حول هذه القضية (٢: ٣٤٢-٣٤٣)، ويبدو أن كتابة الجاحظ عن هذه الأشربة وما جرى حولها ، كان يدور في الإطار الزمني لهذه القضية التي أخذت حدتها تتراجع بعد سنة ٢٣٢هـ، أي بعد أن تولى أهل السُنة شؤون الحكم.

وأما الأمر الآخر : فهو تهجم الجاحظ وحملته الشديدة في هذا الكتاب على أهل الحديث، فمن ذلك قوله " ولِهَجَ أصحابُ الحديث بحكم لم أسمع بمثله في تزييف الرِّجال وتصحيح الأخبار، وإنما أكثروا من ذلك لتعلم حيدهم عن التَفتيش، وميلهم عن التنقير، وانحرافهم عن الصواب" (٣٤: ٢٨٠)، والواقع أنّ هذا النص كافٍ لإضافة الرسالة إلى ما قبل سنة ٢٣٢هـ، لأن استقراء كتابات الجاحظ في هذه الفترة يُثبت أنّه لم يكن يدع سانحة حتى يقع في أهل الحديث بصفتهم خصوم المعتزلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن استقراء مماثلاً لكتاباته بعد سنة ٢٣٢هـ يشير بوضوح إلى أنّه أخر يجاري أهل الحديث بصفتهم ولاة الأمر الجدّد.

ويمكن بعد ذلك الوقوف عند المنحى المتصل بنشراته المختلفة التي تتسلسل في نسقها الزمني على هذا النحو : -

١ - نشرة الفصول المختارة المطبوعة على هامش كتاب الكامل للمبرد (٢٥١:٧٧-٢٦٩)، وهي كغيرها من آثار هذه المجموعة لا تقوم على أساس علمي.

٢ - نشرة السندوبي المطبوعة ضمن الرسائل التي أخرجها سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥: ٢٧٦-٢٨٤)، ويبدو أنّها منقولة من النشرة السابقة.

٣ - نشرة عمر "أبو النصر" (٩٣: ١١٤-١٢٤) وهي مقتبسة من نشرة السندوبي المذكورة.

٤ - نشرة حاتم الضامن ضمن العدد الخاص من مجلة المورد (٦٨)، وهي أول نشرة علمية لبقايا الكتاب .

٥ - نشرة عبد السلام هارون (٣٤: ٢٥٩-٢٨١)، وهي تقترب كثيراً من سابقاتها من حيث احتذاء المنهج العلمي في التحقيق.

٦ - نشرة علي "أبو ملحم" (١٠٠: ٢٧٣-٢٩١)، وهي محض إعادة لنشرة عبد السلام هارون الآنفة .

وفيما يتصل بنقوله إلى اللغات الآخرى، حظيت بعض فقره الباقية بالترجمة إلى الألمانية على يد ريشر (٤٣)، وإلى الفرنسية من قبل شارل بلاّ (٤٣)، وإلى الإنجليزية بواسطة هواك (١٢٩: ٥٢-٥٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد، فإنّ نسخاً خطية من بقايا الكتاب توجد محفوظة اليوم في عدد من المكتبات، لعل أهمها: دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥ (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦) .

١٩ – كتابُ طَبَقَاتِ المُغنيِّـــن .

لم يبق من أصل هذا الكتاب سوى قطعة مقتضبة من مقدمته، وهي تعرض طرفاً من الملابسات التي لابست تأليفه، كما تتضمن إبانة للخُطة التي سار عليها المؤلف في كتابه. ولعل من الملاحظ أن أصول الكتاب المخطوطة تؤثر تسميته بطَبَقات المُغنين (٧٣: ٤٩ ب)، بينما يقتصر أصحاب القوائم القديمة على لفظ المغُنيِّن (٨: ٢١٢، ٣: ١١٠، ١٣: ٥٨ ظ). ومهما يكن من أمر، فإن العنوان الأول يبدو أشد مؤاءمة للغرض الذي عقد الجاحظ الكتاب من أجله، وهو توزيع المُغنين في عصره وفق مقياس نقديٍّ يقوم على أساس الطبقات، فهو يصرح بأنه عمد إلى "تمييز طبقة طبقة منهم، وتسميته أهل كلّ طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا إليها أنفسهم". وقد يكون الجاحظ من أوائل الذين أدخلوا نظام الطبقات إلى جماعةِ المُغنين . أُسوة بما فعله ابن سلام الجمحي في تقسيمه للشعراء .

وأول ما يلفت النظر في هذا الكتاب، أن الجاحظ سَجّل تاريخ السنة التي شهدت تأليفه، فقال : " ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم، إلا من أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام، إذ من خرج عنها ونزع إلى الفتوة بعد التوبة، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين". (٣٥: ١٣٤)، ويكاد يكون هذا التصريح بسنة تأليف الكتاب مميزاً غير معروفٍ إلاّ في عدد يسير جداً من آثار الجاحظ .

وقد أخذت الفصلة التي بقيت من مادة الكتاب، طريقها إلى النشر مرات عديدة، فقد طبعت أول الأمر على هامش كتاب الكامل للمبرد في القاهرة (٧٦: ١٢٠–١٣٠)، ثم أعاد الساسي نشرها في فترة لاحقة (٨٩: ١٨٦–١٨٩). وبقيت هاتان النشرتان وحيدتين حتى أعادت دار النهضة العربية إصدار نشرة الساسيّ من جديد (٩٨: ١٨١). وفي أواخر السبعينات ظهرت نشرتان علميتان محققتان، أظهر الأولى حاتم الضامن (٦٨)، والثانية عبد السلام هارون (٣٥: ١٢٩–١٣٦)، وبالاتكاء على النشرة الأخيرة أصدر علي أبو ملحم نشرته الجديدة في بيروت في السنوات القليلة الماضية (١٠٠: ٢١٥–٢٢٤). وبالإضافة إلى هذه النشرات، ذكرتْ هدى بهنام أنّ نشرةً أخرى ظهرت في المجلد الثاني من مجلد " المنتقد" بعنوان الغناء والمغنون والصنعة (٤٥)، بيد أن اللافت للنظر أنّ هذا العنوان يقترب إلى حد ما من عنوان أحد كتب الجاحظ وهو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي تذكره بعض القوائم باسم المقينين والغناء والصنعة (٨: ٢١١، ٣: ١٠٨، ١١٢: ٥٧ ظ)، وبعضها باسم المُغنين والغناء والصنعة (٣١: ١٤١).

وفي المقابل، عُني ريشر بنقل قطعة من أصل الكتاب إلى الألمانية سنة ١٣٥٠هـ= ١٩٣١م (٤٣)، كما ترجم بلاّ أجزاء منها إلى الفرنسيّة سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، وعنه نقلها هواك إلى الإنجليزيّة (١٢٩: ١٢٤-١٢٥).

وفي نطاق رصد النسخ الخطية الباقية لما وصل إلينا من أصل الكتاب، يمكن الإشارة إلى المخطوطات المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهريّة (٣٥ (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبوسراي (٦٦).

٢٠ - كتابُ العَبّاسيّـة .

وردت إشارة الجاحظ إلى هذا الكتاب في غير موضع من آثاره الباقية، فقد ذكر بدءاً أنه سيشرع في تأليفه بعد الفراغ من العثمانية يقول " وسنخبرُ عن مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة العثمانية" (٥٠: ١٨٧)، ثم عاد إلى إدراجه ضمن قائمة كتبه التي عدّها في فاتحة الحيوان (١: ١٢)، على أنّ أهمية هاتين الإشارتين تتبع بالدرجة الأولى من جدواهما في الاقتراب من تاريخ وضع الكتاب إلى حدّ مقبول تماماً. وبما أن الجاحظ أشار إلى كتابه في صدر الحيوان، فهذا يعني أنّ تاريخه يُضاف إلى المدّة قبل سنة ٢٣٢هـ، السنة المقاربة التي فرغ فيها الجاحظ من تأليف الحيوان، ويبدو أنّ وضع كتاب العباسية لا ينأى عن هذا التاريخ كثيراً، شأنه في ذلك شأن الرسالة العثمانية التي أنشئت قبله .

وإذا ما رُحنا نتلمس أثارات القُدامى إلى الكتاب، فوجئنا بعدم ورود ما يُشير إليه في الأثبات التي أحصت تراث الجاحظ . ولا يطالعنا بعد ذلك سوى ما أشار إليه أبو الحسين الخياط في سياق حكايته قول ابن الراوندي (٢١٤: ١٢٣)، بالإضافة إلى ما أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٢٣٧: ٩٨). والحق أن سكوت أصحاب الأثبات عن ذكر الكتاب، مع ما كان يُتوقع من حرصهم على ذكره ، نظراً لأهميته وخطره المتوقعين، أمر يثير الانتباه ويدعو إلى النظر !! .

ويبدو من التفحص الدقيق لجريدة العنوانات التي يسردها أصحاب هذه الأثبات، أنّ كتاب إمامة بني العباس (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧) يُعد أقرب العنوانات المذكورة إلى كتاب العباسية . ولكن هل ثمة دليل أو شاهد يُستند إليه في عدّ إمامة بني العباس والعباسية كتاباً واحداً شُهر بغير عنوان؟. الواقع أنّ ما ذكره المسعودي في صفة كتاب إمامة بني العباس يمكن أنّ يكون له أهميته في هذا السياق ، فهو يقول في إطار حديثه عن كُتب الروافد شيعة بني العباس : - "ومنها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ، وهو المُترجم بكتاب إمامة ولد العباس، يحتج فيه لهذا المذهب، ويذكر فعل أبي بكر في فَدَك وغيرها، وقصته مع فاطمة رضى الله عنها ومطالبتها بإرثها من أبيها صلى الله عليه وسلم، واستشهادها ببعلها وابنيها وأم أيمن، وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة، وما كثر بينهم من المنازعة، وماقالت وما قيل لها عن أبيها صلى الله عليه وسلم من أنه قال : " نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نُورث" وما احتجت به من قوله عز وجلّ " وورث سليمان داود"، على أنّ النبوة لا تورث ولم يبق إلا التوارث وغير ذلك من الخطاب " (٢٠١: ٧٦).

ومجمل وصف المسعودي لمادة الكتاب تنطبق تماماً على القطعة الباقية منه في كتاب شرح نهج البلاغة (٢٣٧: ٩٨-٩٩)، إذ يطالعنا حديث عن قضية ميراث رسول الله صلى اللّه عليه وسلم، وما جرى من مطالبة فاطمة أبا بكر حقها في ميراث أبيها، وما كانت حُجة أبي بكر عليها، وما كان ردها عليه، إلى آخر تفصيلات هذه المسألة . ولعله أصبح من الواضح أن مطابقة كلام المسعودي للنص الباقي من أصل الكتاب، هو ما يدعو إلى جعل إمامة بني العباس عنواناً آخر لكتاب العباسيّة، وهو ما يرى طه الحاجريّ خلافه، دون الاستناد إلى ما من شأنه تأييد ما ذهب إليه (٥٣ : ١٩٣) .

لقد سبقت الإشارة إلى أنه لم يبقَ من هذا الكتاب سوى بقايا قليلة حفظها ابن أبي الحديد في كتابه (٢٣٧: ٩٨-٩٩)، وهي البقايا التي نشرها السندوبي ضمن رسائل الجاحظ (١١٥: ٣٠٠-٣٠٣)، وقد أعاد علي أبو ملحم نشر هذه البقايا- عن نشرة السندوبيّ - في مجموعة الرسائل السياسية (١٠١: ٤٦٥-٤٧٠) .

ونقل شارل بلاّ هذه البقايا إلى لغته الفرنسيّة سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، ثم أعقبه هوالك فنقلها إلى الإنجليزية بعد فترة وجيزة من ترجمتها الأولى (١٢٩: ٥٦-٥٨) .

٢١ - كتابُ العَرَبِ والمَوَالِي.

وردت الإشارة صريحة إلى عنونةِ هذا الكتاب باسم العرب والموالي في كتابين للجاحظ هما: الحيوان (١: ٥)، والبرصان والعرجان (١٥٦: ٤٠٥). ويبدو أن هذا الكتاب ينطوي في دائرة الكُتب التي قصدها الجاحظ في سياق خطابه أبا الوليد بن أبي دؤاد بقوله : " وقد كتبتُ - مدّ الله في عمرك - كُتباً في مفاخرة قحطان، وفي تفضيل عدنان، وفي ردّ الموالي إلى مكانهم من الفضل والنقص، وإلى ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف " (١٠: ٢٢). ومع أنّ الجاحظ صرح بالصورة الأصيلة لعنوان الكتاب على النحو المشار إليه آنفاً ، إلا أن بعض من تصدى لذكر الكتاب أو النقل منه بعد عصر الجاحظ، تصرفوا في صورته دون ما يدعو إلى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك، فهو يرد عند ابن عبد ربه الأندلسي تارة باسم الموالي والعرب (٢٣: ٤١٦)، وأخرى بالاقتصار على لفظ الموالي (٢٣٨: ٧٧). وأما صاحب الفرق بين الفرق (١٧: ١٧٧)، ومن بعده التبصير في الدين (١٨: ٥٠)، فإنهما يتفقان على رسم جديد للعنوان صورته : فضل الموالي على العرب . ويبدو أن العنوان على هذه الصورة ينأى كثيراً عن مقصود الجاحظ من كتابه .

وفي ضوء مجيء الإشارة إلى اسم الكتاب في صدر الحيوان، فإنّ هذا يتضمن إضافته إلى مؤلفات الجاحظ الواقعة في نطاق المدة قبل سنة ٢٣٢هـ. وإذا ما صح انطواء الكتاب في عداد الكتب التي أشار إليها الجاحظ في النص الآنف من رسالته النابتة، فإنه يمكن النزول بهذا التاريخ إلى نحو سنة ٢٢٣ هـ، وهي السنة التي يدور في فلكها إنشاء رسالة النابتة الموجهة إلى أبي الوليد بن أبي دؤاد. وواضح من سياق النص المشار إليه أنّ الكتب التي ذكر الجاحظ موضوعاتها كانت ماثلة للعيان حين قدّم رسالة النابتة إلى ابن أبي دؤاد.

ولعل من الناقلة القول، في هذا الإطار ، أنّه لم يسبق نشر شيء من هذا الكتاب سوى مقتطفات منه أودعها ابن عبد ربّه كتابه العقد (٢٣: ٤١٦، ٢٣٨: ٧٧). ومع أنّ جمهرة المعاصرين يدرجون الكتاب في قائمة تراث الجاحظ الضائع، إلاّ أنّ الشاهد البوشيخي يذكر أنّ نصوصاً مخطوطة من مادة الكتاب تُوجد على هامش نسخة البيان والتبيين المحفوظة في خزانة مكتبة القرويين بفاس (٥٦). والحق أنّه لم يتح لي الحصول على هذه المخطوطة ، على الرغم من طلبي إياها غير مرة عن طريق مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية .

٢٢ – كتابُ العُرُسِ والعَـرائس .

تعود أقدم الإشارات، التي أمكن الاهتداء إليها، إلى عنوان هذا الكتاب إلى ما أورده حاجي خليفة في كشف الظنون (٢٥: ١٤٣٨)، إذ نص على عنوان الكتاب وأسنده إلى الجاحظ، وقد تولى نقل هذه الإشارة عن صاحب الكشف إسماعيل البغدادي في كتابه هدية العارفين (٢٧: ٨٠٣). ومع أنّ بروكلمان يستند في ذكره للكتاب إلى إشارة صاحب الكشف أيضاً، إلاّ أنّه يورد العنوان وفق صورة تباين الصورة الأولى بعض الشيء، والصورة هي العُرس والعروس (٣٣: ١١٥) ومع أن هذه الصورة لا تخلو من تحريف بيّن، إلاّ أنّ عدداً من أصحاب القوائم الذين صدروا عن قائمة بروكلمان ، أخذوا الصورة على ما هي عليه دون التنبه إلى حقيقة التحريف الطارىء عليها، ولعل أبرز هؤلاء : محمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٣٠٠)، وهدى بهنام (٤٥).

وقد ذكر شارل بلاّ أن مختارات من هذا الكتاب توجد محفوظة اليوم في مكتبة أحمد الثالث (٤٣)، وقد حاولت جاهداً في سبيل الحصول على مصورة لهذا المخطوط ، بيد أنني لم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتلقّ جواباً من القائمين على المكتبة بهذا الشأن. ولما وجدتُ بروكلمان قد أشار إلى مخطوطة أخرى محفوظة في جوتا (٣٣: ١١٥)، توجهت بكتاب خطي إلى القائمين على المكتبة المذكورة طالباً الحصول على نسخة مصورة للمخطوطة، ولم تمضِ سوى فترة قصيرة حتى وصلت إلى رسالة جوابية تفيد أنّ المخطوطة المشار إليها ليست من مقتنيات المكتبة .

٢٣ - كتابُ فَرقِ ما بينَ هَاشمٍ وعبدِ شَمْس .

هذا هو عنوان الكتاب حسبما جاء في إشارة الجاحظ إليه، يقول : " وعبتني بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس " (١: ٦). وذكر ابن النديم عنواناً آخر قريباً منه، وهو فرق ما بين عبد شمس ومخزوم (٨: ٢١٠-٢١١)، بينما ذكر ياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ) صورة أخرى هي الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم . وقد نشر السندوبي بقاياه باسم فضل هاشم على عبد شمس (١١٥: ٦٧)، اقتباساً من قول ابن أبي الحديد في تقديمه لمختاراتٍ من الكتاب: "وينبغي أن نذكر في هذا الموضع فضل هاشم على عبد شمس في الجاهلية، وقد يمتزج بذلك بعض ما يمتازون به في الإسلام أيضاً، فإن استقصاءه في الإسلام كثير، لأنه لا يمكن جحد ذلك، وكيف والإسلام كله عبارة عن محمد صلى الله عليه وسلم وآله، وهو هاشمي، ويدخل في ضمن ذلك ما يحتج به الأموية أيضا فنقول إن شيخنا أبا عثمان قال : " إن أشرف خصال قريش في الجاهلية ..... " (٢٠٢: ٤٥٢) وواضح أنّ كلام ابن أبي الحديد لا يحمل ما يُشير صراحةً إلى أنّ فضل هاشم على عبد شمس هو عنوان هذا الكتاب .

وبقايا الكتاب التي احتفظ بها ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة (٢٠٢: ٤٥٢-٤٩٠)، تتضمن غير إشارة لها شأنها في تعيين تاريخ دقيق للمدة التي أُلف الكتاب فيها، ولعل أهم هذه الإشارات تلك التي ورد فيها ذكر الخليفة الواثق، يقول: "ولبني هاشم: هارون الواثق بن محمد بن هارون الرشيد ..... " (١١٥: ٧٦)، ويقول في موضع آخر : " وقد سمعتم ما ذكره الناس من جمال السفاح وحسنه وكذلك المهدي، وابنه هارون الرشيد، وابنه محمد بن زبيدة، إلى الواثق" (١١٥: ١٠٨). وفي هذين النصين دلالة واضحة على أنّ تاريخ الكتاب يقع في المدة بعد وفاة المعتصم وولاية الواثق للخلافة ، أي بعد يوم الأربعاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين (١٣٧: ١٢٣)، ومما قد يؤيد ذلك قوله "وتفتخر عليهم بنو هاشم بأن سِني ملكهم أكثر، ومدته أطول، فإنه قد بلغت مدة مُلكهم إلى اليوم أربعاً وتسعين سنة " (١١٥: ٧٧). فإذا ما علمنا أنّ قيام مُلك العباسين الفعلي كان في حدود سنة ١٣٢هـ، وأنّ الجاحظ وضع كتابه بعد أربع وتسعين سنة من هذا التاريخ ، فإنّه يمكن عدّ سنة ٢٢٧هـ تاريخاً دقيقاً وضع فيه الجاحظ كتابه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أتيح لبقايا الكتاب أن تنشر غير مرة، فقد نشرها السندوبي لأول مرة في الرسائل التي أخرجها سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥: ٦٧-١١٦) ونقلها عنه عمر أبو النصر (٩٣: ١٩٣-٢٤٠)، وعلي أبو ملحم (١٠١: ٤٠٩-٤٦٤). وفي نطاق النقول إلى اللغات الآخرى، ترجم شارل بلاّ مقتطفات من بقايا الكتاب إلى الفرنسيّة (٤٣)، ونُقلت هذه المقتطفات عينها إلى الإنجليزيّة (١٢٩: ٥٨-٦٢).

* رسالةُ فَضْلِ اتخَاذِ الكُتب (؟) .

إنّ صحّ أنّ نُسمي هذه القطعة من كلام الجاحظ "رسالة" فهي تمثل نموذجاً للخلط والتلاعب الذي طرأ على كثير من عنوانات من آثار الجاحظ، فهي تُعرف تارة فضل اتخاذ الكُتُب (٣: ١٠٨)، وأخرى فضل إيجاد الكتب (٨: ٢١١)، ولعله تحريف، وأما أصولها الخطية فهي تؤثر أن تسميها مدح الكتب والحث على جمعها (٢٣٩). والعنوان الذي اخترت هو أقدم هذه العنوانات. وأمّا القطعة التي نُشرت على أنّها أثر قائم بذاته ، فلا تعدو أنّ تكون طرفاً من حديث الجاحظ عن الكتب والكتابة في صدر كتابه الحيوان، والمتتبع لنصها لا يجد فيه أي زيادة عما ورد في نص الحيوان، إلاّ ما جاء من اختلافات النسخ وفروقها، وهذا أمر طبيعي .

والقطعة بَعدُ ليست إلا جزءاً من كتاب الحيوان، ولا يمكننا أنّ نضيفها إلى جملة آثار الجاحظ التي تقوم بنفسها. ويبدو أنّ أحد وراقي القرن الرابع أو الخامس، تهيأ له الاطلاع على الحيوان ، فراح يسلخ منه هذا النص، مُسقطاً الاستطرادات التي كان يبثها أبو عثمان بين موضوعاته. ويبدو أنّ ما أشاعه أبو عثمان من جمال وتفنن في حديثه عن وصف الكتاب، هو ما أغرى ذلك الوراق فجمع هذا الحديث إلى بعضه وخلصه من الحيوان ، ليكون أشبه بنموذج يقتفيه الناشئة .

وليس أدل على أنّ هذه القطعة مُستلة من الحيوان كونها تباين البنية الفنية المعهودة في الرسائل التي تركها أبو عثمان، فالكلام فيها يبتدىء فجأة على هذه الشاكلة : " قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لعائب عليه كتبه ..... " (٢٣٩)، ويُختتم نصها بحديث لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم (٢٣٩). وهذا النمط من الفواتح والخواتيم لا يُضارع شيئاً من الأساليب التي جرى عليها أبو عثمان في مطالع رسائله وأعجازها، وهذا يعني أنّ البناء الفني لهذه القطعة لا يجري على النحو المتبع في رسائل الجاحظ، وهذا وحده كافٍ لردّ هذه القطعة إلى مكانها الحقيقي في كتاب الحيوان.

وأما ما ذكره إبراهيم السامرائي من أنّ الجاحظ كَتَبَ هذه "الرسالة" ثم عاد إليها في كتاب الحيوان ينقلها، فيضيف إليها تارة، وينقص منها أخرى، ويفصل بين أجزائها بموضوعات لا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتصل بموضوعها (٢٣٩)، فأمر يعسر القطع به ما لم تقم قرائن نصيّه تثبت ذلك، أضف إلى ذلك أن إغراء الجاحظ بالتكرار غير كافٍ أبداً لتأكيد هذا الزعم .

وقد نُشرت هذه القطعة نشراً مستقلاً غير مرة، فقد صدرت بدءاً في برلين سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، ثم في إستانبول سنة ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م (٤٣)، وكانت آخر نشراتها وأجودها تلك التي حققها إبراهيم السامرائي في مجلة المجمع العلميّ العراقيّ سنة ١٣٨١هـ=١٩٦١م (٢٣٩).

٢٤ – رسالةُ فَضيلةِ صِنَاعةِ الكَلام.

ترد هذه الرسالة مرة بهذا الاسم كما في أصولها الخطية (٧٣: ٢٦٠ ظ) ، ومرة أخرى باسم صناعة الكلام كما هو الحال عند ابن النديم (٨: ٢١٠)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ) والكتبيّ (١٣: ١٥٤ ظ). على أنّ هذه الصورة تحرفت في بعض هذه الأثبات إلى صياغة الكلام (٣: ١٠٧). وبالإضافة إلى هاتين التسميتين ذكر المسعودي الرسالة باسم تفضيل صيغة الكلام، وأضاف يقول: " وهي الرسالة المعروفة بالهاشمية" (١٣١: ٢١٩). والحق أنّه لا يوجد تحت أيدينا وجه نوجه به قول المسعوديّ إنّ هذه الرسالة هي عينها المعروفة بالرسالة الهاشمية . وعلى أية حال ، فإنّ الذي يدعو إلى تقديم العنوان الأول : فضيلة صناعة الكلام، أمران هما: اتفاق مخطوطات الرسالة على هذه الصورة، وإشارة الجاحظ إلى ما يدنو منها في صدر رسالته، يقول " ذكرتَ – حفظك اللّه – تفضيلك صناعة الكلام ..... " (٣٤: ٢٤٣).

والرسالة – كما يبدو من مقدمتها – موجهةٌ إلى أحد كبار المعتزلة المختصين بمذهب أبي اسحاق النظّام، وهو ممن ناظر عن المعتزلة أمام الفرق الأخرى كالرافضة والمرجئة والجبرية والحشوية والمشبهة وغيرهم، وقد وقف هذا الرجل – كما يقول الجاحظ – للعوامّ. "ورغب بنفسه عن تقليد الأغمار والحَشوة ، كما رغب عن ادعاء الإلهام والضرورة ، ورغب عن ظُلم القياس بقدر رغبته في شرف اليقين " (٣٤: ٢٤٣–٢٤٤). وهذه الصفات إذا ما عُرضت على أشهر رجال المعتزلة الذين اتصل بهم الجاحظ، فإنّها ألصق ما تكون بشخص القاضي أحمد ابن أبي دؤاد، شيخ المعتزلة آنذاك، وصاحب فتنة القول بخلق القرآن في زمن المأمون والمعتصم، فابن أبي دؤاد أكبر تلاميذ النظّام، وهو أشهر من نافح عن المعتزلة وتصدى للفرق المذكورة آنفاً، وهو فوق ذلك معروف بموقفه من العامة المقلّدة، وما كان يدعو إليه من الاجتهاد وتحكيم العقل .

وإذا ما وافقت الصحة هذا الافتراض الذي يؤيده تسليط كلام الجاحظ في فاتحة رسالته على ما هو معروف عن شخص القاضي ابن دؤاد وسيرته، فإنّ تاريخ كتابة الرسالة يندرج في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدة قبل الأخيرة من خلافة المعتصم من ٢١٨- ٢٢٥هـ، وهي المدة التي توثقت فيها عُرى الصداقة بين الجاحظ وعامة آل دؤاد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك غير مرة .

وفيما له علاقة بنشرات الأجزاء الباقية من أصل الرسالة يمكن الإشارة إلى النشرة المطبوعة على هامش كتاب الكامل في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٧: ٢٣٨-٢٤٦) ، تليها يحيى الجبوري في العدد الخاص من مجلة المورد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م (٦٨)، فنشرة عبد السلام هارون في المدة نفسها (٣٤: ٢٤١-٢٥٠)، وأخيراً نشرة علي "أبو ملحم" في بيروت سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م (٩٩: ٥١-٦٠)، ولاريب أنّ هذه النشرات لا تستوي جميعها في القيمة والأسلوب، فإذا ما شئنا ترتيبها وفق قيمتها العلمية، فإنّه يمكن وضع النشرتين الثانية والثالثة في الترتيب الأول؛ لجريانهما مع ما تقتضيه الأساليب العلمية في تحقيق النصوص ونشرها .

وأما فيما يختص بجانب النقل إلى اللغات الأخرى ، فقد حظيت أطراف من بقايا الرسالة بالترجمة إلى ثلاث لغات هي : الألمانيّة (٤٣) والفرنسيّة (٤٣)، والإنجليزيّة (١٢٩: ٣٢-٣٣).

وفي آخر هذه الجوانب التوثيقية، تجدر الإشارة إلى أشهر النسخ الخطيّة الباقية ، وهي المحفوظة في دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

٢٥ - كتابُ القُضَاةِ وَالوُلاة .

بقيتْ من هذا الكتاب الذي وردت الإشارة إليه عند أصحاب القوائم (٨: ٢١٢، ٣: ١١٠) قطعة - لم يسبق نشرها - ضمن مخطوطة كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ المحفوظة في برلين (٦٣: ٧٣ ب-٨٦ب) .

وترد في هذه القطعة إشارة إلى تولي أحمد بن أبي دؤاد منصب قاضي القضاة في سياق الحديث عن الماضي (٦٣: ٧٣ظ)، كما وردت إشارة أخرى إلى وزارة محمد بن عبد الملك الزيّات بصيغة الماضي أيضاً (٦٣: ٧٣ ظ-٧٤ب). وهاتان الإشارتان تشيران بوضوح إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد سنة ٢٣٣هـ، أي بعد مقتل الوزير ابن الزيات في السنة المذكورة. ويبدو أنّ وضع الكتاب كان في أواخر حياة الجاحظ، حين علت به السن وتقدم به العمر .

٢٦ - كتابُ اللُصُـــوص .

لم يبقَ من أصل هذا الكتاب الذي أشار إليه الجاحظ في كتابي الحيوان (١: ٣)، والبخلاء (١٣٩: ١)، سوى مُقتبسات مُتناثرة في بطون الكتب، لعل أوضحها دلالةً على مضمون الكتاب تلك التي احتفظ بها الجاحظ في ثنايا كتابه الحيوان (١: ٣٦٦-٣٦٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد صرح الجاحظ بغير تسمية لهذا الكتاب، فهو يذكره تارة باسم حيل اللصوص(١: ٣)، وأخرى باسم تصنيف حيل اللصوص (١٣٩: ١)، ومرة ثالثة باسم اللصوص (١: ١٥٦). وقد قدمتُ التسمية الأخيرة على غيرها، لاتفاق أصحاب الأثبات القدامى كابن النديم (٨: ٢١٠)، وياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ظ)، والكتبي (١٣: ١٥٤ ظ)، وابن قاضي شهبة (١٢٤) على صورتها.

وواضح من إشارة الجاحظ في البخلاء : "ذكرتَ -حفظك الله- أنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سُراق الليل .... " (١٣٩: ١)، أنّ كتاب اللصوص كان ماثلاً للعيان قبل تأليف كتاب البخلاء وهذا يدعو إلى ضم هذا الكتاب إلى المؤلفات التي وضعها أبو عثمان قبل قبل سنة ٢٢٥ هـ، وهي السنة التي تبدأ من عندها المدة المقاربة التي ألف أثناءها كتاب البخلاء .

٢٧ – رسالةُ مَدْحِ التُّجـــارِ وذمِّ عملِ السُـلطان .

ليس بين أيدينا من مادة هذه الرسالة التي أضرب القدماء عن ذكرها سوى قطعة مقتضبة حفظها عُبيد الله بن حسان فيما حفظ من مجموعة الفصول المختارة من كتب الجاحظ، وفيما يتعلق بعنوانها، فقد ذُكر صراحةً بهذه الصورة : مدح التجار وذم عمل السلطان في مخطوطة الرسالة (٧٣: ٢٦٥ ظ)، وبه صدرت نشراتها ما عدا النشرة التي آثرت عنواناً يقترب من سابقه وهو مدح التجارة وذم عمل السلطان (٧٧: ٢٤٦)، وتابع هذه النشرة عبد السلام هارون (٣٤: ٢٥١)، على الرغم من مباينة هذه الصورة الصورةَ الواردة في الأصول المخطوطة التي نشر عنها .

والقطعة الباقية من أصل الرسالة لا تبتعد كثيراً عن أكثر الآثار التي وصلت إلينا مبتورة، فهي تفتقر إلى ما من شأنه المضي في تلمس تاريخ مُقارب للمدة التي شهدت ولاة هذا الأثر من آثار أبي عثمان. وإذا كان النظر الداخلي في بقايا الرسالة لا يُقدم شيئاً ذا بال فيما يتعلق بمسألة التوصل إلى تاريخ كتابتها، فإنّ النظر الخارجي لا يعدو أن يكون مماثلاً كذلك، ومع أنّ وضع البحث في زمن إنشاء الرسالة يبدو متعثراً من غير جانب ، إلاّ أنّ طه الحاجري مضى في افتراض ملابسات تبدو بعيدة جداً بغية وضع الرسالة في نسق زمني بين جملة الآثار التي تناولها في دراسته عن الجاحظ. ووفق ما افترضه الحاجري من ملابسات، فإنّ الرسالة كانت موجهةً إلى الردّ على خصوم الوزير ابن الزيات الذين كانوا يُعرضون بأصله وبالتجارة التي نشأ فيها (٥٣: ٢٨٤-٢٨٥). وقد أفضت هذه الملابسات المفترضة إلى إضافة الرسالة إلى ما كتبه الجاحظ في نطاق المدة الأخيرة من دولة المعتزلة ، أي في خلافة الواثق من سنة ٢٢٧-٢٣٢هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهما يكن من أمر، فالذي يبدو أنّ إنشاء الرسالة كان قبل سنة ٢٣٢هـ، لما يظهر في بقاياها من التعريض "بالحشوة من أتباع السلطان" (٣٤: ٢٥٤)، وهو يقصد بذلك أولئك الذين امتحنتهم المعتزلة في المدة التي تملكوا فيها .

وعند تناول الجانب التوثيقي الأخير ، يمكن الإشارة إلى تعدد نشرات القطعة الباقية من أصل الرسالة، وتعود أقدم هذه النشرات إلى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م، حين نُشرت على هامش كتاب الكامل في القاهرة (٧٧: ٢٤٦-٢٥١)، ثم أعقبها نشرة الساسي في السنة اللاحقة (٨٩: ١٥٥-١٦١) وعن هذه النشرة ظهرت في بيروت نشرة أخرى سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م (٩٨: ١٤١-١٤٦). والملاحظ أن فصلاً من رسالة المعلمين ألحق خطأً بهذه النشرات جميعاً على نحو أوهم أنّه جزء من صُلب الرسالة. وفي مقابل هذه النشرات الثلاث ، ظهرت نشرة حاتم الضامن سنة ١٣٩٨ هـ=١٩٧٨م (٦٨)، وتبعتها نشرة عبد السلام هارون في السنة اللاحقة (٣٤: ٢٥١-٢٥٨) وعن هذه النشرة صدر علي أبو ملحم في نشرته المطبوعة في بيروت قبل سنوات (١٠٠: ٢٣٧-٢٤٤). على أن نشرتي الضامن وهارون هما -بحق- أكثر هذه النشرات التزاماً بالمنهج العلمي في النشر والتحقيق .

وفي مجال ترجمتها عن العربية، ، نهض ريشر بنقل القطعة الباقية من الرسالة إلى الألمانية ضمن مجموعته المنشورة في مطلع الثلاثينات (٤٣)، ومن عنده نشر شارل بلاّ مختاراً من بقايا الرسالة في باريس سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣)، وفي فترة قريبة لاحقة نقل هواك هذا الاختيار إلى الإنجليزية (١٢٩: ٢٧٢-٢٧٣).

وتوجد نسخ من بقايا الرسالة محفوظة ضمن فصول عبيد اللّه بن حسان المخطوطة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

٢٨ - كتابُ المسَـــائِلِ والجَوابَاتِ في المَعْرِفَـــة .

ليس في قائمة كتب الجاحظ كتاب عنوانه المسائل والجوابات في المعرفة، وإنمّا الملاحظ أنّ أبا عثمان جعل هذا العنوان عنواناً لكتابين هما : الجوابات والمسائل، يقول في صدر الحيوان: " ثم عُبت جملة كتبي في المعرفة والتمست تهجينها بكل حيلة وصغرت من شأنها، وحططت من قدرها، واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها، فعبت كتاب الجوابات، وكتاب المسائل .... " (١: ٩). وإلى مثل ذلك يذهب أصحاب القوائم القديمة فهم يُميزون بين عنوانين هما : كتاب جوابات كتاب المعرفة، وكتاب مسائل كتاب المعرفة. ويمكن تبين هذا الأمر في ثبت ابن النديم (٨: ٢١٠)، وياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ب)، والكتبي (١٣: ١٥٤ ظ)، وابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قاضي شُهبة (١٤)، ويبدو أنّ الجاحظ قام في وقت لاحق بضم كتاب الجوابات إلى المسائل وأفردهما في كتاب واحد هو المسائل والجوابات في المعرفة، وهو الكتاب الذي بقيت منه فصول ضمن مجموعة اختيارات عبيد الله بن حسان، وتُجمع سائر الأصول الخطية لهذه المجموعة على تسمية الكتاب وفق الصورة المذكورة (٧٣: ١٧٥ ب) .

وبما أنّ الإشارة وردت إلى هذا الكتاب بصورة ما في سياق التقديم لكتاب الحيوان، فهذا يعني أنّ تأليفه -على الصورة الأولية- كان سابقاً لتأليف الحيوان، وهذا يدعو إلى جعل الكتاب من نتاج المدة التي تقدمت سنة ٢٣٢هـ، وهي السنة التي قدّم فيها أبو عثمان كتاب الحيوان إلى الوزير ابن الزيات. ومما يؤيد هذا النظر أنّ الكتاب يتناول إحدى أهم المسائل الكلامية التي اشتجرت حولها عقول مفكري المعتزلة في تلك المدة التي شهدت قيام دولتهم، فبعد أنّ يعرض أبو عثمان أشهر أطروحات شيوخ مذهبة حول ما يتعلق بالمعرفة، أهي اضطرارية أم مكتسبة؟. تجده يتصدى لهذه الأطروحات بالنقد والمناقشة حتى ينتهي الأمر به إلى رأي خاص يذود عنه. ولا شك أن مثل هذا الاتجاه الذي يُعنى بعرض الآراء وتمحيصها والوقوف منهما موقفاً محدداً، هو أثر من آثار الدور المعتزلي بما ساده من نزاعات الجدل والنقاش والكلام. والحق أن المتتبع للمسار التأليفي عند الجاحظ بعد فترة الاعتزال، يجد أن انحرافاً واضحاً أصاب هذا المسار تمثل بالابتعاد التدريجي عن مسائل الخلاف مع أهل السنة مع الاتجاه إلى الافتنان في موضوعات أقرب إلى الأدب منها إلى الكلام .

وفيما له صلة بنشراته فقد ظهرت حتى الآن أربع ، هي على التوالي :

١ - نشرة شارل بلاّ في مجلة المشرق سنة ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م (٢٤٠)، وهي نشرة علمية جيدة تتأسى بأصول الإخراج العلمي الصحيح .

٢ - نشرة عبد السلام هارون سنة ١٣٩٩ هـ=١٩٧٩م (٣٤: ٤٧-٦٥)، وهي أجود من سابقتها.

٣ - نشرة حاتم الضامن سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩ (٦٨)، وهي تقترب من سابقتها كثيراً.

٤ - نشرة علي "أبو ملحم" (٩٩: ١٠٧-١٢٣)، وهي إعادة لنشرة هارون المشار إليها .

أمّا نقوله إلى غير العربية ، فقد نقل شارل بلاّ مقتطفات منه إلى الفرنسية (٤٣)، ولم تستقر هذه المنتقيات يسيراً حتى تسنى نقلها إلى الإنجليزية (١٢٩: ١٧٧-١٧٨) .

وفيما يتعلق بمخطوطاته، يمكن الإشارة إلى نُسخة ضمن مجموعة الفصول المختارة محفوظة في: دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٩ – رسالة المُعَلِّميـــن .

هذا هو عنوان الرسالة حسبما ورد في مخطوطاتها (٧٣: ٨ ظ)، ووفق ما ذكره أصحاب الأثبات القديمة كابن النديم (٨: ٢١٠)، وياقوت (٣: ١٠٧)، والصفديّ (١٢: ٥٧ ظ)، والكتبي (١٣: ١٥٥ ب)، وابن قاضي شهبة (١٤). وقد ذكر الخوانساري في كتابه روضات الجنات عنواناً آخر صورته : نُدمة المعلمين (٢٤٠: ٣٢٧)، مُخالفاً بذلك الصورة المُجمع عليها في أصول الرسالة الخطية وعند أصحاب القوائم ، ومن عنده أورد الأبشيهي ما مفاده أن الجاحظ ألف كتاباً في نوادر المعلمين، ثم عزم على تقطيعه ، بيد أنّ نادرةً حدثت له مع أحد المعلمين، دعته إلى إبطال ما عزم عليه، وإبقاء ذلك الكتاب كما هو (٢٤١: ٢٤٢-٢٤٣) . وهذا القول ، إن كان صحيحاً، فإنه لا يتعلق بالرسالة التي نحن بصددها ، لأن الجاحظ جعل وَكْدَه في هذه الرسالة الدفاع عن المعلمين والرد على خصومهم، وأما كتابه في نوادر المعلمين –إن كان وضعه حقاً – فهو يقف في الجانب الآخر لما اختصت به هذه الرسالة .

ويُلاحظ القارىء على نحو واضح أنّ الفصول الباقية من مادة الرسالة، لا تختلف كثيراً عن غيرها من الآثار المبتورة، فهي تخلو من إشارة أدبية أو تاريخية تقدم شيئاً من شأنه التوصل إلى زمن إنشائها، لكن – مع هذا – فنحن أقرب إلى تصنيفها ضمن جملة الآثار التي وضعها الجاحظ بعد زوال سلطان المعتزلة ، حين تقدمت به الأيام، فراح يتناول عدداً من طوائف المجتمع، بعد أن استوت تجربته في الحياة على خير ما يكون. ويبدو أنّ الكتابة عن المعلمين كانت لا تتخطى هذا الإطار إلا قليلاً، فالجاحظ بدأ حياته مُعلماً وسايرته هذه المهنة أمداً طويلاً حتى تسامى في الخالدين، فلا عجب – إذن –من تقديم خلاصة تجربته الطويلة بعد أن اكتملت. ووفق هذا التقدير، فإنّ تاريخ إنشاء الرسالة يقع فيما بعد سنة ٢٣٢هـ، أي في الفترة التي أنشأ فيها رسالة الوكلاء، وسيرى القارىء عند تناول هذه الرسالة ما يشير إلى هذه النتيجة .

وقد نُشرت بقايا الرسالة أول الأمر في سنة ١٣٢هـ=١٩٠٥م ، على هامش كتاب الكامل للمبرد (٧٦: ١–١٧)، وظلت هذه النشرة وحيدة حتى فترة قريبة حتى توافر على تحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً : حاتم الضامن (٦٨)، وعبد السلام هارون(٣٥: ٢٧–٥١)، وإبراهيم جريس (١٢٤: ٢٠–٨٧) وقد تميزت نشرته بتعليقاتها المفيدة مع دراسة تحليلية ضافية للقضايا المتعلقة بالرسالة. وكانت آخر نشراتها تلك التي أخرجها علي أبو ملحم بالاعتماد على نشرة عبد السلام هارون الآنفة (١٠٠: ١٩٧–٢١٤) .

أما بخصوص نقولها عن العربية، فقد توزعت ترجمة أجزاء منها إلى الألمانية سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، وإلى الفرنسيّة سنة ١٣٨٧هـ–١٩٦٧م (٤٣)، وإلى الإنجليزيّة سنة ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م (١٢٩: ١١٢–١١٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نطاق الإشارة إلى مخطوطاتها، فإنّ نسخاً منها تُحفظ ضمن مجموعة الفصول المختارة المحفوظة في : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية ، (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦) .

٣٠ – رسالَةٌ في مَنـاقِبِ أَحْمدَ بنِ أَبِي دُؤاد .

لم يبق من أصل هذه الرسالة التي لم أجد من أشار إليها من أصحاب الأثبات ، سوى فصول مختارة حُفظت ضمن الآثار الباقية في كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ المخطوط في برلين (٦٣: ١٩ ب–٣٦ظ). وقد بقيت هذه الفصول حتى هذه الأيام مطويةً في الكتاب المذكور دون أن يُتاح للباحثين نشرها أو نقلها إلى الألسنة الأخرى كما هو شأن أكثر الآثار من تراث أبي عثمان .

ولا تخلو بقايا الرسالة من إشارات ذات قيمة في معرفة الشخصية التي وجه إليها أبو عثمان رسالته، والتوصل إلى تاريخ مقارب لإنشائها . أما الشخص الذي أُرسلت إليه فهو – فيما يبدو من القطع الباقية – أحد أنباء القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي أفرغ الجاحظ الكلام في ذكر شمائله ومناقبه ، يقول أبو عثمان : " وأما ذكر فضائل والدك الذي أشرق بفضله قلبي أثراً ... " (٦٣: ١٩ ب)، والمعروف أن صلة الجاحظ لم تكن منعقدة بأحد أبناء القاضي أحمد بن أبي دؤاد، سوى القاضي أبي الوليد محمد، أنجب إخوته، وتبدو أواصر هذه الصلة على خير ما يمكن تمثله من مجموعة الرسائل التي خصه الجاحظ بها، وهذا الأمر يدعونا إلى عدّ شخصية القاضي محمد ابن أبي دؤاد الشخصية التي قصدها أبو عثمان بهذه الرسالة .

وأما زمن إنشائها، فالواضح أنّه كان في زمن الخليفة المعتصم، أي في المدّة من سنة ٢١٨–٢٢٧هـ، يَدل ذلك قوله : " وما ظنك بتدبير فَصلٍ من المعتصم بالله، وقام به أبو عبد الله " (٦٣: ٢٥ظ). وفي محاولة التوصل إلى تاريخ أكثر دقة ، تأتي الإشارة إلى فتح عمورية (٦٣: ٢٥ظ)، وهذا يشير صراحة إلى كتابه الرسالة بعد هذه الحادثة التي وقعت سنة ٢٢٣هـ. وهكذا يمكن القول إن تاريخ إنشاء الرسالة يقع في إطار المدة الواقعة بعد سنة ٢٢٣هـ، سنة فتح عمورية، وقبل سنة ٢٢٧هـ، سنة وفاة المعتصم .

٣١ – رسالةٌ في مَناقبِ خُلَفَاءِ بني العَبَّاس.

بقيت من هذه الرسالة التي لم ترد الإشارة إليها عند صنعة الأثبات قطعة احتفظ بها كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ المخطوط في برلين (٦٣: ٦٥ ب–٧٣ ب). ولم تتسن لهذه القطعة فرصة النشر أو النقل إلى اللغات الأخرى حتى هذا الوقت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والواضح أنّ زمن إنشاء هذه الرسالة يرجع إلى عهد الخليفة الواثق، لأنّ الجاحظ تناول الخلفاء العباسيين في تسلسلهم الزمني، وانتهى الأمر به عند ذكر مناقب الواثق (٦٣: ٧٢ ب-٧٣ب) ولم يتجاوزه إلى المتوكل أو من بعده من الخلفاء . وهذا يعني أنّ الرسالة تعود إلى ما بعد سنة ٢٢٧هـ، وقبل سنة ٢٣٢هـ، وهي المدة التي تملك فيها الواثق .

٣٢ - رسالةُ المودّةِ والخُلْطَـــة .

ليس في أثبات القُدامى ما يشير إلى هذا العنوان الوارد في بعض أصول الرسالة الخطية (٧٣: ٢٣٨ ظ)، ومع ذلك، فربما كانت هي الرسالة التي ذكرها ابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٩) باسم رسالة في الكرم إلى أبي الفرج، ومما قد يُعزز هذا الاحتمال، ما وردت به الإشارة إلى موضوع الكرم في غير ما موضع من بقايا الرسالة (٣٤: ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٤).

ومع أنّ النص الباقي من مادة الرسالة يخلو من إشارة تُعين في تلمس تاريخ مقارب للزمن الذي أنشئت فيه، إلاّ أن توجيهها لأبي الفرج الكاتب يدعو إلى ضمها إلى جملة الآثار التي كتبها الجاحظ باسمه في المدة التي شهدت اتصالاً بينهما. وتقع هذه المدة ما بين سنتي ٢٣٣-٢٤٥هـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الفائت عند تناول الرسالة التي بعثها الجاحظ إلى أبي الفرج يدعوه إلى إطلاق رزقه .

وإذا ما ألقينا نظرة على الجانب الآخر في توثيق الرسالة أمكن أن نرصد نشراتها المتعاقبة التي تتسلسل زمنياً على هذا النحو :

١ - النشرة المطبوعة على هامش كتاب الكامل في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥م (٧٧: ١٩٩-٢١١)، وهي تجري مجرى سائر الآثار المنشورة في هذه المجموعة .

٢ - نشرة السندوبي ضمن رسائل الجاحظ في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥: ٣٠٣-٣١٠) ، وهي تقترب من سابقتها إلى حد بعيد.

٣ - نشرة حاتم الضامن في مجلة المورد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م (٦٨)، وهي أول نشرة علمية لبقايا الرسالة .

٤ - نشرة عبد السلام هارون في السنة اللاحقة (١٤: ١٨٦-١٩٢)، وهي لا تنأى عن سابقتها إلا قليلاً.

٥ - نشرة علي "أبو ملحم" (١٠٠: ٤٠٥-٤١٨) وهي ليست إلا إعادة لنشرة عبد السلام هارون المشار إليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فيما يتصل بمخطوطاتها ، فإن أشهرها يقع اليوم في عدد من المكتبات المعروفة ، لعل أهمها : دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦) .

ولعل من اللافت للنظر، بعد ذلك، أن لا يحظى شيء من بقايا الرسالة بالنقل إلى الألسنة الأخرى ، بخلاف ما يصادفه الناظر في كثير من آثار أبي عثمان الباقية .

٣٣ - رسالةُ النُّبلِ والتَنبُلِ وذمِّ الكِبر .

ليس في القوائم التي صنعها القدماء لآثار الجاحظ رسالة تحمل هذا العنوان، وإنما ترد في هذه القوائم رسالة أخرى باسم الكبر المستحسن والمُستقبح (٨: ٢١١، ٣: ١٠٩)، وهذا العنوان ينطبق على القطع الباقية من الرسالة إلى حد بعيد، لأنّ هذه القطع لا تعدو أن تكون بحثاً للكبر من وجهة أدبية أخلاقية خالصة، تتضمن تعريفاً بالمواطن التي يكره فيها هذا الخلق ويمج، والمواضع التي يُسوغ فيها ويستحسن، غير أنه لا يمكن القطع بأن هذين العنوانين لرسالة واحدة على نحو يفيد اليقين.

والفصول التي سلمت من أصل الرسالة تفتقر إلى مجرد إشارة تُوميء إلى الشخصية التي وُجهت إليها، فضلاً عن زمن كتابتها إلاّ أنّه يمكن تلمس ذلك من بعض القرائن والإشارات، فأول ذلك ما أورده ابن الفرات في مستدركه على ابن النديم إذ ذكر " رسالة إلى أبي الوليد بن أحمد في الكِبْر " (٨: ٢١١)، وليس في القدر الباقي من الرسالة ما يمنع أنْ يكون الجاحظ كتبها باسم أبي الوليد بن أبي دؤاد، بل لا يعدم الدارس دليلاً على أنّ الرسالة وجهت إليه فعلاً، فقول الجاحظ مخاطبه : " وقد أصبح شيخك وليس يملك من عقابهم إلا التوقيف، ولا من تأديبهم إلا التعريف" (٣٤: ١٦٩)، يشتمل على إشارة إلى الحال الذي صارت إليه المعتزلة في عصر المتوكل، كما نلحظ فيه موازنة خفية لدور القاضي أحمد بن أبي دؤاد -والد أبي الوليد- في عهدين مختلفين : عهد الاعتزال، وقد كان بيده زمام الأمر والنهي، يتولى تعقب "المشبهة" ويمتحن "الفقهاء" . وعهد ما بعد الاعتزال، وقد ذهب سُلطان المعتزلة واضمحل مذهبهم، وأصبح الذين تولى ابن أبي دؤاد عقابهم بالأمس ولاة أمره. وهذه الحال تحول شيخ المعتزلة إلى بيته صفر اليدين، لا يملك حولاً ولا قوة إزاء السياسة الجديدة للدولة .

وتصادف الدارس ذات النغمة في آخر الرسالة، وثمة عبارة تنص على أنّ "السلطان إنما يملك أبدان الناس، ولهم الخيار في عقولهم " (٣٤: ١٨٨). وهذه العبارة وإن بدت عفوية، إلاّ أنّها تحمل في طياتها الكثير، ففيها مطلب عريض من مطالب المعتزلة، وهو أن يُترك الناسُ أحراراً في تفكيرهم وإرادتهم دون حيف من الدولة أو ميل إلى فكر أو مذهب بعينه. ويبدو أنّ هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الذي كان يسره رجال المعتزلة في أنفسهم ، سلك سبيل المجاهرة بعد أنّ أصدرت الدولة مرسومها الذي تخلت فيه عن سياسة الاعتزال والخوض في المعتركات الجدلية الكلامية سنة ٢٣٤ هـ .

ووفّق هذا القدر من الملابسات، فإنّ إنشاء الرسالة يقع في نطاق المدة بعد سنة ٢٣٤هـ، أي بعد أن تحولت الدولة إلى سياسة جديدة مُتخلية بذلك عن سياستها المعهودة السابقة. ومهما بَعُد تاريخ كتابة الرسالة عن هذه السنة، فلن يتجاوز سنة ٢٣٧هـ، إذ كان هذا العام فاتحة سنوات نكبة آل دؤاد، والثابت أن صلة الجاحظ بهم وقفت عند هذا التاريخ وهكذا يمكن حصر زمن تأليف هذه الرسالة فيما بين سنتي ٢٣٤-٢٣٧هـ.

بدأت العناية بنشر هذه الرسالة عندما طبع طرف منها على هامش كتاب الكامل سنة ١٣٢٤هـ=١٩٠٥م، وقد جاءت هذه القطعة مُلحقة برسالة الرد على النصارى(٧٧: ١٨٤-١٩٩)، وكأنها جزءٌ من الرسالة المذكورة . وبقيت هذه القطعة على ما هي عليه حتى قام شارل بلاّ بإعداد نشرة وافية للفصول الباقية نشرها سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٤٣). وظهرت في أواخر عقد السبعينات نشرتان محققتان أخرج الأولى حاتم الضامن (٦٨)، والأخرى عبد السلام هارون (٣٤: ١٦٧-١٨٨)، وكانت آخر هذه النشرات تلك التي نشرها علي أبو ملحم في بيروت قبل بضع سنوات (١٠٠: ١٢٩-١٤٦)، وقد اقتبس أبو ملحم نشرته عن نشرة عبد السلام هارون المشار إليها.

وفي الجانب المقابل، توالت ترجمات فصول الرسالة إلى الألسنة الأخرى في فترة قصيرة جداً، فقد نقلها بلاّ إلى الفرنسيّة في الوقت الذي أظهر فيه نشرته الآنفة (٤٣)، وسرعان ما أعاد نشر مقتطفات من هذه الترجمة ضمن الاختيارات التي نشرها في ذلك الحين (٤٣)، على أن هذه المقتطفات لم تمكث يسيراً حتى نقلها هوك إلى الإنجليزيّة (١٢٩: ٢٣١-٢٣٥).

وتحفظ بقايا الرسالة تحفظ اليوم في عدد من دور المخطوطات العالميّة، لعل أشهرها : دار الكتب(٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

٣٤ - رسالةُ النِّســـاء .

كان الجاحظ قد عزم أثناء إعداد كتابه الحيوان أنْ يجعل " القول في فصل ما بين الذكور والإناث، وفصل ما بين الرجل والمرأة خاصة" باباً مستقلاً من أبواب كتابه المذكور (٢٤٢: ١٤) لكن يبدو أن علته الشديدة ، وما لقيه من الجهد والعناء في إقامة مادة الكتاب، وما كان يخشاه من إملال القارىء نظراً لطول الكتاب، صرفته عن عقد الباب المُقدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أنْ فرغ أبو عثمان من الحيوان، تهيأت له ظروف جديدة أتاحت له الرجوع إلى ما كان قدره من قبل، ولم يلبث، وقد مضى قليلاً في مشروعه، أنّ بدا لـه شيء جديد جعله يقصر عمله على فرق ما بين الرجل والمرأة (٣٥: ١٥٣) دون عامة أصناف الأحياء. ومع أنّ الرسالة أفردت على حدة، لكن الجاحظ – فيما يبدو – أرادها أن تكون بمنزلة ذيل للحيوان، شأنها في ذلك شأن كتابه في البغال، ومما يؤيد هذا الرأي قول ابن النديم في حديثه عن كتب الجاحظ : "وله من الكتب : كتاب الحيوان، والمشهور أنه سبعة أجزاء، وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء، وهو الفرق ما بين الذكر والأنثى، وكتاباً آخر سماه كتاب البغال. ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن علي بن سليمان، ويكني أبا يحيى، وراق الجاحظ (٨: ٢٠٩) .

وهذه الصورة من ملابسات وضع الكتاب تدل على تاريخه، فهو يرجع إلى المدة بعد سنة ٢٣٢هـ، أي بعد أن حررّ الجاحظ الحيوان بصورته الأولية وقدمه إلى الوزير ابن الزيات، والذي يدعو إلى هذا القول كون الجاحظ وضع كتابه المذكور أولاً، ثم أعقبه بهذا الكتاب. ومما يُستأنس به في هذا النطاق، إشارة الجاحظ إلى ما به من علة لازمته وهو عاكف على تأليف الكتاب يقول: " فمنع من ذلك فرط الكبرَة، وإفراط العلة، وضعف المُنّة، وانحلال القوة " (٣٥: ١٥٣). ومعروف أنّ هذه العلة لازمته أيضاً في المدة التي تفرغ فيها لتأليف كتاب الحيوان، وقد ظهرت شكواه من هذا الأمر في غيرما مناسبة (٦: ٢٠٨).

لقد ظهر من حديث ابن النديم أنّ الكتاب يحمل أكثر من عنوان، فهو يُعرف تارة باسم النساء، وأخرى باسم الفرق ما بين الذكر والأنثى. وبالإضافة إلى هذين العنوانين، فقد نشره الساسي باسم رسالة في العشق والنساء (٨٩: ١٦١)، ومن بين هذه العنوانات، تظل صورة العنوان الأول أدعى للقبول من غيرها نظراً لهذين الاعتبارين : الأول أنّ ابن النديم نص صراحة على أن الجاحظ سمى كتابه بهذا الاسم (٨: ٢٠٩) . والثاني أنّ الصورة عينها وردت أصول الرسالة الخطية (٧٣: ٥٢ ب).

وعلى الرغم من أنّ الجاحظ لم يكن قد شرع في تأليف هذا الكتاب عندما بدأ في وضع كتابه الحيوان، إلاّ أنّه أجرى ذكر هذا الكتاب بين جملة كتبه التي أوردها في قائمته التي استهل بها الحيوان (١: ٤)، وربما كان ذلك على سبيل ذكر ما سيكون مُستقبلاً ، لأنّ الجاحظ بالفعل أراد أنْ يكون "فصل ما بين الذكور والإناث" باباً من أبواب الحيوان كما تقدم .

ويبدو للناظر في سيرورة نشرات بقايا كتاب النساء أن نشراته توالت في أثر بعضها على نحو لافت ، فقد نُشرت القطع الباقية منه أولاً في مجموعة الفصول المختارة المطبوعة على هامش الكامل للمبرد في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م (٧٦: ١٣٠-١٦٥)، ولا تختلف هذه النشرة عن سائر نشرات الآثار التي تضمنتها هذه المجموعة، من حيث عدم احتذائها المنهج

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلمي في النشر، وسرعان ما ظهرت نشرة محمد ساسي المغربي في السنة التالية، بيد أن جزءاً كبيراً من النص سقط من هذه النشرة دون الالتفات إلى ذلك (٨٩: ١٦١-١٦٩)، وظهرت في بيروت نشرة أخرى مقتبسة عن هذه النشرة (٩٨: ١٥٧-١٦٤). ومن جانبه أعاد السندوبي نشر بقايا الكتاب ضمن الرسائل التي نشرها في القاهرة سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م (١١٥: ١٠٠-١١٣)، وعن هذه النشرة أصدر عمر أبو النصر نشرته في بيروت سنة ١٣٢٩هـ=١٩٦٩ (٩٧: ١٠٠-١١٣). وفي أواخر السبعينات ظهرت نشرتان علميتان جديدتان : أخرج الأولى نوري حمودي القيسي (٦٨) ، والأخرى عبد السلام هارون (٣٥: ١٣٧-١٥٩). وعن هذه الأخيرة، أصدر علي أبو ملحم نشرته ضمن مجموعة رسائل الجاحظ الكلامية في بيروت سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م (٩٩: ٩١-١٠٦) .

وترجم ريشر القطع الباقية من الكتاب إلى لغته الألمانية، ونشرها ضمن مجموعته المنشورة في سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (٤٣)، كما نهض شارل بلاّ بنقل مختارات من الكتاب إلى الفرنسيّة (٤٣)، ولم تلبث المختارات قليلاً حتى نُقلت إلى الإنجليزية (١٢٩: ٢٥٧-٢٥٩).

ويمكن الإشارة أخيراً إلى أشهر النسخ الخطية المكتشفة لبقايا الكتاب، وجميعها توجد ضمن مجموعة اختيارات عُبيد الله بن حسان المحفوظة في : دار الكتب (٧٤) والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦).

٣٥ - رسالةُ في هِجَاءِ مُحَمّدِ بنِ الجَهْمِ البَرمَكيّ .

لم يبق من أصل هذه الرسالة التي أشار إليها التوحيدي في كتابه مثالب الوزيرين (١٨٢: ٣١) سوى مقتطفات حفظها كتاب المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ فيما حفظ من آثاره (٦٣: ٥٧ ظ-٦٥ ب) .

وقد عني طه الحاجري برسم ملامح شخصية محمد بن الجهم البرمكي الذي وجهت الرسالة إليه (١٣٩: ٣٧٢-٣٧٣). وأكثر ما يعنينا من أخبار هذا الرجل ما وردت به الإشارة في بقايا الرسالة إلى توليه الأهواز، يقول أبو عثمان حكاية عنه: " وقال أيام ولايته الأهواز : " من وهب المال في عمله فهو أحمق .... " (١٢٦: ٣٩). وإذا علمنا من أخباره القليلة الباقية ، أن ولايته على الأهواز كانت في المدة التي وُسد أمر الخلافة فيها إلى المأمون (١٣٩: ٣٧٢)، أمكن القول أن الجاحظ أفرغ هذه الرسالة في هجائه وثلبه بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨هـ، حين صارت الأمور إلى المعتصم الذي كان يحنق عليه، ومما يؤكد توتر العلاقة بينه وبين المعتصم النص الوارد عند ابن خلكان، يقول :" وكان المعتصم قد اشتد غيظه على محمد بن الجهم البرمكي، فأمر بضرب عنقه ، فلما رأى ابن أبي دؤاد ذلك، وأنه لا حيلة له فيه، وقد شد برأسه وأقيم في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النطع، وهزّ له السيف، قال بن أبـي دؤاد للمعتصـم : وكيـف تـأخذ مالـه إذا قتلتـه ؟. قـال : ومـن يحول بيتي وبينه ؟. قال : يأبى الله تعالى ذلك، ويأباه رسوله صلى اللّه عليه وسلم، ويأبـاه عـدل أمير المؤمنين ، فإنّ المال للوارث إذا قتلته حتى تقيم البينة علـى مـا فعلـه، وأمـرُهُ باستخراج مـا اختانه أقرب عليك وهو حي، فقال احسبوه حتى يناظر " (٢٢٤: ٨٢-٨٣).

إن هذا النص يشير إلى نكبة تعرض لها محمد بن الجهم بعد أنْ سلب من أمـوال الدولـة، وقد كان أمرُ قتله مفروغاً منه لولا أنّ قاضي المعتزلة أحمـد بـن أبـي دُؤاد أشـار علـى المعتصـم بغير ذلك. وقد أشار الجاحظ في القطع الباقيـة إلـى شـيء مـن عـدم أمانـة هـذا الرجـل يقـول فـي صفته: "هذا مع ظلم العباد ، واضطراب البلاد، والخيانة الكثيرة، والتضييع الفاحش"(١٢٦: ٣٨).

ويبدو لي بعد عرض هذا القدر من الملابسات المتصلة بعلاقـة محمـد الجهـم بالدولـة فـي عهدي المأمون والمعتصم، أن وضع هذه الرسالة كان في إطار النكبة التي حلت بـابن الجهـم فـي زمن المعتصم بعد أنْ سلب من أملاك الدولة بغير وجـه مشـروع، وإن ربطـاً لمـا جـاء فـي بقايا الرسالة من الإشارة إلى خيانته، مع النص الذي أورده ابن خلكان، ليشـير إلـى شـيء يعـزز هـذا التوجيه. وبناء عليه ، فإنّ هذه الرسالة تُضاف إلى جملة ما أخرجه الجاحظ في الفترة التـي تولـي فيها المعتصم، أي فيما بعد سنتي ٢١٨-٢٢٧ هـ .

وقد أخرج طه الحاجريّ بقايا الرسالة في القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ=١٩٤٧م (٦٥)، وأعـاد نشرها ثانية في بيروت وسنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (١٢٦: ٢٩-٤٠)، كما ضمن عمر أبـو النصـر الرسالة مجموعته الصادرة في بيروت سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (٩٧: ٢٧-٣٥)، اعتمـاداً علـى نشرة الحاجريّ الأولى .

وفي مقابل ذلك، ظهرت ترجمتان للفصول الباقية من الرسالة، نقل إحداهما إلى الفرنسيّة شارل بلاّ (٤٣)، وتابعه هوك فنقل الثانية إلى الإنجليزيّة (١٢٩: ١٢٢-١٢٤).

٣٦ - كتابُ وُجُـوبِ الإمامَـة.

يُعد عنوان هذا الكتاب مظهراً واضحاً للاضطراب الطارىء على كثير من عنوانات آثـار الجاحظ، فالفصول الباقية منه تحمل عنوانات متباينة للغاية، فهي تعـرف تـارة باسـتحقاق الإمامـة (٧٣: ٢٤٥ ظ). وأخرى باسـم مقالـة الزيديـة والرافضـة. (٧٣: ٢٩١ ب). وتـارة ثالثـة بالزيديـة والرافضة (١١٥: ٢٤١)، وأخيراً باسم بيـان مذاهـب الشـيعة (٨٩: ١٧٨). أمـا العنوانـان الثـالث والرابع فهما يتصادقان إلى حد مـا مـع العنـوان الـذي ذكـره أصحـاب القوائـم باسـم حكايـة قـول أصحاب الزيدية (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧). وأما آخر هذه العنوانات ، فهو لا يبتعد كثيراً عمـا أورده أصحاب القوائم باسم الإمامـة علـى مذهـب الشـيعة (٨: ٢١٠، ٣: ١٠٧). ومـن بيـن جميـع هـذه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العنوانات ، يجدر أن نصير إلى اختيار العنوان أعلاه لورود الإشارة إليه عند صنعة الأثبات من جهة، ولموافقته الإشارة التي أومىء فيها أبو عثمان إلى الكتاب ، وذلك إذ يقول " وعبتني بكتاب العباسية ، فهلا عبتني بحكاية مقالة من أبى وجوب الإمامة" (١: ١٢).

وعند النظر في تاريخ تأليف الكتاب، فإن مجيء الإشارة إليه في صدر الحيوان، كما مر من قريب، تكفي لإضافته إلى نتاج المدة قبل سنة ٢٣٢هـ، ومما يؤكد ذلك أن الجاحظ كان مشغولاً في هذه الفترة بمسألة الإمامة، وفق ما وردت الإشارة إلى ذلك عند تناول كتاب المسائل والجوابات في الإمامة، وغني عن القول أنّ النص الباقي من أصل الكتاب لا يحتضن إشارات من شأنها الاقتراب نوعاً ما من زمن تأليف آثار الجاحظ في الإمامة التي صرح بتقديمها إلى الخليفة المأمون (١٧١: ٣٧٤)، وإذا ما حالف التوفيق هذا الافتراض، فإن تاريخ الكتاب يقع في حدود سنة ٢٠٠ هـ، لأن الجاحظ قدّم كتبه إلى المأمون قبل وفاة شيخه أبي محمد اليزيدي سنة ٢٠٢ هـ (١٧١: ٣٧٤).

وبالانتقال إلى نشراته، تجد أنّ عدداً منها لا يخلو من الخلط والتشويه والاضطراب ، فقد نُشر على هامش الكامل في موضعين مختلفين على نحو أوهم بأنهما عملان مستقلان تماماً (٧٧: ٢١٢-٢٢٠، ٢٩١-٣٠١)، وأمّا نشرة الساسي فهي غير مكتملة النص، وتحريفاتها تظهر بشكل لافت (٨٩: ١٧٨-١٨٥)، ولا تختلف النشرة الصادرة في بيروت سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م (٩٨: ١٣٦-١٧٠). عن هذه النشرة أبداً. وأما نشرة السندوبي فقد اختلطت بها القطع الباقية من كتاب المسائل والجوابات في الإمامة ، دون التنبه إلى حقيقة هذا التشويش (١١٥: ٢٤١-٢٤٨)، وعلى النمط نفسه سارت نشرة عمر "أبو النصر" (٩٧: ١٣٦-١٦٥) علي "أبو ملحم" (٩٩: ١٧٧-٢٠٢)، وأما نشرة عبد السلام هارون، فقد فُصلت في جزءين، نُشر الأول تحت.عنوان استحقاق الإمامة (٣٤: ٣١١-٣٢٣)، بينما حمل الآخر عنواناً مغايراً هو مقالة الزيدية والرافضة، والحق أنّ عبد السلام هارون لم يكن يقظاً إلى هذين العنوانين المتباينين، مع أنّ المادة التي تنطوي تحتهما متقاربة إلى حدّ بعيد. وإلى جانب هذه النشرات ،ظهرت نشرة أخرى حققها يحيى الجبوري بعنوان الزيدية والرافضة (٦٨) ، وقد كان من الممكن أن تعارض على صنوتها استحقاق الإمامة المخطوطة ضمن اختيارات عبيد الله بن حسان .

وفي مجال نقوله عن العربية، حظيت منتقيات منه بالترجمة إلى الألمانية من قِبل ريشر (٤٣)، وإلى الفرنسيّة من قِبل شارل بلاّ (٤٣)، وإلى الإنجليزيّة من قِبل هواك (١٢٩: ٦٢-٦٤).

ويمكن أخيراً أن نُشير إلى أهم النسخ الخطية لبقايا الرسالة، وهي تُحفظ في: دار الكتب (٧٤)، والأزهرية (٣٥: (م) ٧)، والمتحف البريطاني (٧٣)، وطوب قبو سراي (٦٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفَصْـــلُ الرابــع

الآثـــارُ المَنْسُـــوبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل من أكثر الأشياء التي تثير انتباه الدارس وجود طائفة ليست بالقليلة من الآثار نُسبت إلى الجاحظ بعد وفاته، وواضح أن هذه الطائفة اختلطت بالآثار الثابت نسبها إلى أبي عثمان على نحو أفسد على كثير من الدارسين معرفة حقيقة أمر هذه الطائفة من الآثار المدسوسة خطأ أو قصداً ، ولقد مرّ في الفصل الأول من هذه الدراسة كيف أخطأ بعض أصحاب الأثبات في ضم الآثار الواقعة في هذا الإطار إلى المؤلفات التي تركها أبو عثمان .

والواقع أنّ نسبة المتأخرين الكتب إلى الجاحظ لم تكن غريبةً ، وقد كان الجاحظ نفسه ينسب بعض كتبه إلى متقدميه خوفاً عليها من طعن جماعة من حَسَدَه النقاد، يقول : " وربما ألفتُ الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه ، فأترجمه باسم غيري، وأحيله على مَنْ تقدمني عصره مثل : ابن المقفع، والخليل، وسلم صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعَتّابيّ، ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب ..... " (٢: ٣٥١) . وغني عن القول أنه لا يوجد بين أيدينا اليوم من تراث الجاحظ ما يمكن أن يدخل في هذا الباب .

ويبدو أنّ ما لقيته آثار أبي عثمان من شهرة واضحة في البيئات الأدبية بعد وفاة صاحبها سوّل لبعض الوراقين والنساخ في القرون اللاحقة نحل بعض المؤلفات له، لما كانت تلقى كتبه من رواج ونفاذ في تلك البيئات ، ولاشك أن سلوك هذا الصنف من الوراقين ، كان يشكل في حدّ ذاته خروجاً على مقتضيات مهنتهم وما تدعو إليه من الأمانة العلميّة، على أن سلوكهم وإن كان قد انطلى على كثير من المتهافتين على شراء آثار الجاحظ واقتنائها، إلاّ أنه في الوقت نفسه ما كان لينسحب على الجهابذة الثقات من علماء وكتبيين ووراقين، فها هو ابن النديم يشير إلى نحل كتاب الإبل إلى أبي عثمان، يقول في سياق حديثه عن كتاب الحيوان : "وقد أُضيف إليه كتاب سَمَوْه كتاب الإبل، ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه " (٨: ٢٠٩)، كما يشير ابن النديم ثانيةً إلى نحل كتاب آخر للجاحظ هو كتاب الهدايا (٨: ٢١١).

وبالإضافة إلى ما قام به بعض الوراقين، كان للمذهبية دورها في نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ، فقد استغل بعض الشيعة دخول التشيع في صفوف المعتزلة، فنسبوا رسالة للجاحظ في إثبات إمامة علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه، على أن مضمونها يباين ما هو معروف عند المعتزلة أنفسهم من احتجاج الجاحظ لإمامة أبي بكر رضي الله عنه، كما سيرد عند تناول هذه الرّسالة في هذا الفصل، إن شاء اللّه. وربما نسب نفرٌ من المعتزلة أنفسهم آثاراً للجاحظ، رغبةً في التكثر لأحد شيوخ مذهبهم، بيد أن هذا الأمر ما زال بمسيس الحاجة إلى مستندات تؤيده .

وربما كان بعض المؤلفين الناشئين يخافون على باكورة نتاجهم في وسطٍ يكتظ بالعلماء والمتعلمين، فكانوا والحال هذه يقفون أمام حاجز نفسي ومادي يصعب عليهم النفاذ منه إلا بعد مدّة كافية تمكنهم من تقديم كتبهم ورسائلهم بأسمائهم دون خوف أو وجل، ويبدو أنّ هذا النفر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلك السبيل الذي سلكه الجاحظ من قبل في نسبة مؤلفاته إلى من تقدمه، فكانوا ينسبون كتبهم إلى الجاحظ، حتى إذا حققت هذه الكتب شهرةً تُتيح لها تخطي الحاجز النفسي والمادي، أعادوا إخراجها مُضافةً إلى أنفسهم، ولعل من أبرز الكتب التي تمثل هذا المنحى كتاب المحاسن والأضداد .

وفضلاً عن هذه الأسباب التي يُمكن أنْ نسميها الأسباب المتعَمدة، نُسب عددٌ من الآثار إلى الجاحظ بطرق عفوية ترجع في الغالب إلى خطأ الناسخ أو سوء تقديره، فقد لوحظ أنّ بعض النساخ كانوا ينسبون بعض الكتب التي لا تحمل أسماء مؤلفيها إلى الجاحظ إذا وجدوها مُفتتحةً بعبارة " قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ"، كما في كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق و التدبير، وكتاب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفُرس، وكتاب المحاسن والأضداد. كما أنّ وجود كتب تُطابق عنواناتها عنوانات بعض كتب الجاحظ ولا تحمل ما يشير إلى مؤلفها الحقيقي، جعل بعض النساخ و الوراقين يقدرون أنها للجاحظ اعتماداً على التطابق الظاهري في العنوانات، كما هو شأن الكتاب الموسوم بالآمل والمأمول .

ويظهر للمدقق أنّ الذين تولوا مهمة نسبة هذه الآثار إلى الجاحظ سواء أكانت هذه النسبة عن قصد أو غير قصد، ما كانوا يُحسنون إخفاء حقيقة هذه النسبة على نحو مُتقن تماماً ، فقد كانوا يكتفون بتذييل عنوان الكتاب بعبارة مفادُها أنّ هذا الأثر من تأليف الجاحظ، وأما نص الكتاب وما قد يحتويه من إشارات متأخرة عن عصر الجاحظ، فضلاً عن مغايرته أسلوب الجاحظ وطريقته في بناء كتبه وإقامتها، فقد كان غائباً عن أذهان هذا النفر في أكثر الأحيان.

والناظر في سياق عناية الدارسين بالتنبيه على هذا الصنف من الآثار وتميزها عن الآثار الثابت نسبها إلى الجاحظ، يكادُ يُفاجأ بعدم ما يشير إلى التفات القدامى إلى هذه المسألة على خطورتها، سوى ما جاء في إشارة ابن النديم الآنفة التي أبانت عن نحل كتابي الإبل والهدايا إلى الجاحظ، وما ذكره ابن الفرات بقوله " رسالة غناب المنحولة (٨: ٢١١)، ولا تخلو هذه الصورة من تصحيف بينّ، والظاهر أنّ ابن الفُرات يقصد الرسالة التي كتبها الجاحظ في غنام الذي ارتد وقتل حرقاً بالنار سنة ٢٢٥هـ (١٣٧: ١٠٣)، بيد أنّ إشارة ابن الفرات إلى كون هذه الرسالة منحولة، لا يحالفها الصواب، لأن الجاحظ نفسه أشار إلى هذه الرسالة في مقدمة الحيوان (١: ٩)، ولأن الفتح بن خاقان ذكرها صراحةً في رسالة أنفذها إلى الجاحظ (٣: ١٠٠) .

وبقيت مسألة التحقق من نسبة الآثار الواقعة في هذا الإطار على ما هي عليه حتى قبل ثمانين عام، إذ تعرض أحمد زكي إلى بحث ما يدور حول نسبة كتاب التاج في أخلاق الملوك إلى الجاحظ من شك وتردد، وقد حاول بما تظافر لديه من الأدلة – التي لا تعدو أنْ تكون موضع نظر – أنْ يُضيف الكتاب إلى جملة مؤلفات الجاحظ على نحو ما سنرى عند تناول هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب في هذا الفصل (٩١: (م) ٥٢-٦٠). كما تعرض أحمد زكي من جانب آخر إلى تحقيق نسبة كتاب آخر هو كتاب تنبيه الملوك والمكائد، وقد استطاع أنّ يثبت فساد نسبته إلى الجاحظ (٩١: ٢٢١-٢٢٦) .

وبعد نحو عشر سنوات، نبه محمد كرد علي إلى ما يحوط نسبه كتاب تهذيب الأخلاق إلى الجاحظ من شك ، بعد أن كان نشره أول الأمر معزواً إلى الجاحظ (٩٢). ولم تكد تنقضي بضع سنين حتى نبه خليل مردم إلى افتعال نسبة الرسالة الموسومة بسلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف (٢٨: ٣٩) .

وظلت قضية إثبات نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ لا تتجاوز الإشارة العابرة في أكثر الأحيان، حتى أعطاها حسن السندوبي شيئاً من الاهتمام الذي تستحق، فقد عقد فصلاً من كتابه "أدب الجاحظ " للآثار المنسوبة ، ثم سعى جاهداً في تقديم بعض الأدلة والمستندات التي تثبت نسبة هذه الآثار وبراءة الجاحظ منها (٣١: ١٤٥-١٥٨)، وقد استطاع السندوبي أنْ يصل بعدد هذه الآثار إلى ثمانية بما فيها الكتابان اللذان نبه ابن النديم على نحلهما، ويُلاحظ أنّ السندوبي أضاف كتاب الحنين إلى الأوطان إلى هذه الآثار، مع أن الكتاب للجاحظ كما ظهر عند تناوله، كما يُلاحظ أيضاً أن بعض الأدلة التي يستند السندوبي إليها في تقرير نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ لا ترقى إلى درجة تؤهلها إلى نفي هذه الآثار عنه، كما هو الحال في ما ساقه عند تناول كتاب تنبيه الملوك والمكائد (٣١: ١٥٢)، وكتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (٣١: ١٥٣).

وبقيت جهود أكثر الدارسين بعد السندوبي تدور في فلك ما تمخض عنه بحثه، ويمكن تبينّ هذا الأمر عند بروكلمان (٣٣: ١٢٦-١٢٨)، وَ جميل جبر (٤٠: ٦٦-٦٧)، وَ محمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٩٣)، وجورج غريب (٤٢: ٤١)،و إمتياز عرشي (٤). وقد يُضاف إلى هؤلاء شارل بلاّ ، بيد أنه بحق لم يقف عند حدود ما توصل إليه السندوبي، بل مضى في رصد الآثار من هذا النوع حتى أوصلها في قائمته الثانية إلى نحو خمسة عشر أثراً (٤٣). غير أن مما يؤخذ على هؤلاء جميعهم الاكتفاء بالإشارة العابرة دون النفاذ إلى استحضار الأدلة والشواهد العلمية التي تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة نسبة هذه الآثار إلى الجاحظ .

وفي المقابل سعى بعض الدارسين في إقامة الدليل على تهافت نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ وفق أُسس صحيحة تعتمد الحجة النقلية والمناقشة العلمية، ومن الممكن تمثل هذا المنحى في ما كتبه عبد السلام هارون عن صحة نسبة كتاب الحنين إلى الأوطان إلى الجاحظ (١٠: ٣٨٢-٣٨٣)، وفي ما حققه حمد بن عبد الله العويشق عن نحل كتاب الآمل والمأمول إلى الجاحظ (٢٤٣)، وفي ما ساقه علي أبو ملحم عن نسبة كتاب المحاسن والأضداد (٢٤٤ : ٦-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١) ، وكتاب تهذيب الأخلاق (٣٨: ٢٦٣-٢٦٧)، وكتاب التاج في أخلاق الملوك (٣٨ : ٢٧٧-٢٨٠).

وبعد هذه التقدمة التي قصدنا منها تبيّن الأسباب التي تُفسر قضية نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ وملامح هذه القضية وسيرورتها، نأخذ فيما يلي بتناول هذه الآثار، واحداً تلو الآخر، منسوقةً حسب حروف المعجم، محاولين تقديم الأدلة العلمية التي تُفضي إلى الكشف عن مدى صحة نسبة هذه المجموعة من الآثار إلى الجاحظ .

١ - كتابُ الآمِـلِ وَ المَأمُـــول.

نشر رمضان ششن هذا الكتاب في بيروت سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٨ (٢٤٥)، وأعاد إخراجه ثانية في سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (٢٤٦). ولم يساور المحقق شك في أنّ الكتاب منسوب إلى الجاحظ (٢٤٥: ٦)، بيد أنّه لم يسق بين يديه أدلة تؤيد ما ذهب إليه .

ولعل من أهم الأمور التي تُصادف الباحث في مدى صحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ، أنّ أكثر أصحاب الأثبات، ولا سيما القدامى منهم، أشاروا إلى كتاب للجاحظ يحمل العنوان الذي يحمله هذا الكتاب، وقد وردت الإشارة صريحة إلى ذلك عند : ابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٩)، والصفديّ (١٢: ٥٨ب)، وابن قاضي شهبة (١٤)، من القدامى ، وخليل مردم (٢٨: ٤٢)، والسندوبي (٣١: ١٢٤)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٣)، وعرشي (٤)، من المعاصرين. ويبدو للناظر أنّ هؤلاء جميعهم اتفقوا على إضافة الكتاب إلى جريدة مؤلفات الجاحظ، من غير إبداء أدنى شك تجاه صدق هذه الإضافة .

وفي مقابل ذلك، قطع غير واحد من الدارسين بنحل الكتاب وتهافت صلة الجاحظ به، وكان شارل بلاّ أول من مضى في هذه السبيل، وذلك في بحثه عن أصالة الجاحظ المنشور قبل ما يزيد على ثلاثين سنة (٢٤٧: ٢٢)، على أن بلاّ كان - قبل ذلك - قد أدخل الكتاب في عِداد آثار الجاحظ، وذلك في قائمته المنشورة بالفرنسية سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م (٣٦). وتابع بلاّ نفر من الباحثين لعل من أشهرهم : رمضان ششن محقق الكتاب (٢٤٥: ٦)، وعبد الله بن حمد العويشق الذي تناول نسبة الكتاب إلى الجاحظ بالنقد والتمحيص في مقالة نشرها بهذا الخصوص سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م (٢٤٣)، وتلاه إبراهيم السامرائي (٢٤٨)، و علي أبو ملحم (٣٩: ٤٧).

ويهمنا قبل الانتقال إلى استحضار الأدلة والشواهد التي من شأنها تقويض صلة الجاحظ بهذا الكتاب، أنْ نُقدم تعليلاً يمكن في ضوئه تفسير الإشارة الواردة في الأثبات المتضمنة نسبة الكتاب إلى الجاحظ على غير وجه الشك، ويبدو أنّ تفسير ذلك يتسنى من تبني أحد أمرين : أولهما : أنّ يكون الكتاب نُسب إلى الجاحظ قبل ابن النديم ، فكان أنْ وجده ابن النديم مترجماً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باسم الجاحظ، فتابع ما وجده ، وأدرج الكتاب ضمن الثبت الذي أفرده لآثار الجاحظ. وأما الأمر الآخر ، فهو أنّ يكون الجاحظ ترك – فعلاً – كتاباً بهذا العنوان، ثم جاء أحد من بعده فوقعت له النسخة التي بين أيدينا ، فقدر أنّ الكتابَ كتاب الجاحظ ، بناءً على تطابق العنوانين .

ومن الممكن عقب هذا التوجيه ، أن نأخذ في حشد أبرز الأدلة والشواهد التي يمكن بناءً عليها ردّ النسبة المزعومة للجاحظ بالكتاب، وربما كانت الأدلة أدناه أوضح من غيرها دلالة على سقوط هذه النسبة :

أولاً : كشفت المخطوطة الوحيدة للكتاب، وهي التي اعتمدها رمضان ششن في تحقيقه للنص، عن أمر مهم للغاية، وهو أنّ إضافة الكتاب إلى جملة آثار الجاحظ، تمت بعد نحو ثلاثة قرون من تاريخ نسخة (٢٤٥: ٦)، على أنّ هذه الإضافة جاءت بإشارة مقتضبة، لم يوضح صاحبها – وهو محمد بدر الدين المنهاجي – الشواهد النقلية التي اتكأ عليها، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فإن هذه الإشارة تُردُّ على صاحبها لتعذر قيام ما يدعو إلى احتضانها على نحو ما.

ثانياً : يختلف أسلوب الكتاب وطريقة تبويبه اختلافاً بيناً عَنْ طريقة الجاحظ ومنهجه في إقامة مؤلفاتِه؛ فقد رُتب الكتاب في مقدمة وخمسة عشر باباً اتسمت بالتناول الدقيق المُحكم الذي يباين سمة الاستطراد الفاشية في كتب الجاحظ بوجه عام. أمّا المقدمة ، فإنّ بناءها ينأى عن بناء المقدمات التي شُهر أبو عثمان بإقامتها، وكذا الأمر فيما يتعلق بأسلوبها. لقد جرى أبو عثمان – في أكثر فواتح آثاره – على تجريد شخص يخاطبه، ويكاد هذا النمط يكون من الملامح المميزة لطريقته الفنية، وبالنظر في مقدمة هذا الكتاب، فإنّ الأمر يختلف تماماً ؛ فهي لا تُستهل بما كان يَستهل به الجاحظ من بسملة ودعاء للمخاطب، بل تفتح بعبارة نصها : " قال الباحث ....." (٢٤٥: ٩)، وهو أسلوب يبدو غريباً عند الكُتّاب من أهل العصر الذي عاش فيه أبو عثمان، والحق أننا لم نعهد هذا النمط في ما وصل إلينا من تراث الجاحظ. وتختلف عبارة الكتاب عقب ذلك عن عبارة الجاحظ المطبوعة بطوابع الدقة والجمال والوضوح والازدواج، وقد عُنى عبد اللّه العويشق برصد جملة من عبارات الكتاب التي باينت ما هو شائع في كتابات الجاحظ (٢٤٣).

ثالثاً : وردت في الكتاب أبيات قالها البُحتري (٢٤٥: ٧١) من قصيدة في عُبيد اللّه بن يحيى بن خاقان حين طولب بمال التقسيط ، ويرجع تاريخ هذه القصيدة إلى سنة ست وخمسين ومائتين (١٩٠: ٤٩٣–٤٩٤). ولا شك أنّ مجيء هذه الأبيات المقُولة بعد وفاة الجاحظ، يشير إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد سنة ٢٥٥هـ، وهي السنة التي قضى فيها أبو عثمان. وبالإضافة إلى ذلك، أكثر صاحب الكتاب النقل عن عُبيد اللّه بن عبد الله بن طاهر (٢٤٥: ١٨، ٣٩، ٥١، ٦١)، وهو ممن لم يشتهر أمرهم إلاّ بعد انقضاء حياة الجاحظ، ولا تُعرف للجاحظ رواية عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : تُخالف عقيدة المؤلف عقيدة الجاحظ القائمة على إنكار القَدَر، وفق ما هو معروف عن المعتزلة في هذه القضية؛ فالذي يبدو من صفحات الكتاب أنّ مؤلفه ممن يعتقدون القدر ويؤمنون به، فهو يطالعنا في غير موضع داعياً إلى التسليم لأمر الله والرضى بقضائه، يقول : "فلا تكابر القدرَ مكابرة الغَالب .... " (٢٤٥: ٣٧)، ويقول : " إنّ القضاء والقدر يحولان بين العباد وبين الإرادات ، وليس إليه شيء من المشيئات" (٢٤٥: ٧٢) .

خامساً : في الكتاب أبيات تنتقد الاعتزال وتنعى على المعتزلة (٢٤٥: ٢١-٢٢)، بل إنّ المؤلف نفسه يبرأ من الاعتزال، يقول : " ..... ومن قول من يقول بمحض الاستطاعة والاعتزال، وأبرأ إلى اللّه من ذلك، غير أنّي أحببتُ ذكره للناظر في كتابي ليتبيَّن له فساد الأصل " (٢٤٥: ٢٥). فهو لا يكتفي بالبراءة من المعتزلة ، بل يعتذر عن إيراده رأيهم، وإنّما ذكره ليُكشف فساده (٢٤٣). فهل يُتصور أنّ يكون هذا الكلام صادراً عن معتزلي كالجاحظ، وهو شيخ فرقة منهم ؟!

فهذه الأدلة مجتمعةً تُشير إلى وهن صلة الجاحظ بالكتاب، وتدعو إلى إقصائه عن دائرة التراث الذي تركه هذا الرجل .

٢ – كتابُ الإبـــــل.

ليس هناك ما يُشير إلى نحل هذا الكتاب إلى الجاحظ سوى ما أورده ابن النديم في إطار حديثه عن أشهر كتب الجاحظ، يقول : " وله من الكتب : كتاب الحيوان، والمشهور أنّه سبعة أجزاء، وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء، وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى، وكتاباً آخر سماه كتاب البغال. ورأيتُ أنا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى بن سليمان، ويُكني أبا يحيى، وراق الجاحظ ، وقد أُضيف إليه كتاب سَموَّه كتاب الإبل، ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه " (٨: ٢٠٩). ويلاحظ أنّ أصحاب القوائم اللاحقة كياقوت (٣: ١٠٦)، والصفديّ (١٢: ٥٧ب)، والكتبي (١٣: ١٥٤ ظ)، كانوا يُعنون بنقل هذا النص في سياق تقدمتهم لثبت مؤلفات الجاحظ .

وربما كان هذا أوّل كتاب صرح صَنَعَةُ الأثبات بنحله إلى الجاحظ، بيد أنّ انضمامه إلى جملة الآثار المفقودة ، يحول دون تقديم أدلة يمكن على أساسها معرفة وجه الحقيقة العلميّة فيما يتعلق بمدى صحة نحله إلى الجاحظ .

٣ – رسالةٌ في إثْبَاتِ إمَامةِ أميرِ المُؤمِنين عَلِيّ بنِ أبي طَـالب .

تُعد القطعة الباقية من أصل هذه الرسالة إحدى قطعتين احتفظ بهما الأربلي في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة (١٢٨)، أما أولاهما، وهي في تفضيل بني هاشم على سواهم، فقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبق تناولها في الفصل الثالث، وهي فيما يظهر من أسلوبها صحيحة النسبة إلى الجاحظ. وأماّ القطعة الأخرى، وهي التي بين أيدينا الآن، فإنّ صلتها بالجاحظ تبدو واهية، كما سيظهر بعد قليل. ولعل من الملاحظ أنّ أكثر الدارسين الذين تعرضوا لذكر هذه القطعة جعلوها في عداد آثار الجاحظ من غير الإشارة إلى ما يدور حول هذه النسبة من ضعف بادٍ ، ومن الممكن أنّ نعد من هذا النفر : بروكلمان (٣٣: ١١٤)، ومصطفى جواد (١٢٨)، وهدى بهنام (٤٥) .

وفي المقابل ، أشار إلى نحل هذه القطعة بعض من أتيح له مطالعتها نصها كشارل بلاّ الذي نقلها إلى الفرنسية سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م (٤٣)، و طه الحاجري الذي نشرها سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م (١٢٦: ٦١-٦٧)، وكانت القطعة قد نشرت - مُستلةً من كتاب الأربلي - قبل ذلك في مجلة لغة العرب سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣١م (١٢٨). وعلى الرغم من إشارة بلاّ والحاجريّ إلى ما يعتري نسبة هذه القطعة إلى الجاحظ من شك وتردد ، إلاّ أنهما اكتفيا بالإشارة دون تعزيزها بالأدلة والقرائن التي تُفضي إلى قبولها قبولاً علمياً .

وأمّا ما يُشير إلى نحل هذه القطعة إلى الجاحظ فأمران : أولهما أنّ أسلوبها - على جودته - أدنى درجة من الأسلوب الذي يعهده الدارسون في كتابات الجاحظ، ولا سيما من حيث تركيب العبارة ونظمها. وثانيهما أنّ الفكرة التي قامت عليها القطعة، وهي تقديم علي بن أبي طالب- كرم اللّه وجهه - على سائر صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، ومنهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - تخالف ما كان يعتقده الجاحظ من تقديم أبي بكر على عليّ، وإذا كانت المعتزلة انقسمت على نفسها في مسألة تقديم أبي بكر على عليّ ، كما حكى ذلك ابن أبي الحديد في خطبة شرح نهج البلاغة، فإنّ الجاحظ كان على رأس الفريق البصري المحتج لأبي بكر على عليّ (٢٤٩: ٣)، ولمّا كانت فكرة هذه القطعة تُناقض المعتقد الذي يظل الجاحظ ينافح عنه ، صح لدينا نحلها إليها .

وينبغي بعد ذلك أنّ نوضح أنّ ضياع النص الكامل لهذه الرسالة وبقاء قطعة مقتضبة منها، لا يُتيح للدارس أنّ يمضي في استحضار أدلة أخرى من شأنها تأكيد وضع الرسالة على الجاحظ .

٤ - كتابُ التـاجِ في أخْلاقِ المُـلُـوك .

يُعرف هذا الكتاب تارة باسم أخلاق الملوك كما في مخطوطته المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا (٩١: (م) ٧٥)، غير أن تسميته بالتاج في أخلاق الملوك هي الأكثر شيوعاً في أصوله الخطية كما في نسخة طوب قبو سراي (٩١: (م) ٧٣)، وعلى هذه الصورة تتفق نشراته المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م (٩١)، وفي بيروت سنة ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢٥٠)، وفي بيروت أيضاً سنة ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م (٢٥١)، وكذا الأمر بالنسبة لترجمته الفرنسية التي أخرجها شارل بلاّ سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م (٤٣).

ومنذ أنّ أظهر أحمد زكي الكتاب أوّل مرة في القاهرة سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م، وآراء الباحثين لا تكاد تُجمع على شيء بخصوص صحة نسبته إلى الجاحظ ، ويُلاحظ الدارس في هذا الاتجاه أن الباحثين انقسموا إزاء هذه المسألة إلى فريقين : الأوّل يرى أنّ الكتاب من مؤلفات الجاحظ، والآخر ينفي هذا الأمر. وقد مَثَّل الفريق الأول عدد من الدارسين ، منهم أحمد زكي (٩١: (م) ٥٢-٦٠)، وخليل مردم (٢٨: ٣٧-٣٨)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤)، وعمر رضا كحالة (٢٥٣: ٥٣٠)، و عبد الجبار عبد الرحمن (٤٦: ٤٣٢)، وَ إمتياز عرشي (٤). وإذا ما استثنينا محقق الكتاب أحمد زكي الذي مضى في تقديم الأدلة التي تدعم ما ذهب إليه، ألفينا الباقين من أفراد هذا الفريق اكتفوا بالإشارة العابرة دون الاستدلال على صواب ما ذهبوا إليه . وأما الفريق الآخر، فقد حمل لواءه غير واحد من الباحثين، منهم : حسن السندوبي (٣١: ١٤٥-١٥٢)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٦-١٢٧) ، وبلاّ (٤٣). ومن بين هؤلاء حاول السندوبي أنْ يُقيم دليلاً على ما يعتري نسبة الكتاب إلى الجاحظ من شك وتردد، بيد أنّه اقتصر على طرف ولم يتجاوزه إلى لَمّ شعث باقي الأدلة التي يقوي بعضها بعضاً بغية ردّ هذا الأثر عن الجاحظ بصورة علمية مقبولة .

وقبل المضي في مناقشة أدلة الفريق الأوّل، أرى أنْ نستوفي بدءاً سوق الأدلة التي يصح اتخاذها شاهداً على أنّ نسبة الكتاب إلى الجاحظ لا تعدو أنْ تكون موضع نظر ، ويُمكن فيما يلي استعراض أهم هذه الأدلة :

أولاً : تسير مقدمة الكتاب وفق نمط يبدو غريباً جداً عن غيره من الأنماط التي جرى أبو عثمان على تصدير كتبه ورسائله بها، فهي تُفتتح بحمد اللّه والثناء عليه بما هو أهله ، ثم يتحول المؤلف إلى الشهادتين، فالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم (٩١: ١-٢). وغني عن القول إنّ الجاحظ لم يكن يتابع هذا التقليد في فواتح آثاره ، بل كنا نجده يعمد إلى تجريد شخص يخاطبه ويوجه الكلام إليه، وهذا الأمر يمكن مطالعته بوضوح في أكثر مقدمات كتبه ورسائله .

ثانياً : تقوم بنية الكتاب الداخلية على مزايا متعددة كالتبويب الدقيق والتصنيف المُحكم، والتوزيع المضبوط. وهذه الأمور وأشباهها لم تجعل هنالك فُرصةً لظهور سمتي التكرار والاستطراد كما كنا نطالعهما في كتابات الجاحظ المختلفة. لقد لهج الجاحظ بهاتين السمتين في تآليفه حتى غدتا من ملامح أسلوبه الفني المُميز، وبما أنّ كتاب التاج أخل بسمتين يمكن عدهما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أبرز سمات مذهب الجاحظ الأدبي، فإنّ هذا يحمل دلالة واضحة على أنّ يداً غير يد الجاحظ تولت وضع الكتاب .

ثالثاً : يغلب على مادة الكتاب الرواية والجمع ، وقلما يظهر المؤلف بين ثنايا كتابه، وهذا المنهج في التأليف لا يُجاري المنهج الذي سار عليه أبو عثمان في تآليفه المتنوعة، ولا سيما فيما يتعلق بالدخول على ما يرويه بالتوجيه والتعليل والتفسير على نحوٍ يضمن حضور شخصيته بشكل واضح . وبالإضافة إلى ذلك فإنّ عبارة مؤلف التاج لا ترقى في جمالها ووضوحها وتقطيعاتها الصوتية إلى ما يعهده الدارسون في عبارة الجاحظ الأصيلة .

رابعاً : وردت في الكتاب بعض الآراء التي تُناقض ما كان يراه الجاحظ ويدعو إليه، فهو يرى أنّ الإمام أو الخليفة يجب أن يُختار من قبل النخبة بطريق الشورى، ويجب أن يكون أفضل أهل زمانه، وإذا جار أو حاد عن تعاليم الدين فيجب سبه وخلعه (٣٨: ١٣١-١٣٩). أمّا في كتاب التاج، فقد ورد أنّ الله هو مصدر السلطان ، وأنّ المُلك وراثة، وأن على الرعية طاعة ملكها مهما بدر منه، وأنْ لا تخاطبه إلا باللين (٣٨: ٢٧٩) .

وباستطاعنا بعد استيفاء هذه الأدلة ، أن ننطلق إلى مناقشة أدلة الفريق القائل بصحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ، ممثلة بالأدلة التي ساقها أحمد زكي في مقدمة تحقيقه للكتاب، ويمكن مناقشة هذه الأدلة على هذا النحو :

أولاً : أمّا أنّ كتاب التاج يمثل أسلوب الجاحظ بمزاياه المختلفة (٩١: (م) ٥٢-٥٦)، فقول لا يمت إلى الحقيقة العلمية بسبب، لأنّ الموازنة الدقيقة بين أسلوب الكتاب وطريقة الجاحظ الفنية، كافية لتبين البون الشاسع بين الأسلوبين، فعبارة الجاحظ بموصفاتها الآنفة تبدو غائبة تماماً عن نص الكتاب.

ثانياً : وأمّا أنّ بعض المصادر التي استقى منها صاحب التاج تتفق مع المصادر التي استمد منها الجاحظ في آثاره (٩١: (م) ٥٧)، فأمر لا يصح اعتماده دليلاً في هذا النطاق، لأنّ هذه المصادر ليست قصراً على الجاحظ وحده، بل هي مشاع بين الدارسين، يحق لكل واحد منهم أنْ ينهل منها، ضمن الضوابط العلمية .

ثالثاً : وأمّا أنّ في الكتاب تكراراً وترداداً، والجاحظ مشهور بذلك (٩١: (م) ٥٧-٥٨)، فليس الأمر - فيما يبدو لي - على هذه الصورة تماماً، حقاً إنّ الكتاب لا يخلو من تكرار أحياناً، لكنه ليس من جنس التكرار الذي يصادفه القارىء في كتب الجاحظ ورسائله مما قد يمتد صفحات، وتُرد هذه الشواهد التي يسوقها أحمد زكي إلى باب التكرارات اليسيرة القريبة العابرة التي تباين تكرارات أبي عثمان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعـاً : وأمّا ما ذهب إليه أحمد زكي من أنّ قول مؤلـف التـاج: "ولعل قـائلاً يقـول، إذا رآنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك من آل ساسـان وملـوك العـرب، قـد نـاقض هـذا الكتاب، إذ زعم أنّه ليس لأخـلاق الملـك الأعظـم نهايـة..." (٩١: ٥) لا يمكـن أنْ يـأتي بمثلـه إلاّ الجاحظ (٩١: (م) ٥٨)، فأمر يبعد عن الحقيقة ، إذ من الممكن أن يصدر هذا الكلام ونظيره عـن الجاحظ أو غيره، بيد أنني لا أرى فيه خصوصية تدعو إلى إضافته إلى الجاحظ، فمن الممكن أن يكون هذا الكلام صادراً عن محمد بن الحارث التغلبي، وهو الأمر الذي ينكره أحمـد زكـي (٩١: (م) ٥٨-٥٩).

خامساً : لا يمكن القول أنّ محمد بن الحارث التغلبـي – صـاحب الكتـاب الحقيقـي – لـم يترك سوى كتاب الصيد والجوارح، وكتاب الروضة والزهر، وكتاب البسـتان، كمـا يذهـب أحمـد زكي (٩١: (م) ٥٨)، بل إنّ هذه الكتب هي التي ذكرها له ابن النديـم فـي الفهرسـت (٨: ١٣٠)، ولا يستطيع أحدّ الجزم بأنها الكتب الوحيدة التي ألفها هذا الرجل.

سادسـاً : وأمّا أنّ قول صاحب التاج : " إنّا ألّفنا كتاباً قبل كتابنا هـذا فيـه أخـلاق الفتيـان وفضائل أهل البطالة .... " (٩١: (م) ٥٩) هو إشارة إلى كتاب الجـاحظ الـذي أشـار إليـه يـاقوت والصفديّ وابن شاكر باسم الفتيان (٩١: (م) ٥٩)، فـالأمر يحتـاج إلـى تحقيق، ذلـك أنّ الجـاحظ حقيقة لم يترك كتاباً اسمه كتاب الفتيان، وأما الصورة التي ذكرها ياقوت ومن بعده الصفديّ وابـن شاكر، فهي مُصحفة عن العنوان الذي ذكره ابن النديم باسم القيان (٨: ٢١٠)، وغني عـن القـول أنّ الذين أوردوا الصورة المصحفة صدروا عن ثبت ابن النديم بصفته أقدم هذه الأثبات .

وبعد مناقشة هذه الأدلة ، لنا أنْ نبحث في مدى صحة نسبة الكتاب إلى محمد بن الحارث التغلبي أحد معاصري الجاحظ. وبالنظر في هذه القضية، فإنّ بعض الأدلة العلمية يمكن أن تُشـير إلى صواب هذه النسبة، وفي مقدمة هذه الأدلة إشارة المسعودي إلى كتـاب اسـمه أخـلاق الملـوك ألفه محمد بن الحارث التغلبي للفتح بن خاقان (١٦: ١٣-١٤). ومما يؤكـد أنّ هـذا الكتـاب الـذي يشير إليه المسعودي هو كتاب التاج عينه، ما جاء في مقدمتـه مـن تصريـح مؤلفـه بوضـعه باسـم الفتح بن خاقان ، يقول " فرأينا ... أنْ نخص بوضع كتابنا هذا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمـير المؤمنين، إذ كان بالحكمة مشغوفاً وعلى طلبها مثابراً ، وفي أهلها راغباً ، ليبقى له ذكره، ويحيـا به اسمه ، ما بقي الضياء والظلام " (٩١: ٤). وواضح أنّ هذا النص عند عرضه على مـا أشـار إليه المسعودي آنفاً يفضي إلى القول أنّ محمد بن الحارث التغلبي هو مؤلف كتاب التاج، ومعنـى ذلك أنّ نسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ تُنفي بعد هذا التحقيق من أصلها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ – كتابُ تَنْبيهِ المُلـــوكِ وَ المَكـائِـد.

نسب هذا الكتاب إلى الجاحظ عدد من الدارسين كخليل مردم (٢٨: ٣٩)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤)، وعبد الأمير مهنا (١٠٢: ١٠). وفي المقابل أشارت طائفة أخرى من الدارسين إلى ما يعتري هذه النسبة من ضعف بادٍ، ومن أبرز الذين مثلوا هذه الطائفة : أحمد زكي (٩١: ٢٢١-٢٢٦)، والسندوبي (٣١: ١٥٢)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٧)، وشارل بلاّ (٤٢). وقد حاول الأولان تقديم الأدلة التي تعزز خطأ نسبة الكتاب إلى الجاحظ، بيد أن هذه الأدلة لم تكن كافية تماماً .

ولم يرد في الكتاب المخطوط في مكتبة كوبريللي (٣٣: ١٢٧)، المصور في مكتبة ليدن (٢٥٤)، ما يشير إلى اسم مؤلفه الحقيقي، وكل ما هناك أنّ أحدهم أضاف عبارة يعود تاريخ نسخها إلى وقت قريب، نصّ فيها على أنّ الكتاب "للجاحظ رحمة الله عليه" (٢٥٤: ١ظ)، ويبدو أن هذه العبارة كانت وراء نسبة الكتاب إلى الجاحظ من قبل نفر من المعاصرين .

والحق أنّ العبارة المُشار إليها لا يصح اعتمادها دليلاً على أنّ الكتاب للجاحظ، فهي بدءاً مكتوبة بعد نسخ المخطوط وخطها يباين خط الأصل، أضف إليه أنّ مُضيفها لم يذكر لنا المستند الذي اتكأ عليه في إثبات هذه النسبة .

والكتاب الذي يختص بذكر المكائد من لدن الفرس والهنود والروم ما قبل الإسلام إلى ما جرى منها حتى القرن الخامس الهجري تقريباً، يَغصُّ بذكر الحوادث الواقعة بعد وفاة الجاحظ، مما يشير بوضوح إلى أنّ الكتاب وضع في وقت متأخر عن عصر الجاحظ، فمن هذه الحوادث : المكيدة التي جرت بين أحمد بن طولون وبين الموفق أخي المعتمد (٢٥٤: ١٧٧ ب)، والمكيدة التي جرت على ولد أحمد بن طولون بعد أبيه (٢٥٤ : ١٨٣ ظ)، والمكيدة التي جرت بين ابن حمدان وأبي البركات ابني ناصر الدولة بن حمدان (٢٥٤: ١٨٥ ظ)، ومكيدة المعتضد بالقسم بن عبيد الله (٢٥٤: ١٩٣ ظ)، ومكيدة القسم بن عبد الله وزير المعتضد بابن أبي الساج (٢٥٤: ١٩٣ ب)، ومكيدة اليزيدي بمحمد بن خلف في وزارة ابن مقلة (٢٥٤: ٢٠٥ ب)، ومكيدة محمد ابن ياقوت بالوزير ابن مقلة في وزارته الثانية (٢٥٤ : ٢١٧ظ)، ومكيدة أمير الأمراء أيام الراضي بالله بمحمد بن يحيى بن شيرزاد (٢٥٤: ٢٢٩ ب)، ومكيدة أبي جعفر الصميري بابن قرابة (٢٥٤: ٢٤٣ ط)، ومكائد كافور الأخشيدي (٢٥٤: ٢٤٥ ظ) .

ويُفتتح الكتاب بمقدمة مسجوعة تجري مجرى الفواتح المكتوبة في القرنين الرابع والخامس، يقول:"الحمد للّه الذي افتتح بالحمد كتاباً، وفتح للعبد-إذا وافى إليه باباً، قسم بين خليقته فطوراً أطواراً، وتحزبوا أحزاباً ... " (٢٥٤: ٢ب)، وواضح للعيان أنّ هذا النمط من المقدمات يباين نهج المقدمات التي عُرف بها أسلوب الجاحظ، حتى غدت من ملامح طريقته الفنية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسير مادة الكتاب وفق تنسيق وترتيبٍ واضحين، فالكلام على كل مكيدة يُفرد على حدّة، وليس هناك ما يقترب من ظاهرة الاستطراد التي أشاعها الجاحظ في تآليفه، وليس هناك ما يدل على شخصية المؤلف أو حضوره على نحوٍ ما. ولاشك أنّ هذه الأمور والتي تقدمتها تدل على عدم صحة نسبة كتاب تنبيه الملوك إلى أبي عثمان .

٦ – كتابُ تَهْذيبِ الأخْـــلاَق.

تستوقف الناظر في هذا الكتاب عدّة أمور، أولها تعدد نشراته على نحو لافت، وثانيها الخلط الواقع في تعيين صاحب الكتاب، يُضاف إلى ذلك تباين عنواناته على نحو مثير للنظر. فقد نُشر الكتاب حتى الآن ست مرات باسم تهذيب الأخلاق، ظهرت الأولى منسوبة إلى يحيى بن عدّي السرياني في القاهرة سنة ١٢٩٠هـ=١٨٧٢م (٢٥٥)، وأعاد جرجس عوض نشرها في القاهرة سنة ١٣٣١هـ=١٩١٣م (٢٥٦)، وسرعان ما أظهر محمد كرد علي نشرته المنسوبة إلى الجاحظ سنة ١٣٤٢هـ=١٩٢٤م (٩٢)، وأعقب هذه النشرة نشرة مار سوير يوس برصوم في شيكاغو سنة١٣٤٦هـ=١٩٢٨م (٢٥٧: ٤)، وقد نُسب الكتاب في هذه النشرة إلى يحيى بن عدي، وكذا الأمر في النشرة التي أخرجها مراد فؤاد حقي في القدس سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م (٢٥٧). وكانت آخر نشراته المعنونة بتهذيب الأخلاق تلك التي نشرها عبد الرحمن حسن محمود في القاهرة سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م (٢٥٨)، على أنّ هذه النشرة نُسبت إلى محي الدين بن عربي .

وبالإضافة إلى هذا العنوان الذي أجمعت عليه النشرات الآنفة ، ظهرت نشرة أخرى منه في القاهرة سنة ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م حملت اسم كتاب الأخلاق (٢٥٩)، وكانت هذه أول نشرات الكتاب المنسوبة إلى محي الدين بن عربي، على أنّ عنواناً آخر نُشر به الكتاب ، وهو فلسفة الأخلاق ، وقد ظهرت نشرته الأولى التي حملت هذا العنوان في القاهرة سنة ١٣٣١هـ=١٩١٣م (٢٦٠)، ثم أعاد نشرها علي البصري في بغداد سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م (٢٦١)، والملاحظ أنّ هاتين النشرتين أُضيفتا إلى ابن عربي .

ومن بين هذه العنوانات الثلاثة، يظهر للباحث أنّ أولاها أقرب إلى أنّ يكون أصوبها وأدناها إلى العنوان الأصل، ولعل مما يؤيد ذلك أنّ مخطوطات الكتاب أجمعت على هذه الصورة، كما في مخطوطة المجمع العلمي العربي التي استند إليها محمد كرد علي في نشرته (٩٢)، وكما هو الحال في النسخة المحفوظة في مكتبة غريغورس حداد (٩٢)، ونسخة الفاتيكان (٢٥٧: ٦). وأمّا العنوانان الآخران، فالظاهر أنّ أيدي الناشرين لعبت في صورتهما الحقيقة على نحوٍ جعلهما يبتعدان عن الصورة الأصلية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر من النظر في نشرات الكتاب الآنفة أنّ الكتاب نُسب في واحدة منها إلى الجاحظ فحسب، وأما النشرات الباقية فقد نُسب بعضها إلى يحيى بن عدّي، بينما نُسب بعضها الآخر إلى محي الدين بن عربي، وليس يعنينا في هذا السياق إلاّ أنْ نقف عند النشرة المنسوبة إلى الجاحظ، لنرى مدى صحة نسبتها إليه .

أظهر محمد كرد علي هذه النشرة تِباعاً في الأجزاء : السادس والسابع والثامن والتاسع من المجلد الرابع في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٣٤٢هـ=١٩٢٤م، وقد صرح محمد كرد علي في مقدمة نشرته أنّ الكتاب من آثار الجاحظ، وكان مما قاله في تلك المقدمة : " وقد أسعدني الحظ مؤخراً بالعثور في جملة من مخطوطات التي دخلت خزانة المجمع العملي العربي في دمشق على مجموع لطيف من قطع الربع فيه عدة رسائل، الأولى كتاب الشهاب في المواعظ والآداب للقاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، والثانية في ألفاظ رويت عن الرسول عليه الصلاة والسلام، والثالثة في الحديث ، والرابعة كتاب تهذيب الأخلاق للجاحظ، وهو الذي اغتبط اليوم بنشره " (٩٢).

وبعد أنْ تسنى نشر ما يربو على نصف الكتاب مغزواً إلى الجاحظ، تبين لمحمد كرد علي أنّ الكتاب نُشر قبلاً منسوباً إلى يحيى بن عدي تارة، وإلى محي الدين بن عربي تارة أخرى، وهو ما جعل الناشر يعدل عن إضافة الكتاب للجاحظ إلى يحيى بن عدي ، يقول : " وفي يقيننا بعد أن ظهر ما ظهر من أمر الرسالة أنّ نسبتها إلى الجاحظ أو إلى ابن عدي أو إلى ابن عربي، لم تبرح موضع نظر ، وإنْ كنا نُرجح أنّها ليحيى بن عدي لبعض عبارات لا يقول مثلها الجاحظ شيخ المعتزلة ، ولا ابن عربي شيخ المتصوفة " (٩٢) .

وتأكيداً لعدول الناشر عن نسبة الكِتاب إلى الجاحظ، قام بإعادة نشره في السنة عينها مُضافاً إلى يحيى بن عدّي (٢٦٢)، كما أعاد إخراجه من جديد ضمن رسائل البلغاء (٢١٨: ٤٨٣-٥٢٢)، معزواً إلى يحيى بن عدي أيضاً .

وهكذا يتضح مما سبق أنّه بعدول الناشر عن نسبة الكتاب إلى الجاحظ، لم يعد هناك ما يدعو بإلحاح إلى تناول مدى حقيقة صلة الجاحظ بالكتاب، ومع أنه لا يهمنا كثيراً في هذا المقام أنْ نتوصل إلى مؤلفة الحقيقي أهو يحيى بن عدي أم محي الدين بن عربي ، إلاّ أنّه يهمنا من جانب آخر أنْ نمضي في إبراز الأدلة التي من شأنها تأكيد انقطاع ما يمكن أن يُشار إليه من صلةٍ لأبي عثمان بكتاب من هذا القبيل، ولعل من أهم ما يمكن الاستشهاد به في هذا المضمار الأدلة التالية :

أولاً : لم ترد في جريدة أسماء كتب الجاحظ محض إشارة تُومىء إلى كتاب تركه أبو عثمان يحمل اسم تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق، أو الأخلاق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : ورد في الكتاب ما يُشير إلى نصرانية صاحبه، فمن ذلك احتفاله -في غير موضع- بالدعوة إلى الرهبانية والنسك وقمع الشهوات (٩٢). والكتاب على نحو عام أقرب إلى أنّ يكون دستوراً للتعليمات الخُلقية التي يُعني القساوسة والرهبان بتطبيقها على أنفسهم، ولعل في هذا ما يؤيد نسبة الكتاب إلى يحيى بن عدي السرياني، وقد ورد في آخر النسخة المحفوظة في خزانة غريغوريوس حداد ما نصه : "والمجد لواهب العقل دائماً أبداً، آمين" (٩٢)، وغني عن القول إنّ نمط هذه العبارة لا يعدو أن يكون جارياً على سَنن العبارات الشائعة عند النصارى .

ثالثاً : تمتاز مادة الكتاب بالتنسيق المُحكم الدقيق، إذ تأخذ الأفكار برقاب بعضها في بناء يدل على عناية المؤلف الشديدة بترتيب كتابه، ولا ريب أنّ هذا الأسلوب يُباين ما هو معهود عند الجاحظ من الاستطرادات الكثيرة التي تؤدي إلى اختلاط الموضوعات على نحو يُفسد التنسيق في أحيان كثيرة .

رابعاً : يخلو الكتاب من سائر ألوان الإشارات الأدبية والتاريخية والحضارية على نحو بيّن للغاية، وهذا يحمل دلالة واضحة على أنّ طريقة تأليف الكتاب أخلّت بملمح من أشد الملامح حضوراً في طريقة الجاحظ الفنية، وهو ما يُفضي إلى القول إنّ شخصاً آخر غير الجاحظ هو من تولى وضع الكتاب .

خامساً : يتضمن الكتاب آراء تناقض بعض الآراء التي كان الجاحظ يؤيدها وينافح عنها، فمن ذلك نظرة مؤلف الكتاب إلى الغناء والشراب نظرة الشيء الواقع في دائرة المحظور (٩٢)، وهذا يباين ما يطالعة القارىء من الاحتجاج لإباحة هذين الأمرين عند الجاحظ في رسائله: مدح النبيذ ، والشارب والمشروب، والنساء. وهذا يدل على اختلاف المنابع التي استقى منها الجاحظ وصاحب الكتاب، وهو ما أدى إلى اختلاف الأفكار أيضاً. وقد سعى علي أبو ملحم في حشد الفروقات الشاسعة بين مجمل الأفكار التي باين فيها مؤلف الكتاب ما كان يعتقده الجاحظ من أفكار وآراء (٣٨: ٢٦٣-٢٦٧) .

إن هذه الأدلة وما تقدمها تُثبت بما فيه الكفاية تهافت نسبة كتاب تهذيب الأخلاق إلى الجاحظ، كما تدعو إلى رده عن جملة الآثار المتصل نسبها بأبي عثمان .

٧ - كتابُ الدلائلِ وَ الاعتِبَارِ على الخَلْقِ والتَدْبِيـــــر.

هذا هو العنوان الذي صدرت به نشرتا الكتاب المطبوعتان سنة ١٣٤٦هـ=١٩٢٨م (٢٦٣)، وسنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م (٢٦٤). ويوجد الكتاب معنوناً في بعض نسخه الخطية باسم العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطباع (٤٥)، بيد أنّ غير واحد من المعاصرين فرّق بين العنوان الأوّل والآخر اعتماداً على ظاهر العنوانات، وهذا الأمر يمكن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقوف عليه جلياً عند : بروكلمان (٣٣: ١١٤، ١١٦)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤)، ومحمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٨٨)، وهدى بهنام (٤٥)، إذ مضوا يذكرون العنوان الأول على أنّه عنوان كتاب مستقل عن العنوان الآخر .

ومع أنّ عدداً من الدارسين أشاروا إلى ما يدور حول نسبة الكتاب إلى الجاحظ من شك وتردد، كما يمكن ملاحظته عند السندوبي (٣١: ١٥٣)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٧)، وشارل بلاّ (٤٣)، إلاّ أنّ نفراً آخر أضاف الكتاب إلى آثار أبي عثمان من غير الإشارة إلى ما يعتري هذه الإضافة من ضعف بادٍ ، كما هو الحال عند خليل مردم (٢٨: ٣٩)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، وعبد الجبار عبد الرحمن (٤٦: ٤٣٣) .

ويهمنا قبل التطرق إلى ذكر اختلاف الدارسين في اسم الشخص الحقيقي الذي وضع الكتاب، أنْ نسوق الأدلة التي يمكن بناء عليها نفي صلة الجاحظ به، وأهم هذه الأدلة : -

أولاً : يبدو أنّ الكاتب الذي تولى نسخ الكتاب لم يجد ما يشير إلى اسم مؤلفه، فقدّر أنّ الكتاب من آثار أبي عثمان ، بناءً على العبارة الواردة في صدر الكتاب ونصها : " قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ إن ..... " (٢٦٤). ومن الواضح أنّ ابتداء الكتاب بعبارة من هذا القبيل لا تدل تماماً على أنّ الجاحظ هو صاحب الكتاب ، فقد يكون صاحبه الحقيقي افتتح الكتاب مُستشهداً بقول الجاحظ ، وهذا أمر ليس غريباً في طرائق البحث العلمي. وسيرى القارىء أنّ افتتاح بعض الآثار بعبارات من هذا النوع أوهم بعض الدارسين في نسبة بعض الآثار كالعرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس، والفرق في اللغة، والمحاسن والأضداد، فنُسبت إلى الجاحظ من غير دليل يُصدق هذه النسبة .

ثانياً : لم يُشر أحدٌ من أصحاب المظان إلى كتاب للجاحظ يحمل هذا العنوان، وفي ذلك إشارة يُستأنس بها في نطاق الشك في صحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ، على أنّ أقرب صورة تقترب من صورة هذا العنوان ما ذكرها ابن النديم ، وهي التفكر والاعتبار (٨: ٢١١)، وليس بمقدورنا القول إنّ هذه الصورة هي صورة ثالثة لعنوان هذا الكتاب في ضوء الافتقار إلى ما يقوم دليلاً على صحة هذا التقدير .

ثالثاً : لا تُضارع طريقة تأليف الكتاب وأسلوب بنائه ما هو معروف من الأساليب التي احتذاها الجاحظ في كتاباته المختلفة، فالكتاب في فاتحته لا يسير على شاكلة الفواتح التي ألفناها في آثار الجاحظ التي وصلت إلينا. والكتاب مُقسم بعد ذلك إلى فروع كثيرة يُفتتح كل واحد منها بأشباه هذه العبارات : فكّر في كذا .... تأمل كذا ... انظر إلى كذا ، وهذا التقسيم الذي يجمع الدقة والإحكام يبتعد كثيراً عما هو مُتبع في التقسيمات التي أقام عليها الجاحظ كتبه. ويكاد الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوق ذلك يخلو من نزعة الاستطراد التي أشاعها أبو عثمان في تآليفه، وكذا الأمر فيما يتصل بالإشارات التاريخية والأدبية والحضارية ، فإنّ مادة الكتاب لا تضم في ثناياها ما يدل على حضور الشاهد من القرآن أو الحديث أو الشعر أو الخبر أو نحو ذلك، ولا جرم أنّ عدم احتفال الكتاب بالشواهد من هذا النوع، وهي التي تشكل ملمحاً من ملامح طريقة الجاحظ، يحمل في طياته إشارة واضحة تدعو إلى نفي صلة الجاحظ به. وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإنّ عبارة الكتاب تدنو في نسقها مع ما يصدر عن حكماء المتصوفة ، ولعل هذا السبب الذي جعل السندوبي يرجح نسبة الكتاب إلى الحارث بن أسد المحاسبي (٣١: ١٥٣) .

إنّ هذه الشواهد مجتمعةً تجعل الشكوك لا تساور الباحث عندما يعمد إلى إقصاء هذا الكتاب عن دائرة الآثار التي كتبها الجاحظ حقيقةً، ويبدو أنّ نسبة الكتاب إلى الجاحظ جاءت نتيجة خطأ وسوء تقدير من الناسخ، ومهما يكن من أمر ، فإنّ نسبة الكتاب إلى الجاحظ تظل من القضايا التي لا يعززها دليل يدعو الباحث إلى احتضانه .

وبعد أن أمكن بالدليل العلمي المقبول نفي تبعة الكتاب عن الجاحظ، انتقل بنا الحديث إلى تعيين اسم المؤلف الذي وضع الكتاب، والملاحظ في هذا المجال أنّ الدارسين يختلفون ههنا، فبينما يرى السندوبي أنّ الكتاب للحارث بن أسد المحاسبي (٣١: ١٥٣)، يذهب بروكلمان إلى القول إنّ الكتاب لجبريل بن نوح النصراني الذي ترك كتاباً يحمل اسم الدلائل والاعتبار (٣٣: ١٢٨) .

والحق أنّ وجود كتاب للمحاسبي يقترب عنوانه من عنوان الكتاب الذي بين أيدينا (٨: ٢٣٦)، أو وجود كتاب لابن أبي نوح يشابه عنوان هذا الكتاب (٣٣: ١٢٨) لا يكفي وحدّه للقول إنّ الكتاب لهذا أو لذلك، بل لا بُدّ من استجماع قرائن أخرى حتى يتسنى تحقيق مثل هذا الأمر، ويبدو لي أن مقابلة الأصول المخطوطة لكتابي المحاسبي وابن أبي نوح على نص هذا الكتاب، كفيل بتبين معرفة صاحب النص على وجه يرضي الحقيقة العلمية .

٨ - رسالةُ مدحِ العُلُوم وذمِّها .

أضاف هذه الرسالة إلى الجاحظ عدد من المعاصرين ، منهم : بروكلمان (٣٣: ١١٦)، ومحمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٣٠٥)، وإمتياز عرشي (٤). والظاهر أنّ نسبتها إلى الجاحظ جاءت من العنوان الواقع في صدر مخطوطتها، وصورته "رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح العلوم وذمها" (١١٣). ولعله من اللافت عدم ورود الإشارة إلى هذا العنوان في أيٍّ من المصادر القديمة التي عُنيت بأخبار الجاحظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نشر بـلاّ هذه الرسالة سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٦م، عن نسخة تعود إلى سنة خمس وأربعين وستمائة هجرية، توجد محفوظة في مكتبة أحمد الثالث (١١٣). ومع أنّ الناشر تعرض في تقدمته للرسالة إلى تحقيق نسبتها فجزم بوضعها على الجاحظ، إلا أنّه من جهة أخرى لم يبسط القول في بيان الأدلة التي تثبت صدق ما ذهب إليه .

وأما ما يدل على خطأ نسبة الرسالة إلى أبي عثمان، فأسلوبها وطريقة بنائها، فهما يباينان مذهب الجاحظ أشدَّ المباينة؛ أمّا الأسلوب فهو يمثل منحى متقدماً في توظيف المحسنات البديعية على نحو لا يبتعد كثيراً عن أساليب الكتاب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، حين تفشت الصنعة في سائر ألوان الكتابة الفنيَّة. ولعل من النافلة القول إنّ طريقة الجاحظ لم تسلك هذه السبيل أبداً ، بل إنّ الجاحظ نفسه يبرأ من كلّ عمل تأليفي هذه صفته ، يقول : " بل أستحي من الكتابة، وأستنكف بأنّ أنسب إليها من البلاغة أن أُعْرفَ بها في غير موضعها، ومن السجع أنْ يظهر مني ، ومن الصنعة أنْ تُعرف في كتبي " (٣٤: ٢٥٣) .

وأمّا بناء الرسالة ، فليس فيه ما يماثل مجموعة البنى التي سار عليها أبو عثمان في رسائله، فالكلام في هذه الرسالة يبتدىء من غير فاتحة مُمهدة كتلك التي يطالعها الدارس في رسائل الجاحظ، وكذا بالنسبة للخاتمة، فنص الرسالة يصل إلى منتهاه ثم يُجذم جذماً من غير ما يُشعر بتلك النهاية .

ويبدو أنّ الوراق الذي قام بنحل الرسالة إلى الجاحظ أراد أنّ يُعمي حقيقة أمره، فكان أنْ اختلق سنداً لهذه الغاية، يقول : " قال أبو عبد اللّه الدينوري : صحبت أبا العباس محمد بن يزيد المبرِّد سنتين ، فلما استأذنته في الرجوع إلى وطني قال : يعزّ عليّ فراقك، وقد وجب عليّ حقك، فينبغي أنْ أتحفك بكتاب ألفه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لم يخرجه إلى غيري .... " (١١٣). وهو سند يبدو ظاهر الافتعال .

٩ – كتابُ سِحْـرِ البَيَـانِ المُحـاكي قِطـعَ الجِنـان .

ترجع نسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ إلى ما أشار إليه غير واحد من الدارسين وفي مقدمتهم : إسماعيل البغدادي (٢٧: ٨٠٢)، وخليل مردم (٢٨: ٣٩)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٠)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، والزركلي (١١: ٧٤)، وهدى بهنام (٤٥)، وإمتياز عرشي (٤). ويلاحظ أنّ هؤلاء يتفقون جميعهم على إدراج الكتاب ضمن مؤلفات الجاحظ، إذ أنّ أحداً منهم لم يبدِ اعتراضاً على هذه النسبة. وفي الجانب الآخر ، نبه بعض الدارسين إلى ما يعتري هذه النسبة من شك وتردد، ولعل أهم من مثل هذا الفريق : محمد عويس (٢٦٥: ٤٦-٤٧)، وشارل بلاّ (٤٣)، بيد أنّهما لم يُعنيا بتقديم أدلتهما التي تعزز ما ذهبا إليه في هذا السياق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر جلياً عند الرجوع إلى مخطوطة الكتاب المحفوظة في كوبريللي تحت رقم ١٢٨٤ ، أنّه يُنسب إلى شخص اسمه عبد الله الجاحظ، فقد جاء في صفحة العنوان ما نصه : " كتاب سحر البيان المحاكي قطع الجنان، لمولانا العلامة، البحر الحبر الفهامة، أبي المكارم عبد الله الجاحظ " (٢٦٦: ١ظ). وواضح أنّ هذا النص لا يقوم وحده دليلاً قاطعاً على أنّ الكتاب للجاحظ، لأننا نعلم يقيناً أنّ الجاحظ لم يُسمَّ يوماً عبد اللّه ، ولم يشع أنّه كان يُكنى أبا المكارم .

وبعد قراءة فاحصة لمخطوطة الكتاب، تولد لدى الباحث يقين أكيد بعدم صحة انتمائه إلى مؤلفات الجاحظ على أي وجه كان الأمر، وذلك للأسباب التالية : -

أولاً : يتضمن الكتاب بين دفتيه ذكر طائفة من أهل القرون: الثالث والرابع والخامس، ممن عاشوا واشتهر أمرهم بعد وفاة الجاحظ بسنوات طويلة، على أنّ الأمر تجاوز ذكر أسماء هؤلاء إلى الاستشهاد بروائع ما أنتجوه من أقوال وأشعار وإنشاءات. ففي الباب المعقود لروائع كلام ملوك الإسلام وأمرائه، يورد المؤلف أحاسن كلام عدد من الخلفاء والأمراء والولاة ممّن تملكوا بعد انقضاء حياة الجاحظ، كالمعتمد (٢٦٦: ٣١ ب)، والمهتدي (٢٦٦: ٣١ ب)، والموفق (٢٦٦: ٣١ ب)، والمعتضد (٢٦٦: ٣١ ب-٣١ظ)، والمكتفي (٢٦٦: ٣٢ ب)، والمقتدر (٢٦٦: ٣٢ ب)، وابن المعتز (٢٦٦: ٣٢ب- ٣٢ظ)، والقاهر (٢٦٦: ٣٢ ظ). كما يورد من غير الخلفاء عدداً لا بأس به كسيف الدولة الحمداني (٢٦٦: ٣٣ظ-٣٤ب)، وعضد الدولة بن بويه (٢٦٦- ٣٤ب)، وقابوس بن وشكمير (٢٦٦: ٣٤ ظ)، ومأمون بن مأمون خوارزم شاه (٢٦٦: ٣٤ظ- ٣٥ب) .

ويتضمن الباب السادس من أبواب الكتاب محاسن أحاديث نفر من الوزراء والقادة الذين وسُد إليهم الأمر بعد عصر الجاحظ كأحمد بن صالح بن شيرزاد وزير المعتمد (٢٦٦: ٣٨ ب)، وصاعد بن مخلد وزير المعتمد والموفق (٢٦٦: ٣٨ ظ)، وعُبيد اللّه بن سليمان وزير المعتضد (٢٦٦: ٣٨ ظ)، وأبي الحسن بن الفرات وزير المقتدر (٢٦٦: ٣٩ ب)، وابن مقلة وزير المقتدر والقاهر والراضي (٢٦٦: ٣٩ ظ)، والصاحب بن عباد وزير فخر الدولة (٢٦٦: ٤٠ظ-٤١ب)، وأبي نصر بن أبي يزيد وزير الراضي (٢٦٦: ٤١ظ-٤٢ب).

وتسير أكثر الأبواب الباقية على الشاكلة نفسها، ففي الباب السابع تجد من بدائع كلام الكُتاب والبُلغاء الذين جاءوا بعد الجاحظ، مما لا يتسع المقام لعدهم ههنا، على أنّ اللافت في هذا الكتاب أن المؤلف استشهد بشيء من بدائع كلام الجاحظ (٢٦٦: ٤٥ ب)، شأنه في ذلك شأن غيره من الكُتاب الذين استشهد المؤلف بكلامهم. ويودع المؤلف الفصل العاشر من كتابه مختارات لنحو ثمانين شاعراً عاشوا بعد وفاة أبي عثمان (٢٦٦: ٨٤ب-١٢٠ب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق يتضح أن احتفال الكتاب بأكثر من مائة علَم من أبناء القرنين الرابع والخامس الهجريين، مع الاستشهادات المتلاحقة بمختارات من نتاجهم ، كافية لإثبات أنّ تأليف الكتاب كان بعد ذهاب زمن الجاحظ بأمد طويل .

ثانياً : أقام المؤلف كتابه على منهج يختلف اختلافاً بيّناً عن المنهج العام الذي جرى عليه الجاحظ في بناء كتبه ورسائله؛ فالكتاب يتألف من مقدمة وعشرة أبواب يتفرغ كل واحد منها إلى موضوع مُحدّد، فالباب الأول في بعض ما نطق به القرآن من الكلام المُعجز (٢٦٦: ٣ب)، والباب الثاني في جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم (٢٦٦: ٦ب)، والباب الثالث في ما صدر عن الخلفاء الراشدين والصحابة من الكلم الحسن (٢٦٦: ٩ب)، وهكذا في سائر أبواب الكتاب. وتتسم هذه الأبواب بإحكامها الشديد، إذ لا يُترك مجال لأي لون من الاستطراد المُميز لطريقة الجاحظ الفنية .

ويسير الكتاب ابتداءً من بابه الثاني على أساس الجمع المحض من غير أنّ يطل علينا صاحب الجمع بشيء من آرائه أو توجيهاته أو تفسيراته أو ملاحظاته أو نحو ذلك مما كنا نتوقع أنّ نجده مبثوثاً بين ثنايا المختارات التي حوتها الكتاب بين دفتيه، ويبدو لكل متمرس بأدب الجاحظ وفنه أنّ أسلوب الجمع المحض يتنافى مع ما هو معروف عن هذا الرجل من الدخول على منتقياته ومروياته بالتوجيه والتعليل والتفسير ونحو ذلك مما يمكن تبينه في أكثر آثاره دون كدّ أو عناء .

ثالثاً : وأهم مما سبق، أنّ مخطوطة الكتاب تطابق النص الكامل لكتاب الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبيّ مطابقة واضحة، فقد تبين لي بعد عرضها على نشرة كتاب الثعالبي التي أخرجها إسكندر آصاف سنة ١٣١٥هـ=١٨٩٧م (٢٦٧) أنّهما يتفقان على الموضوعات والأبواب نفسها، وتبدو الاختلافات طفيفة للغاية، وهي ترجع في الغالب إلى فروق النسخ .

وهكذا يتبين مما تقدم، أنّ كتاب سحر البيان المنسوب إلى الجاحظ ، ليس إلاّ نسخة من كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبيّ ، يظهر أنّ بعضهم وضع له عنواناً جديداً أستله من مقدمة الكتاب نفسه (٢٦٦: ٢ظ)، ثم نسبه إلى شخص لَقّبَهُ الجاحظ، ليروج بين الناس.

١٠ – رسالةُ سلوةِ الحرِّيفِ بمنَاظرةِ الرَبيعِ وَ الخَرِيْف.

ينقسم الباحثون إلى فريقين إزاء النظر في صحة نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ، أما الفريق الأول فقد اكتفى بإضافتها إلى آثار أبي عثمان من غير التطرق إلى ما يدور حول هذه النسبة من شكوك لم تبرح تساور غير واحد من الدارسين، ومن أشهر مُمثلي هذا الفريق : إسماعيل البغداديّ (٢٧: ٨٠٢-٨٠٣)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، وخير الدين الزركلي (١١:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٤)، وعمر رضا كحالة (٢٦٨: ٧)، وعبد الأمير مهنا (١٠٢: ١٠). وأما الفريق الآخر، فقد وقفوا في الوجهة المقابلة منبهين إلى النسبة المفتعلة التي أضيفت هذه الرسالة على أساسها إلى الجاحظ، ويمثل هذا الفريق عدد من الباحثين ، لعل أبرزهم : خليل مردم (٢٨: ٣٩)، وحسن السندوبي (٣١: ١٥٣-١٥٥)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٧)، وشارل بلاّ (٤٣)، ومن بين هؤلاء مضى السندوبي وحده يتلمس بعض الشواهد التي تُفضي إلى ردّ الصلة المزعومة للجاحظ برسالةٍ من هذا القبيل .

وإلى جانب اختلاف الباحثين في تحقيق مدى صدق نسبة الرسالة إلى مؤلفات الجاحظ، اختلفوا كذلك في رسم الصورة الصحيحة للعنوان، ففي حين تُجمع نشراتها على لفظ " سلوة الحرّيف بمناظرة الربيع والخريف"، يتصرف بعضهم في هذه الصورة، فيوردها خليل مردم بلفظ "المناظرة بين الربيع والخريف" (٢٨: ٣٩)، بينما يقتصر سامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، والزركلي (١١: ٧٤) على لفظ "الربيع والخريف". وغني عن القول إنّ الصورة الأولى تعد أقرب من غيرها إلى اللغة المسجوعة التي صيغت بها الرسالة .

ويظهر من تتبع تاريخ نشر الرسالة، أنها طُبعت ثلاث مرات، ظهرت الأولى في إستانبول سنة ١٣٠٢هـ=١٨٨٤م (٤٥)، ونُشرت الأخرى في بيروت سنة ١٣٢٠هـ=١٩٠٢م (٤٥)، وأمّا آخرها فقد صدرت في بيروت أيضاً سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م (٢٦٩). وقد أجمعت هذه النشرات -بلا استثناء- على أنّ الرسالة للجاحظ.

وعند التحقق من مدى صحة اتصال الرسالة بالجاحظ، فإنّ الشواهد التي تحت أيدينا تشير - بما لا يدع مجالاً للشك - إلى خطأ من أيد هذه الصلة على أي وجه كان، فإضافة الرسالة إلى جملة التراث الذي تركه أبو عثمان، لا أقل أن توصف بالافتعال والبطلان، بالاستناد إلى الأدلة التالية :

أولاً : لا تخرج الرسالة من بدايتها حتى نهايتها عن الأسلوب المسجوع الذي تفشى في مدرسة النثر العربي في القرنيين الرابع والخامس الهجريين، وهذا الأسلوب وحده ينطق بانقطاع أي صلة لأبي عثمان بالرسالة. لقد سار الجاحظ في سائر كتاباته وفق طريقة فنية مُميزة ، وهذه الطريقة - كما هو معروف لدى جمهرة الدارسين - سبقت المرحلة التي شاع فيها مذهب الصنعة، ومعنى هذا أنّ الرسالة تندرج في نطاق فترة زمنية لاحقة للعصر الذي عاش فيه الجاحظ. وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد أبان الجاحظ نفسه عن موقفه من استعمال أساليب الصنعة في آثاره، يقول : " بل أستحي من الكتابة، وأستنكف بأن أنسب إليها من البلاغة أنْ أُعرفَ بها في غير موضعها، ومن السجع أنْ يظهر مني، ومن الصنعة أنْ تُعرف في كتبي" (٣٤: ٢٥٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : تختلف المناظرة التي أقامها كاتب الرسالة بين الربيع والخريف عن مجموعة المناظرات والمحاورات التي أشاعها أبو عثمان في بعض كتبه ورسائله؛ فالمناظرة عند الجاحظ تَطْغى عليها نزعة كلامية تعتمد الأدلة العقلية والمنطقية، فضلاً عن الشواهد النقلية التي تشكل جزءاً مهماً من مادة المناظرة. وأمّا هذه المناظرة، فقد عكست نزعة أدبية ظهرت في توظيف ضروب المحسنات، ومع أنّ الكاتب أودع مناظرته طرفاً من الشواهد النقلية، إلاّ أنّها لم تتجاوز الأشعار المنتقاة إلاّ قليلاً، في حين شكلت الشواهد النقلية في مناظرات الجاحظ سيلاً دفّاقاً من ضروب المعارف المتنوعة، كما هو واضح من المناظرات التي احتفل بها كتاب الحيوان .

وإذا كانت هذه المناظرة قد تميزت بالإحكام المتمثل في توزيع الأدوار على الربيع والخريف بالتساوي، فقد افتقدنا هذه الميزة في مناظرات الجاحظ إلى حدّ ما، فلو نظرنا في المناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك (١)، لوجدناها تعاني من تشويش واضح سببه تداعي الأفكار الذي أفضى إلى الاستطرادات المتوسعة التي مدت في طول المناظرة حتى أربت على جزء ونصف الجزء من كتاب الحيوان .

ثالثاً : ضمت الرسالة بين دفتيها أسماء جماعة من الكتاب والشعراء جاءوا بعد انقضاء عصر الجاحظ، كأبي الحسن السّلاميّ (٢٦٩: ١٤)، وأبي القاسم الزعفرانيّ (٢٦٩: ٢٣)، وأبي الحسن بن عمارة الأصفهانيّ (٢٦٩: ٤٢)، وابن طباطبا العلويّ (٢٦٩: ٤٢)، وأبي مسلم بن بحر الأصفهانيّ (٢٦٩: ٥٦). وواضح أنّ تصريح الكاتب بأسماء هذا النفر من التالين لعصر الجاحظ مع استشهاده بقصائد ومقطوعات وفقر من شعرهم ونثرهم الذي يرجع نتاجه إلى ما بعد سنة ٢٥٥ هـ، لا يدع مجالاً للشك في أنّ إنشاء هذه الرسالة كان بعد وفاة أبي عثمان بمدّة ليست باليسيرة أبداً .

رابعاً : أورد كاتب الرسالة في سياق قصة خبر إنشائها ما نصه : " خرجتُ يوماً وأنا في خدمة قوام المُلك ونظام الدين أبي يعلى أحمد بن طاهر أطال اللّه في المعالي لتهذيب المعاني بقاءه، وحرس في اقتفاء المكارم عن المكاره فناءه .... " (٢٦٩: ٩). وهذا النص صريح في دلالته على أن منشيء الرسالة ممّن عاش بعد الجاحظ بزمن، وهو ما يؤكد أنّ الرسالة أنشئت بعد وفاة الجاحظ أيضاً .

وهكذا يتضح لنا من الاستدلال بالشواهد الآنفة، أنّ الرسالة لا تمت إلى أبي عثمان بسبب، وأنّ تاريخها يرجع إلى فترة لاحقة للعصر الذي عاش فيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١ – كتابُ العِرَفةِ والزَجْرِ والفِرَاسَةِ عَلى مَذهبِ الفُرْس .

أدرج بروكلمان هذا الكتاب في قائمة كتب الجاحظ ، وأشار إلى نسخة خطية منه محفوظة في ليدن (٣٣: ١١٨)، وتابع بروكلمان في ذلك عدد من الدارسين، منهم : محمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٣٠٠)، وهدى بهنام (٤٥)، وإمتياز عرشي (٤). وفي المقابل ، حكم شارل بلاَ بعدم صحة نسبته إلى الجاحظ (٤٣)، بيد أنّه اكتفى بالإشارة العابرة، شأنه في ذلك شأن الذين أيدوا نسبة الكتاب إلى الجاحظ ، وهذا يعني أنّه لابدّ من الاستدلال بشواهد علميّة مقبولة يمكن في ضوئها تبيّن مدى صحة إضافة الكتاب إلى جملة تراث الجاحظ .

وبالرجوع إلى النسخة التي أشار إليها بروكلمان، وهي المحفوظة اليوم في ليدن تحت رقمْ ١٩٨ or ، فإنّ إشارةً صريحةً لا تُطالع الباحث بشأن إضافة الكتاب إلى آثار الجاحظ، ففي الصفحة الأولى من المجموع الخطي الذي يوجد ضمنه الكتاب ما نصّه : " كتاب أفليمون في الفراسة من كلام الحكماء والفلاسفة في الشامات والعلامات وغير ذلك مما يكون في جسد الإنسان ، وأيضاً كتاب المختار في كشف الأسرار ، وكتاب العرافة على مذهب الفُرس" (٢٧٠: ١ظ). وفي خاتمة كتاب أفليمون في الفراسة ما نصه : " تم كتاب الفراسة – بحمد الله تعالى – وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم، ويتلوه كتاب العرافة والزجر على مذهب الفرس وغيرهم، والحمد لله وحده" (٢٧٠: ٥ ظ). وكذا الأمر في العنوان المُثبت على الورقة الأولى من الكتاب، إذ يرد ما رسمه : " بسم الله الرحمن الرحيم . باب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفُرس (٢٧٠: ٥١ ب) .

ولعل من أهم الأمور التي تستدعي النظر في النصوص التي أشارت إلى عنوان الكتاب، عدم ورود ما يشير إلى صاحب الكتاب سواء أكان الجاحظ أم غيره. وأما عن تعليل نسبة الكتاب إلى الجاحظ مع خلو المخطوطة من الإفصاح عن هذه النسبة، فالذي يبدو أن مفهرسي مكتبة ليدن، لما وجدا الكتاب مجهول النسبة، نظروا في مادته فألفوه مُفتتحاً بعبارة نصها : "قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ....." (٢٧٠: ٥١ ب)، لم يكن منهم إلاّ أنْ عزوه إلى أبي عثمان من غير التدقيق في مدى صحة هذه النسبة، والظاهر أنّ بروكلمان اعتمد في إدراجه الكتاب ضمن مؤلفات الجاحظ ما طالعه في الفهرس الذي أعده هذا النفر .

وواضح أنّ استهلال الكتاب بعبارة من النمط الآنف، قد يوهم أحياناً أنّ مؤلف الكتاب هو عينه صاحب العبارة، وعلى هذا النحو، نُسبت بعض الآثار إلى الجاحظ كالدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، والفرق في اللغة، والمحاسن والأضداد، وعلى المنوال ذاته سار هذا الكتاب. وليس بنا حاجة إلى القول إنّ أشباه هذه العبارات الموهمة لا تقف وحدها دليلاً على أنّ قائل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام الذي أُستهل به الكتاب هو بالضرورة صاحب الكتاب، ولا شك أنّ إثبات مثل هذا الأمر يحتاج إلى شواهد قوية الدلالة يتسنى في ضوئها التوصل إلى نتائج علمية صحيحة .

ومع أنّه قد تبين لنا حتى الآن أنّ إضافة الكتاب إلى آثار أبي عثمان هي إضافة حديثة ترجع إلى خطأ بعض من تولى فهرسة الكتاب، إلاّ أنّه لا بأس في المضي في تعقب الأدلة والشواهد المختلفة التي تدل على خطأ نسبة الكتاب إلى الجاحظ، ولعل الأدلة فيما يلي هي أبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا المضمار .

أولاً : لم ترد الإشارة في المظان القديمة إلى عنوان هذا الكتاب، أو إلى عنوان أي كتاب ألفه الجاحظ في موضوع العرافة والزجر والفراسة ، سواء أعلى مذهب الفرس أم غيرهم ، وهذا الأمر يستأنس به إلى حدّ بعيد في نفي صلة الجاحظ بكتاب من هذا القبيل .

ثانياً : لا تقترب طريقة بناء الكتاب من مجموعة البنى التي كانت تقوم عليها آثار أبي عثمان، كما أنّ التقسيم الدقيق يبدو واضحاً في هذا الكتاب، وهو ما يبتعد عما يمكن تسميته بالتقسيمات غير المنضبطة في كتب الجاحظ ورسائله. .

ثالثاً : يكاد الكتاب يخلو من الإشارات الأدبية والتاريخية المختلفة التي تُعد مَعلمًا بارزاً في طريقة الجاحظ الفنية، وهذا يدل على اختلاف المنهجيّة المتبعة في آثار الجاحظ عنها في هذا الكتاب .

رابعاً: يكاد موضوع الكتاب يكون غريباً عن نزعة الجاحظ التي تدعو إلى تمجيد العقل والاحتكام إليه، والحق أنّ تناول موضوعات كالعرافة والزجر والفراسة فيها ما فيها من الخرق الواضح لما كان ينافح عنه المعتزلة من ضرورة احتذاء المسلك العقلي في التعامل مع الأشياء .

ومع أنّه يسهل إثبات خطأ نسبة الكتاب إلى الجاحظ، إلاّ أنّه يعسر في المقابل التعرف إلى مؤلفه الحقيقي، بسبب ما نلقاه من فقدان النصوص التي تُعين في تحقيق هذا الأمر .

١٢ – كتابُ الفَـرْقِ في اللُّغَـة .

لم أجد من نسب هذا الكتاب إلى الجاحظ سوى بروكلمان الذي أشار إلى نسخة خطية منه محفوظة في مكتبة القرويين بفاس تحت رقم ١٢٦١ (٣٣: ١٢٠)، وقد تابع بروكلمان في هذه النسبة عدد من الدارسين، لعل أشهرهم : محمد عبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٩٩)، وهدى بهنام (٤٥)، وإمتياز عرشي (٤)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤). والملاحظ أنّ جميع من نصوا على إضافة الكتاب إلى الجاحظ لم يقدموا بين أيديهم محض إشارة أو قرينة من شأنها أنْ تؤيد ما ذهبوا إليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نشر محمد الفاسي الكتاب مُضافاً إلى ثابت بن أبـي ثـابت اللغـوي ، فـي الربـاط سـنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م (٢٧١)، اعتمـاداً علـى مخطوطتـه التـي أشـار إليهـا بروكلمـان . وقـام حـاتم الضامن بإعادة تحقيقه مُضافاً إلى ابن أبي ثابت أيضاً، وقد صدرت طبعته الثانية في بيروت سـنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م (٢٧٢).

وفي إطار تحقيق مدى صحة نسبة الكتاب إلى الجاحظ، أوضح محمد الفاسـي فـي نشـرته أنّ بروكلمان تـابع الخطأ الـوارد فـي الفهـرس القديـم الـذي أعّده بعـض المستشـرقين الفرنسـيين لمخطوطات مكتبة القرويين، وكان معدو هذا الفهرس – كما يفيد الفاسـي – قـد وهمـوا فـي نسـبة هذه المخطوطة ، ولما وجدوا نقلاً عن الجاحظ على ظهرها أضـافوا إليـه دون التحقـق مـن وجـه الصواب، على الرغم من أنّ اسم المؤلف مذكور بوضوح في صدرها (٢٧١: و) .

وبالإضافة إلى هذا البيان الذي يكفي لنفي نسبة الكتـاب إلـى الجـاحظ، فـإنّ طريقـة تأليفـه وتقسيماته الدقيقة ، تشير إلى النتيجة نفسها، لأن المعروف عن كتابات الجاحظ عدم جريانها وفـق التقسيم المحكم الذي يطالعه الباحث في مادة كتاب الفرق. ولعل ممـا يزيـد فـي تـأكيد نسـبة هـذا الكتاب إلى ابن أبي ثابت، مـا نـص عليـه نفر ممّـن ترجمـوا لـه كـابن النديـم (٨: ٧٦)، وياقوت (٢٧٣: ١٤١)، والسيوطيّ (٢٧٤: ٤٨١).

١٣ – مِائـةُ كَلِمـــةٍ لأميرِ المُؤمنينَ عليٍّ بن أبي طالب .

تُوجد بين يدي عِدة نُسخ خطية من هذه الكلمات المنسوبة إلى علـي بـن أبـي طـالب كـرم اللّه وجهه، يُنسب جمعها إلى أبي عثمان الجاحظ في بعض النسخ كما في مخطوطتي برليـن رقـم ٣٧ (٢٧٥)، ورقم ٨٤٢٢ (٢٧٦). ولم يرد ما يشير إلى اسم جامعهـا فـي النسـخ الباقيـة، وهـي النسخ المحفوظة فـي برليـن تحـت الأرقـام : ٧٠٥ (٢٧٧)، و١٧٩٨ (٢٧٨)، و ٨٦٥٦ (٢٧٩). وقد نُشرت هذه الكلمات فـي إسـتانبول سـنة ١٣٠٢ هـ=١٨٨٤م (٤٥)، وفـي صيـدا سـنة ١٣٢٠هـ=١٩٠٢م (٤٥).

وكما هو شأن الآثار الواقعة في هذا البـاب، اختلـف الدارسـون حـول مـدى قيـام الجـاحظ بجمع هذه الكلمات بين مؤيد ومعارض، على أن سوادهم أيد نسبة مثل هـذا العمـل إلـى الجـاحظ، دون تقديـم مـا عسـاه يثبـت ذلـك، ومـن أشـهر دعـاة هـذا الـرأي : الخوانسـاري (٢٤٠: ٣٢٧)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٠)، وعبد المنعم خفاجي (٤١: ٢٩٩)، وهدى بهنام (٤٥)، وإمتيـاز عرشـي (٤). ووقف شارل بلاّ في الوجهة المضادة ، فنبه على أنّ جمع هذه الكلمات حُمـل علـى الجـاحظ مع براءته منه (٤٣)، بيد أنّ بلاّ لم يضع بين أيدينا ما يعزز هذا القول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن مخطوطة هذه الكلمات التي تجري مجرى الأمثال تشير إلى أنّ الجاحظ جمعها في آخر حياته ودفعها مكتوبة بخطه إلى صاحبه أحمد بن أبي طاهر (٢٧٦: ٧٧ ب)، إلاّ أنّ هذه الإشارة تبدو ظاهرة الافتعال، بل ربما كانت مُلفقةً يبرأ منها الجاحظ، ذلك أن أسلوب الجمع المحض – كما هو حال هذه الكلمات – يُعد في حد ذاته خروجاً على المنهج الذي احتذاه أبو عثمان في الكتابة والتأليف. فالجاحظ ليس صاحب جمع ورواية فحسب، بل صاحب قلم وموقف، يحاور مختاراته ويقف منها موقفاً مُحدداً، وهذه السمة التي تشكل ملمحاً من ملامح طريقة الجاحظ، لا تكاد تجد في هذه الكلمات المجموعة ما يشير إلى الجريان على سننها، وهذا يدل على اختلاف المنهجية بين آثار الجاحظ وهذا الأثر، وهو ما يفضي إلى القول إن شخصاً آخر خلاف الجاحظ هو من تولى اختيار هذه الكلمات وجمعها .

١٤ – كتابُ المَحاسِنِ والأضْدَاد .

نَسب هذا الكتابَ المشهورَ إلى الجاحظ عددٌ من القدامى ، لعل أشهرهم : ابن عربي (٢٨٠: ١٢)، وحاجي خليفة (٢٥: ١٦٠٩)، وعبد القادر البغدادي (٢٨١: ٢٣). وتابعهم في هذه النسبة نفر من المعاصرين ، منهم : إسماعيل البغدادي (٢٧: ٨٠٣)، وخليل مردم (٢٨: ٣٧)، وسامي الكيالي (٢٥٢: ١٩)، وخير الدين الزركلي (١١: ٧٤)، وعبد الجبار عبد الرحمن (٤٦: ٤٣٨)، وامتياز عرشي (٤). وقد أيدت هذه النسبة نشرات الكتاب الصادرة في ليدن سنة ١٣١٦هـ=١٨٩٨م (١٠٤)، وفي القاهرة سنة ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م (٩٠)، وفي القاهرة أيضاً سنة ١٣٣٠هـ=١٩١٢م (٢٨٢)، وفي القاهرة كذلك سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م (٢٨٣) ، وفي صيدا سنة ١٣٦٩هـ=١٩٥٠م (٢٨٤)، وفي بيروت سنة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م (٢٨٥)، وفيها أيضاً سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م (٢٨٦)، وأما النشرة الأخيرة التي أصدرها علي أبو ملحم في بيروت سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م (٢٤٤)، فمع أن ناشرها نص على أنها " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ"، كما هو واضح على غلافها، إلاّ أنّه وجدّ في –مقدمتها– في حصر الأدلة التي تُثبت عكس ذلك تماماً (٢٤٤: ٥–١١). وبالإضافة إلى نشراتها العربية، ظهرت ترجمتها الألمانية على يد ريشر، غير مخالفة ما جرت عليه هذه النشرات من التصريح بأن الكتاب للجاحظ (٤٣) .

وظهر مقابل ذلك فريقٌ من المعاصرين قطعوا بنسبة الكتاب الخاطئة إلى الجاحظ، وكان ممن سار في هذا الاتجاه : حسن السندوبي (٣١: ١٥٥–١٥٨)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٧)، وشوقي ضيف (٢٨٧: ٥٤٠–٥٤١)، وشارل بلاّ (٤٣) ، وعلي أبو ملحم (٢٤٤: ٥–١١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأجتهد فيما يلي في رصد أهم الأدلة والشواهد التي تشير إلى خطأ نسبة الكتاب إلى أبي عثمان :

أولاً : تقوم بنية الكتاب على منهج واضح من التقسيمات الدقيقة المحكمة التي تُعنى بذكر محاسن الأشياء وأضداها، من غير أنّ يكون هناك أثر يُذكر في الخروج على الموضوع أو الانحراف عنه. ومعنى هذا أنّ المنهج الذي بني عليه المؤلف كتابه، لا يتفق مع المنهج العام الذي أشاعه الجاحظ في كتبه، لا سيما فيما يتعلق بظاهرة الاستطراد التي لا نكاد نلمس لها حضوراً - ولو على نحو - في هذا الكتاب .

ثانياً : لا يكاد مؤلف الكتاب يطلع علينا في ثنايا مختاراته ومروياته، فالكتاب يجري من فاتحته إلى خاتمته على أساس الاختيار المحض، وليس هذا - كما هو معروف - من أساليب الجاحظ الذي كان يدخل على موضوعه ويحاوره ويقف منه موقفاً محدداً يضمن حضور شخصيته وظهورها بشكل واضح .

ثالثاً : تختلفُ مقدمة الكتاب في بنائها وأسلوبها عن مقدمات آثار الجاحظ الجزلة التي كان يولد فيها الشخوص ويتوجه بكلامه إليهم، والظاهر أنّ هذه المقدمة كانت وراء نسبة الكتاب إلى الجاحظ، إذ أنّ المؤلف استهلها بعبارة : " قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... " (٢٤٤: ١٧)، ويبدو أنّ هذه العبارة أشكلت على بعض الذين تعاوروا على نسخ الكتاب، فظنوا أنّ الكتاب من تأليف أبي عثمان، فترجموه باسمه، وبهذه الطريقة أُضيفت بعض الآثار إلى الجاحظ ، كما سبق .

رابعاً : يضم الكتاب بين دفتيه بعض الإشارات المتأخرة التي تلت عصر الجاحظ، فأنت تجد فيه شعراً لابن المعتز الذي لم يبلغ ثماني سنين عند وفاة الجاحظ (٢٤٤: ٧٢، ٧٧)، كما تجد فيه شعراً للنكك البصريّ المولود بعد الجاحظ بمدة (٢٤٤: ٣٣٨)، وفيه أخبار تُروى عن المبرد (٢٤٤: ٣٢٧)، والحسن الجرجانيّ (٢٤٤: ٢٧١)، ومعروف أنّ الجاحظ لم ينقل عنهما لتقدمه عليهما. وفيه كذلك إشارة إلى دخول القرامطة بيت الله الحرام (٢٤٤: ١٩٥)، وترجع هذه الحادثة - كما هو معلوم - إلى سنة ٢٩٦هـ، أي بعد وفاة الجاحظ بما يربو على أربعين سنة، وهذه الأخيرة تشير إلى أنّ تأليف الكتاب كان بعد التاريخ المذكور .

خامساً : يتفق السواد الأعظم من مادة هذا الكتاب مع النصوص والأشعار والأخبار التي ضمنها كتاب المحاسن والمساوىء لإبراهيم بن محمد البيهقي. وقد لفت هذا الأمر أنظار عدد من الدارسين كمحمد أبي الفضل إبراهيم (٢٤٤: ١٠)، وشوقي ضيف (٢٨٨: ٥٤٠-٥٤١)، و علي أبو ملحم (٢٤٤: ٥-١١). ولا يبعد أن يكون البيهقي أخرج كتابه بصورته الأولى منسوباً إلى الجاحظ ليلقي الرواج، حتى إذا ما تحقق ذلك حرّر كتابه بصورة جديدة ونسبه إلى نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس من شك بعد سوق هذا القدر من الأدلة والشواهد، أنّ صلة الجاحظ بالكتاب تبدو واهية جداً، لأن هذه الأدلة لا تؤيد قيام مثل هذه الصلة ، ولأن الصلة نفسها لا ينهض عليها دليل يدعو إلى قبولها .

١٥ – كتابُ الهَدايا .

تكاد معلوماتنا عن نحل هذا الكتاب إلى الجاحظ تنحصر في ما أشار إليه عددٌ من أصحاب الأثبات القديمة والحديثة كابن النديم (٨: ٢١١)، وياقوت (٣: ١٠٨)، والصفديّ (١٢: ٥٨ ب)، وخليل مردم (٢٨: ٤١)، وحسن السندوبي (٣١: ١٥٨)، وبروكلمان (٣٣: ١٢٨)، وشارل بلاّ (٤٣). على أن فريقاً أخر أورد عنوان الكتاب ضمن جريدة كتب الجاحظ من غير الإشارة إلى كونه منحولاً، ويمكن للناظر أنْ يُطالع هذا الأمر عند الكتبيّ (١٣: ١٥٥ ب)، وابن قاضي شهبة (١٤)، وإسماعيل البغدادي (٢٧: ٨٠٣)، وإمتياز عرشي (٤) .

وغني عن القول إنّ فقدان نص الكتاب وضياع ما يمكن أنْ يقوم شاهداً على تبين ملامحه وبنائه وأسلوبه ، يقف حائلاً دون استيفاء الأدلة العلمية المتعلقة بمسألة نحله إلى الجاحظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخَـــاتِمَـــــة

ترك الجاحظ آثاراً كثيرةً على قدر من الأهمية، وتزاحمت عوامل عدة كان لها دورها الفاعل في شهرة هذه الآثار، بيد أنّ أسباباً مختلفة أتت بجنايتها على كثير من هذه الآثار حتى أحالتها إلى تراث لا يُعلم مصيره، كذلك لم تسلم الآثار الباقية من أيدي بعض النُساخ والوارقين الذين كانوا يقتضبون النصوص الكاملة تخففاً من كثرة النسخ، وهو ما أفقدنا ما يربو على خمسة وثلاثين أثراً فوصلت إلينا مشوهةً يعتورها البتر والاختصار، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وضع بعض الكتبيين عنوانات جديدةً لكثير من الآثار بناءً على استقرائهم لمضمون النصّ، مما جعل الأثر الواحد مهيأ ليحمل أسماء متباينة في الوقت نفسه، وهو ما شوّش على الدارسين في أحيان كثيرة، وتعدى الأمر ذلك، فنُسبت إلى الجاحظ آثارٌ كُتبت بعد وفاته .

وقد ظهر واضحاً للعيان أنّ الشهرة التي حظيت بها آثار الجاحظ استدعت عمليةً توثيقيةً افتتحها الجاحظ نفسه حين راح يعد أسماء كتبه التي لم تسلم من الطعن والنقد على نحو ما يمكن ملاحظته في صدر كتاب الحيوان . وفي الأعصر التالية عُني اللاحقون بهذا الجانب ، فكانوا يفردون أثباتاً طويلة يسردون فيها جريدة عنوانات كتب الجاحظ سرداً محضاً لا يلتفت إلى غير ذلك إلا قليلاً ، ويمكن للناظر أنَ يُعاين هذا الأمر بجلاء عند ابن النديم ، وياقوت الحمويّ ، وصلاح الدين الصفديّ ، وابن شاكر الكتبيّ ، وابن قاضي شُهبة. ولم تقف هذه العناية عند حدود الماضي، بل لقي هذا الجانب عناية مماثلة في العصر الحاضر، حتى أمكن البحث المتقصي من رصد خمسة عشر ثبتاً أفرغها المعاصرون في هذا الاتجاه، على تفاوت بينها في القيمة والمستوى والأسلوب . وقد ظهر للدارس بعد تتبعه لجهود القُدامى والمحدثين في توثيق آثار الجاحظ، أن هذه الجهود انتهت إلى جوانب معينة، ولم تتجاوز إلى لمّ الأطراف الباقية في العملية التوثيقية .

واستطاعت الدراسة بإحصائها ما وصل إلينا من آثار الجاحظ إحصاءً علمياً دقيقاً شاملاً، أن تكشف عن القدر الحقيقي الذي نفذ إلينا من مجموع التركة العلميّة التي خلفها أبو عثمان، فقد بلغ عدد الآثار الواقعة في هذا الإطار واحداً وثمانين أثراً من أصل مائتين وخمسة وأربعين أثراً نعرف عنواناتها من ثبت شارل بلاّ (٤٣)، وعلى افتراض أنّ هذا العدد يمثّل السواد الأعظم من مجموع تركة الجاحظ، فإنّ العدد الذي أحصتْه هذه الدراسة ، يُشير إلى أنه لم يصل إلينا من هذه التركة سوى ثُلثها، وأمّا الثلثان الآخران، فقد أتت أسباب مُختلفة بالجناية عليهما ، وربما كانت الهجمة المغولية على المشرق الإسلامي في منتصف القرن السابع الهجريّ، من أبرز الأسباب التي يمكن الإشارة إليها في هذا السياق، فقد بين للدارس عند تناول مخطوطات آثار أبي عثمان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنها كانت تلقى رواجاً في البيئات العلميّة في المدة التي سبقت تلك الهجمة، كما يمكن الاستدلال عليه من وقوف سبط بن الجوزي على أكثر هذه الآثار في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد (٦٠ :٥٧ ظ)، ومشاهدة ياقوت الحمويّ أكثر من مائة نسخة من كتاب الفرق ما بين النبيّ والمتنبيّ (٣: ١٠٢). وما من ريب في أن شهادة سبط بن الجوزي وياقوت الحمويّ – وهما ممن عاشوا قبيل هجمة المغول – لها أهميتها الخاصة، إذ يقع منها الدليل على ما تقدم .

ولا شكّ أنّ عدد الآثار التي تناهت إلينا من جملة ما خرج عنه أبو عثمان يبدو مقبولاً إلى حد كبير. إذ ما قيس هذا العدد بعدد ما وصل إلينا من آثار مُعاصريه ممن ضربوا بسهمٍ وافر في الكتابة والتأليف، كالمدائنيّ والكلبيّ وأبي عُبيدة بن المثنى ، أما الأول فقد ساق له ابن النديم أسماء نحو مائتين وأربعين مصنفاً (٨: ١١٣-١١٧)عصفت بها يد الحدثان فلم يبق منها سوى كتاب المُردفات من قريش ، وجزء من كتاب التعازي، وأما الثاني ، فقد أورد له ابن النديم ما يدنو من مائة وأربعين عنواناً لمؤلفاته (٨: ١٠٨-١١٠) وصل إلينا منها ما لا يتجاوز عشرة مؤلفات. وأما الأخير ، فقد ذكر له ابن النديم ما أربى على مائة مصنف (٨: ٥٨-٦٠) بين أيدينا منها نحو بضعة عشر مؤلفاً . والحق أنّ مقارنة ما وصل من تراث هذا النفر من المشهورين بكثرة التصنيف، بما وصل إلينا من تراث الجاحظ، أغرى الدارس برصد ما وصل إلينا من آثار المُكثرين حتى منتصف القرن الثالث الهجري، فوجد أنّ الجاحظ يتبوأ المكانة الأولى بين هؤلاء، وقد توصل الباحث إلى هذه النتيجة بعد بحث معمق في عدد من المصادر والمراجع وفي مقدمتها: الفهرست لابن النديم ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ التراث العربي لسزكين، ومعجم المطبوعات لسركيس، ومعجم المخطوطات المطبوعة للمنجد، وذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن .

على أن ضياع ثُلثي ما ألفه الجاحظ يُشير، من جانب آخر، إلى صعوبة تشكيل صورة واقعية متكاملة عن كثير من آرائه في الأدب والسياسة والاجتماع والكلام، وإذا ما تشكلت صورة ما عن أحد آرائه في هذه الموضوعات ، فالحق أنّ هذه الصورة تظل مُشوشة ما دمنا نفتقد أكثر ما خطّه أبو عثمان. وفي ضوء أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، يمكن أنّ نعرف مدى صدق النتائج التي تمخضت عنها عشرات الدراسات المكتوبة عن المناحي الأدبية والسياسية والإجتماعية والكلامية عند الجاحظ ، إذ أن أفضل هذه الدراسات حالاً، أقامت نتائجها على ما يدنو من ثُلث تركة أبي عثمان، فكيف يمكن والحال هذه إلاّ أنّ تكون هذه النتائج مُجانبة الصواب ، إنْ لم تكن مغلوطة تماماً في بعض الأحيان. ويكفي للاستدلال أن نُشير إلى ما كانت تعتقده جمهرة الدارسين في وقت مضى، من نظرة الجاحظ السلبية للمعلّمين، حتى إذا ظهرت رسالته في هذه الطائفة، انقلبت الصورة إلى الضد، فإذا الجاحظ ينظر إلى هذه الطائفة نظرة مُشرفة بخلاف ما كان يُشاع عنه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يقع تحت أيدينا اليومَ من الموروث الجاحظيّ لا ينتظم جميعه في عقد واحد، فمنه ما هو كامل النصوص ، ومنه ما هو مبتورها، وقد رصدتْ الدراسة خمسة وأربعين أثراً من اللون الأول، وستة وثلاثين أثراً من اللون الآخر . ولا شكّ أنّ وصول هذا القدر من آثار أبي عثمان مبتوراً ، استوقف الباحث، فراح يبحث عن مجمل الأسباب التي تضع تفسيراً مقبولاً لهذه الظاهرة اللافتة، فتبين له أن بعض القدامى كانوا ينتقون من آثار الجاحظ لغاية تعليمية، حتى إذا فقدت النصوص الأصلية ، بقيت هذه المنتقيات مشكلة آثاراً مبتورة. أضف إلى ذلك قيام بعض النساخ والوراقين بالاختيار مما كانوا ينسخونه من آثار الجاحظ على نحو يريحهم من كثرة النسخ ويخفف عنهم من عنائه، وما يستلزمه من وقت وجهد ومال.

ومضت الدراسة تحقق مدى صحة نسبة بعض الآثار إلى الجاحظ في وجهتين : الأولى إثبات صحة هذه النسبة لعدد من الآثار التي أبدى بعض المعاصرين شكوكهم حول صحة اتصالها بالجاحظ، كما هو الحال في كتاب التبصّر، وكتاب الحجاب، وكتاب الحنين إلى الأوطان. والثانية نفي صحة هذه النسبة عن خمسة عشر أثراً، كُتِبت جميعها – باستثناء كتاب التاج في أخلاق الملوك – بعد انقضاء عصر الجاحظ. وأفضى البحث في تبين مدى صحة هذه الآثار بالجاحظ إلى معرفة أهم الأسباب التي تكمن خلفها نسبة هذه الآثار إلى الجاحظ ، وإذا كانت بعض هذه الأسباب معتمدة، فقد ظهر أن بعضها الآخر كان يرجع في الغالب إلى خطأ الناسخ أو سوء تقديره، واتضح من الدراسة أن أكثر الآثار المنسوبة إلى الجاحظ تعود إلى الأسباب الأخيرة كما هو شأن كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، وكتاب العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس، وكتاب الفرق في اللُغَة ، وكتاب المحاسن والأضداد .

ومن جانب آخر ، كشفت الدراسة عن وجود عدد من المُستلات من بعض آثار الجاحظ، اقتبسها بعض الوراقين عن هذه الآثار، وربما صنعوا لبعضها فاتحة وخاتمة على نحو أوهم الدارسين بأنها آثارٌ مستقلةٌ تقوم بذاتها، ومن هذا القبيل الآثار الموسومة بـ : رسالة في الاستعطاف، وكتاب أطعمة العرب، رسالة في فضل اتخاذ الكتب. وقد نبهت إلى حقيقة هذه القِطَع التي نسميها "آثاراً " على سبيل التجوز .

وسعت الدراسة في سبيل الاقتراب من العنوان الأصل الذي وضعه الجاحظ لكل أثر من آثاره، فقد رصدتْ العنوانات المتباينة لكل أثر، ثم عمدتْ إلى ترجيح أقربها إلى الدقة والصواب، بما أفضى في نهاية المطاف إلى حلّ مشكلة تعدد عنوانات الأثر الواحد وتضادها في الوقت نفسه. وظهر للباحث أنه على الرغم من تنبه بعض القدامى إلى وجود غير عنوان واحد لكثير من آثار الجاحظ، إلاّ أنّ أصحاب الأثبات كياقوت والصفدي والكتبي وابن قاضي شهبة لم يلتفتوا إلى هذا الأمر، وكذا الأمر عند بعض المعاصرين كبروكلمان، ومحمد عبد المنعم خفاجيّ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإمتياز عرشي، وهو ما سبب اضطراباً في أثباتهم، فكانوا يوردون الأثر الواحد مرتين أو أكثر بعنوانات مختلفة، واتضح للدارس أنّ سرّ الاضطراب في عنوانات كثير من كتب الجاحظ ورسائله يعود إلى أسباب عدة، لعل أهمها كثرة آثار الجاحظ، وعدم استقرار الجاحظ نفسه في بعض الأحيان على عنوانات ثابتة منضبطة لعدد من كتبه ، وبالإضافة إلى ما قاسته هذه العنوانات من تلاعب بعض النساخ تارة، وخطأ بعضهم تارة أخرى .

وتتبعت الدراسة المسار التأليفي عند الجاحظ بتعيينها التاريخ المقارب لسبعة وستين أثراً من أصل واحد وثمانين أثراً أحصتها الدراسة، وأما الآثار الباقية وعددها أربعة عشر أثراً ، فلم تُسعف الوسائل الحاضرة في التوصل إلى ما من شأنه معرفته تاريخ إنشائها ولو على نحو مُقارب ، وأظهر البحث أن عدم التوصل إلى التاريخ الدقيق الذي أنشأ فيه أبو عثمان آثاره، يرجع في المقام الأول إلى الجاحظ نفسه الذي كان يترك كتاباته غفلاً من غير تعيين زمن وضعها. وبعد أنّ تسنى للدارس وضع يده على التاريخ المقارب لذلك العدد من الآثار ، نظر في موضوعاتها ، فتبين له أنّ تطوراً واضحاً طرأ على اتجاهات الكتابة عند الجاحظ بعد انقضاء دولة المعتزلة سنة ٢٣٢هـ، فقد لوحظ بجلاء أنّ النزعة الغالبة على كتاباته قبل التاريخ المذكور كانت تدور في إطار الاعتزال، ومن هنا يمكن للمدقق أنّ يلمس نزعة مذهبية مغالية في كتاباته الواقعه في نطاق هذه المُدة، على أنّ ذلك لا يعني ألبتة عدم وجود آثار تنحو منحى آخر ككتاب البخلاء المُؤلف قبل سنة ٢٣٢ هـ. وأمّا كتاباته بعد السنة المذكورة ، فقد لاحظ الباحث فيها فتور النزعة المذهبية على نحوٍ واضح للغاية ، كما لاحظ اتجاه الجاحظ إلى الافتنان في موضوعات أدبية تنأى به عن الدخول في معتركات الجدل والكلام التي أخذت الدولة تقف في وجهها ، ويبدو أن الجاحظ أخذ يوطن نفسه على مجاراة السياسة الجديدة للدولة، بعد ذهاب سلطان المعتزلة الذي كان يستظل في أفيائه .

وفي هذا السياق، ظهر أن عدداً من الدوافع كانت تدعو الجاحظ إلى كتابة ذلك القدر من المؤلفات، وتعدد هذه الدوافع نابع بالدرجة الأولى من تأثير ثقافته الموسوعيّة التي جعلت آثاره متعددة الاتجاهات متباينة المقاصد، وأول هذه الدوافع ارتباط الجاحظ بفكرة الاعتزال واقتناعه بمبادئها ، فمنذ أن قدّم كتبه في الإمامة إلى المأمون في حدود سنة ٢٠٠ هـ إلى وفاة الواثق سنة ٢٣٢هـ، والجاحظ لا تشغله فكرة كالبحث في أصول المعتزلة والرد على خصومهم من الفرق المخالفة. وثانيها أن الجاحظ اتخذ التأليف وسيلة تكسبه الثراء وتخلصه من شظف حياة الفقر التي عاشها من قبل، ومن هنا مضى أبو عثمان يهدي كتبه ورسائله إلى مشاهير عصره الموسرين ممّن كانت لهم اليد الطولى في إدارة شؤون الدولة، كابن الزيات، وأحمد بن أبي دؤاد، ومحمد بن أبي دؤاد، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن المدبر ، وأبي الفرج الكاتب. وثالثها أن الجاحظ وضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض كتبه ورسائله بناء على طلب الدولة نفسها، فقد وضع جملة كتبه في الإمامة بإشارة من المأمون ، كما أنشأ رسالتيه في مناقب الترك والردّ على النصارى بأمر من الفتح بن خاقان .

وفي إطار البحث عن نشرات آثار الجاحظ، ظهر أن عناية المعاصرين ببعثها بدأت في قبل نحو مائة عام على وجه التحديد، وشاركت في بعثها عناصر عربية من مصر والشام والعراق، وأجنبيّة من هولاندا وفرنسا وألمانيا وأمريكا. وكان من حصيلة العناية بتراث الجاحظ أن تعدد نشراته وتفاوت قيمتها ، ومع أنّ بعضها كان يأخذ نفسه بأساليب التحقيق العلمي ، كان بعضها الآخر لا يلتفت إلى ذلك. وتمكنت الدراسة بعد رصد ما نشر من تراث الجاحظ أنّ تكشف عن جملة من آثاره التي لم يتسن إخراجها حتى الآن، وفي مقدمتها رسالة في ذم الهوى، ورسالة في الرد على أحدهم، ورسالة في مناقب أحمد بن أبي دؤاد، ورسالة في مناقب خلفاء بني العباس، وكتاب الصوالجة، وكتاب العرب والموالي، وكتاب العُرس والعرائس، وكتاب القضاة والولاة .

وفيما يتعلق بمخطوطات هذه الآثار، أبانت الدراسة عن أماكن وجودها في أشهر المكتبات العالمية، لاسيما المصريّة والشاميّة والعراقيّة والمغربيّة والتركيةّ والألمانيّة والهولنديّة والإنجليزيّة منها. وتوصل الدارس إلى أنه باستثناء كتابي البيان والحيوان ـ يتضاءل وجود مخطوطات الآثار الباقية على نحو لافت في كثير من المكتبات .

ووجد الدارس أن عدداً من هذه الآثار حظيت بالترجمة الكاملة عن العربية، كما نُقلت مُنتقيات من عدد كبير من هذه الآثار إلى اللغات الألمانية والفرنسيّة والإنجليزيّة على وجه الخصوص، فضلاً عن لغات أخرى كالروسيّة والإيطاليّة والتركيّة، ولاحظ الدارس أنّ حركة نقل هذه الآثار إلى هذه اللغات، ارتبطت بعدد من المستشرقين، مثل المستشرق الألماني ريشر، والمستشرق الفرنسيّ شارل بلاّ .

وبعد ، فهذه أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت ، وإليه المصير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجـــع

١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الحيـوان ، الجـزء الأول، تحقيـق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفـى البابي الحلبـيّ، القـاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م

٢ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، تحقيـق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ=١٩٦٤ م.

٣ – الحمويّ : أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد اللّه ت ٦٢٦ هـ، معجم الأدباء، الجزء السادس عشر، عُني بنشره عن طبعة مرجليوث: أحمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

٤ – إمتيـــاز علي عرشي، كتاب الأخبار للجاحظ، مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد التاسع، العدد المزدوج ١+٢ ، الهند، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م. ص ١٣٦-١٩٦ .

٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الحيوان، الجزء الثالث، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٨٤ هـ=١٩٦٥م.

٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الحيوان، الجزء الرابع، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، القاهرة ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

٧ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، التربيع والتدوير، عُني بنشره وتحقيقـه: شارل بلاّ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٣٧٤ هـ=١٩٥٥م .

٨ – ابـــن النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب ت ٤٣٨هـ، الفهرست، تحقيق : رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ=١٩٧١م .

٩ – ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ، لسان الميزان، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م.

١٠ –الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسائل الجاحظ ، الجزء الثاني، تحقيق: عبـــد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البـــابي الحلبيّ، القـــاهرة ، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

١١ – خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الخامس، الطبعة التاسعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .

١٢– الصفديّ : صـــلاح الدين خليـــل بن أيبك ت ٧٦٤هـ، الوافي بالوفيـــات، الجزء الثالث والعشرون، مكتبة أحمد الثالث، إستانبول، رقم ٢٩٢٠ (مخطوط) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣ – الكتبيّ: محمد بن شاكرت٧٦٤هـ، عيون التواريخ، الجزء الثامن، المكتبة الوطنية، باريس، رقم ١٥٨٨ (مخطوط) .

١٤ – عدنـــان محمد الطعمة، روضة الياسمين فيمن ترجم للجاحظ من الأقدمين، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع ، بغداد ١٣٩٩ هـ=١٩٧٨م. ص ٧٢-١٣٢ .

١٥ – ابـــن قتيبة : عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ، تأويل مختلف الحديث، صححه وطبعه: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

١٦ – المسعودي : علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ، مروج الذهب، الجزء الأول، طبعه بَرْبيـه دي منيد وَ بافيه دي كرتاي، عُني بتنقيحها وتصحيحها : شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ، ١٣٨٥-١٣٩٩هـ=١٩٦٥-١٩٧٩م .

١٧ – البغـــداديّ : عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفِرق، تحقيـــق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني ، القاهرة ، د.ت.

١٨ – الإسفراييني : أبو المظفر شاهفور بن طاهـــر ت ٤٧١هـ، التبصير في الدين، نشره وعلق عليه : محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة ، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠ م .

١٩ – أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيـــل ت ٧٣٢هـ، المختصر من أخبار البشر، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية، القاهرة ، ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م.

٢٠ – الذهبيّ : شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، الجزء الحادي عشر، أشـــرف على تحقيقه : شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالـــة ، بيـــروت ، ١٤٠١-١٤٠٩هـ=١٩٨١-١٩٨٨م .

٢١ – ابن نباتة: جمـــال الديـــن محمد بن محمد ت ٧٦٨هـ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦ م .

٢٢ – اليـــافعـيّ : أبو محمـــد عبد الله بن سعد ت ٧٧٨هـ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الجزء الثانيّ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٨هـ=١٩٢٠م .

٢٣ – ابن عبـد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ، العقد، الجزء الثالث، شرحه وضبطـــه : أحمـد أمين وَ أحمد الزين وَ إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م .

٢٤ – التوحيديّ ، أبو حيان علي بن محمد ت ٤١٤ هـ، البصائر والذخائر، الجزء الثاني، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

٢٥ – حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧هـ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجزء الثاني، مصورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .

٢٦ – البغداديّ : عبد القـادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، الجزء الثالث عشر، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٨-١٤٠٦هـ=١٩٦٨-١٩٨٦م.

٢٧ – إسماعيل باشا البغداديّ، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، الجزء الأول، مصورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠ هـ= ١٩٩٠م.

٢٨ – خليل مردم، الجاحظ ، مكتبة عرفة، دمشق، ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م .

٢٩ – فـؤاد أفـرام البستـاني، الجـاحظ ، الحلقات ١٨-٢٠ من سلسلة الروائع، بيـروت، ١٣٤٧ هـ=١٩٢٨م .

٣٠ – شفيق جبري، الجاحظ مُعلم العقل والأدب، د. ن، دمشق ، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م.

٣١ – حسن السندوبي، أدب الجاحظ، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٥٠هـ= ١٩٣١م.

٣٢ – د. عبـد الحكيم بلبـع، النثـر الفني وأثر الجاحظ فيه، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

٣٣ – كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثالث، نقله إلى العربية: د.عبد الحليم النجار وَ د. السيـد يعقـوب بكر وَ د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م . صـ ١١١

٣٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسـائل الجاحظ، الجـزء الرابع، تحقيق : عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م .

٣٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسائل الجاحظ، الجـزء الثالث، تحقيق : عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م .

٣٦ – Ch. Pellat, Essai d'inventaire de L'oeuvre Gahizienne, Arabica, III, 1956, pp. 147-180.

٣٧ – د. وديعة طه النجم،الجاحظ والحاضرة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد،١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.

٣٨ – د. علي أبو ملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة، بيروت، ١٤٠١هـ=١٩٨٠م.

٣٩ – د. علي أبو ملحـم، كشـاف آثار الجاحظ، نُشر ملحقاً برسائل الجاحظ الأدبية، الطبعة الأولى، دار الهلال ، بيروت ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٤٠ – د. جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبـه وفكـره، دار الكتـاب اللبنـاني، بيـروت ، ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م .

٤١ – د. محمد عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، مصورة عن الطبعة المصرية،دار الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللبناني ، بيروت ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م .

٤٢ – جورج غريب ، الجاحظ : دراسة عامة، دار الثقافة ، بيروت ١٣٨٧هـ=١٩٦٧ م .

٤٣ – Ch. Pellat, Nouvel essai d'inventaire de L'oeuvre Gahizienne, Arabica, XXXI, 1984, pp. 117-164.

٤٤ – Ramazan Sesen , Gahiz in ecerlerinin Istanbul Kutuphanelerindeki, sarkiyat Mecmasi, VI, 1965, pp. 113-134.

٤٥ – هـدى شوكت بهنام، الموروث الجاحظي مخطوطاً ومطبوعاً، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع، بغداد، ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م. ص ٢٧٧-٣٠٤.

٤٦ – د. عبد الجبار عبد الرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي،الجزء الأول، د.ن، البصرة، ١٤٠١هـ=١٩٨١م .

٤٧ – د. فوزي عطوي، الجاحظ دائرة معارف عصره،الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

٤٨ – الغزي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ١١٦٧هـ، ديوان الإسلام، الجزء الثاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ=١٩٩٠م.

٤٩ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين ، الجزء الأول، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

٥٠ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م.

٥١ – د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .

٥٢ – أحمد المختار الوزير، حول رسالة التربيع والتدوير، مجلة الفكر، السنة الثانية، العدد الثالث، تونس ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م. ص ٢٥٤-٢٦٠ .

٥٣ – د. طه الحاجريّ، الجاحظ : حياته وآثاره، الطبعة الثانية، دار المعارف ، القاهرة، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م .

٥٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق : باول كرواس وطه الحاجريّ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٢هـ=١٩٤٣م.

٥٥ – الحُصريّ : أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣ هـ، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق : علي محمد البجاوي، مصورة عن الطبعة المصرية، دار الجيل، بيروت ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٥٦ – الشاهد البوشيخيّ، قضية عنوان كتاب البيان للجاحظ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الإمام محمد بن عبد الله، العددان: الرابع والخامس، فاس، ١٤٠٠-١٤٠١هـ=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٨٠-١٩٨١م. ص ٩٥-١٢٠ .

٥٧- د. وديعة طه النجم، أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الفنية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ، العدد الحادي عشر، بغداد، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م. ص ١٣٢-١٤٤ .

٥٨- الحمويّ : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ، معجم الأدباء، الجزء الثالث، عُني بنشره عن طبعة مرجليوث : أحمد فريد الرفاعي ، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

٥٩ - الباقلاني: أبو بكر محمد بن الخطيب ت٤٠٣هـ، إعجاز القُرآن، تحقيق د.السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى ، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

٦٠ - سبط بن الجوزي : يوسف بن قزأوغلي ت ٦٥٤ هـ، ترجمة الجاحظ من مرآة الزمان، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٢٤٨٢، (مخطوط ضمن مجموع) .

٦١ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسائل الجاحظ، مكتبة داماد إبراهيم باشا، تركيا، رقم ٩٤٩. (مخطوط) .

٦٢ - P. Voorhoeve, Handlist of Arabica Manuscripts in the library of the Leiden Second edition, Leiden university preess, Leiden, 1980.

٦٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، اختيار مجهول، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٥٠٣٢ (مخطوط) .

٦٤ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسالة في موت أبي حرب بن الصقار البصري تحقيق : د. طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصري، المجلد الثالث، العدد التاسع، القاهرة ، ١٣٦٥هـ =١٩٤٧م . ص ٣٨-٤٤ .

٦٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ،فصول في هجاء محمد بن الجهم البرمكي، تحقيق: د. طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصري، المجلد الخامس، العدد السابع عشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م. ص ٥٥-٦٢.

٦٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها : عُبيد اللّه بن حسان، مكتبة متحف طوب قبو سراي، إستانبول رقم ١٣٥٨ (مخطوط).

٦٧ - د. عبد الرزاق حسين، فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والنقد والبلاغة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٦٨ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها: عُبيد اللّه بن حسان، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن وَ د. يحيى الجبوري وَ د. نوري حمودي القيسي ، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع، بغداد،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣٩٩هـ=١٩٧٨م. ص ١٣٥-٢٥٦.

٦٩ - Edhem Karatay, Topkapi Sarayi Muzesi Kutuphanesi,Arapca Yazmlar Katalogu, C.I.V, Istanbul, 1969.

٧٠ - د. فـاضل مهدي بيات، المخطوطات العربية في مكتبة طوب قبو سراي بإستانبول، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الثاني، بغداد، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. ص ٣٧٩-٤٤٢.

٧١ - د. داود الجلبي، مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٤٨هـ=١٩٢٧م.

٧٢ - د. محمـــود الجليلي، حول مخطوطة رسائل الجاحظ، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الرابع، بغداد، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م. ص ٣١٢-٣١٤.

٧٣ - الجاحـــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها : عُبيد اللّه بن حسان، المتحف البريطاني، لندن، رقم ١١٢٩ (مخطوط).

٧٤ - الجاحـــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها : عُبيد اللّه بن حسان، دار الكتب المصرية، القاهرة ، رقم ١٩ أدب تيمور (مخطوط).

٧٥ - الجاحظ: أبو عثمان عمور بن بحر ت٢٥٥هـ، ثلاث رسائل، سعى في نشرها: يوشع فنكل، المكتبة السلفية، القاهرة ، ١٣٤٤هـ=١٩٢٦م .

٧٦ - الجاحـــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها: عُبيد اللّه بن حسان، طبعت على هامش كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ت٢٨٦هـ، الجزء الأول، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة،١٣٢٣-١٣٢٤هـ=١٩٠٥-١٩٠٦م.

٧٧ - الجاحـــظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الفصول المختارة من كتب أبي عثمان الجاحظ، اختارها: عُبيد اللّه بن حسان، طبعت على هامش كتاب الكامل لأبي العباس المبرد ت٢٨٦هـ،الجزء الثاني، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة،١٣٢٣-١٣٢٤هـ=١٩٠٥-١٩٠٦م.

٧٨ - أسامة النقشنبديّ و ضمياء عباس، مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، الطبعة الأولى، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت. ١٤٠٦هـ=١٩٨٥ م.

٧٩ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، النابتة، نشرها : د. داود الجلبي، مجلة لغة العرب، المجلد الثامن ، بغداد، ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م. ص ٣٢-٣٩ .

٨٠ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب، نشـــرها : د. داود الجلبي، مجلـة لغة العرب، المجلد الثامن، بغداد، ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م. ص٥٧٢-٥٧٥ .

٨١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسالة إلى أبي الفـــرج بن نجاح الكاتب، نشرها : د. داود الجلبي، مجلة لغة العرب، المجلد الثامن، بغـــــداد، ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م. ص ٦٨٦-٦٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٢ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، ذمّ القُواد، نشرها : د. داود الجلبي، مجلة لغة العرب، المجلد التاسع، بغداد، ١٣٥٠هـ=١٩٣١م . ص ٢٦-٣٨ .

٨٣ – سالم عبد الرزاق أحمد، فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، الجزء الثالث، مطبعة الأوقاف، بغداد، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م .

٨٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥، البيان والتبيين، عني بنشره : حسن الفاكهاني ومحمد الزهري الغمراوي، المطبعة العلمية، القاهرة، ١٣١١-١٣١٣هـ=١٨٩٣-١٨٩٥م .

٨٥ – الخفاجيّ : شهاب الدين أحمد بن محمد ت ١٠٦٩هـ، طراز المجالس، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٤هـ=١٨٦٦م .

٨٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥، البخلاء، نشر بعناية: محمد ساسي المغربي، مطبعة الجمهور، القاهرة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م .

٨٧ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥، الحيوان، الأجزاء١-٥ نُشرت بعناية: محمد ساسي المغربي، مطبعة الحميدية، القاهرة١٣٢٣-١٣٢٤هـ=١٩٠٥-١٩٠٦م. الأجزاء٦-٧، نُشرت بتصحيح : محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م.

٨٨ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥، البيان والتبيين، وقف على طبعه: محب الدين الخطيب، مطبعة الفتوح ، القاهرة، ١٣٣٢هـ=١٩١٤م .

٨٩ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥، مجموعة رسائل الجاحظ، نُشرت بعناية : محمد ساسي المغربي، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م .

٩٠ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، المحاسن والأضداد (؟)، صححه : محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة ، ١٣٢٤هـ=١٩٠٦م .

٩١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، التاج في أخلاق الملوك (؟)، نشره : أحمد زكي ، المطبعة الأميرية، القاهرة ، ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

٩٢- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، تهذيب الأخلاق (؟)، نشره : محمد كرد علي، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الرابع، ١٣٤٢هـ=١٩٢٤م. ص ٢٤٣-٢٥٨، ٢٩١-٣٠٦، ٣٤٨-٣٦٥، ٤٠٠-٤٠٨.

٩٣ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، البخلاء، تحقيق : د. طه الحاجريّ ، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

٩٤- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧-١٣٦٤هـ=١٩٣٨-١٩٤٥م.

٩٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٧-١٣٦٩هـ=١٩٤٨-١٩٥٠م.

٩٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، البيان والتبيين وأهم الرسائل، اختارها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونشرها: د. جميل جبر، الطبعة الأولى، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م.

٩٧ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، آثار الجاحظ، اختارها ونشرها : عمر أبو النصر، مطبعة النجوى، بيروت ، ١٣٨٩ هـ=١٩٦٩م.

٩٨ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م .

٩٩ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، الرسائل الكلامية، قدّم لها وعلق عليها: د. علي أبو ملحم، الطبعة الأولى، دار الهلال، بيروت ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

١٠٠ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، الرسائل الأدبية، قدّم لها وعلق عليها : د. علي أبو ملحم، الطبعة الثانية، دار الهلال، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩١م .

١٠١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، الرسائل السياسية، قدّم لها وبوّبها : د. علي أبو ملحم، دار الهلال ، بيروت، د. ت.

١٠٢ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، قدّم لها وعلق عليها: عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

١٠٣ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، الجزء الثاني، قدّم لها وعلق عليها: عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

١٠٤ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، نشره: فان فلوتن، دار برل، ليدن ، ١٣١٦هـ=١٨٩٧م .

١٠٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، البخلاء، نشره : فان فلوتن، دار برل، ليدن ، ١٣١٨هـ=١٩٠٠م .

١٠٦ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، ثلاث رسائل، نشرها:فان فلوتن، دار برل، ليدن ، ١٣٢١هـ=١٩٠٣م .

١٠٧ – نجيب العقيقيّ، المستشرقون، الجزء الثالث، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤–١٣٨٥هـ = ١٩٦٤–١٩٦٥م .

١٠٨ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، نفي التشبية، تحقيق: شارل بلاّ، مجلة المشرق، المجلد السابع والأربعون، بيروت ١٣٧٢هـ=١٩٥٣م. ص ٢٨١–٣٠٣.

١٠٩ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، القول في البغال، تحقيق : شارل بلاّ، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م .

١١٠ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، مفاخرة الجواري والغلمان، تحقيق شارل بلاّ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

١١١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البلدان، تحقيق شارل بلاّ، مجلة المشرق، المجلد الستون، بيروت، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٢ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، تفضيل البطن على الظهر، تحقيق شارل بلاّ، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث عشر، تونس،١٣٩٦هـ=١٩٧٦م. ص ١٨٣-١٩٢.

١١٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، مدح العلوم وذمها (؟)، تحقيق: شارل بلاّ، مجلة المشرق، المجلد الخمسون، بيروت،١٣٧٥هـ=١٩٥٦م. ص ٧٠-٧٨.

١١٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، فضائل الأتراك، المطبعة العمومية، القاهرة، ١٣١٦هـ=١٨٩٨م.

١١٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، رسائل الجاحظ، جمعها ونشرها : حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٢٥هـ= ١٩٣٣م.

١١٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، فلسفة الجد والهزل، قدّم له وشرح لغوياته: د. محمد علي الزعبي، منشورات حمد ، بيروت، د. ت.

١١٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، فلسفة الجد والهزل،قدّم له وشرح لغوياته : د. محمد علي الزعبي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

١١٨ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين وأهم الرسائل، اختارها ونشرها: د. جميل جبر، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

١١٩ - د. جميل جبر، الجاحظ ومجمع عصره، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م

١٢٠ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، الجزءان الثالث والرابع، تحقيق : عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ=١٩٩١م .

١٢١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، رسائل الجاحظ، الجزءان الثالث والرابع، تحقيق : عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ=١٩٩١م .

١٢٢ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، ما لم ينشر من تراث الجاحظ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

١٢٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، المسائل والجوابات في المعرفة، تحقيق : شارل بلاّ، مجلة المشرق، المجلد الثالث والستون، بيروت، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م . ص ٣١٥-٣٢٦.

١٢٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، كتابان للجاحظ : كتاب المعلمين وَ كتاب الردّ على المشبهة، تحقيق ودراسة : د. إبراهيم خليل جريس، مكتبة السروجي، عكا، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م .

١٢٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، مختارات من آثار الجاحظ، اختارها: د. عناد إسماعيل غزوان وَ د. جلال الخياط وَ د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٤٠١هـ=١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، مجموع رسائل الجاحظ، حققه وقدم له : د. محمد طه الحاجريّ، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

١٢٧ – الجـــاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسالة في تفضيل بني هاشم على من سواهم، نشرها : فضل الله الزنجاني، مجلة لغة العرب، المجلد التاسع، بغداد، ١٣٥٠هـ= ١٩٣١م. ص ٤١٣-٤٢٠.

١٢٨ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسالة في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طـــالب، نشرها : فضل الله الزنجاني، مجلة لغة العرب، المجلد التاسع، بيروت، ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م. ص٤٩٧-٥٠٠.

١٢٩ – Ch. Pellat, The Life and works of Jahiz, Translations of selected texts,Tramsted from French by D.M. Hawke, Routiedge and Keganpaul, London, 1969.

١٣٠ – معهد المخطوطات العربيـة، نشرة أخبار التراث العربي،المجلد الرابع، العددان ٤٤-٤٥، الكويت، ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

١٣١ – المسعوديّ: علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ، مروج الذهب، الجزء الخامس، طبعة بربيه دي مينـــد وَ بـــافية دي كرتاي، عُني بتنقيحها وتصحيحها: شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٣٨٥-١٣٩٩هـ=١٩٦٥-١٩٧٩م.

١٣٢ – التنوخيّ: أبو علي المُحسن بن علي ت٣٨٤هـ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، الجزء الرابع، تحقيق : عبود الشالجي، دار صادر، بيروت،١٣٩١-١٣٩٣هـ=١٩٧١-١٩٧٣م.

١٣٣ – الأصفهـــانيّ : أبو الفرج عليّ بن الحسين ت ٣٥٦هـ، الأغاني، الجزء الثاني والعشرون، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د.ت. .

١٣٤ – أحمد مفتاح، مفتاح الأفكار في النثر المختار، مطبعة جريدة الإسلام، القاهرة، ١٣١٤هـ= ١٨٩٦م .

١٣٥ – أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، الجزء الرابع ، مصورة عن الطبعة المصرية، المكتبة العلمية، بيروت ، د.ت.

١٣٦ – الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦هـ، أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودُرر القلائد، الجزء الأول، تحقيـق : محمـــد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.

١٣٧ – الطبريّ : أبو جعفـــر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، الجزء التاسع، مصورة عن طبعة دار المعارف ، دار التراث، بيروت، د.ت.

١٣٨ – ابن عبد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ، العقد، الجزء الرابع، شرحه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضبطه : أحمد أمين وَ أحمد الزين وَ إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

١٣٩ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البخلاء، تحقيق: د. طه الحاجريّ، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ، ١٣٥٩هـ=١٩٧٦م.

١٤٠ - مصطفى عبد الرزاق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الأول، الجزء الثاني، القاهرة، ١٣٥٢=١٩٣٣م. ص ١-٤١ .

١٤١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، المطبعة الخيرية، إستانبول، ١٣٢٥هـ =١٩٠٧م .

١٤٢ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البخلاء، ضبطه وصححه: أحمد العوامري وعلي الجارم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

١٤٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، نُشر بعناية نفر من أعضاء المجمع العلمي العربي. المكتب العربي للنشر، دمشق، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

١٤٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، تحقيق : محمد علي الزعبي، بيروت، مكتبة العرفان ، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م.

١٤٥ - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، نشره: أحمد ظافر كوجان، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

١٤٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، نشره: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

١٤٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، نشره : عباس خضر، مجلة الإذاعة والتلفزيون ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

١٤٨ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م .

١٤٩ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البخلاء، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م

١٥٠ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ،البخلاء، المركز العربي الحديث، القاهرة، د. ت .

١٥١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، الطبعة الثانية ، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

١٥٢ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، دار الفكر ، بيروت، د.ت.

١٥٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البخلاء، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.

١٥٤ - علي الجنبلاطي وَ عبد المنعم قنديل،بخلاء الجاحظ في قصص،مكتبة الإنجلو المصرية،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة ، د.ت.

١٥٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البغال، قدّم له وعلق عليه: د. علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ، ١٤١١هـ=١٩٩١م .

١٥٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد، بغداد، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م .

١٥٧ – التنوخيّ: أبو علي المحسن بن علي ت٣٨٤هـ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، الجزء الثامن، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت،١٣٩١-١٣٩٣هـ=١٩٧١-١٩٧٣م.

١٥٨ – العسكريّ: أبو هلال الحسن بن عبد الله ت٣٩٥هـ، كتاب الصناعتين، تحقيق : علي محمد البجاوي وَ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، د.ت.

١٥٩ – الشريف الرضي : محمد بن الحسين ت ٤٠٦هـ، نهج البلاغة، شرحه وضبطه : محمد عبده، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

١٦٠ – الخطيب البغداديّ : أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد، الجزء الثاني عشر، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٦١ – ابن عساكر: علي بن الحسن ت٥٧١هـ، ترجمة الجاحظ من تاريخ دمشق، نشرها: فريتس كرنكو، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد التاسع، دمشق،١٣٤٩هـ=١٩٣٠م. ص ٢٠٣-٢١٧.

١٦٢ – القفطيّ : جمال الدين علي بن يوسف ت ٦٢٤هـ، إنباه الرواة على أنباه النحاة، الجزء الثاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٦٩-١٣٧٤هـ = ١٩٥٠-١٩٥٥م.

١٦٣ – ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، الجزء الحادي عشر، الطبعة الثالثة، دققه وحققه : د. أحمد أبو ملحم ورفاقه، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م .

١٦٤ – السيوطيّ : جلال الدين بن عبد الرحمن ت ٩١١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الثاني، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م .

١٦٥ – ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت ١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الثاني، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٦٦ – التوحيديّ: أبو حيان علي بن محمد ت ٤١٤هـ، البصائر والذخائر، الجزء السابع، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١٦٧ – ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت٦٨١هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الثالث، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦٨ - Cl. Huart, A Histrory of Arabic Literature , London, 1903.

١٦٩ - د. إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب، الطبعة الثانية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ١٣٧٢هـ=١٩٥٢م .

١٧٠ - د. ميشال عاصي، مفاهيم الجماليّة والنقد في أدب الجاحظ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

١٧١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، الجزء الثالث، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

١٧٢ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، نشره : حسن السندوبي، الطبعة الأولى، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٣٤٥هـ=١٩٢٦م .

١٧٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، نشره : حسن السندوبي، الطبعة الثانية، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٣٥١هـ=١٩٣٢م.

١٧٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، نشره : حسن السندوبي، الطبعة الثالثة، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م .

١٧٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٠-١٣٨١هـ=١٩٦٠-١٩٦١م .

١٧٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البيان والتبيين، نشره : فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م .

١٧٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥، البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م .

١٧٨ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥، مختار البيان والتبيين، باعتناء خليل بيدس وشريف النشاشيبي، مطبعة بيت المقدس ، القدس، ١٣٥٢هـ=١٩٣٣م.

١٧٩ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ،التبصر بالتجارة، نشره : حسن حسني عبد الوهاب، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثاني عشر، دمشق،١٣٥١هـ=١٩٣٢م. ص ٣٢١-٣٥٥.

١٨٠ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، التبصر بالتجارة، نشره: حسن حسني عبد الوهاب، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥م.

١٨١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، التبصر بالتجارة، نشره: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.

١٨٢ - التوحيديّ : أبو حيان علي بن محمد ت ٤١٤هـ، مثالب الوزيرين، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر ، دمشق، ١٣٨١هـ=١٩٦١م .

١٨٣ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، التربيع والتدوير، نشرها: فوزي عطوي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م .

١٨٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٢هـ، تصويب علي في تحكيم الحكمين، تحقيق: شارل بلاّ ، مجلة المشرق، المجلد الثاني والخمسون، بيروت، ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م. ص ٤١٧-٤٩١.

١٨٥ – غربي الحاج أحمد، مخطوطة أخرى في الموصل لرسالة الحنين إلى الأوطان، مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الثاني، بغداد، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م. ص ٢٦٣-٢٦٤ .

١٨٦ – ابن خير : أبو بكر محمد بن خليفة ت ٥٧٥هـ، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، نُشر بعناية: فرنشكه قداره زيدن وَ خليان رباه طرغوة، د.ن، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

١٨٧ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، الحنين إلى الأوطان، نُشر بعناية طاهر الجزائري، مطبعة المنار، القاهرة ، ١٣٣٣هـ=١٩١٤م.

١٨٨ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٨٩ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الحيوان، الجزء السابع، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

١٩٠ – البحتريّ : أبو عبادة الوليد بن عبيد ت ٢٨٤هـ، ديوان البحتريّ، الجزء الأول، تحقيق : حسن كامل الصيرفي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

١٩١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الحيوان، نشره : فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م .

١٩٢ – الحمويّ : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ، معجم الأدباء، الجزء التاسع عشر، عُني بنشره عن طبعة مرجليوث: أحمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.

١٩٣ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، تهذيب الحيوان،هذبه عبد السلام هارون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م .

١٩٤ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، من كتاب الحيوان، اختاره: نعيم الحمصي وَ عبد المعين الملوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م .

١٩٥ – ابن عبد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ، العقد ، الجزء الثاني، شرحه وضبطه : أحمد أمين وأحمد الزين وَ إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٠هـ= ١٩٤٠م .

١٩٦ – أحمد فريد الرفاعيّ ، عصر المأمون، الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٥هـ=١٩٢٧م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٧ – ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت٦٨١هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الرابع، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

١٩٨ – ابن تغريّ برديّ : أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثاني، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٤هـ=١٩٣٥ م.

١٩٩ – ابن عبد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ، العقد، الجزء الأول، شرحه وضبطه : أحمد أمين وَ أحمد الزين وَ إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٠هـ=١٩٤٠ م.

٢٠٠ – القلقشنديّ : أحمد بن علي ت ٨٢١هـ، صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الرابع عشر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م .

٢٠١ – المسعوديّ: علي بن الحسين ت٣٤٦هـ، مُروج الذهب، الجزء الرابع،طبعة بربية دي ميند وبافية دي كرتاي، عُني بتنقيحها وتصحيحها : شارل بلاّ ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٣٨٥-١٣٩٩هـ=١٩٦٥-١٩٧٩م.

٢٠٢ – ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله ت ٦٥٦ هـ، شرح نهج البلاغة، المجلد الثالث، دار الأندلس، بيروت، د.ت.

٢٠٣ – د. محمد جبار المعيبد، المرجع في الجاحظ، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع، بغداد، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٨م. ص ٢٥٩-٢٧٦.

٢٠٤ – ابن طاووس: أحمد بن موسى ت٦٧٣هـ، بناء المقالة الفاطمية في نقص الرسالة العثمانية، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

٢٠٥ – القلقشنديّ : أحمد بن علي ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الجزء الأول، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م .

٢٠٦ – الوشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق ت ٣٢٥هـ، الظرف والظرفاء، تحقيق : د. فهمي سعد، الطبعة الأولى، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م .

٢٠٧ – الحُصريّ : أبو إسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣هـ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، عُني بنشره : محمد أمين الخانجي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٥٣هـ=١٩٣٤ م .

٢٠٨ – الحُصريّ : أبو اسحاق إبراهيم بن علي ت ٤٥٣هـ، زهر الآداب وثمر الألباب، الجزء الأول، تحقيق : علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م .

٢٠٩ – الأصفهانيّ : أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ، الأغاني، الجزء الثالث والعشرون، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١٠ – البحتريّ : أبو عبادة الوليد بن عبيد ت ٢٨٤ هـ، ديوان البحتري، الجزء الرابع، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م .

٢١١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، الحيوان ، الجزء الخامس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

٢١٢ – التوحيديّ : أبو حيان علي بن محمد ت٤١٤هـ، البصائر والذخائر، الجزء التاسع، تحقيق: د. وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

٢١٣ – الهمذانيّ: أبو الحسين عبد الجبار المعتزلي ت٤١٥هـ، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، جمعه : أحمد بن يحيى المرتضى، قدّم له وعلق عليه : عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

٢١٤ – الخياط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد المعتزلي ت نحو ٣٠٠ هـ، الانتصار والردّ على ابن الروندي الملحد، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ=١٩٥٧م .

٢١٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رسالة في بني أمية ، نشرها : محمود عرنوس ، المطبعة الإبراهيمية، القاهرة ، ١٣٥٦هـ=١٩٣٧م .

٢١٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، رأي أبي عثمان الجاحظ في معاوية والأمويين، نشرها : عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م.

٢١٧ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الأخبار، مجلة لغة العرب،المجلد التاسع، بغداد،١٣٥٠هـ=١٩٣١م. ص ١٧٤-١٨٠.

٢١٨ – محمد كرد علي، رسائل البلغاء، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م .

٢١٩ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، استطالة الفهم، مكتبة الدولة ، برلين، رقم ٨٧٢٧ (مخطوط ضمن مجموع) .

٢٢٠ – الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد ت٥١٨هـ، مجمع الأمثال، الجزء الثاني، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٤٢هـ= ١٩٢٤م .

٢٢١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، أطعمة العرب (قطعة من كتاب البخلاء)، مكتبة المجمع العلمي العراقي، بغداد ، رقم ٩٥١ (مخطوط) .

٢٢٢ – الأصفهانيّ : أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ، الأغاني ، الجزء الحادي عشر، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٢٣ – الأصفهانيّ: أبو الفرج علي بن الحسين ت٣٥٦هـ، الأغاني، الجزء الخامس، مصورة عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٢٤ - ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت٦٨١هـ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الأول، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

٢٢٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق : محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٢ هـ=١٩٧٢ م .

٢٢٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٢٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، البلاغة والإيجاز، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، مجلة البلاغ ، العدد التاسع، بغداد، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م. ص ٢١-٢٤.

٢٢٨ - الحمويّ : أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، الجزء الثاني، مكتبة الأسدي، طهران ، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

٢٢٩ - المقدسيّ : محمد بن أحمد ت ٣٨٠هـ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت . د.ت .

٢٣٠ - ابن حوقل : أبو القاسم محمد ت ٣٦٧هـ، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٢٣١ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البلدان ، تحقيق : د. صالح أحمد العلي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الثاني عشر، بغداد،١٣٩٠هـ=١٩٧٠م. ص ٤٣٩-٥٠٦ .

٢٣٢ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، البلدان، تحقيق: د. صالح أحمد العلي، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م .

٢٣٣ - الجرجاني : عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧٤ هـ، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م .

٢٣٤ - حاجي خليفة: مصطفى بن عبد اللّه ت١٠٦٧هـ،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الأول، مصورة عن طبعة إستانبول، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

٢٣٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، شعر الجاحظ، جمعه ونشره: محمد جبار المعيبد، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. ص ٢٠٧-٢٢٠.

٢٣٦ - محمد جبار المعيبد، شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م .

٢٣٧ - ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة اللّه ت ٦٥٦هـ، شرح نهج البلاغة، المجلد الرابع ، دار الأندلس، بيروت، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٣٨ - ابن عبد ربّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي ت ٣٢٨هـ، العقد ، الجزء السادس، شرحه وطبعه: أحمد أمين وَ أحمد الزين وَ إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٣٥٩هـ=١٩٤٠م .

٢٣٩ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، مدح الكتب والحث على جمعها، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي،المجلد الثامن، بغداد،١٣٨١هـ =١٩٦١م، ص ٣٣١-٣٤٢ .

٢٤٠ - الخوانساريّ: محمد باقر الموسوي ت ١٣٤٦هـ، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الجزء الخامس، تحقيق: أسد اللّه إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

٢٤١ - الأبشيهيّ : شهاب الدين مُحمد بن أحمد ت ٨٥٢هـ، المُستطرف في كل فن مستظرف ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٣٥٤هـ=١٩٣٥ م .

٢٤٢ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، الحيوان، الجزء السادس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

٢٤٣ - حمد بن عبد اللّه العويشق، كتاب الأمل والمأمول منحول للجاحظ، مجلة كلية اللغة العربية - جامعة الرياض، الجزء الثالث، الرياض، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

٢٤٤ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، قدّم له وبوّبه: د. علي أبو ملحم، الطبعة الثانية، دار الهلال ، بيروت ، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٢٤٥ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الأمل والمأمول (؟)، تحقيق : د. رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.

٢٤٦ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الأمل والمأمول (؟)، تحقيق: د. رمضان ششن، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٢٤٧ - شارل بلاّ، أصالة الجاحظ،دار الكتاب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،١٣٨١-١٣٨٢هـ = ١٩٦١-١٩٦٢م.

٢٤٨ - د. إبراهيم السامرائي، كتاب الأمل والمأمول المنسوب للجاحظ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، السنة السابعة، العددان : الثالث والعشرون والرابع والعشرون، عمان، ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م. ص ١٣٧-١٥٣ .

٢٤٩ - ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة اللّه ت ٦٥٦هـ، شرح نهج البلاغة، المجلد الأول ، دار الأندلس، بيروت ، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٥٠ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، التاج في أخلاق الملوك (؟)، نشره : إبراهيم الزين وَ أديب الزين، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.

٢٥١ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، التاج في أخلاق الملوك (؟)، نشره : فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م .

٢٥٢ – د. سامي الكيالي، النفس الإنسانية في أدب الجاحظ، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨١هـ=١٩٦١م .

٢٥٣ – عمر رضا كحالة، المستدرك على معجم المؤلفين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م .

٢٥٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، تنبيه الملوك والمكائد (؟)، مكتبة جامعة ليدن، هولاندا ، رقم ٤٨١٩ (مخطوط) .

٢٥٥ – ابن عديّ : يحيى بن زكريا ت٣٦٤هـ، تهذيب الأخلاق، المطبعة القبطية الأهلية، القاهرة، ١٢٩٠هـ=١٨٧٢م .

٢٥٦ – ابن عديّ: يحيى بن زكريا ت٣٦٤هـ، تهذيب الأخلاق، نشره: جرجس فيلوثاوس عوض، القاهرة، ١٣٣١هـ=١٩١٣م.

٢٥٧ – ابن عديّ : يحيى بن زكريا ت ٣٦٤هـ، تهذيب الأخلاق، نشره : مراد فؤاد حقي، مطبعة دير مار مرقس، القدس ، ١٣٤٩هـ=١٩٤٠م.

٢٥٨ – ابن عربيّ : محي الدين محمد بن علي ت ٦٣٨ هـ، تهذيب الأخلاق، قدم له وصححه : عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٢٥٩ – ابن عربيّ : محي الدين محمد بن علي ت ٦٣٨هـ، الأخلاق ، د.ن، القاهرة، ١٣٢٥هـ=١٩٠٧م .

٢٦٠ – ابن عربيّ : محي الدين محمد بن علي ت ٦٣٨هـ، فلسفة الأخلاق ، د.ن، القاهرة، ١٣٣١هـ=١٩١٣م.

٢٦١ – ابن عربيّ: محي الدين محمد بن علي ت ٦٣٨هـ، فلسفة الأخلاق ، نشره: علي البصري، دار البصري، بغداد، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م .

٢٦٢ – ابن عديّ: يحيى بن زكريا ت ٣٦٤هـ، تهذيب الأخلاق، نشره : محمد كرد علي، المطبعة الأرثوذكسية، دمشق ، ١٣٤٢هـ=١٩٢٤م.

٢٦٣ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (؟)، نشره : محمد راغب الطباخ، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب ١٣٤٦هـ=١٩٢٨م .

٢٦٤ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (؟)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

٢٦٥ – د. محمـــد عويس، المجتمع العباســـي من خلال كتابات الجاحظ، دار الثقافة، القاهرة، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٢٦٦ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، سحر البيان المحـاكي قطـع الجنـان (؟)، مكتبة كوبريللي، تركيا ، رقم ١٢٨٤ (مخطوط) .

٢٦٧ – الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد ت ٤٢٩هـ، الإعجاز والإيجاز، نشرة: إسكندر آصاف، المطبعة الحكومية، القاهرة، ١٣١٥هـ=١٨٩٧م .

٢٦٨ – عمر رضـــا كحـالة : معجم المؤلفين، الجزء الثامن، مكتبة المثنى وَ دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت .

٢٦٩ – الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥ هـ، سلوة الحرّيف مناظرة الربيع والخريف(؟) دار الرائد العربي، بيروت ، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م .

٢٧٠ – الجاحظ : أبو عثمـان عمـرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ، العرافة والزجر والفراسة على مذهب الفرس (؟) ، مكتبة جامعة ليدن، هولندا، رقم ١٩٨ or (مخطوط) .

٢٧١ – ابن أبي ثابت ت (؟) ، الفرق في اللغة، تحقيق : محمد الفاسي، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، الرباط ، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

٢٧٢ – ابن أبي ثابت ت (؟)، الفـرق في اللغة، تحقيق : د. حاتم الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

٢٧٣ – الحمويّ : أبو عبـد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ، معجم الأدباء، الجزء السابع، عُني بنشره عـــن طبعة مرجليوث : أحمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م .

٢٧٤ – السيوطي : جلال الدين بن عبـــد الرحمـن ت ٩١١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الجزء الأول تحقيق : محمد أبو الفضـل إبراهيـم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤ م .

٢٧٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحـر ت ٢٥٥هـ، مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (؟)، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٣٧ (مخطوط ضمن مجموع) .

٢٧٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمـرو بن بحـر ت ٢٥٥هـ، مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (؟)، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٨٤٢٢ (مخطوط ضمن مجموع) .

٢٧٧ – مجهول: مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٧٠٥ (مخطوط ضمن مجموع) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٧٨ – مجهول: مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب،مكتبة الدولة، برلين، رقم ١٧٩٨ (مخطوط ضمن مجموع) .

٢٧٩ – مجهول: مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة الدولة، برلين، رقم ٨٦٥٦ (مخطوط ضمن مجموع) .

٢٨٠ – ابن عربيّ : محي الدين محمد بن علي ت ٦٣٨ هـ، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، الجزء الأول، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٣٨٨هـ=١٩٦٨ م .

٢٨١ – البغداديّ : عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣، خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب، الجزء الأول، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٨–١٤٠٦هـ=١٩٦٨–١٩٨٦م .

٢٨٢ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، ١٣٣٠هـ=١٩١٢م .

٢٨٣ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، مطبعة الفتوح الأدبية ، القاهرة، ١٣٣٢ هـ=١٩١٤ م .

٢٨٤ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، مكتبة العرفان، صيدا ، ١٣٦٩هـ=١٩٥٠ م .

٢٨٥ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، نشره : علي أبو ملحم ، دار صعب، بيروت، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م .

٢٨٦ – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥هـ، المحاسن والأضداد (؟)، نشره : عصام عيتاني، دار إحياء العلوم ، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م .

٢٨٧ – د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة،١٣٩٥هـ= ١٩٧٥ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُلحـق

الجَداولُ والبَيَـــانـاتُ التَوثِيقِيّـــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : الآثار الكاملة والمبتورة مصنفةً حسب النزعات الغالبة على مضامينها .

الرقم	الأثـــــــــــر	النزعة الغالبة مضمونة
١ –	رسالة إلى إبراهيم بن المدبر	النزعة الأدبية
٢ –	رسالة إلى أحمد بن أبي دؤاد	النزعة الأدبية
٣ –	كتاب الأخبـار	=
٤ –	كتاب استطالة الفهم	=
٥ –	رسالة استنجاز الوعد	=
٦ –	رسائل في استنجاز الوعد	=
٧ –	رسائل في الاعتذار	=
٨ –	كتاب البخـــلاء	=
٩ –	كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان	=
١٠ –	كتاب البغال	=
١١ –	رسالة البلاغة والإيجاز	=
١٢ –	كتاب البيان والتبيين	=
١٣ –	رسالة التربيع والتدوير	=
١٤ –	رسائل في التعازي	=
١٥ –	رسالة الجد والهزل	=
١٦ –	رسالة إلى أبي حاتم السجستاني	=
١٧ –	ديـوان شـــعر	=
١٨ –	رسالة في ذمّ الزمان	=
١٩ –	رسالة إلى رجل وعـده	=
٢٠ –	رسالة في الردّ على أحدهم	=
٢١ –	رسالة في الشـــكر	=
٢٢ –	رسائل في العتـــاب	=
٢٣ –	رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب	=
٢٤ –	رسالة إلى قُليب المعتزلي	=
٢٥ –	رسالة القواد	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦ –	رسالة إلى محمد بن عبد الملك الزيات	النزعة الأدبية
٢٧ –	رسائل مختلفة	=
٢٨ –	رسالة مدح النبيذ	=
٢٩ –	رسالة في مناقب أحمد بن أبي دؤاد	=
٣٠ –	رسالة في موت أبي حرب الصفّار البصري	=
٣١ –	رسالة المودة والخلطة	=
٣٢ –	رسالة إلى مويس بن عمران	=
٣٣ –	رسالة في هجاء محمد بن الجهم البرمكي	=
٣٤ –	رسالة وصاة	=
٣٥ –	رسائل في الوصاة	=
٣٦ –	كتاب البلدان	النزعة السياسية
٣٧ –	رسالة تصويب علي في تحكيم الحكمين	=
٣٨ –	رسالة في تفضيل بني هاشم على سواهم	=
٣٩ –	كتاب الحجاب	=
٤٠ –	رسالة ذمّ الكُتّـــاب	=
٤١ –	رسالة في صفة كتاب الفتيا	=
٤٢ –	كتاب العباسيّة	=
٤٣ –	رسالة العثمانيّة	=
٤٤ –	كتاب العرب والموالي	=
٤٥ –	رسالة فخر السُودان على البيضان	=
٤٦ –	كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس	=
٤٧ –	رسالة المعاد والمعاش	=
٤٨ –	رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة	=
٤٩ –	رسالة في مناقب خلفاء بني العباس	=
٥٠ –	رسالة النابتـــة	=
٥١ –	رسالة تفضيل البطن على الظهـر	النزعة الكلاميّة
٥٢ –	رسالة تفضيل النطق على الصمت	=
٥٣ –	كتاب الجوابات في الإمامة	=
٥٤ –	كتاب الحجة في تثبيت النُبوة	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٥ -	كتاب الحيوان	النزعة الكلاميّة
٥٦ -	رسالة خلق القرآن	=
٥٧ -	رسالة الردّ على المشبهة	=
٥٨ -	رسالة الردّ على النصارى	=
٥٩ -	كتاب الشارب والمشروب	=
٦٠ -	رسالة فضيلة صناعة الكلام	=
٦١ -	كتاب المسائل والجوابات في المعرفة	=
٦٢ -	رسالة نفي التشبيـه	=
٦٣ -	كتاب وجوب الإمامـة	=
٦٤ -	كتاب التبصّـر	النزعة الاجتماعيّة
٦٥ -	كتاب الحنين إلى الأوطان	=
٦٦ -	كتاب الصوالجة	=
٦٧ -	كتاب طبقات المُغنيّن	=
٦٨ -	كتاب العُرس والعرائس	=
٦٩ -	كتاب القضاة والولاة	=
٧٠ -	رسالة القيان	=
٧١ -	كتاب اللصُوص	=
٧٢ -	رسالة مدح التُجار وذمّ عمل السلطان	=
٧٣ -	رسالة مفاخرة الجواري والغلمان	=
٧٤ -	رسالة المعلمين	=
٧٥ -	رسالة النساء	=
٧٦ -	رسالة الوكـلاء	=
٧٧ -	رسالة الحاسد والمحسود	النزعة الخُـلقية
٧٨ -	رسالة ذم الهـوى	=
٧٩ -	رسالة فصل ما بين العداوة والحسد	=
٨٠ -	رسالة كتمان السر وحفظ اللسان	=
٨١ -	رسالة النبل والتنبل وذم الكبر	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيـــاً : الآثـــار الكاملة والمبتورة مسلسلةً حسب تاريخ إنشائها المُقارب .

الرقم	الأثـــــــــــــر	تاريخ انشائه المُقارب
١ –	رسالة إلى مويس بن عمران	قبل سنة ٢٠٠ هـ
٢ –	كتاب استطالة الفهـــم	بعد سنة ١٩٨ هـ
٣ –	كتاب الجوابات في الإمـــامة	نحو سنة ٢٠٠ هـ
٤ –	كتاب وجوب الإمامة	=
٥ –	كتاب طبقات المُغنيّن	سنة ٢١٥هـ
٦ –	رسالة القيان	نحو سنة ٢١٥ هـ
٧ –	رسالة فخر السُودان على البيضان	بين سنتي ٢١٨–٢٢٢هـ
٨ –	رسالة فضيلة صناعة الكلام	بين سنتي ٢١٨–٢٢٥هـ
٩ –	رسالة في صفة كتاب الفتيا	بين سنتي ٢١٨–٢٢٧هـ
١٠ –	رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة	الجزء الثالث بين سنتي٢١٨–٢٢٧هـ، والجزءان الأول والثاني بعد سنة٢٢٧هـ
١١ –	رسالة في هجاء محمد بن الجهم البرمكي	بين سنتي ٢١٨–٢٢٧هـ
١٢ –	رسالة الردّ على المُشبهة	بين سنتي ٢٢١–٢٢٢هـ
١٣ –	رسالة ذمّ الكُتّـاب	بين سنتي ٢٢١–٢٣٦هـ
١٤ –	رسالة خلق القـــرآن	نحو سنة ٢٢٣هـ
١٥ –	كتاب العرب والموالي	=
١٦ –	رسالة النابتة	=
١٧ –	رسالة نفي التشبيه	=
١٨ –	رسالة في مناقب أحمد بن أبي دُؤاد	بين سنتي ٢٢٣–٢٢٧هـ .
١٩ –	كتاب اللصُـــوص	قبل سنة ٢٢٥ هـ
٢٠ –	كتاب البخـــلاء	بين سنتي ٢٢٥–٢٣٢هـ
٢١ –	رسالة الردّ على النصارى	=
٢٢ –	كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس	سنة ٢٢٧هـ
٢٣ –	رسالة تصويب علي في تحكيم الحكمين	بين سنتي ٢٢٧–٢٣٢هـ
٢٤ –	رسالة في تفضيل بني هاشم على سواهم	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٥ -	رسالة في مناقب خلفاء بني العباس	بين سنتي ٢٢٧-٢٣٢هـ
٢٦ -	رسالة في موت أبي حرب الصَفّار البصري	=
٢٧ -	رسالة الحاسد والمحسود	بين سنتي ٢٢٩-٢٣٠هـ
٢٨ -	رسالة الجدّ والهزل	بين سنتي ٢٢٩-٢٣٣هـ
٢٩ -	رسالة مدح النبيذ	بين سنتي٢٣١-٢٣٢هـ
٣٠ -	رسالة إلى محمد بن عبد الملك الزيات	بين سنتي ٢٣١-٢٣٣هـ
٣١ -	كتـــاب الأخبـــار	قبل سنة ٢٣٢هـ
٣٢ -	رسالة التربيع والتدوير	=
٣٣ -	رسالة تفضيل النطق على الصمت	=
٣٤ -	كتاب الحجة في تثبيت البنوة	=
٣٥ -	كتاب الشارب والمشروب	=
٣٦ -	كتاب العباسيّة	=
٣٧ -	رسالة العثمانيّة	=
٣٨ -	رسالة مدح التُجار وذم عمل السلطان	=
٣٩ -	كتاب المسائل والجوابات في المعرفة	=
٤٠ -	كتاب الحيـــوان	سنة ٢٣٢ هـ
٤١ -	كتاب البغـــال	بعد سنة ٢٣٢ هـ
٤٢ -	رسالة البلاغة والإيجاز	=
٤٣ -	كتاب التبصـــــر	=
٤٤ -	رسالة تفضيل البطن على الظهر	=
٤٥ -	كتاب الحنين إلى الأوطان	=
٤٦ -	رسالة في ذمّ الزمان	=
٤٧ -	رسالة كتمان السرّ وحفظ اللسان	=
٤٨ -	رسالة المعلمين	=
٤٩ -	رسالة مفاخرة الجواري والغلمان	=
٥٠ -	رسالة النســـاء	=
٥١ -	رسالة الوكـــلاء	=
٥٢ -	رسالة وصـــاة	بين سنتي ٢٣٢-٢٣٥هـ
٥٣ -	رسالة القُـــوّاد	بين سنتي ٢٣٢-٢٤٧هـ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٤ -	رسالة إلى أحمد بن أبي دُؤاد	سنة ٢٣٣هـ
٥٥ -	رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب	بين سنتي ٢٣٣-٢٤٥هـ
٥٦ -	رسالة المودة والخلطة	=
٥٧ -	رسالة إلى إبراهيم بن المدبر	بين سنتي ٢٣٣-٢٤٧ هـ
٥٨ -	رسالة المعاد والمعاش	نحو سنة ٢٣٤هـ
٥٩ -	رسالة النُبل والتنبل وذمّ الكبر	بين سنتي ٢٣٤-٢٣٧هـ
٦٠ -	كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان	بين سنتي ٢٣٥-٢٣٧هـ
٦١ -	كتاب البيان والتبيين	=
٦٢ -	رسالة في الشكر	نحو سنة ٢٣٦هـ
٦٣ -	كتاب الحجـاب	بعد سنة ٢٣٦هـ
٦٤ -	رسالة استنجاز الوعـد	بين سنتي ٢٣٦-٢٤٥هـ
٦٥ -	رسالة فصل ما بين العداوة والحسـد	بين سنتي ٢٣٦ - ٢٤٥هـ
٦٦ -	كتاب البلدان	بين سنتي ٢٤٨-٢٤٩هـ
٦٧ -	رسالة في الردّ على أحدهم	بعد سنة ٢٥٢ هـ
٦٨ -	رسائل في استنجاز الوعـد	لا يُعلم تاريخ إنشائه
٦٩ -	رسائل في الاعتذار	=
٧٠ -	رسائل في التعازي	=
٧١ -	رسالة إلى أبي حاتم السجستاني	=
٧٢ -	رسالة إلى رجل وعده	=
٧٣ -	ديـوان شعـر	=
٧٤ -	رسالة ذمّ الهـوى	=
٧٥ -	كتاب الصوالجة	=
٧٦ -	رسائل في العتـاب	=
٧٧ -	كتاب العرس والعرائس	=
٧٨ -	رسالة إلى قُليب المعتزلي	=
٧٩ -	كتاب القضاة والولاة	=
٨٠ -	رسائل مختـلفة	=
٨١ -	رسائل في الوصـاة	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثـاً: الآثار الكاملة والمبتورة موزعة حسب أسماء الشخصيات التي وُجهت إليها

الرقم	الأثـــــــــر	اسم الشخصية التي وجّـــه إليها
١ –	رسالة إلى إبراهيم بن المدبر	إبراهيم بن المدبر
٢ –	رسالة إلى أحمد بن أبي دُؤاد	أحمد بن أبي دُؤاد
٣ –	كتاب البيان والتبيين	=
٤ –	رسالة في صفة كتاب الفتيا	=
٥ –	رسالة فضيلة صناعة الكـلام	=
٦ –	رسالة في مناقب أحمد بن أبي دؤاد	=
٧ –	رسالة التربيع والتدوير	أحمد بن عبد الوهاب
٨ –	رسالة كتمان السر وحفظ اللسان	أحمد بن أبي عون
٩ –	رسالة إلى أبي حاتم السجستاني	أبو حاتم السجستاني
١٠ –	رسالة تصويب عليّ في تحكيم الحكمين	ابن حسان (؟)
١١ –	رسالة مدح النبيذ	الحسن بن وهب
١٢ –	رسالة في الشكر	عُبيد اللّه بن يحيى بن خاقان
١٣ –	رسالة فصل ما بين العداوة والحسد	=
١٤ –	رسالة في الردّ على النصارى	الفتح بن خاقان
١٥ –	رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة	=
١٦ –	رسالة استنجاز الوعـد	أبو الفرج بن نجاح الكاتب
١٧ –	رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب	=
١٨ –	رسالة المودة والخلطة	=
١٩ –	رسالة إلى قُليب المعتزلي	قُليب المعتزلي
٢٠ –	كتاب الجوابات في الإمامة	الخليفة المأمون
٢١ –	كتاب وجوب الإمامـة	=
٢٢ –	رسالة القُوّاد	الخليفة المتوكل
٢٣ –	رسالة في موت أبي حرب الصـّفّار البصري	أبو محمد (؟)
٢٤ –	رسالة خلق القـــرآن	محمد بن أحمد بن أبي دُؤاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٥ -	رسالة الردّ على المشبهة	محمد بن أحمد بن أبي دُؤاد
٢٦ -	كتاب العرب والموالي	=
٢٧ -	رسالة فخر السودان على البيضان	=
٢٨ -	رسالة المعاد والمعاش	=
٢٩ -	رسالة النابتة	=
٣٠ -	رسالة النبل والتنبل وذم الكبر	=
٣١ -	رسالة نفي التشبية	=
٣٢ -	رسالة في هجاء محمد بن الجهم البرمكي	محمد بن الجهم البرمكي
٣٣ -	رسالة الجد والهزل	محمد بن عبد الملك الزيّات
٣٤ -	رسالة الحاسد والمحسود	=
٣٥ -	كتاب الحيوان	=
٣٦ -	رسالة ذمّ الكُتّاب	=
٣٧ -	رسالة إلى محمد بن عبد الملك الزيّات	=
٣٨ -	رسالة إلى مويس بن عمران	مويس بن عمران
٣٩ -	كتاب الأخبـــــار	غير معروف
٤٠ -	كتاب استطالة الفهـــم	=
٤١ -	رسائل في استجاز الوعـــد	=
٤٢ -	رسائل في الاعتذار	=
٤٣ -	كتاب البخـــلاء	=
٤٤ -	كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان	=
٤٥ -	كتاب البغـــال	=
٤٦ -	رسالة البلاغة والإيجاز	=
٤٧ -	كتاب البلدان	=
٤٨ -	كتاب التبصّـــــر	=
٤٩ -	رسائل في التعازي	=
٥٠ -	رسالة تفضيل البطن على الظهر	=
٥١ -	رسالة في تفضيل بني هاشم على سواهم	=
٥٢ -	رسالة تفضيل النطق على الصمت	=
٥٣ -	كتاب الحجـــاب	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٤ -	كتاب الحجة في تثبيت النبوة	غير معروف
٥٥ -	رسالة الحنين إلى الأوطان	=
٥٦ -	ديـــوان شعـــر	=
٥٧ -	رسالة ذمّ الزّمـــان	=
٥٨ -	رسالة ذمّ الهـــوى	=
٥٩ -	رسالة إلى رجل وعده	=
٦٠ -	رسالة في الردّ على أحدهم	=
٦١ -	كتاب الشارب والمشروب	=
٦٢ -	كتاب الصوالجة	=
٦٣ -	كتاب طبقات المغنيّن	=
٦٤ -	كتاب العباسيـــّة	=
٦٥ -	رسائل في العتـــاب	=
٦٦ -	رسالة العثمانيـــّة	=
٦٧ -	كتاب العُرس والعرائس	=
٦٨ -	كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس	=
٦٩ -	رسالة القيـــان	=
٧٠ -	كتاب القضاة والولاة	=
٧١ -	كتاب اللصـــوص	=
٧٢ -	رسائل مختلفـــة	=
٧٣ -	رسالة مدح التُجار وذم عمل السلطان	=
٧٤ -	كتاب المسائل والجوابات في المعرفة	=
٧٥ -	رسالة المعلميـــن	=
٧٦ -	رسالة مفاخرة الجواري والغلمان	=
٧٧ -	رسالة في مناقب خُلفاء بني العباس	=
٧٨ -	رسالة النساء	=
٧٩ -	رسالة وصاة	=
٨٠ -	رسائل وصاة	=
٨١ -	رسالة الوكـــلاء	=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : الآثار الكاملة والمبتورة مسلسلةً حسب تاريخ نشرها .

الرقم	الأثر	تاريخ نشرته الأولى*	النـــاشر	مكان النشر
١ –	كتاب البيان والتبيين	١٣١١–١٣١٣هـ= ١٨٩٣–١٨٩٥م	حسن الفاكهاني و محمد الزهري الغمرواي	القاهرة
٢ –	رسالة إلى أحمد بن أبي دؤاد	١٣١٤هـ=١٨٩٦م	أحمد مفتاح	–
٣ –	رسالة ذمّ الزمان	–	–	–
٤ –	رسالة إلى قُليب المعتزلي	–	–	–
٥ –	رسالة محمد بن عبد الملك الزيّات	–	–	–
٦ –	رسالة وصاة	–	–	–
٧ –	رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة	١٣١٦هـ=١٨٩٨م	لا يُعرف	–
٨ –	رسالة النابتة	١٣١٧هـ=١٨٩٩م	فان فلوتن	ليدن
٩ –	كتاب البخلاء	١٣١٨هـ=١٩٠٠م	–	–
١٠ –	رسالة التربيع والتدوير	١٣٢١هـ=١٩٠٣م	–	–
١١ –	رسالة فخر السودان على البيضان	–	–	–
١٢ –	رسالة استنجاز الوعد	١٣٢٣–١٣٢٤هـ= ١٩٠٥–١٩٠٦م	لا يُعرف	القاهرة
١٣ –	رسالة تفضيل النطق على الصمت	–	–	–
١٤ –	كتاب الجوابات في الإمامة	–	–	–
١٥ –	رسالة الحاسد والمحسود	–	–	–
١٦ –	كتاب الحجة في تثبيت النبوة	–	–	–
١٧ –	رسالة خلق القرآن	–	–	–
١٨ –	رسالة الردّ على النصارى	–	–	–
١٩ –	كتاب الشارب والمشروب	–	–	–
٢٠ –	كتاب طبقات المُغنين	–	–	–

* لا تدخل في هذا الباب مجموعة الآثار التي أودعها القدامى كتبهم، كالآثار المنشورة في زهر الآداب، ومعجم الأدباء، وَ شرح نهج البلاغة ، وَ سرح العيون، وَ طراز المجالس ، ونحوها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١ -	رسالة فضيلة الكلام	١٣٢٣-١٣٢٤هـ= ١٩٠٥-١٩٠٦م	لا يُعرف	القاهرة
٢٢ -	رسالة مدح التجار وذمّ عمل السلطان	-	-	-
٢٣ -	رسالة مدح النبيذ	-	-	-
٢٤ -	رسالة المعلمين	-	-	-
٢٥ -	رسالة المودة والخلطة	-	-	-
٢٦ -	رسالة النبل والتنبل وذم الكبر	-	-	-
٢٧ -	رسالة النساء	-	-	-
٢٨ -	كتاب وجوب الإمامة	-	-	-
٢٩ -	كتاب الحيوان	١٣٢٣-١٣٢٥هـ= ١٩٠٥-١٩٠٧م	محمد ساسي المغربي	-
٣٠ -	رسالة الوكـلاء	١٣٢٤هـ=١٩٠٦م	-	-
٣١ -	رسالة الحنين إلى الأوطان	١٣٣٣هـ=١٩١٥م	طاهر الجزائري	-
٣٢ -	رسالة ذم الكتاب	١٣٤٤هـ=١٩٢٦م	يوشع فنكل	-
٣٣ -	رسالة القيان	-	-	-
٣٤ -	رسالة إلى إبراهيم بن المدبر	١٣٤٩هـ=١٩٣٠م	خليل مردم	دمشق
٣٥ -	رسالة في صفة كتاب الفتيا	-	داود الحلبي	بغداد
٣٦ -	رسالة إلى أبي الفرج بن نجاح الكاتب	-	-	-
٣٧ -	كتاب الأخبـار	١٣٥٠هـ=١٩٣١م	فضل الله الزنجاني	-
٣٨ -	رسالة في تفضيل بني هاشم على سواهم	-	-	-
٣٩ -	رسالة القواد	-	داود الحلبي	-
٤٠ -	كتاب التبصر	١٣٥١هـ=١٩٣٢م	حسني حسن عبد الوهاب	دمشق
٤١ -	كتاب الحجاب	١٣٥٢هـ=١٩٣٣م	حسن السندوبي	القاهرة
٤٢ -	كتاب العباسيّة	-	-	-
٤٣ -	كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس	-	-	-
٤٤ -	رسائل في استنجاز الوعد	١٣٥٧هـ=١٩٣٨م	أحمد زكي صفوت	-
٤٥ -	رسائل في الاعتذار	-	-	-
٤٦ -	رسالة إلى أبي حاتم السجستاني	-	-	-
٤٧ -	رسالة إلى رجل وعده	-	-	-
٤٨ -	رسائل وصاة	-	-	-
٤٩ -	رسالة الجدّ والهزل	١٣٦٢هـ=١٩٤٣م	باول كرواس وطه الحاجري	-
٥٠ -	رسالة فصل ما بين العداوة والحسد	-	-	-
٥١ -	رسالة كتمان السر وحفظ اللسان	-	-	-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٢ -	رسالة المعاد والمعاش	١٣٦٢هـ-١٩٤٣م	باول كرواس وطه الحاجري	القاهرة
٥٣ -	رسالة في موت أبي حرب الصفار البصري	١٣٦٥هـ-١٩٤٦م	طه الحاجري	-
٥٤ -	رسالة في هجاء محمد بن الجهم البرمكي	١٣٦٦هـ-١٩٤٧م	-	-
٥٥ -	رسالة نفي التشبيه	١٣٧٢هـ-١٩٥٣م	شارل بلاّ	بيروت
٥٦ -	كتاب البغال	١٣٧٤هـ-١٩٥٥م	-	القاهرة
٥٧ -	رسالة العثمانية	-	عبد السلام محمد هارون	-
٥٨ -	رسالة مفاخرة الجواري والغلمان	١٣٧٦هـ-١٩٥٧م	شارل بلاّ	بيروت
٥٩ -	رسالة تصويب عليّ في تحكيم الحكمين	١٣٧٧هـ-١٩٥٨م	-	-
٦٠ -	كتاب البلدان	١٣٨٦هـ-١٩٦٦م	-	-
٦١ -	كتاب المسائل والجوابات في المعرفة	١٣٨٩هـ-١٩٦٩م	-	-
٦٢ -	كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان	١٣٩٢هـ-١٩٧٢م	مرسي الخولي	القاهرة
٦٣ -	ديوان شعر	١٣٩٥هـ-١٩٧٥م	محمد جبار المعيبد	بغداد
٦٤ -	رسالة تفضيل البطن على الظهر	١٣٩٦هـ-١٩٧٦م	شارل بلاّ	تونس
٦٥ -	رسالة البلاغة والإيجاز	١٣٩٨هـ-١٩٧٨م	حاتم صالح الضامن	بغداد
٦٦ -	رسالة الرد على المشبهة	١٣٩٩هـ-١٩٧٩م	عبد السلام محمد هارون	القاهرة
٦٧ -	كتاب استطالة الفهم	لم ينشره أحد من المعاصرين	-----	----
٦٨ -	رسائل في التعازي	-	-	-
٦٩ -	رسالة ذمّ الهوى	-	-	-
٧٠ -	رسالة في الردّ على أحدهم	-	-	-
٧١ -	رسالة في الشكر	-	-	-
٧٢ -	كتاب الصوالجة	-	-	-
٧٣ -	رسائل في العتاب	-	-	-
٧٤ -	كتاب العرب والموالي	-	-	-
٧٥ -	كتاب العرس والعرائس	-	-	-
٧٦ -	كتاب القضاة والولاة	-	-	-
٧٧ -	كتاب اللصوص	-	-	-
٧٨ -	رسائل مختلفة	-	-	-
٧٩ -	رسالة في مناقب أحمد بن أبي دؤاد	-	-	-
٨٠ -	رسالة في مناقب خلفاء بني العباس	-	-	-
٨١ -	رسالة إلى مويس بن عمران	-	-	-

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

Al-Jahiz's Works
A Bibliographical Study

****

Presented by : Mohammad Mahmoud Ahmad Al-Droubi
Supervised by prof. : Abdul-Jalil Abdul -Mohdi

This study aims at achieving a number of goals mainly the following :

1 - Surveying the extant works of Al-Jahiz in a comprehensive , precise and systematic way and comparing them with the lost ones .

2 - Screening Al-Jahiz's authentic works from those claimed to be written by him, so as to eliminate the latter .

3 - Providing the original titles as given by Al-Jahiz himself to his works, so as to get rid of the different titles given for the same work .

4 - Tracing the time of writing each work in order to show the development of his style throughout his caster (in the different topics that he is interested in).

5 - Examining the efforts of ancient and recent scholars' interest in AL-Jahiz's works, mentioning , explaining, contracting, annotating, editing and translating to modern languages .

The method of this research is based on categorizing the extant works into two major collections : " The complete works" and the " Incomplete works", added to them a third collection containing the works attributed to him. The works in each collection have been arranged alphabetically .

This study is divided into four chapters and appendix . In the first chapter, I dealt with the most important documentation systems of Al-Jahiz's works. Primarily I traced the efforts of various scholars in documenting these works, starting from Al-Jahiz own documentation that

٤٣٣٧٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

of modern scholars'. In addition, I talked extensively about the manuscripts, time of publication, and translations, in an attempt to see to what extent these manuscripts have been taken care of in the past and the present , by the Arabs and the non-Arabs .

In the second chapter, I investigated each work in terms of its authenticity, its date of composing, its dates of publication, its translations, and finally to examine the remaining works which are still in manuscripts.

In the third chapter, I have dealt with the second incomplete collection of Al-Jahiz .

In the fourth chapter, I dealt with the works ascribed to Al-Jahiz trying to prove that AL-Jahiz was not the author of such works.

In the appendix , I included four tables containing data related to both the complete and Incomplete works. In the first table , I arranged the works according to their topics : literary , political , social, philosophical, and theological. In the second table, the works are arranged chronologically. In the third table, the works are arranged according to the names of dignitaries he sent his works to . In the fourth table, the works are arranged according to the date of publication in the last two countries .

The major conclusions of this study could stated as the following :

1 - Documenting AL-Jahiz's works began with Al-Jahiz himself and extended to the present, but it is noted that such efforts do not exceed mere mentioning the titles of his works and ignoring the other ways of documentation .

2 - Titles of 245 works are known to us, but this study proves that only 81 extant works. Two third of his work are lost for different reasons .

3 - It is difficult to formulate a complete and comprehensive opinion about Al-Jahiz ideas on literature's, politics and sociology as a result of the loss of two-third of his works .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4 - This study revealed that forty five complete works exist and thirty six works were incomplete for the two reasons : First some scholars as textbooks. Second, some scribes abridged some of his complete works to save time and effort.

5 - This study proved the authenticity of some works such as Al-Tabasur, Al-Hijab and AL-Hanin Ila AL-Awtan, which some scholars dismissed from Al-Jahiz's works. In addition, this study dismissed fifteen works claimed to be written by AL-Jahiz .

6 - This study proved that some extracts , which are treated as complete and independent works, are parts of other works only .

7 - This study also tried to solve the problem of the different titles given for the same book by scribes and sticking to one title which is believed to be given to the work by the author himself .

8 - This study concluded that Al-Jahiz was affected by AL-Mutazila thought till the end of 232 A.H. later, he shifted his interests in writing in new subjects to cope with the new political scene of the Abbasyad state .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit